

سيرة الشهيد محمد باقر الصدر
«نظرة على تأثير أفكاره
على الثورة الإسلامية الإيرانية»



All rights reserved to Iraq Center for Studies

جميع الحقوق محفوظة لمركز العراق للدراسات

مركز العراق للدراسات

Center Of Iraq For Studies



بغداد ◀ +964 7707961315

المكتبة - بغداد ◀ +964 7714023036

www.markazaliraq.net

info@markazaliraq.net



العنوان: العراق - النجف الأشرف - حي المعلمين

Tel: 07702781435 Email: ali.molaa14@gmail.com

سيرة الشهيد محمد باقر الصدر
«نظرة على تأثير أفكاره
على الثورة الإسلامية الإيرانية»

تأليف

الدكتور محمد حسين جمشيدي

ترجمة

حسين صافي

سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

«نظرة على تأثير أفكاره على الثورة الإسلامية الإيرانية»

تأليف : الدكتور محمد حسين جمشيدي، ترجمة: حسين صافي

صاحب الامتياز: محمد صادق الهاشمي

الناشر : مركز العراق للدراسات

المطبعة : الساقلي للطباعة والتوزيع

رقم الاصدار: 201

سنة الطبع: 1446هـ- 2024م

قطع الورق: 17 × 24

تصميم الغلاف والإخراج الفني : أحمد الهاشمي

The Opinions And Ideas In The Book Doesn't Represent
Necessarily The Institute Of Iraq Center for studies

الآراء والأفكار الواردة في الكتاب لا تمثل بالضرورة رأي مركز العراق للدراسات



مركز العراق للدراسات

Center Of Iraq For Studies

المركز: العراق - بغداد - كرادة - العرصات

المكتبة: بغداد - شارع المتنبي - قيصرية مصرف الرشيد - البناية البغدادية

المحتويات

المحتويات	٥
الفصل الأول: شخصية الشهيد الصدر وأبعادها	٢١
مقدمة:	٢٣
الشخصية المعرفية والإيمانية	٢٥
الشخصية العبادية والروحية (العبادة والتقوى والزهد والمعنوية)	٣٤
الشخصية الأخلاقية والعاطفية (الخُلُق والطبع)	٣٨
مداراة الناس	٤٢
الأخلاق العلمية والحكيمة	٤٨
الفصل الثاني: الشخصية السياسية - الاجتماعية	٥٣
المقدمة	٥٥
الورع والتقوى السياسية	٥٦
التسامح والرحمة:	٥٩
السياسة المتعالية	٦٣
الدفاع عن الثورة والروح الثورية	٦٥
الإنسانية في مواجهة القومية والإثنية	٧٠

٦..... سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

٧٢..... إقامة العدل والقسط

٧٦..... الإحيائية في مجال العلم والحوزات العلمية

٨٠..... التقسيم الأول: تقسيم الأستاذ مصطفى أحمد زرقاء

٨٠..... التقسيم الثاني: تقسيم العلامة الشهيد الصدر

٨٢..... الشعور بالمسؤولية السياسية والمعنوية تجاه الشعب

٨٥..... الوعي بالقضايا السياسية المعاصرة

٩١..... الفصل الثالث: الإبداعات العلمية والأعمال السياسية للشهيد الصدر رحمته الله

٩٣..... المقدمة

٩٨..... إبداعاته وابتكاراته

٩٨..... (أ) مجال الرؤية والمنهج والنظرة

١٠١..... (ب) مجال مسائل المعارف والعلوم والنظريات والرؤى

١٠١..... الفلسفة واللاهوت

١٠٢..... المنطق والاحتمالات

١٠٣..... الفقه وأصول الفقه

١٠٥..... تفسير القرآن

١٠٨..... التاريخ

١٠٩..... السيرة

١١٠..... الاقتصاد

١١٢..... السياسة وعلوم السياسة

١١٣..... الأعمال السياسية

١١٦..... مراجعة عامة للأعمال السياسية

المحتويات ٧

عناوين الأعمال السياسية	١٢١
١. رسالتنا	١٢١
٢. فلسفتنا	١٢٢
المدرسة القرآنية	١٢٤
الأسس الإسلامية	١٢٥
حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة	١٢٦
دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون ثورية	١٢٦
ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحية وما نرفضه منها	١٢٧
أول دعوة أو ثورة فكرية	١٢٧
الشخصية الإسلامية: أعمال وأهداف المسلم	١٢٨
أطروحة المرجعية الموضوعية	١٢٨
فدك في التاريخ	١٢٩
النبوة الخاتمة أو التجديد والتغيير في النبوة	١٢٩
بحث حول الولاية	١٣٠
بحث حول المهدي	١٣٠
أهل البيت: تنوع أدوار ووحد هدف	١٣١
نظرة جديدة إلى الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام (من السقيفة إلى الكوفة)	١٣١
الحرية في القرآن	١٣٢
العمل الصالح من وجهة نظر القرآن	١٣٢
مقدمة على الصحيفة السجادية	١٣٣
خلافة الإنسان و شهادة الأنبياء	١٣٣

مسودة مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران (لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع

٨ سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

دستور الجمهورية الاسلامية في الايران)^١ ١٣٤

منابع القدرة في الدولة الإسلامية^٢ ١٣٥

الحسين يكتب قصته الأخيرة ١٣٦

منشورات جماعة العلماء ١٣٦

المكاتيب والرسائل ١٣٧

الفصل الرابع: الشهيد الصدر ومقتضيات الزمان ١٤١

المقدمة ١٤٣

المجتمع العالمي ١٤٤

الأوضاع السياسية والاجتماعية ١٤٤

الحرب الباردة تتكون من ثلاث مراحل: ١٤٧

أسس الفكر والعمل السياسي الغربي الجديد ١٥٠

الإنسانوية ١٥١

العقلانية ١٥٣

العلموية ١٥٤

العلمانية ١٥٥

الرؤية المادية ١٥٦

أزمة العصر الحديث ١٥٧

الأوضاع العالمية والشهيد الصدر ١٦٠

أوضاع العراق ١٦٤

أرض العراق والقضايا الإنسانية ١٦٤

الموقع الجغرافي والاستراتيجي ١٦٤

المحتويات ٩

القضايا الإنسانية والاجتماعية	١٦٥
موجز تاريخ العراق السياسي	١٦٧
النظام البعثي العراقي	١٧١
أيديولوجية حزب البعث	١٧١
المبادئ الحكومية لنظام البعث	١٧٣
أسلوب الحكم لحزب البعث	١٧٤
الشيعة في العراق	١٧٦
القضايا الإنسانية والاجتماعية	١٧٦
الأحزاب والجماعات الشيعية العراقية	١٨٠
١. جماعة العلماء المجاهدين أو جماعة العلماء في النجف الأشرف	١٨٠
٢ - أنصار جماعة العلماء	١٨١
٣ - حزب الدعوة الإسلامية	١٨٢
٤ - المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق	١٨٣
٥ - منظمة العمل الإسلامي	١٨٣
٦ - حركة المجاهدين	١٨٣
الانتفاضات الشعبية الشيعية في العراق	١٨٤
العراق والشهيد الصدر	١٨٧
الفصل الخامس: نحو السياسة والمقاومة السياسية	١٩١
الشهيد الصدر والسياسة	١٩٣
الشهيد الصدر والنضال والحياة السياسية	١٩٧
أ) البُعد الفكري والثقافي	٢٠٣

١٠..... سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

٢٠٤..... (ب) البُعد السياسي والتنظيمي

٢٠٤..... الآراء المطروحة حول بدايات دخول الشهيد الصدر إلى ساحة النضال السياسي

٢٠٦..... ١. بداية مرجعية آية الله السيد محسن الحكيم:

٢٠٧..... ٢. التحرك السياسي الأول الكبير للشهيد الصدر:

٢٠٨..... ٣. الرأي الثالث حول بداية النشاطات السياسية للشهيد الصدر:

٢١٠..... نمطان من السيرة السياسية

٢١٥..... خصائص نضال الشهيد الصدر قبل التحرك التنظيمي والحزبي

٢١٧..... الخصائص المهمة لنضال الشهيد الصدر

٢٢١..... الفصل السادس: الشهيد الصدر وجماعة العلماء المجاهدين

٢٢٣..... مقدمة

٢٢٤..... الشهيد الصدر والتحزب

٢٢٩..... جماعة العلماء

٢٣٠..... دور الشهيد الصدر في تأسيس جماعة العلماء

٢٣٣..... تركيبة وأهداف جماعة العلماء

٢٣٥..... الشهيد الصدر وجهوده في إطار حركة جماعة العلماء

٢٣٨..... دور الشهيد الصدر في جماعة العلماء ونجاحاتها

٢٤٢..... الشهيد الصدر ومجلة الأضواء الإسلامية

٢٥١..... الفصل السابع: الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامية

٢٥٣..... مفهوم الدعوة في نظر الشهيد الصدر

٢٥٥..... التحزب والدعوة

٢٥٨..... الشهيد الصدر وتأسيس حزب الدعوة الإسلامية

المحتويات ١١

خروج الشهيد الصدر من رئاسة حزب الدعوة.....	٢٧٧
حزب الدعوة بعد قيادة الشهيد الصدر.....	٢٨٤
أساليب النضال للحزب.....	٢٩١
تنظيم حزب الدعوة.....	٢٩٢
علاقات حزب الدعوة مع جمهورية إيران الإسلامية ^١	٢٩٥
الفصل الثامن: الشهيد الصدر والأمة الإسلامية.....	٢٩٩
المقدمة.....	٣٠١
الأمة الإسلامية من وجهة نظر الشهيد الصدر.....	٣٠٢
خصائص الأمة الإسلامية من منظور الشهيد الصدر.....	٣٠٨
١. الخصيصة المعرفية:.....	٣٠٨
٢. الوحدة والانسجام المبني على التوحيد:.....	٣٠٩
٣. الحرية:.....	٣١٠
٤. المساواة والأخوة:.....	٣١٠
٥- المسؤولية والأمانة وحمل الرسالة:.....	٣١٠
٦- الاستقلال، وعزة النفس، والاعتماد على الذات:.....	٣١٠
٧- الشهادة على المجتمعات الأخرى بمعنى القابلية للاقتداء والاتباع:.....	٣١١
٨- الوسطية والاعتدال:.....	٣١١
٩- النظام والتنظيم في الأمور:.....	٣١١
١٠- التطور والتنمية:.....	٣١٢
١١- الخير والأفضلية:.....	٣١٢
الوطن الإسلامي.....	٣١٢

١٢..... سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

٣١٥ النزعة القومية في فكر الشهيد الصدر

٣١٦ الشهيد الصدر وفلسطين

٣١٨ لبنان وحركة أمل وحزب الله

٣٢٣ الشهيد الصدر في أفغانستان

٣٢٤ الشهيد الصدر وأكراد العراق

٣٢٧ الفصل التاسع: الشهيد الصدر والدستور الإسلامي

٣٢٩ المقدمة

٣٣٠ ١. مبدأ (مدرسة) شامل للرؤية العالمية والإيديولوجية:

٣٣١ ٢. المعرفة والوعي بالمبدأ:

٣٣١ ٣. الإيمان والاعتقاد الصادق بالمبدأ ومبادئه ومعايير:

٣٣٢ الدستور

٣٣٤ الشهيد الصدر وتدوين الدستور

٣٤١ مخطط موقع الدستور في المنظومة المعرفية للشهيد الصدر

٣٤٣ لمحة فقهية تمهيدية (مسودة دستور جمهورية إيران الإسلامية)

٣٥١ الفصل العاشر: الشهيد الصدر والثورة الإسلامية

٣٥٣ المقدمة

٣٥٥ ضرورة الثورة

٣٥٧ الثورة التي يقصدها الشهيد الصدر

٣٥٩ عناصر الثورة

٣٥٩ الوعي والمعرفة

٣٦١ رفض الوضع الموجود

المحتويات..... ١٣

بشارة الحياة الجديدة..... ٣٦٢

المذهب والأيدولوجيا..... ٣٦٣

الصلابة والحزم والمحق..... ٣٦٥

الثوار أم الناس؟..... ٣٦٦

العوامل والمتطلبات والإمكانات..... ٣٦٧

قيادة الثورة..... ٣٦٨

الشهيد الصدر وقيام الثورة..... ٣٦٨

١ - البعد الذاتي الروحية والمعنوية أو (الجهاد الأكبر)..... ٣٦٩

٢ - السعي البياني من أجل تحفيز الجماهير وإيقاظهم..... ٣٦٩

١ - تطهير محتوى النظام بما يتماشى مع القيم الإسلامية الحقيقية..... ٣٧٥

٢ - تخفيف منابع الفساد..... ٣٧٥

٣ - استبدال القيم التي تعتبر الركيزة الأساسية في هذا التعريف..... ٣٧٥

الفتاوى الثورية للشهيد الصدر..... ٣٧٦

نظرة على الإجراءات العملية للشهيد الصدر لتحقيق الثورة..... ٣٨٢

أهم آثار الشهيد الصدر في سياق تحقيق الثورة..... ٣٨٧

الفصل الحادي عشر: الشهيد الصدر والمرجعية..... ٣٨٩

مقدمة..... ٣٩١

المرجعية في نظر الشهيد الصدر..... ٣٩٢

الإجراءات العملية للشهيد الصدر..... ٣٩٥

مرجعية الشهيد الصدر..... ٣٩٧

الصدر وتنظيم المرجعية..... ٤٠٢

١٤.....سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

المرجعية المنظمة ٤٠٣

أهداف المرجعية الصالحة ٤٠٣

التمهيد لإنشاء «مرجعية صالحة» ٤٠٤

التغيير في أسلوب المرجعية ٤٠٥

١. لجنة أو لجان متابعة الوضع الدراسي في الحوزات العلمية: ٤٠٦

٢ - لجنة البحوث العلمية: ٤٠٦

٣ - لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون رجال الدين في المناطق المرتبطة بالمركز: ٤٠٦

٤ - لجنة الاتصالات: ٤٠٧

٥ - لجنة متابعة ومراقبة الأنشطة الإسلامية: ٤٠٧

٦ - لجنة المالية: ٤٠٧

من «مرجعية فردية» إلى «مرجعية موضوعية» ٤٠٨

مراحل تحقق المرجعية الصالحة ٤١٠

الفصل الثاني عشر: الشهيد الصدر والقيادة والمقاومة حتى الاستشهاد ٤١٥

المقدمة ٤١٧

قيادة الشهيد الصدر ٤١٨

أبعاد قيادته باختصار ٤١٩

١. قيادة الفكر الإسلامي الأصيل في جميع أبعاده ٤١٩

٢. قيادة الثورة في العراق ٤١٩

٣. القيادة والإصلاح في الحوزات العلمية ٤٢٠

خصائص قيادة الشهيد الصدر باختصار ٤٢١

مواجهة الشهيد الصدر لنظام البعث ٤٢٢

المحتويات ١٥

أ) فتوى الشهيد الصدر لمقاومة الحزب والنظام	٤٢٢
ب) السعي للتأثير على الجيش من أجل إسقاط النظام	٤٢٤
ج) تشكيل الخلايا الفدائية	٤٢٦
د) الاغتيال والانقلاب	٤٢٦
هـ) خطة عدنان حسين	٤٢٧
الاعتقالات، محاولات الاغتيال والمراقبة الأمنية للسيد الشهيد	٤٢٨
الاعتقالات	٤٢٨
الاعتقال الأول	٤٢٨
الاعتقال الثاني	٤٣٠
الاعتقال الثالث	٤٣٦
الاعتقال الرابع	٤٤٧
محاولات فاشلة لاغتيال الشهيد الصدر	٤٤٨
محاولة الاغتيال الأولى	٤٤٨
المحاولة الثانية	٤٤٩
محاولة الاغتيال الثالثة	٤٥٢
محاولة الاغتيال الرابعة	٤٥٣
المراقبات الأمنية	٤٥٤
مبايعة الناس للشهيد الصدر	٤٥٨
أول رسالة للصدر إلى الشعب العراقي ونتائجها	٤٦٢
فترة الحصار	٤٦٤
اللقاءات ومهام ممثلي النظام	٤٧١
رئيس إدارة أمن النجف	٤٧١

٤٧٣ الشيخ شبير الخاقاني

٤٧٦ اللقاء الثاني لشبير الخاقاني

٤٨٠ لقاء رئيس دائرة أمن النجف مرة أخرى

٤٨٣ مسألة الخروج من البلاد

٤٨٥ مجلس قيادة الثورة في العراق

٤٨٥ المحاور الرئيسية لخطبة مجلس القيادة

٤٨٧ الحديث الأخير واستشهاد الصدر

٤٨٧ مفاوضات مبعوث صدام

٤٩٣ الاستعداد للشهادة

٤٩٥ الاعتقال

٤٩٨ الشهادة

٥٠٣ الفصل الثالث عشر: الشهيد الصدر والثورة الإسلامية في إيران

٥٠٥ المقدمة

٥٠٧ الشهيد الصدر والشعب الإيراني

٥٠٩ الشهيد الصدر والإمام الخميني

٥١٦ الشهيد الصدر والثورة الإسلامية الإيرانية (قبل الانتصار)

٥٢٩ الشهيد الصدر والثورة الإسلامية الإيرانية (بعد انتصارها)

٥٣١ الشهيد الصدر والثورة الإسلامية في إيران

٥٣٥ الشهيد الصدر والشعب الإيراني

٥٣٥ فتواه التاريخية بشأن شهداء الثورة الإسلامية الإيرانية

٥٣٦ الشعب الإيراني والانتفاضات الكبرى

المحتويات ١٧

هوية الإيرانيين الإسلامية	٥٣٧
التأكيد على بطولات الشعب الإيراني الفريدة	٥٣٧
الشهيد الصدر ورؤيته في مسألة التمييز ضد العرب في خوزستان	٥٣٨
إعلان الفخر في التحدي إلى الشعب الإيراني	٥٣٨
الإيرانيون وخلق الملاحم	٥٣٨
عبودية الله والشعب الإيراني	٥٣٩
الجمهورية الإسلامية الإيرانية: استمرار طريق النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام	٥٣٩
الإسلام كمشروع حياة	٥٤٠
تنفيذ أهداف الشهداء	٥٤٠
التمتع بالحرية الحقيقية	٥٤١
الإيرانيون وطرد الطاغوت إلى الأبد	٥٤١
نهضة الشعب الإيراني المقدسة	٥٤١
الشعب الإيراني والشهيد محمد باقر الصدر	٥٤٢

الفصل الرابع عشر : التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيرته السياسية وبين الثورة

الإسلامية في إيران	٥٤٧
مقدمة	٥٤٩
مجالات التأثير والتأثر	٥٥١
عوامل التلاقي	٥٥٣
بحث تاريخي حول تأثير حركة وأفكار الشهيد الصدر قبل حزيران (١٩٦٣م)	٥٥٥
من حزيران ١٩٦٣م إلى ذروة أحداث الثورة في عام ١٩٧٨ م	٥٥٩

من ذروة الثورة حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م)	٥٦١
بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران	٥٦٢
أ) تأييد ودعم والتعاون مع الثورة الإسلامية الإيرانية	٥٦٣
ب) تطوير نظرية الثورة الإسلامية الإيرانية واستمرارها في العراق	٥٦٤
تأثير أفكار وآثار الشهيد الصدر على الثورة الإسلامية الإيرانية	٥٦٦
باكورة الأعمال السياسية والاجتماعية	٥٦٦
الأعمال المشهورة:	٥٦٧
الإسلام يقود الحياة	٥٦٨
رؤية الشهيد الصدر	٥٧١
الأب الروحي للدستور	٥٧٢
الدستور الإيراني (المادة)	٥٧٣
القيادة:	٥٧٣
المسؤولية:	٥٧٣
شروط القائد:	٥٧٣
وظائف القائد:	٥٧٣
السلطة التشريعية:	٥٧٤
السلطة التنفيذية:	٥٧٤
السيادة:	٥٧٤
خلافة الإنسان (الصفحة):	٥٧٤
لمحة فقهية تمهيدية (الصفحة):	٥٧٥
أ) العوامل الإيجابية	٥٧٦
ب) العوامل السلبية	٥٧٧

المحتويات..... ١٩

٥٧٩.....	مراحل تاريخية لرد فعل الشيعة في العراق على الثورة الإسلامية الإيرانية
٥٧٩.....	أ) مرحلة التحضير (١٩٦٣ - ١٩٧٨)
٥٨١.....	ب) مرحلة الصحوة والحركة (١٩٧٨ - ١٩٨٠)
٥٨٣.....	المراحل الأخرى
٥٨٧.....	المصادر المعتمدة:
٥٨٧.....	الكتب
٥٨٧.....	مؤلفات الشهيد الصدر
٥٩٥.....	سائر المؤلفات
٦٠٦.....	المصادر اللاتينية
٦٠٧.....	مقالات
٦١٠.....	المطبوعات
٦١٢.....	الوثائق
٦١٢.....	المقابلات
٦١٣.....	المواقع

الفصل الأول: **شخصية الشهيد الصدر وأبعادها**

مقدمة:

من المبادئ التي تحدد نطاق السيرة السياسية للإنسان وتفاعله الاجتماعي هي نوع شخصيته وطبيعتها. بمعنى أنّ الخصائص الشخصية لها تأثير حاسم في خيارات الأفراد وتحقيق سلوكهم السياسي. ومن حيث أنّ أفعال الأفراد هي مرآة تعكس شخصياتهم، لا يمكن فصل هذين العنصرين (الشخصية والسلوك أو السير والسلوك) في مجال السياسة والحياة العامة. الشخصية هي في حدّ ذاتها عبارة عن مجموعة معقدة من الصفات الإنسانية. وقد قالوا في تعريف الشخصية بأنّها: «مجموعة من الخصائص التي تميز الإنسان وسلوكياته سواء كانت جسدية، عاطفية، عقلية أو اجتماعية».^(١)

الشخصية، في الأصل، هي تركيبة حية من جميع العناصر الأساسية التي تشكل وجود الإنسان، وتشمل الأبعاد العاطفية للإنسان وإحساساته، ودوافعه، ومواقفه، ورؤاه، وميوله، وأوضاعه، ونفسياته. بعبارة، يمكن القول أنّ الشخصية: «تؤدي إلى نشوء هوية الفرد في الحياة الاجتماعية وكذلك في العلاقات الاجتماعية».^(٢)

فمن جهة، تحتوي شخصية الإنسان على السيرة ونمط الحياة السياسية للفرد، ومن جهة أخرى، تمنح الحياة السياسية للفرد اتجاهًا ومعنى. بناءً عليه، فإنّ فهمًا أفضل للسيرة السياسية لأيّ مفكر وقائد سياسي يتطلب دراسة

(١) أكرم حيدري، روان شناسي رشد واختلالات رواني رايچ در كودكان، ص ١٦٥.

(٢) آلن بيرو، فرهنگ علوم اجتماعي، ترجمة: باقر ساروخاني، ص ٢٤٦.

الأبعاد المختلفة في شخصية ذلك القائد والمفكر، فذاك أمر أساسي وضروري. من هذا المنطلق، فسوف نتناول الشخصية المتعددة الأبعاد والشمولية للشهيد السيد محمد باقر الصدر، في الجوانب المعرفية، والروحية، والأخلاقية، والتربوية، والسياسية والاجتماعية، وغيرها.

جدير بالذكر أنّ الشهيد الصدر، في حديثه عن الشخصية الإسلامية، قد أولى اهتماماً خاصاً بثلاثة أبعاد مترابطة وغير قابلة للفصل في الشخصية الإسلامية. في هذا السياق، يوضح الشهيد الصدر هذا الأمر كما يلي:

الشخص المسلم يُظهر تميّزه الوجودي الخاص في تعامله مع الله تعالى، وفقاً للطاقة الروحية التي يمتلكها، وفي تعامله مع عالم الوجود وفقاً لقوته العقلية والفكرية، وفي تفاعله مع المجتمع وفقاً لأخلاقه. وهذه العناصر الثلاثة: العقل، والروح، والأخلاق،^(١) هي العناصر الأساسية في تكوين الشخصية الإسلامية، ومن المستحيل أن تكون الشخصية الإسلامية معزولة عن هذه العناصر أو بعضها.

لذلك، فالعقل الحي الديناميكي، مع الأخلاق العالية والنموذجية، والروح النقية والمضيئة، هي من الأسس الضرورية لبناء شخصية إنسانية نموذجية. وهذا ما سعى إليه الإسلام واهتمّ به بشكل خاص، حيث بذل جهده لبناء إنسان يحوز على هذه القوى الثلاث: العقل الذي يتفاعل بشكل إدراكي مع الكون، والأخلاق التي تتفاعل بشكل سلوكي وأخلاقي مع المجتمع، والروح التي تربط الفرد مع الله خالق الكون.^(٢)

إذن، تتكوّن شخصية كل إنسان من ثلاثة أبعاد مترابطة وأساسية: العقل

(١) هذا التأكيد من مؤلف الكتاب.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، مقدمة: السيد محمد حسين فضل الله، صص ١٣٩ - ١٣٨.

والتفكير، والأخلاق والسلوك، والروح والمشاعر والعواطف. وتعكس كل قوة من هذه القوى جانباً من جوانب الشخصية الإنسانية. والشخص الذي يتمتع بالكمال في هذه الأبعاد الثلاثة، هو الذي يمتلك شخصية متوازنة، بحيث لا يوجد أي انفصام بين شخصيته العرفانية والمعنوية من جهة، وشخصيته العلمية والثقافية من جهة أخرى. فهو كما يقال «شخصية جامعة» و«إنسان كامل».

والشاهد الصدر كان في الواقع نموذجاً لهذه الشخصية المتكاملة. في هذا السياق، سوف نتناول الأبعاد الثقافية والمعرفية والأخلاقية في شخصية الشهيد الصدر، وفي فصل مستقل سوف نناقش شخصيته السياسية والاجتماعية.

الشخصية المعرفية والإيمانية

الشاهد الصدر هو أحد المفكرين والزعماء العظام والمميزين في العصر الحديث، كان ذا شخصية سامية وعميقة ومتعددة الأبعاد. فبالإضافة إلى تميزه في الفلسفة والعلم، كان على صعيد مراعاة المبادئ المعنوية والعرفانية يتحلى بالقيم الإنسانية الرفيعة والسمو الروحي ومن نوادر عصره، وذلك باعتراف جميع الذين التقوه وعرفوه عن كثب. وبناءً على هذه الخصائص، كان يرى أنّ جذور كل الأزمات، والمعاصي، والتسلط، والظلم تكمن في التعلّق بالدنيا والابتعاد عن الله والتخلّي عن المبادئ المعنوية. ولذلك كان في جهاد دائم مع نفسه مبتعداً عن التعلّق بالدنيا وزخارفها. ويقول في نفسه:

«لا يقبل الله في قلب واحد ولايتين، ولا يجب أن يتقاسم قلب الإنسان حيين متساويين. إمّا حب الله وإمّا حب الدنيا، فحب الله وحب الدنيا لا يجتمعان في قلب واحد. لتفحص قلوبنا هل هي مركز حب الدنيا أم حب الله؟

إذا كان حب الله قد استقر في قلوبنا، فلنعزز ذلك، وإذا كان (نعوذ بالله) حب الدنيا قد استقر فيها، فعلينا أن نسعى لإنقاذ أنفسنا من هذا البلاء المدمر^(١).

لقد تعلّم من والده ووالدته وأخيه أن العلم والعمل بدون نقاء وطهارة الروح والتقوى يؤديان إلى ضلال الدين والعقل والقلب. وعلى هذا الأساس، ربط سعيه وجهده المستمر مع المعنوية، والأخلاق، ومدد أسلافه الطاهرين، حتى أن بعض الأشخاص الموثوقين قد صرّحوا بشكل علني أنه كان يستفيد من فيض بركات أمير المؤمنين علي عليه السلام. فقد نقلوا على سبيل المثال:

في النجف الأشرف كان يخصّص في اليوم ساعة يذهب فيها إلى حرم الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، ويتأمل، ويستعرض معارفه^(٢).

وكان يعتبر هذا الذهاب إلى حرم أمير المؤمنين علي عليه السلام والتفكير والتأمل في داخله نوعاً من الاستلهام الروحي من فيض معنويات الحرم العلوي الشريف، وكان ملتزماً بهذا البرنامج، بحيث كان يرى وجوده في الحرم أمراً ضرورياً بشكل منتظم. وعليه، كان يجلس أمام الضريح الشريف كطالب مطيع ومنضبط، ويتأمل لحظات في أفق الفكر.

ويقال إنّه توقّف لبضعة أيام عن زيارة حرم أمير المؤمنين علي عليه السلام. ولم يكن أحد يعلم بذلك، فرأت والدته الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في منامها وهو يقول لها: قولي لباقر: لماذا هجرت الدروس التي كنت تتلقاها عندنا؟^(٣).

إنّ تعدّد أبعاد شخصية الشهيد الصدر، وتشبّعه بالروحانية والأخلاق

(١) «شهاد صدر و اخلاق اسلامي»، انديشه ماندگار، (خاص بالمؤتمر الدولي لتكريم آية الله العظمى الشهيد الصدر)، العدد ٥، ٣٠ دى ١٣٧٩ ش، ص ٣، (مقالة).

(٢) عبد الرضا ايزدپناه، «دستور العمل اخلاقي از عالم نامور آيت الله العظمى شهيد سيد محمد باقر الصدر»، مجلة حوزة، العددان ٨٠ - ٧٩، ١٣٧٦، ص ١٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

إلى جانب معرفته الواسعة وأفكاره العميقة، وذهنه المتوقّد الخلاق، هذه الخصال جعلته واحداً من الشخصيات البارزة في العالم المعاصر. كان بمثابة شمعة تذوب خدمة لمصالح المجتمع والناس، وأظهر من خلال تضحيته وتفانيه مدى أهمية «المصالح العامة» مقارنة بـ «المنافع الشخصية» الضيقة. وكان في هذا السياق، يقتدي بإمامه، أمير المؤمنين علي عليه السلام.

من خلال دراسة نظرياته، وروحه المعنوية، وسلوكه الروحي، سيتبيّن لنا بوضوح أنّ شهيدنا الكبير السيد محمد باقر الصدر كان مفكراً واعياً بلغ مراقي الحق والحقيقة، وكان يؤمن بها إيماناً راسخاً. ذلك أنّ الإيمان الراسخ لا يتحقق إلا في ظل العلم والمعرفة، والإيمان من دون تعقّل واستيعاب صحيح للأمور يصبح هو نفسه حجاباً يحول دون الوصول إلى الحق والحقيقة. وفي كتاب الله، القرآن الكريم، نجد أنّ للتعقّل والتأمّل والعلم والمعرفة مكانة راقية جداً.

على سبيل المثال، ورد في القرآن: «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»^(١) ويقول الإمام محمد الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية: «الحكمة المقصودة هنا هي المعرفة والوعي»^(٢) وأيضاً يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «العلم يهدي إلى الحق»^(٣). في هذا السياق، يطرح الشيخ مرتضى مطهري العلاقة بين العلم والمعرفة والإيمان كما يلي:

بابتعاد العلم عن الإيمان، يتحول الأخير إلى جهود وتعصب أعمى، ويؤدي بشدة إلى دوران المرء حول نفسه دون تحقيق أي نتيجة. حيث لا يوجد علم ومعرفة، يصبح إيمان المؤمنين الجاهل وسيلة بيد المنافقين الماكرين، وهو ما نراه

(١) البقرة: ٢٦٩.

(٢) محمد باقر مجلسي، بحار الانوار، ح ٢٣، ص ٢١٥، ح ٢.

(٣) عبد الواحد بن محمد الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، حديث ١٥٨١.

متجسداً في الخوارج في صدر الإسلام وفي فترات لاحقة بأشكال متعددة.^(١)

في هذا السياق، كان الشهيد الصدر قد بنى إيمانه واعتقاده على معرفة عميقة وشاملة، وكان شديد النفور من الإيمان الأعمى والتقليدي، أو الإيمان القائم على التعصب الجاهل. لذلك، لم يكن فقط ينفي التقليد بمعنى التبعية العمياء للبيئة والعادات والتقاليد، بل كان يعتبر التقليد الصحيح، وهو رجوع الجاهل إلى العالم، ليس استسلاماً، بل اتباعاً واعياً وبإرادة حرة. لأن الاستسلام، من وجهة نظره، يعني ذوبان الشخصية وضياعها:

وأخيراً، فإن انحلال الشخصية وتدميرها بالنسبة للإنسان بمثابة فقدانه القدرة على الاختيار وبناء طريقه الخاص، وعجزه عن التكيف مع الطريق الذي يسلكه الآخرون (الجماعة).^(٢)

لذلك، فإن التقليد بمعنى الاستسلام والاتباع الأعمى بدون اختيار، نوع من العجز وفقدان القدرة على بناء الطريق واختياره، وهذا لا يعدو عن كونه انحلالاً للشخصية وتدميراً لها.

بناءً على ذلك، كان الشهيد الصدر من حيث المعرفة قد وصل إلى يقين راسخ بعد أن خضع لفهم دقيق وعميق لحقائق الوجود والدين الإسلامي، فأمن إيماناً صادقاً وتجاوز الشكوك والظنون إلى اليقين. الإسلام، كما كان يفهمه، هو الإسلام الحقيقي، البعيد عن الظنون والتفسيرات الشخصية والتوجهات الانتقائية. وعلى هذا الأساس، لم تكن لـ «النفسانية» أي مكان في رؤيته. كما يُقال عنه، إنه كان هو نفسه:

كان يؤكد على وجوب أن تكون الحوزات مكاناً يشعر فيه الطالب

(١) مرتضى مطهرى، انسان و ايمان، ص ٢٥.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ١٤٠.

الشباب والمبتدئ بمعنوية من حوله، ويشعر بأن روحه تتنفس الروحانية، لا «النفسانية»، ويشعر بالله لا بنفسه.^(١)

وكان هذا هو المنهج الذي يزيّن به نفسه، بل كان يتمثله بوضوح في الحوزة والفصل الدراسي، كما أكد على ذلك تلاميذه ومن عرفوه عن كثب. ومن خلال هذا الفهم والإحساس، قدّم الشهيد الصدر تصوّرًا خالصًا للدين الإسلامي، حيث كان ينفي كل أشكال «الإسلام الميت» و«الإسلام الانقيادي» و«الإسلام التكيفي» و«الإسلام التكيفي الأفضل».^(٢)

بعبارة أخرى:

الإسلام الحقيقي والفطري هو الذي يتعامل كمنهج حقيقي ورسالي شامل، ليس مجرد شريعة مكتوبة أو وحيًا إلهيًا فحسب، بل هو أحد «سنن التاريخ الطبيعية»، وقانون ينبع من أعماق بناء الإنسان وفطرته، ويعدّ «جزءًا لا يتجزأ من وجود الإنسان».^(٣)

وبهذه الطريقة، نرى أن الشهيد الصدر كان يعتبر الإسلام دينًا عقلائيًا وإنسانيًا، لا يمكن فصله عن فطرة الإنسان، ولم يُعرض عليه كقانون مفروض من الأعلى، بل عرضه من الأعلى كان كتابة وتنظيم لما هو موجود في فطرته. أي أنّ التشريع هو نسخة من التكوين الذي تم وضعه في فطرته. لأنّ الإسلام هو أعظم الأديان وأكملها، من هنا فإنّ الدين من وجهة نظر الشهيد الصدر:

«ليس قانونًا إنشائيًا... فكما أنّه لا يمكنكم فصل أي جزء من أجزاء

(١) آية الله محمد باقر الصدر، «دريچه ای به معنویت و خداجویی»، صحيفة اطلاعات ١٩ / ١٣٦١، ص ١١.

(٢) محمد حسين جمشیدی، اندیشه سیاسی شهید رابع امام سيد محمد باقر الصدر، صص ٦٩ - ٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٩.

الإنسان عن كونه جزءاً من كيانه، لا يمكنكم أيضاً فصل الإنسان عن دينه».^(١)

الشهيد الصدر، وعلى عكس الفهم الشائع الذي يعتبر الدين مُنتَجاً من منتجات الحضارة الإنسانية، ومستنبطاً من تقدّم الإنسان في المعرفة ونظرياته حول الوجود، وأنّ الإنسان يحتاج للبحث في أعماق التاريخ أو في آثار حياة الأشخاص لفهم نشوء الدين والمذهب،^(٢) والسعي لفهم الدين من خلال عادات الماضين وسننهم، ومحاولة حلّ معضلة «متى وأين بدأ الدين»،^(٣) وما إذا كان «الفكر البشري قد حلّ هذا اللغز أم لا». ^(٤) أقول، إنّ الشهيد على عكس هذا الفهم الشائع، كان يعتقد أنّ جذور الدين تكمن في داخل الإنسان نفسه، في «ذاته» و«فطرته»، وأنّ تاريخ الدين يمثل تاريخ النوع البشري وحركته على الكرة الأرضية. لذا، باعتقاد الشهيد الصدر لم يكن الدين أو المعنوية يوماً منفصلين عن طبيعة الإنسان. بل لقد حاول الإنسان بشتى الطرق تعريف هذا البُعد من وجوده، وبيانه وإظهاره.

لقد وازن الشهيد الصدر في هذه الرؤية بين الدنيا والآخرة، والجسد والروح، والحياة المادية والمعنوية. حيث لم يبلغ الحياة الدنيوية بشكل مطلق، بل كان يرى أنّ الدنيا حقيقة أصيلة، ورغم كونها وسيلة للبناء، فهي أيضاً مقدمة ووسيلة ضرورية للسعادة الأخروية. كما لم يكن يذهب نحو الرهبانية أو العبادة المحضة أو اعتزال المجتمع، بل كان يرى أنّ الدنيا جزء لا يتجزأ من مسيرة الإنسان الروحية.

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، صص ١١٧ - ١١٦؛ انسان مسئول و تاريخ ساز از ديدگاه قرآن، ترجمه محمد مهدى فولادوند، ص ٥٥.

(٢) جان بى ناس، تاريخ جوامع اديان، ترجمه على اصغر حكمت، ص ٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١.

(٤) المصدر نفسه.

أمّا بالنسبة لموقفه من «الدين» و«الإسلام»، فكان يتمثل في: رفض أي نوع من أنواع الربوبية أو الحاكمة غير حاكمة الله، قبول الربوبية والحاكمة المطلقة لله تعالى، التأكيد على العدالة، والمساواة الحقيقية بين البشر، والأخوة بين جميع أفراد المجتمع البشري، ووحدة الأمم، كأركان أساسية في السياسة الإسلامية. وفيما يتعلق بموقفه من الدين والعالم، فكان دائماً عن وعي واختيار، والرفض التام للاستسلام أو التقليد الأعمى تحت أي وسيلة. وعلى حدّ تعبير أحد الباحثين:

«على أي حال، من حيث الموقف والتعبير عن الإسلام، يمكن القول أنّ منهج آية الله الصدر وآراءه تتمثل في تقديم «الإسلام كما هو»، لا أكثر ولا أقل. وليس إسلاماً يُعرض بسبب الانصياع أو الخضوع أمام تيار الغزو الثقافي الغربي والشرقي، بل إسلام قائم على العلم والوعي العميق بال جذور الفكرية والتاريخية....^(١)

هذه الرؤية للدين والإسلام، وحقيقته وماهيته، تمنح الإنسان رؤية شاملة ونابضة. فهي رؤية يرى فيها العالم تجلياً عينياً وواضحاً لآيات الله أو مظهرًا له، ويشعر بحب الله في كل ذرة من وجوده، ويصل إلى مقام «خشية الله»، كما ورد في القرآن: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.^(٢) فمن بين صنوف عباد الله، وحدهم العلماء الذين يخشون الله.

نعم، الإيمان والاعتقاد الذي يتحقق في ظل الوعي الحقيقي هو إيمان ذو قيمة، وقادر على أن يكون عامل اعتلاء، وحيوية، وبلوغ الإنسان السعادة.

(١) صباح زنگنه، «دريچه ای به معنویت و خداجویی» صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٧٢، العدد

١٩٨٧٩، في ذكرى الشهيد الصدر، ص ١١.

(٢) فاطر: ٢٨.

والشهادة الصدر كان بلا شك يتوفّر على النوع من الإيمان. من وجهة نظره، الإيمان ثمرة «العقل»، و«العلم»، و«الإحساس»، بحيث يستطيع الإنسان أن يستشعر بمشاعره وعواطفه ما أدركه بعقله؛ وأن يجعل عواطفه تابعة لمعرفته وعقله، لأنّ العواطف والمشاعر بدون تعقل ومعرفة لا تؤدي إلى شيء. لذلك، فالعقل والتفكير أساس المعرفة والرؤية والإحساس الديني، من وجهة نظره، وهما مقدّمان على الإيمان والاعتقاد.

يختلف هذا التصور تمامًا عن رأي الفيلسوف الوجودي كيركجارد الذي يقول: «يخطئ من يحاول أن يبنّي إيمانه الديني على الأدلة والحقائق الموضوعية».^(١)

تبين دراسة أعمال الشهيد الصدر وحياته بأكملها، أنّ مثل هذه المعرفة والإيمان والأحاسيس كانت تغلف حياته كلها، ممّا جعله سالكًا عالمًا، وعالمًا عارفًا، وحكيمًا مستنيرًا، ومفكرًا شهوديًا وإشراقيًا، امتلأ وجوده بسجية حب الحق والحقيقة، وحب الله وبالتبع حب الوجود، وخاصة البشرية كمظاهر وآيات إلهية. كان حبه لرب العالمين عميقًا لدرجة كان يشعر معها دائمًا أنّه بين يدي الله تعالى، وأنّ محبوبه حاضرًا دائمًا في قلبه، لا يغفل عنه أبدًا. وكان حبه للحقيقة، والعدالة، والقيم الإنسانية السامية قد جعله مستعدًا للتضحية في سبيل هذه المبادئ. وما أجمل ما قالوا فيه:

لقد كان الإمام الشهيد الصدرُ أعرفَ الناسَ باللهِ فكانَ أخشاهمُ له، وكانَ أدرَاهمُ بحقه وطاعته، فكانَ أسبقهمُ إليها، وأوفرهمُ حظًا منها، وكانَ أوسعهمُ علمًا بدينه وفروض ربه، ... فكانَ معشوقه دائم الحضور في قلبه،

(١) سیری در سپهر جان، مقالات و مقولاتی در معنویت، ترجمة: مصطفى ملكيان، صص ٢٠-١٩.

واصب الشخص أمام عينيه وعلى لسانه لا يفتّر في ذكره مسبّحاً له، أو تالياً لكتابه، أو هادياً إليه، ومبيناً لأحكامه، أو ناشراً لشرائعه وفروضه.^(١)

بمقدور المعرفة، الرؤية، الإحساس والإيمان الحقيقي أن تحوّل الإنسان وتغيّره، وتربطه بالله تعالى، فتجعله في صورته. بحيث لا يكون لديه معيار آخر في حياته إلا رضا الله، وهذا بالضبط كان إيمان الشهيد الصدر واعتقاده. بالإضافة إلى ذلك، كان يسعى لإدخال هذا المعيار كمعيار إسلامي في السياسة، والحقوق، والاقتصاد، وثقافة المجتمع، وخاصة في الحوزات العلمية، وأعماله المختلفة مثل «المحنة» أو «المدرسة الإسلامية» وغيرها تؤكد على هذا التوجه.

وكان اهتمامه بالقضايا السياسية اليومية واضحاً بشكل كبير؛ إذ أن غالبية من عرفوه أو تواصلوا معه لاحظوا اهتمامه الشديد بالمستجدات السياسية. على سبيل المثال، كتب علي حجتى كرماني عنه قائلاً:

«الشهيد المعاصر، السيد محمد باقر الصدر، من أبرز علماء المرجعية الإمامية ومفكريهم... من حيث تخصصه في العديد من العلوم الإسلامية، وشموليته، وفهمه لروح العصر وقضايا الساعة، وإلمامه بالمذاهب والتيارات الفكرية والعقدية... وباختصار، اهتمامه التام وغير المسبوق بالمنهجية وأساليب العمل العلمي والبحثي، كان من رواد المفكرين والمجاهدين في عصره، ومن دون مبالغة لا نظير له في تاريخ مرجعية الشيعة...».^(٢)

كما كتب الدكتور علي شريعتنى عنه:

«وقد أظهر أنه... يمتلك فهماً لعصرنا، ويشعر بألم زماننا، ويتحدث

(١) السيد فاضل النورى، سجات روحيه فى سيرة الامام الشهيد صدر، ص ٣٠.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، بانك اسلامى، ترجمة: حبيب الله خنجى، مقدمة: على حجتى كرماني،

بلغة الناس في هذا العصر، وهو أيضًا على دراية بأسلوب العمل العلمي في هذا العصر...»^(١).

الشخصية العبادية والروحية (العبادة والتقوى والزهد والمعنوية)

كان الشهيد محمد باقر الصدر يسير في عالم المعنوية والطهارة، رغم امتلاكه للعبقرية والإبداع العلمي، وقد قدّم التهذيب والتزكية على المعرفة والعلم. لذلك، تعلّم العلم واستفاد من علمه، ووصل إلى مقام المرجعية والقيادة، ولم يكن العلم والعقل والسلطة حجابًا له. منذ مراحل حياته الأولى، كان وجهه يشعّ بأنوار التقوى، وفي العبادة والمعنوية كان يبرز أقرانه، حتى طلابه وأساتذته كانوا يعرفون منزلته العلمية، ومرجعته الشرعية، وأدبه الأخلاقي.^(٢)

بشكل عام، أحد الجوانب البارزة في حياته هو البعد الروحي والعبادي. كان يولي اهتمامًا كبيرًا لعباداته، سواء من حيث النقاء الروحي والمعنوي أو من حيث الحجم والكم. وفي هذا السياق، كان نوع العبادة وحلاوتها وعمقها الروحي أهمّ بالنسبة له وأقيم من كمّيتها وظاهرها. وعلى قول أحد طلابه: «فكان يقتصر على الواجبات والمهم من المستحبات».^(٣)

مع ذلك، ما كان يميز عبادته بشكل خاص، انقطاعه الكامل عن كل شيء، واهتمامه وتوجهه إلى الله تعالى واتصاله به، لدرجة كان في أثناء عبادته يشعر بحبٍ شديد لله وتوجه كامل وحضور قلب، متواصلًا معه بقلبه وعقله. كانت العبادة تصرفه عن الدنيا وما فيها. وكان طلابه وأتباعه يرون أنّ أهم

(١) المصدر نفسه، صص ٤-٣؛ السيد محمد باقر الصدر، تشيع مولود طبيعي اسلام، ص ١٣٧.

(٢) «شهاد رابع، اسوه جهاد شهادت» مجلة حوزة، العدد الأول، السنة الخامسة، فروردين و ارديهشت ١٣٦٧، ص ٤.

(٣) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ١١٩.

ميزة في عبادته هو انقطاعه التام. وقد كتب أحد أبرز طلابه الذي عاش في بيته لمدة عشرين عامًا وكان أكثر من يعرف حالاته:

«... كان ﷺ لا يصلي، ولا يدعو، ولا يمارس أمثال هذه العبادات إلا إذا حصل له توجه وانقطاع كامل، وكان متكتمًا على أمره هذا، ومتخفيًا في عبادته، ولا يعرف أقرب الناس منه شيئًا عن هذا الأمر»^(١).

مضمون هذا الكلام هو أنّ الشهيد الصدر كان في كل عبادة، سواء كانت صلاة أو دعاء، يصل إلى درجة من التوجه والانقطاع الكامل... وهذه من الأمور الصعبة والمعقدة في العبادة، لم يبلغها إلا ما ندر من الناس. لقد ساقته سجية حب الله إلى محضر العبودية للحق تعالى، من هنا كانت عبادته واعية ومفعمة بالحب. حتى أنّه كان يشعر، في أثناء عبادته وحالة انقطاعه، بحضور ربه، ولم يشعر بالانفصال عنه. «لقد كان ربه حاضرًا عنده لا يفارقه»^(٢).

كان الشهيد الصدر يسعى دائمًا إلى التقرب إلى الله تعالى باستخدام كل الوسائل النبيلة التي تعينه على ذلك، وخاصة صلاة الليل التي كانت تستأثر بمكانة كبيرة وأهمية خاصة في حياته. كانت صلاة الليل أنيسه وربيع حياته، حيث كان يجد في هدأة السحر أفضل فرصة للتواصل مع محبوبه، ويتنهل منه النور والإلهام، ليغمر قلبه وروحه بمعرفة الله وحبّه، لأنه كان قد تعلم في مدرسة أهل البيت أنّ «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء»^(٣). لذا كان يربط العلم والتعليم بالعبادة والروحانية، وكان هذا الربط يعزز قدرته على الإدراك،

(١) المصدر نفسه، ص ١١٩.

(٢) السيد الفاضل النوري، مصدر سابق، ص ٣٠.

(٣) زين الدين بن علي بن أحمد الشامي، الشهيد الثاني، منية المريد في آداب المفيد والمستفيد، ص ١٦٧.

وزيادة تعلقه، ونبوغه. وكانت صلاة الليل هي المدخل لهذا الربط.^(١)

كان الخشوع والتواضع في عبادته، وتجنب الرياء والكبر، من السمات الأخرى التي تميز شخصيته العبادية. وكان يولي اهتمامًا خاصًا بهذا الموضوع في المستحبات، حيث كان يؤديها في الخفاء، وفي ظلمة الليل، وكان قلّة من الناس يعلمون بحالاته وعباداته الليلية. أما بالنسبة للواجبات، فكان يتحرى أقصى درجات الدقة في تجنب الرياء، والكبر، والسمعة، والظهور.

وبعد الصلاة، كانت تلاوة القرآن أمرًا عظيمًا في حياته حيث تحوز على أهمية كبيرة عنده. كان يشعر، حينما يقرأ القرآن، كأنّه في محضر الله، وأنّ الكلمات تأتي من الله مباشرة. وكان يتعامل مع القرآن كما يتعامل الطالب في المدرسة مع معلمه، يجلس أمامه ليتعلم منه العلم والمعرفة. قالوا في هذا الصدد:

«... تلاوة القرآن، فهي في حياة الامام الشهيد أمر كبير، أولاهها من همّه وعنايته بقدر ما عنده عنها من فهمه ودرايته، فهو يتلو كتاب الله وكأنّ الله هو الذي يتحدّث إليه بكلماته ويردّد الآيات كأنّها تهبط تَوًّا من علياء السماء... ويضطرب بدنه كأنّه الموقرور، وتحقق جوانحه كأنّه السليم، وتحنقه العبرات، وتهتن عيناه بالدموع، وتروح به الآيات الزاكيات تطوف به على عوالم قدسية...»^(٢).

وعن تلاوته القرآن في شهر رمضان المبارك، كتبوا عنه:

«لقد سمعته خلال فترة الحجز - ولم أسمعته قبل ذلك - يقرأ القرآن في أيام وليالي شهر رمضان بصوت حزين وشجي، ودموع جارية، يخشع القلب لسماعه، وتسمو النفس لألحانه، وهو في حالة عجيبة من الانقطاع والذوبان مع معاني

(١) «كان يقترب الى الله بكل القربات.. فكانت صلاة الليل انيسه و ربيع حياته...» المصدر نفسه،

القرآن، إنه مشهد عجيب يعجز القلم عن وصفه، وما فيه من معنويات كبيرة»^(١). كانت محبة الشهيد الصدر للنبي ﷺ وأهل بيته ﷺ واهتمامه الخاص بهم من أبرز سماته الشخصية. لا سيّما إحياءه المراسيم الحسينية في كل ليلة جمعة، ليذكر ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويبين أسبابها وأهمية استمرار هذه الثورة عبر التاريخ، وخاصة في العصر الحديث. كان يعتبر حركة النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام نماذج حية عملية للمجتمع، وكان هدفهم الرئيسي، برأيه، إيقاظ البشرية عبر التاريخ.

يذكر محمد رضا النعماني في كتابه عدة حالات من الكرامات والعلاقات الروحية بين الشهيد الصدر وأجداده،^(٢) ونحن هنا ننقل واحدة منها فقط: دخل السيد الشهيد عليه السلام إلى حرم الإمام علي عليه السلام لزيارته، وكان أمامه أحد خدام الحرم الشريف، ولم يكن بوجود السيد الشهيد، ولمّا بدأ (رضوان الله عليه) بالزيارة فقال: «السلام عليك يا أمير المؤمنين»، التفت الخادم مذهولاً إلى السيد الشهيد وقال له:

«أدخل يا سيدي، فوالله لقد سمعت الإمام عليه السلام يقول: أدخل يا ولدي، ولم أكن أعلم بوجودك هنا».^(٣)

بشكل عام، لم تكن العبادة بنظره مجرد علاقة بين العبد وربّه، وإنما هي تحديد اتجاه حياة الإنسان، فهي أساس حركة الإنسان في حياته. كما قال بنفسه: «الأعمال العبادية وُضعت لتلبية احتياجات الإنسان للتكامل الروحي والمعنوي، ولتحقيق السعادة الأبدية... وهذه العلاقة ضرورة دائمة للإنسان

(١) النعماني؛ المصدر نفسه، ص ١٢١.

(٢) المصدر نفسه، صص ١٢٢ - ١٢٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

في كل مكان وزمان...»^(١).

وكان يوضح هذه الحاجة في ثلاثة أبعاد:

١. حاجة الإنسان المستمرة للتواصل مع خالقه ومعرفته التامة به.
٢. حاجة الإنسان لمعرفة هدف حياته، والوصول إلى الكمال النظري الذي يتطلبه الخلود.
٣. حاجة الإنسان في داخل نفسه إلى الوعي الكامل بمسؤولياته الفردية والاجتماعية.^(٢)

لأن العبادة في نظره كانت تجسيداً عملياً للإيمان الواعي والإرادي للإنسان العاقل والحر، وهي ذات تأثيرات واسعة على المستوى الفردي والسياسي والاجتماعي.^(٣) في الواقع، كل شؤون الحياة عندما تُنظَّم وفقاً للاحتياجات الثلاثة المذكورة أعلاه، تصبح عبادة.

الشخصية الأخلاقية والعاطفية (الخلق والطبع)

الأخلاق جمع «خلق»، وتطلق على مجموعة من السمات والصفات الإنسانية التي «تكون راسخة وثابتة في نفس الإنسان».^(٤) ويمارس صاحب هذه الصفات الأعمال والسلوكيات المرتبطة بها «دون حاجة إلى تفكير أو تأمل».^(٥) لذا، عندما نتحدث عن الشخصية الأخلاقية، فإننا نشير إلى مجموعة

(١) السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، الجزء الاول، ص ٧٠٤؛ عبادت در اسلام، ترجمة: علي كاظمي خلخالي، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٠٥؛ المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) المصدر نفسه، صص ٧٣١-٧٠٦؛ المصدر نفسه، صص ١٤٣-١٨.

(٤) مؤسسة الإمام الخميني رحمته الله للتعليم والبحوث، فلسفه اخلاق، ص ١٥.

(٥) المصدر نفسه.

هذه الصفات والسمات التي تحوّلت في داخل الفرد إلى «الشاكلة»، وهي حالة دائمة، تُشكّل جزءاً من كيان الفرد وهويته.

المقصود من «الشاكلة» هو البُعد الداخلي في الإنسان الذي يتكوّن بشكل متدرج نتيجة التواصل والتعاطي والمعاشرة والمعارف والوعي السليم، والأعمال والنيات، حتى ترسب في أعماق الإنسان حالة ثابتة عصية على التغيير. وأحياناً يُطلق عليها «ملكة» أو «طبيعة»، حيث «تشكّل تصرفات الإنسان وإدراكاته ومشاعره وفق أسلوبها الخاص وتنسجم معها»^(١) وهكذا، فالشاكلة الأخلاقية أو الطبيعة الأخلاقية لكل فرد تصبح الأساس الذي تُبنى عليه أقواله، أفعاله، وسلوكه اليومي. كما ورد في القرآن: ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(٢).

ومن الضروري أن نعلم أنّ هوية الإنسان تتشكّل بناءً على شاكلته (طبيعته الأخلاقية). ومن هنا، فإن معرفة شخصية كل فرد وأخلاقه أو شاكلة نفسه تعدّ جزءاً لا يتجزأ من سيرته الذاتية، بل إنّ هذا البُعد من وجوده سوف يشكل الأساس الذي يُبنى عليه سلوكه وحياته في المجتمع، والسياسة، والأسرة، وغير ذلك.

الشخصية الأخلاقية لكل إنسان عبارة عن مجموع صفاته وخصائصه التي تحدد علاقته ببيئته، وبذاته، وبربّه عز وجل. هذا، وتتنوع هذه الصفات والخصائص وتتعدّد، وقد قسّمها الفلاسفة إلى قسمين: الفضائل الأخلاقية (الصفات الحميدة) والردائل الأخلاقية (الأخلاق المذمومة)، وجعلوا كمال الإنسان في جمال خلقه أو تحلّيه بمحاسن الفضائل.

(١) خسرو باقرى، نگاهی دوباره به تربیت اسلامی، ص ٢٥.

(٢) الإسراء: ٨٤.

كان الشهيد الصدر بنفسه يتمتع بخلق كريم ومعتدل، حيث أجمع على ذلك كل من عرفه. على سبيل المثال، السيد كاظم الحائري، وهو من أبرز طلابه، كتب:

«لا يمكنني في هذا السياق إلا أن أقول كلمة واحدة فقط وهي: إنَّ أخلاقه الكريمة وسلوكه الإنساني يذكرنا بالقصص التي رويت في تاريخ الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام والتي تحدث القرآن الكريم عنها فيما يخص النبي الأعظم صلوات الله عليه وآله حيث يقول الله عز وجل مخاطباً رسوله الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (١). (٢)

ويتابع السيد الحائري حديثه فينفني أيَّ احتمال للمبالغة في تصريحاته، يروي بعض الذكريات عن شخصية الشهيد الأخلاقية. على سبيل المثال، قال الشهيد السعيد - رحمه الله - يوماً للسيد الحائري:

«عندما كتبت كتاب «فلسفتنا»، كنت أرغب في طبعه باسم «جماعة العلماء» في النجف الأشرف - بعد أن يطلعوا عليه - وأن أتنازل عن حقي المعنوي في الكتاب. لكن ما منعني من ذلك هو أن أعضاء هذه الجماعة، بعد أن قرأوا الكتاب، أبدوا رغبة في إجراء بعض التعديلات والإصلاحات عليه والتي لم تكن في رأيي صحيحة. لذلك، لم أقبل بتعديل الكتاب بناء على آرائهم، وبالتالي اضطررت إلى نشره باسمي الشخصي، وقد تم توزيعه بهذا الاسم. في ذلك اليوم الذي طبع فيه الكتاب لأول مرة، لم أكن أتصور أبداً أن يحصل على هذا المستوى من الشهرة ويُعرف في المجتمعات البشرية، مما سيؤدي إلى معرفة مؤلفه. الآن، بعد أن نال الكتاب «فلسفتنا» هذا الإقبال الاستثنائي، أحياناً أفكر في نفسي، يا ترى لو

(١) القلم: ٤.

(٢) حائري، زندگی و افکار شهید صدر، ص ٤٩.

كنت أعلم بهذا الإقبال والشهرة منذ البداية، وكنت على دراية بتأثيره العميق على الناس وبتسليط الضوء على مؤلفه، فهل كنت سأظل على استعداد روحي لأن أقبل بفكرة نشره باسم «جماعة العلماء»؟ أعتقد أنني كنت سأشعر بالأسى لعدم قدرتي على تقبل هذا الموضوع. هنا قد يصعب عليّ تمالك دموعي، لأنني أخشى ألا تكون عندي مثل هذه الروحية حينئذ، وربما لو كنت أعلم مسبقاً بهذا التأثير للكتاب، لما كنت سمحتُ بطبعه إلا باسمي»^(١).

وبشكل عام، كان الشهيد الصدر مبرّزاً في جميع الأبعاد الأخلاقية والسمات الإنسانية، حتى أنّ طلابه كان يعتبرونه تجسّيداً عملياً للأخلاق الحميدة. كانت جميع تصرفاته وعلاقاته مع الآخرين بمثابة دروس في الحياة والأخلاق والروحانية. وكان بحق مثلاً حياً لقول المعصوم عليه السلام: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم»^(٢) لجميع الناس وفئات المجتمع. كان ذا أخلاق عظيمة نجد نموذجها المتكامل في شخص النبي محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام. كان هذا السلوك الأخلاقي محل إعجاب جميع من حضر مجالسه.

إليك مثال آخر على هذه الأخلاق الحميدة والإنسانية:

بعد الإفراج عن الشهيد الصدر في شهر رجب ١٣٩٢ هـ (الموافق ١٩٧٢ م) ونقله إلى مستشفى النجف، وعند عودته إلى منزله في ذكرى استشهاد الإمام السابع عليه السلام، أقيم مجلس كما هو معتاد. كان خطيب المجلس السيد جواد شبر، والرادود هو الشاعر الشيخ محمد باقر إيرواني. وعندما جاء الناس لعيادته، بدأ الرادود بإنشاد قصيدة مطلعها:

أضياء لنا ادهى بظلمته البدر أضىء ظلمة الدنيا بعلمك مثلها

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥؛ المصدر نفسه، ص ٥١.

(٢) محمد باقر المجلسي، المصدر نفسه، ج ٦٧، ص ٣٣٣.

لا هي النهى إلا و كان لك الصدر رايتك لم يعقد على الارض مجلس
 هنا وقف السيد الصدر وصاح بشدة وبلهجة حازمة: «يا شيخ بطل...
 لا تمدح واقطع الإطراء... امدح سيد الشهداء واطرخوا اسمي».^(١)

مداراة الناس

من الخصائص الأخلاقية والشخصية المهمة للشهيد الصدر هي إنسانيته، واحترامه للآخرين، وتسامحه، وحبه للناس. كان يحترم كل فرد أو مجموعة تأتي لزيارته أو تدخل حلقة دروسه أو تتعامل معه بشكل عام، وكان يعاملهم بكل احترام.

وقد كتبوا في آداب معاشرته للناس، وسلوكياته وتعاملاته الإنسانية: «وكان الشهيد الصدر كذلك رحيماً بالمؤمنين، ليناً لهم، ينبع حبه من أعماق قلبه».^(٢)

هذه المعاملة الإنسانية التي كان يتسم بها الشهيد الصدر لم تقتصر فقط على لقاءاته المباشرة مع الناس، بل أيضاً امتدت إلى مراسلاته. على سبيل المثال، في نهاية إحدى رسائله إلى الشيخ محمد جواد، كتب فيها هذا الأسلوب نفسه، مما يعكس أخلاقه الحميدة والرحيمة في جميع تعاملاته مع الآخرين.

«... سلامي و اخلص تحياتي لصديقنا الوفي العلامة الحجة المعروف دامت بركاته و الى من ينبغى السلام عليه و السلام عليكم أولاً و آخرًا و رحمة الله و بركاته».^(٣)

(١) الحائري، مباحث الاصول، ج ٢، صص ١٠٧-١٠٦.

(٢) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ١٢٥.

(٣) العاملي، مصدر سابق، ج ٣، ص ١٠٢.

لم يكن الشهيد الصدر فقط معروفاً في مجتمعه بحبه للناس وصداقته لهم، بل كان أيضاً يظهر نفس الحب تجاه أعدائه، حيث كان يتمنى لهم الهداية ويعمل على توجيههم وتنقية أفكارهم. كانت هذه الطريقة التي تعلمها من نبيه ﷺ، حيث قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. إن يك ظالماً فاردده عن ظلمه، وإن يك مظلوماً فانصره».^(١)

فيما يخص مواجهاته مع النظام البعثي في العراق، قد بلغه أن أحد أبناء المراجع قال لمدير أمن النجف الأشرف: «ماذا تنتظرون بالصدر؟ هل تريدون خميناً ثانياً في العراق؟ لماذا لا تعدمونه؟». فقال (رضوان الله تعالى عليه) لما بلغه ذلك: «غفر الله لك يا فلان، إن قتلوني اليوم، قتلوكم غداً».^(٢)

كان لهذا السلوك الاجتماعي والأخلاقي تأثير عميق في طلابه وأتباعه، وكذلك في كل من التقى به أو زار مجلسه. كان له تأثير بالغ في قلوبهم وكان يتسلل إلى نفوسهم قبل أن يطلب منهم أي شيء. وبسبب هذا التأثير الكبير، كان الجميع يحبونه. حتى أعداؤه لم يستطيعوا إنكار صدقه ونقائه وأخلاقه، لكنهم لم يستطيعوا تحمّل وجوده وشخصيته،

لذلك، كانت العلاقة بين أخلاقه الاجتماعية والسياسية علاقة متبادلة: كان يحب الآخرين - وهذا كان مثاله - وكان الآخرون يحبونه أيضاً، وكانوا ينظرون إليه كأب حنون.

ولذلك أحبه من لا يعرفون العبقرية ليقدروا أهلها بقدرها وشغف به حباً من يدرون العقول النافذة والأفكار المبدعة ليعظموا أصحابها ويدينوا بالاكبار لذويها ويحفشوا لهم جناح الذل طاعة وانقياداً.^(٣)

(١) نهج الفصاحة، إعداد وترجمة: أبو القاسم پاينده، صص ٢٦٦ - ٢٦٥.

(٢) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار، ص ١٢٧.

(٣) السيد فاضل النوري، مصدر سابق، صص ٢٥ - ٢٤.

بشكل عام، يمكن القول إنه كان ذائبًا في بحر الأمة الإسلامية والدين الإسلامي. على سبيل المثال، كان يقول للشعب الإيراني: «نحن في النجف، ولكن قلوبنا مع الشعب الإيراني، ونعتبر أنفسنا شركاء في كل آلامه».^(١)

أما علاقته بالعلماء فقد اتخذت شكلًا آخر. كان يثني على أساتذته، فيدعو للأموات منهم بالمغفرة، ويذكرهم بخير، ويحترم الأحياء ويجلّهم. كان متواضعًا أمامهم. في حلقات دروسه، كان هناك بعض الأشخاص بمستوى علمي ربما أقل منه، وكانوا يطرحون موضوعات سطحية، مع ذلك كان ينصت إليهم بتواضع جمّ حتى لا يشعر السائل أنه أقل منه علمًا، أو أنه يعجز عن التعبير عن أفكاره بشكل صحيح.

«كانت علاقته بالأساتذة، وأهل العلم لا سيّما مع طلابه، علاقة عاطفية. كان يحميهم تحت جناح حرمة، ورعايته، وتعاطفه، واهتمامه، بشكل ربما يفوق ما يظهره الوالدان تجاه أبنائهم».^(٢)

في إحدى رسائله لطلابه قال: «السلام عليكم أيها الأصدقاء، السلام من والدكم - البعيد عنكم بجسمه، القريب بقلبه - ذلك الأب الذي تسكنون في أعماق روحه، وفي كل خاطراته، إذ أنكم التفسير الحي لماضي».^(٣)

في مجال التربية الأخلاقية لطلابه وتعليمهم، كان الشهيد الصدر متميزًا مقارنةً بسائر الأساتذة. بمعنى أنه لم يكن فقط معلمًا لهم في دروسهم العلمية، بل أيضًا معلمًا في الأخلاق وفي الحياة. كانت علاقته بطلابه تتعدى مجرد

(١) رسالة الشهيد الصدر إلى الشعب الإيراني، قبيل انتصار الثورة الإسلامية، الحائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ١٤٣؛ زندگانی و افکار شهید صدر، ص ١٥٠.

(٢) حائري، زندگانی و افکار شهید صدر، ص ٨٨.

(٣) المؤلف نفسه، مباحث الأصول، ج ١، ص ٨٠؛ «شهيد رابع، اسوه جهاد و شهادت آيت الله صدر»، مجلة حوزة، (مقالة)، ص ٦.

التبادل العلمي؛ كان أساس تلك العلاقة هو الجذب القلبي. شخصية الشهيد الصدر العاطفية كانت تتجلى بشكل كامل في علاقته مع طلابه.^(١)

إلى جانب أخلاقه العامة والعلمية، كانت علاقته بعائلته علاقة معنوية وأخلاقية، مبنية على الحق في احترام الأمانة. كان سلوكه مع أفراد عائلته في جميع المسائل سلوك إنساني قائم على حقوق الإنسان.

و كانت له معهم مسيرة فريدة من السلوك، و منهج لا يماثل من الهدى والرشاد و طور عجيب من المحبة والحرص و الوفاء.^(٢)

بناءً على ذلك، كان الشهيد الصدر في دوره كمرشد وقائد ومربي لخزين الطاقات والمواهب يمارس دوره كابن، أو والد، أو زوج معتمداً على ثلاثة مبادئ أساسية: الحب، والاهتمام العميق، والوفاء. قالوا عن سلوكه مع والدته بأنه مثال يحتذى به من سلوك النبي ﷺ مع ابنته فاطمة الزهراء.

إذا دخل البيت كانت أول من يقصده بالسلام و التحية، يدخل عليها لينحني على يدها يقبلها، ثم شؤونها، و يستخبرها حالها، و لا ينسى إذا انصرف من البيت ان يمرُّ يقبل يدها و يودّعها.^(٣)

كان سلوكه وارتباطه مع أخته العالمة والمفكرة بنت الهدى الصدر محل إعجاب وتقدير كبير. لقد قام بتعليمها ورعايتها، ودفعها نحو درجات عليا من العلم والأخلاق. كانت العلاقة بينهما من جهة علاقة مربّي ومترّبّي، وأستاذ وتلميذ، ومرشد ومريد، بينما من جهة أخرى كانا يرى كل منهما الآخر كوجود واحد وروح واحدة في جسدين؛ لذلك كان الشهيد الصدر يعتبر أخته جزءاً من نفسه.

(١) «شاهد رابع، اسوه جهاد و شهادت آيت الله صدر»، مجلة حوزة، (مقالة)، ص ٦.

(٢) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٧.

أمّا الإمام الشهيد مع أخته، فقد جسّد أمرًا فريدًا فى الاخاء و معلّمًا جديدًا من معالم الارتباط الأخوي المتين. كانت أخته عنده كنفسه لأنهما من منبع واحد، وَ كانت لديه كعضوٍ فيه فلهما سواء.^(١)

كان الشهيد الصدر يعامل أبناءه بنفس الاحترام والرفعة التي كان يستحقونها، بطريقة تتناسب مع مكانته. فقد كانوا يحصلون على نصيب وافر من العلم والتربية في كنفه، وكانوا يتمتعون بقرابة معنوية عميقة معه. كان يبذل أقصى درجات الإيثار والتضحية في سبيل تربيتهم وبناء شخصياتهم، ويزرع فيهم روح العزة والكرامة والنقاء. وكان أقرب الناس إليه في هذه الفترة هم زوجته وأخته، فكان هذان الشخصان صندوق أسراره، خاصة خلال فترة نضوج أفكاره ومراحل كفاحه، وكانوا أقرب أصدقائه المخلصين الذين أحاطوه بالوفاء والدعم.

فقد أثرهم غايه الايثار، وحباهم عظيم الحبة، وأفرغ لهم نفسه ووقته تاركا كثيرًا من شأن صغاره على كبير حبه لهم وإشفاقه عليهم.^(٢)

كان في أسلوب تربيته، سواء مع طلابه أو مع أسرته، يتبع نهجًا منهجيًا ومنطقيًا. كان يؤمن بأنّ الأطفال والطلاب لا يتعلمون المسؤولية والشجاعة الأخلاقية وغيرها من الفضائل إلّا من خلال أسلوب منطقي ومنهجي، وأنّ روح القناعة والعزة والكرامة لا تتشكل فيهم إلا عبر هذا الطريق. يذكر صاحب كتاب «مباحث الأصول» جهود الشهيد الصدر في تربية أولاده قائلاً:

«كان الأستاذ يعتقد أنّ تربية الطفل، من جهة، تحتاج إلى المهارة والجدية،

(١) المصدر نفسه، ص ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٤.

ومن جهة أخرى، إلى الرقة وإظهار العواطف والحنان»^(١).

ويضيف هذا الباحث نقلاً عن الشهيد الصدر:

«لقد أصبح شائعاً في أسرنا أنّ الأب هو المسؤول الأول في الأسرة، بينما يقع الدور الثاني على عاتق الأم. لكنني وزوجتي اتفقنا على عكس هذا النظام. طلبت منها أن تتحمل مسؤولية الحفاظ على النظام والانضباط في حياتنا، وأن تكون صارمة إذا لزم الأمر مع أطفالنا، بينما أكرس نفسي لإظهار الحب والحنان لهم، وأعمل على جذبهم بطرق متعددة»^(٢).

وبذلك يبدو أنّ الشهيد الصدر قد قسّم الأدوار والمسؤوليات داخل أسرته بينه وبين زوجته بشكل منطقي ومتوازن، مع مراعاة المساواة الإنسانية والمنطقية في التعامل مع الأبناء، واختيار الطريقة التي يراها الأنسب وفقاً لرؤيته التربوية. وقد أشار السيد كاظم حائري في كتابه «مباحث الأصول» إلى هذا التقسيم في الواجبات والمشاركة الأسرية في تربية الأبناء، قائلاً:

«سرّ هذه الطريقة هي أنّ الشهيد الصدر كان يعتقد أنّه الأقدر على تعليم وتربية الأطفال دينياً، وكان يرغب في أن يتعلم أولاده منه فقط المحبة والعطف، حتى يستطيعوا قبول أفكاره وقيمه»^(٣).

وكان الشهيد الصدر يهتم بشكل خاص بكل ما يتعلق بالتربية، خاصة في ما يتعلق بتعليم الأبناء الأمانة تجاه المال العام. وقد نقلت عنه ابنته في هذا السياق قوله: «إنّ ما يوجد لديّ من مال ليس ملكاً لي»، في إشارة إلى أن ما كان

(١) حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ٤٨؛ زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٥٥؛ «شهيد رابع،

اسوه جهاد و شهادت آيت الله صدر»، مجلة حوزة، (مقالة)، ص ٥.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، المصدر نفسه.

(٣) حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ٤٨.

لديه من مال هو مال عام لا يملكه شخصيًا.^(١)

كما كان يزرع في نفوس أبنائه وطلابه روح الشجاعة والمقاومة، وتشخيص الأعداء، ويعلمهم الحقّ المحقّد عليهم وكرهيتهم وخاصة أولئك الذين يهددون الحق والعدالة. على سبيل المثال، يذكر الشهيد الصدر:

«لقد نفخت في روح ابنتي «مram» - في ذلك الوقت كان طفلة صغيرة - الحقّ المقدس ضدّ الصهاينة. كان يحدثها عن الظلم الذي تعرض له المسلمون على أيديهم، ما جعلها تشعر بالغضب والحزن».^(٢)

الأخلاق العلمية والحكمة

في ميدان العلم والمعرفة، لم يكن الشهيد الصدر مجرد طالب مجتهد وعالم متواضع ومطيع، بل كان أيضًا مفكرًا حليماً وصبوراً وقدوة كاملة للطلاب والعلماء والخريجين. لقد عرف الله تعالى بما استطاع من فهم، واستفاد من العلم والمعرفة وبما أتاحت له من قدرة، واستخدم تلك المعرفة في خدمة الحق والعدالة والشعب. وقد قيل في شأنه:

... وكانت سجاياه سجايا الصالحين الذين عرفوا الله وحرّمته وحقّ طاعته وللإسلام قدره وشأن مانتة، فنذروا أنفسهم صادقين لصون الحق، وأداء الأمانة، فكانت نفسه أسيرة ما تعلم قبل أن يفضي بعلمه إلى أحد...^(٣)

لذلك، فإنّ سيرة الصالحين في مجال العلم والمعرفة تتلخص في التعلّم الكامل وتعليم الآخرين. ولكن العمل بتلك المعرفة يعدّ أسمى وأعلى بكثير،

(١) المؤلّف نفسه، زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٥٦؛ مباحث الاصول، ف ج ١، ص ٤٨.

(٢) زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٥٥.

(٣) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ١٣٩.

لأن العلم بدون عمل لا يترك أثراً في الآخرين. وكان الشهيد الصدر يدرك هذه الحقيقة جيداً، ومن أبرز علامات هذا النوع من العلم هو تواضعه. العالم الحقيقي هو من يزداد تواضعاً كلما زاد علمه، مثلما أن الأشجار المثمرة تتدلى أكثر كلما زاد ثمرها، فكأنها تزداد تواضعاً كلما نضجت ثمارها. والعلماء الحقيقيون هم الذين يغذي علمهم أرواحهم ومشاعرهم. وكان الإمام الصدر مثلاً حياً على هذا، حتى أن الناس وصفوه بهذه الصفات.

«و كانت روحه في غَلِّ الالتزام قبل أن يدعو غيره إلى أغلاله المحررة، و كان سيّد المتعظين قبل أن ينبس ببنت شفة واعظاً.^(١)»

ولهذا السبب، مزج العقل مع السلوك والاشراق، والشعور والعاطفة مع الفهم والعقل، ودمج التجربة مع الإدراك العقلي، وجعل معرفته متكاملة مع المنطق. وهكذا، جمع بين العلم والعمل، والمعرفة بالجهد والتفاني. ومن هنا، لا يوجد تناقض أو صراع بين أخلاقه وحكمته وعلمه، على عكس الكثير من أهل العلم الذين قد يظهر عندهم تعارض بين العلم والسلوك. لذا، لم تكن شخصيته متناقضة أو مزدوجة، كما لم يكن هناك تناقض بين أقواله وأفعاله. وقد عبر أحد كتّاب سيرته عن هذه الخصائص بشكل فصيح وواضح، حيث قال:

لقد وَحَد الصدر توحيداً فريداً بين عقله وسلوكه، و بين قلبه وخطاه، و قرن العلم بالعمل، والمعرفة بالسعى. فما باين بين مبادئه ومسيره، ولا خالف بين مفاهيمه وأخلاقه، ولا نافر بين القول والفعل، ولا باعد بين وصايا اللسان ودأب الأركان، و...^(٢)

من هذا المنظور، يمكن القول إنّ خصائص كتاباته، أبحاثه وآثاره

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

العلمية قد تكون فريدة من نوعها. وخاصة:

من حيث دقة النظر والعمق الذي لا يُضاهى، وكذلك من حيث النقاط التي تشملها ورؤيته الجامعة للموضوع.

إضافة إلى ذلك، كان لديه إلمام شامل وكامل بالعلوم التي تخص عصره في مجال الحكمة النظرية والعملية، لا سيما في مجالات العلوم الإنسانية، مثل الفقه والفلسفة والفلسفة السياسية والكلام والعرفان والتاريخ والعلوم الاجتماعية والاقتصاد والأنثروبولوجيا والأخلاق والمنطق وأصول الفقه وغير ذلك. لم يكن صاحب رأي فقط في هذه العلوم، بل كان أيضًا مبتكرًا ومبدعًا في كثير من هذه المجالات.^(١)

عمومًا، كان في الجانب العلمي والاجتماعي، بفضل عبقريته وإلمامه بالعديد من العلوم المعاصرة وكذلك الحكم والمفاهيم القديمة، من المفكرين الذين فهموا جيدًا أزمة الفكر الفلسفي والاجتماعي والثقافي والسياسي في العصر الحديث، وسعى إلى تقديم رؤية جديدة ومبدعة في الفكر الفلسفي - الفقهي، وكذلك في الفكر السياسي - الاجتماعي، بناءً على جوهر الرؤية التوحيدية.

من هنا، يمكن اعتباره من أعظم الفلاسفة والمفكرين السياسيين والاجتماعيين في العالم المعاصر، ومن الجدير بالذكر أن آراءه العلمية والسياسية، وبالتبع سلوكه العلمي والسياسي، يجعل منه مفكرًا يستحق أن يُدرس ويُتبع كقدوة فكرية وعالمية خارج حدود القوميات والديانات.

كما ذكرنا سابقًا، بعد تحرر الشهيد الصدر في رجب ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م وعودته إلى المنزل في مجلس إحياء ذكرى شهادة الإمام السابع عليه السلام، الذي بدأ

(١) سوف نتناول هذا الموضوع في فصل قادم.

الفصل الأول: شخصية الشهيد الصدر وأبعادها..... ٥١

فيه الشيخ محمد باقر إيرواني بقصيدة في مدحه، نهض الشهيد الصدر بشدة وقال: «يا شيخ بطل... لا تمدح واقطع الإطراء... امدح سيد الشهداء واتركوا اسمي».^(١)

(١) حائري، مباحث الأصول، ج ٢، صص ١٠٧-١٠٦.

الفصل الثاني: الشخصية السياسية – الاجتماعية

المقدمة

عند دراسة السيرة السياسية لأي مفكر، فإنَّ البعد السياسي في شخصيته يحوز على أهمية أكثر من أي بعد آخر، إلى جانب معتقداته وأبعاد شخصيته الأخرى. ذلك أنَّ السلوك والسيرة السياسية لهذا المفكر هي انعكاس مباشر لشخصيته السياسية، وفي الوقت ذاته، تعدُّ سيرته السياسية العامل المُكوِّن والمُشكِّل لشخصيته السياسية. من هذا المنطلق، فإنَّ العلاقة بينهما هي علاقة شرطية، حيث يُعتبر كل منهما شرطاً لوجود الآخر. بناءً على ذلك، ندرس في هذا الفصل أبعاد وخصائص الشخصية السياسية لهذا الحكيم الكبير.

تشكِّل الشخصية السياسية أو السياسية - الاجتماعية بُعداً من أبعاد الشخصية الفردية، حيث تعبر من جهة عن علاقة الفرد بالآخرين، ومن جهة أخرى عن دوره الشخصي في تحديد المصير الجماعي. في الواقع، تُبنى الشخصية السياسية جزئياً على الطباع والأخلاقيات والسلوكيات - سواء الفردية أو الجماعية مع مراعاة الصالح العام في سياق العلاقة مع الآخرين -. فيما الجزء آخر من الشخصية السياسية يتمثل في أفعال الفرد وسلوكياته السياسية في إطار تقرير مصيره المشترك مع الآخرين.

إذن، فالشخصية السياسية ذات بُعدين:

١. الأخلاق السياسية: وتتضمن الفضائل، والطباع، والأبعاد الداخلية التي تُعتبر الأساس والمبنى.

٢. السلوك السياسي: ويتعلق بالسلوك والممارسات في الميدان السياسي

والمجتمعي.

لذا، عند دراسة شخصية أي مفكر، ينطوي هذان البعدان على أهمية كبيرة. وحيث أنّ هذا البحث ينصبّ في فصوله اللاحقة على دراسة البُعد الثاني بشكل واسع، حيث ستناول السيرة السياسية لهذا المفكر ونشاطاته على الصعيد الاجتماعي، وتحليل أبعاده السلوكية وشخصيته من هذه الزاوية. بناءً عليه، سنركز في هذا الفصل تحديداً على دراسة البُعد الأول من الشخصية السياسية للشهيد الصدر، أعني «الأخلاق السياسية»، حيث يُعدّ أساس البُعد الثاني ومبناه. تماماً كما أنّ البُعد الثاني، أي السلوك والممارسات السياسية، يُساهم في تشكيل وترسيخ البُعد الأول، أي الأخلاق السياسية. لذا، سوف ندرس في هذا الفصل الأخلاق السياسية للشهيد الصدر من عدة محاور.

الورع والتقوى السياسية

كان الشهيد الصدر في سلوكه الشخصي ومراعاته للتقوى الإلهية، والزهد، والعفة، وعزّة النفس، والشجاعة، والإيثار، ومكارم الأخلاق، قدوة يحتذى بها من الناس، وقامة سامقة بين الكثير من العلماء والمراجع في عصره. كما ذكرنا سابقاً، كان ﷺ من مراجع الدين الذين جمعوا الإيمان مع العلم، والعاطفة مع العقل، والأخلاق والروحانية مع العلم، والتهذيب والتربية مع التعليم والدرس. لم يكن إيمانه خالياً من الوعي، والبصيرة والعلم أو مبنياً على التعصب الجاهلي الأعمى، كما لم يقيّد الطبع بالعلم المادي فقط، وتحويله إلى ألفاظ فارغة وكلام ومشاهدات وأبحاث بحتة.

لم تفصله عقلانيته النقدية والتفكير العقلاني عن العاطفة والشهود والحب. فكان يخلّق نحو معبوده بجناحي العقل والحب، لم يحجزه نزوعه نحو الشرع عن

العقلانية، والعكس صحيح أيضًا، بل كان يدرك الإيمان والعقل ويفسّرهما معًا، ولم يكن يرى تعارضًا بينهما. كما لم ير تعارضًا بين الحب والعقل.

لم يكتف الشهيد الصدر بمزج الذكاء بحبه للحقيقة والعدالة، وتوظيف عبقريته في خدمة خلق الله وتحقيق القيم الإنسانية السامية. بل كان يرى أولوية التزكية وتهذيب النفس على التعليم والتعلّم. لذلك، لم يصبح العلم بالنسبة إليه وسيلة للشهرة أو نيل الجاه والمقام، أو حاجزًا يحجبه عن الوصول إلى الحق، ولا مصدرًا للفخر والتباهي، كما لم يمنع من خدمة الناس.

لم يدفعه مقامه العلمي الشامخ إلى اعتزال الناس أو الابتعاد عنهم، ولم يسلبه خلق التواضع. كما أن مرجعيته وقيادته للمجتمع لم تنسه ذكر الله أو تجاهل الحق والعدل، ولم تبعده عن الزهد والتقوى. لقد فاض كيانه ووجوده بالعدل والتقوى. كما أن تحلّيه بالتقوى والزهد لم يجعله ينزوي مثل الكثير من المتصوفة أو المتظاهرين بالعرفان، طالبًا العدل لنفسه فقط، بل إن ملكة العدل لديه قادته إلى نشر العدل وإقامة القسط، فجعل من العدالة شعارًا أساسيًا في حياته. لم يفكر إلا في الحق والعدل، حتى قدّم روحه فداءً لهذا النهج.

لقد بلغ مرتبة العدالة والمطالبة بالحق وخدمة الخلق والتضحية من أجل الناس والشهادة في سبيل الله ومعتقداته، ولم يكتسب ذلك اعتبارًا بلا جهد أو كدح ليلاً ونهارًا. إنّما هي العاطفة والمحبة والشغف بالإيمان التي اقترنت بوعيه العقلي وحكمته السامية، فأضحت حياته طيبة وخالدة. وسلك في حياته الشخصية، أسلوب القناعة وجعله أساسًا لأعماله، ولم يجد عن هذا النهج لا في الشدة ولا في اليسر.^(١)

على الرغم من أنه لم يتبع مدرسة فكرية محددة في الأخلاق النظرية أو

(١) «شاهد رابع...»، المصدر نفسه، ص ٥.

علم الأخلاق، إلا أنه كان شخصية فريدة من نوعها في مجال الأخلاق والسياسة العملية وتطبيق المبادئ الأخلاقية في حياته الشخصية. كما كانت زهادته في حياته اليومية علامة على رفضه للزخارف الدنيوية، على الرغم من أنه كان قادرًا على امتلاك ما يريد من أموال ومزايا. ولذلك، لم يتعلّق بحبائل الدنيا ويعطها صفقة قلبه، فاكتمى منها بأدنى مستويات القناعة وبساط العيش.

كان الشهيد الصدر يتمتع بتميّز خاص في الزهد والقناعة. لم تكن الدنيا همّة الأساسي، بل كان يكتفي بأقصى درجات القناعة التي ترضيه، بينما كان يسعى بجد واجتهاد للوصول إلى السعادة والمظاهر الأخروية. وقد قيل عنه: «إنك لن تجد للإمام الشهيد الزاهد بيتًا امتلكه وأحسّ بأنّ له من الدنيا نصيبًا كغيره من الناس...»^(١).

وقد كُتب في سيرته أنه ذات يوم دخلت زوجته إلى المنزل تحمل بيدها بعض التفاح الذي اشتريته من السوق. فنظر إليها الشهيد الصدر نظرة عتاب وقال لها:

«ما هذا؟ ألا تعلمين أنه لا يدخل بيتنا نوعان من الفاكهة في يوم واحد؟ عندنا الآن بطيخ في المنزل، أليس ذلك كافيًا؟» فردت زوجته معتذرة بأنها تعلم ذلك، لكنها شعرت أن أطفالها المرضى قد يستفيدون من أكل التفاح للشفاء من مرضهم.^(٢)

وكان مما أوصى به خادمه عند خروجه من المنزل وذهابه إلى السوق لشراء الأغراض، قوله الجميل: «اشتر لنا من الأشياء أوسطها».^(٣)

(١) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤١، وكذلك عن زهده وقناعته أنظر: المصدر نفسه، صص ٤٨ - ٣٧؛ محمد الحسيني، مصدر سابق، صص ٧٦ - ٧١؛ ع. نجف، الشاهد الشهيد، ص ١٠٨.

أما شجاعته وشهامته فكانت على كل لسان، خاصة في مواجهته للظالمين والطغاة. كان يعبر عن معتقداته بكل صراحة، ولم يمنعه أي شيء من التعبير عن رأيه وإرادته أمام السلاطين والظالمين. على سبيل المثال، بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة الإمام الخميني، ورغم المعارضة الشديدة التي أظهرها نظام البعث لهذه الثورة، عبّر الشهيد الصدر بكل صراحة ووضوح في تجمع علني عن تأييده لهذه الثورة.^(١) وعندما حذر البعض من مكر نظام البعث وتهديداته ومعارضته، قال:

«لا يهمني بأيّ طريقة أموت لأن الموت واحد ولا فرق عندي بين أموت بحادث سيارة أو بطلقة أو على الوسادة».^(٢)

وفي رده على أحد ممثلي نظام صدام حسين حين أخبره أن صدام هدد بإعدامه إذا رفض تلبية مطالبه، أجابه الشهيد الصدر قائلاً:

«ان كنت مأموراً بتنفيذ حكم الاعدام فننفضه الان وانا انتظر الاعدام منذ فترة و الشهادة طريق آباي و اجدادي».^(٣)

التسامح والرحمة:

بشكل عام، كان شهيدنا السعيد في تعامله مع الآخرين، خاصة في ميادين السياسة والمجتمع، شخصاً متواضعاً، متسامحاً، ذا قلب رحيم، مظهرًا للمحبة والعدالة. قالوا في تواضعه

(١) محمد الحسيني، مصدر سابق، ص ٧٦.

(٢) جريدة الجهاد، العدد ٢٨٣، ٧ شعبان ١٤٠٧، ص ٩، عن لسان السيد حسين الحائري.

(٣) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٧٧؛ وكذلك أنظر: محمد حسين جمشيدى، مصدر سابق، ص ٤٢؛ جريدة الجهاد، العدد ١٣١، تاريخ ٧ رجب ١٤٤ هـ، ص ٥ (نقلًا عن السيد كاظم الحائري).

«الذين كانوا يزورونه ويسمعون كلامه، كانوا يفهمونه أو يتعلمون منه، وكانوا أكثر ما يلاحظون تواضعه، ورفقته، وحسن تعامله، وبشاشته، وبقيّة صفاته التي كانت تجعلهم في حالة من الدهشة»^(١).

لم يكن تواضعه تواضع شخص عادي أمام الآخرين، بل كان تواضع القيادي^(٢) الذي لم يعلمه إلا القليلون، وقد تجلّى هذا التواضع في جميع مراحل حياته، خاصة في فترة ازدهاره العلمي والسياسي، واقترب بـ«تواضعه العلمي» الذي تميز به. فعلى سبيل المثال، لم يكن يذكر أساتذته إلا باللقاب مثل «سيدنا الأستاذ»^(٣). كما كان متواضعاً أمام أساتذته، كان متواضعاً أيضاً أمام طلابه. فقد جاء في رسالة كتبها إلى طلابه الذين هاجروا إلى إيران:

«السلام عليكم أيها الأعزاء، سلام من والدكم الذي جسده بعيد عنكم، لكن قلبه معكم أينما كنتم. والدكم الذي يجدهم في عمق قلبه وفي جميع ذكرياته، لأنكم تجسيد حي للحياة التي عاشها، وتاريخها.. أحبائي وأعزائي! إذا كنتم ترون أنني ما أزال أتنفس رغم المرارة الناجمة عن فراقكم فهذا لأنني أرى نصركم في عمق هذه المعاناة والآلام»^(٤).

لقد كانت رحمته وعطفه موضع إعجاب الجميع، وهذه الصفة البارزة جعلته يتفقد أحوال الضعفاء والمحتاجين والطلبة والمقربين منه. وتعكس رسائله وكلماته هذه الرحمة والمودة بشكل كامل. يروي محمد رضا النعماني،

(١) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٢) أي بمعنى التواضع الذي يلعب دور القيادي والقُدوة بالنسبة للآخرين، لذا، فهو تواضع مستمر وثابت.

(٣) السيد فاضل النوري، المصدر السابق، ص ٥١.

(٤) حائري، مباحث الأصول، ص ٨٠؛ زندگي و افكار شهيد صدر، صص ٩٠ - ٨٨، أنظر:: الملحق، الملحق العدد ٣.

أحد طلابه وأصدقائه:

«ففي ظهر أحد أيام الاحتجاز كنت نائماً في غرفة المكتبة فاستيقظت على صوت السيد الشهيد (رضوان الله عليه) وهو يقول: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وظننت أنّ حدثاً ما قد وقع، فسألته: هل حدث شيء؟ فقال: كلا، بل كنت أنظر إلى هؤلاء - ويقصد قوات الأمن - من خلال فتحة في الكسر الصغير في زجاجة النافذة فرأيتهم عطاشى ينصبّ العرق من وجوههم في هذا اليوم من أيام الصيف الحار.

فقلت: سيدي أليس هؤلاء هم الذين يطوّقون منزلكم، ويعتقلون المؤمنين الأطهار من محبيكم وأنصاركم، هؤلاء هم الذين روّعوا أطفالكم وحرّموهم من أبسط ما يتمتع به الأطفال ممّن هم في أعمارهم؟ فقال: ولدي، صحيح ما تقول، ولكن يجب أن نعطف حتى على هؤلاء، إنّ هؤلاء إنّما انحرفوا لأنهم لم يعيشوا في بيئة إسلامية صالحة، ولم تتوفر لهم الأجواء المناسبة للتربية الإيمانية، وكم من أمثال هؤلاء شملهم الله تعالى بهدايته ورحمته، فصلحوا وأصبحوا من المؤمنين». ثم نزل إلى الطابق الأرضي، وأيقظ خادمه الحاج عباس وأمره أن يسقيهم الماء. وشهد الله، لم أتمالك نفسي وأنا أراه يرقّ حتى هؤلاء، وتذكّرت جدّه الحسين (عليه السلام) يوم سقى الحر بن يزيد الرياحي وعسكره في طريق كربلاء، ويوم جلس يبكي في نهار عاشوراء وهو ينظر إلى الألوف المؤلفة، فيسأل ممّ بكائك يا بن رسول الله، فيجيبهم بأنّ بكائي هؤلاء الذين سيدخلون النار بسببي».^(١)

«أيها السادة، إذا كنتم تنفذون حكم الإعدام، فلتنفذوه الآن. واعلموا أنني منذ زمن طويل في انتظار الإعدام، وأن الشهادة هي درب آبائي

(١) النعماني، المصدر نفسه، صص ١٠٥ - ١٠٤.

وأجدادي. قيل هذا الكلام بطريقة جعلت مثل صدام يبكي ويقبل يده.
يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن صفات نبيه محمد ﷺ:
﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَفُضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾. والشهيد الصدر كان
حقاً من هذه الناحية من أتباع النبي الأوفياء.

وكتب أيضاً الشيخ النعماني عن خلق العطف والرحمة لأستاذه قائلاً:
«والله أشهد بأنني رأيت السيد الشهيد (رضوان الله عليه) في مواقف
تشهد على ما أقول، حيث يصبح الإنسان حائراً أمام تلك العظمة...»^(١)
عندما سمع خبر إعدام مجموعة من المؤمنين الذين لا يعرفهم، كان يبكي
ويقول:

«بابي انتم و امي ايها السعداء جزاكم الله عن الاسلام، و عن ابيكم
هنيئاً لكم، لقد سبقتموني الى لقاء الله...»^(٢)

من الخصائص الأخرى الإنسانية التي تميز بها، خاصة في مجالات الدين،
والسياسة، والمجتمع، «التساهل»، «التسامح»، و«المدارة». كانت هذه
الصفات من أبرز خصائصه في التعامل مع المخالفين، وأصحاب الالتهامات،
والميول، والآراء المختلفة، بل وحتى مع أعدائه الأقوياء. على سبيل المثال، كتب
السيد كاظم حائري:

«أحد تلاميذ الشهيد الصدر ابتعد عن حضور حلقات دروسه وترك
الخط الفكري الإسلامي الذي كان يتبعه، ثم بدأ يتكلم بالسوء عنه، ويغتابه
أمام الناس، بينما كانت معظم أقواله تصل إلى مسامع هذا المعلم الكبير. ذات

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ١٠٢.

(٢) النعماني، المصدر نفسه، ص ١٠٣.

يوم، كنت جالساً في مجلس هذا الأستاذ الكريم، وعرض حديث عن هذا الطالب الجاحد. فقال الشهيد الصدر، بكل أدب ورزاعة: «ما زلت على قناعاتي أن هذا الشخص عادل، وأن ما صدر منه من أقوال وأفعال هو نتيجة خطأ في اعتقاداته ورؤيته، ولا يعد ذلك دليلاً على عدم التزامه بالدين».^(١)

السياسة المتعالية

السياسة في فكر الإمام الشهيد الصدر وسيرته، هي هداية الناس وقيادة المجتمعات لتحقيق مصالحهم الدنيوية والأخروية بعيداً عن أي كذب أو خداع أو تزيف أو نفاق أو استغلال لمشاعر الآخرين. هو نفسه كتب في هذا الموضوع يقول:

وأنا حين أقول ذلك لا أعني بالسياسة مفهومها الرائج في أذهان الناس هذا اليوم المركز على الالتواء والافتراء وإنما أقصد بها مفهومها الحقيقي الذي لا التواء فيه».^(٢)

هذه النظرة إلى السياسة، التي ترادف الهداية والنمو والكمال وخلاص البشرية، وجعلها طريقاً لتحقيق العدالة والقسط والثورة في المجتمع،^(٣) جعلت الشهيد الصدر لا يلتزم في حياته بأي مفهوم آخر للسياسة سوى هذا المفهوم الحقيقي. لذلك، كانت أخلاقه السياسية وسياسته تتميز بالتعالي والمعنوية، فهي سياسة تهدف إلى إنقاذ الحرية وتحرير البشر من أي قيد أو عبودية، وتسعى إلى تحقيق العدالة والقسط في المجتمع.

(١) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٤٦؛ زندگی و افکار شهید صدر، ص ٥٢؛ محمد الحسيني، الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ص ٨٣.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، فدك في التاريخ، تحقيق: عبد الجبار شراره، ص ٦٣.

(٣) أنظر: فدك في التاريخ، صص ٦٧ - ٦٣.

على هذا الأساس، ندرك أن الشهيد الصدر بلحاظ سياسي، كان إنساناً ورعاً، ذات تقوى سياسية، عادلاً، ساعياً للعدالة، محباً للحرية، مناضلاً، ثورياً، حتى أن الكثير من الشخصيات قالوا في حقّه: «تجسد الإسلام حياً واقعاً في حياته، والتي يستفيد - بإذن الله - مجرى التاريخ الإنساني»^(١)، للتعبير عن كونه تجسيداً للإسلام الحي في واقعه الحقيقي بطريقة تتناسب مع ظروف التاريخ والحياة البشرية. وكان يمتلك من المقومات والصفات ما يجعله يستحق ذلك، من هذه الصفات نوجز ما يلي:

١- التركيز والإصرار على الإسلام الأصيل والنقي، والسعي لإحيائه وتقديمه بشكل صحيح بعيداً عن أي انحرافات أو خرافات. فقد جسّد في شخصيته الإسلام النقي، واعتنى بجميع الجوانب والحالات والخصائص الأساسية لهذا الدين باعتباره مدرسة تحررية و خلاصية في العصر الحاضر. وبعبارة أخرى: «بأنّه رائد الفكر الإسلامي في أبوابه، وطرائقه، وفنونه، وفي كل مجالات الإسلام الواسعة وشؤون هذا الدين الحنيف»^(٢).

٢- نظرتّه إلى الإسلام وتجسيده فيه جعلته مجاهداً ومناضلاً لا يفكر إلا في الله ولا يختار إلا رضاه، وكان يجد في رضا الله الحرية للناس والعدالة لهم. الدين بالنسبة له كان منهجاً لمكافحة الظلم والطغيان ومؤسس الثورة على طريق الحق. لم يكن الشهيد الصدر من المتزمتين الذين لا يتحركون إلا في إطار التقديس والظاهرية، ويفتقدون للعقل ولا يدركون مقتضيات العصر، ولم يكن أيضاً من عبّاد الدنيا الماكزين. بل على حدّ قول سعدي الشيرازي، كان في زمرة

(١) عماد حسن، «حديث عن الشخصية الإسلامية في فكر الشهيد الصدر، الشهادة، العدد ٧٨٧،

الثلاثاء ١٩ ذي الحجة ١٤١٩ هـ / ٦ / ٤ / ١٩٩٩ م، ص ٤».

(٢) السيد فاضل النوري، مصدر سابق، ص ١٠٠.

العلماء وليس العباد:

٣- كان الشهيد الصدر عالماً واعياً وحكيماً، وكان محصناً من سوء التدبير الذي عانى منه العديد من العلماء عبر التاريخ، وحذّر منه النبي الأكرم ﷺ وكان يخشى منه على أمته. كما قال رسول الله ﷺ: «لا أخاف على أمتي الفقر، ولكن أخاف عليهم سوء التدبير».^(١) إن قيادة الشهيد الصدر للشعب العراقي وحركاته وانتفاضاته لمدة عشر سنوات كانت دليلاً على حسن تدبيره وإدارته الصحيحة والإنسانية.

٤- لقد أدمج الإيمان بالإسلام الأصيل والمناضل بالعلم والمعرفة والوعي.

٥- كان الشهيد الصدر في مجال العمل والتفاعل الفردي والسياسي والاجتماعي تجسيداً حقيقياً للإسلام الأصيل واتباع رسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين. لذلك، كانت لديه المعرفة والإيمان والعمل الصالح معاً في أرقى صورة.

الدفاع عن الثورة والروح الثورية

كان الشهيد الصدر يؤمن تماماً بـ«الحركة الثورية»، أي تحوّل المجتمع عبر ثورة شاملة ثقافية وسياسية واجتماعية واقتصادية، دون الالتفات إلى المقتضيات والتحويلات الاجتماعية والسياسية. بمعنى آخر، لم يكن من أتباع الماضي أو الرجعيين الذين يركزون على العودة إلى الوراء، ولم يكن من المحافظين الذين يقبلون العرف السائد والنظام القائم في مجتمعهم، ولم يكن يفكر في الإصلاحات ضمن ظروف زمنه ويعتبرها الحل. كان يرى أن الحل

(١) مرتضى مطهرى، جاذبه و دافعه على ﷺ، ص ١٨٢.

الوحيد لمشاكل المجتمع الإسلامي في العصر الحديث يكمن فقط في إحداث ثورة شاملة وجذرية، ثورة تتغير من خلالها حياة الفرد والمجتمع، وتحل محل الأنظمة السياسية الحالية أنظمة سياسية مثالية.

من هنا، طرحه لنظرية شاملة عن الثورة، كما سعى لتحقيق هذه النظرية من خلال خطوات عملية أساسية. وقد كتب دكمجيان عن الشهيد الصدر قائلاً:

«كان باقر الصدر قد رَوَّج بوضوح لنظرية شاملة للثورة الاجتماعية والسياسية تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي، وهو ما تحقق في حكومة آية الله الخميني».^(١)

ويضيف باحث آخر:

«السيد الشهيد الصدر أعطى نظرية واضحة لعملية الجهاد والثورة الإسلامية في هذا العصر».^(٢)

كان يعتقد أنّ تكامل الفرد والمجتمع أمر ضروري وحيوي، وهذا التكامل هو ثمرة لعقل الإنسان وحريته في داخل المجتمع، وتحقيق إرادته بمثابة تكامله وتطوّره في مسيرة حياته. ويشمل هذا التحوّل والتطور جميع جوانب الحياة والوجود بالنسبة للفرد والمجتمع. كتب الشهيد الصدر:

«لن تبقى حياة الإنسان في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية وكذلك الشخصية في حالة ركود وجمود، بل ستسير نحو التحول والتطور، وسوف يشمل هذا التحول والتطور جميع جوانب الحياة الإنسانية سواء كانت مادية، أو في علاقات الناس والتعايش فيما بينهم، أو في الأفكار والرؤى».^(٣)

(١) هراير دكمجيان، مصدر سابق، ص ٢٠١.

(٢) الشهادة، العدد ٤٩٧، ٢١ شوال ١٤١٣ هـ، ص ٤.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٥٣.

يتحقق تكامل الإنسان وحركته، خاصة من وجهة نظر الصدر، في بُعدين أساسيين ورئسيين:

١ - الحركة نحو الأفضل والمثالية (الحركة التكاملية).

٢ - الحركة نحو تهذيب النفس ورفيها (الحركة المتعالية).

وهذان النوعان من الحركات في الإسلام وفي زمن النبي محمد ﷺ تم تناولهما في إطار «الجهاد الأصغر» و«الجهاد الأكبر». كما أن الحاجة إلى وجود منهج أيديولوجي إلى جانب المتطلبات والإمكانات المناسبة، وحرية الإنسان وقراره لتحقيق تينك الحركتين، أمر حيوي. ومن هذا المنظور، تُعتبر «الثورة» تغييرًا أساسيًا، يصبح ضروريًا في بعض الظروف الخاصة للوصول إلى التكامل الفردي والاجتماعي. لأن الثورة من وجهة نظره:

«هي حركة جادة وقوية تقوم على مبادئ عقدية محددة، وتقوم على فهم دقيق للواقع القائم، وتسعى إلى إحداث تغيير جذري وعميق في جميع جوانب الحياة الفردية، الاجتماعية، والسياسية، وكذلك في القيم والمعايير والمبادئ الأساسية السائدة»^(١).

ولهذا السبب، يعتبر الشهيد الصدر أن مهمة الأنبياء هي أيضًا تحقيق الثورة وتنفيذها،^(٢) ويؤمن بأن الرؤية الإسلامية في رسالتها تحمل في حد ذاتها فكرًا ثوريًا.^(٣)

وبناءً على ذلك، ركّز الشهيد الصدر على الثورة ومنهجها الثوري في

(١) المؤلف نفسه، من المبادئ الفكرية لحزب الدعوة الإسلامية، ترجمة: حزب دعوت اسلامي،

صص ٢٧ - ٢٦؛ محمد الحسيني، مصدر سابق، صص ٣٦٢ - ٣٦١.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، خلافة الانسان و شهادة الانبياء، ص ٤١.

(٣) رسالتنا، ص ٧٥.

العصر الحالي، مع الأخذ بعين الاعتبار خصائص هذا العصر وأزماته. ومن أجل تحقيق هذا الهدف الأساسي، أسّس «حزب الدعوة الإسلامية». كما أن جهوده في التعاون مع «جماعة العلماء في النجف الأشرف» وكذلك مع الأحزاب والمجموعات النضالية الأخرى، ليس فقط في العراق بل أيضًا في إيران ولبنان والمجتمعات الإسلامية الأخرى، تعبّر جميعها عن محاولاته لتحقيق الثورة في المجتمعات الإسلامية. فعلى سبيل المثال، من أهم أنشطته إعداد مسودة لدستور النظام الإسلامي في إيران بعد انتصار الثورة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن بعض فتاواه، وأوامره، وتأكيداته التي صدرت عنه بصفته مرجعًا دينيًا، تعكس بوضوح هذا الاتجاه، مثل:

- الإفتاء علنًا بحرمة الانتماء إلى حزب البعث (حزب السلطة).
 - التأييد العلني للثورة الإسلامية الإيرانية وقائدها الإمام الخميني.
 - الإفتاء بوجوب مقاطعة الوكلاء المشكوك في ارتباطهم بالسلطة.^(١)
- كما أنه في تقديره للشعب الإيراني الثوري والثورة الإسلامية، كتب يقول:

وبعد فإنني أشعر باعتزاز كبير يغمر نفسي وأنا أتحدث إلى هذا الشعب العظيم، إلى هذا الشعب الإيراني المسلم الذي كتب بجهاده ودمه وبطولته الفريدة تاريخ الإسلام من جديد وقدم إلى العالم تجسيدًا حيًا ناطقًا لأيام الإسلام الأولى بكل ما زخرت به من ملاحم الشجاعة والإيمان.

ويزداد شعوري عميقًا وأنا أجد هذا الشعب أمام لحظة عظيمة لا تشكل منعطفًا في تاريخه فحسب بل تشكل منعطفًا في حياة الأمة الإسلامية كلها...

(١) محمد الحسيني، محمد باقر الصدر حياة حافلة، فكر خلاق، ص ٢٠٩.

أيها الشعب الإيراني، كونوا واعين وصونوا مكتسباتكم، لأن اختيار الإسلام كقاعدة عقائدية وأساس للحياة قد سدّد ضربات قاصمة إلى أجساد الغرب العملاقة الخاوية، كما أن انهيار أسس الظلم البهلوي أطاح بمكاسب الغرب غير العادلة وقواعده السياسية.^(١)

هذا التعبير لا يُظهر فقط الطبيعة الثورية للشهيد الصدر وخطته الثورية في مواجهة أزمة العالم المعاصر، بل يعكس بوضوح عنايته الكاملة ودعمه الشامل للثورة الإسلامية في إيران.

لقد حافظ حتى آخر لحظات حياته على روحه الجهادية والثورية والنضالية، ولم يتوان لحظة واحدة عن الحراك الثوري والنضال ضد الظالمين.

«واندفع الصدر السياسى الثائر البارع الى المقاومة السياسية والرفض الثورى، وتحركت، قواه على قَلَّتْها وشدة العداء من حولها تعمل فى الساحة السياسية العراقية تدعوا سراً وإعلاناً الى هدى الله وشريعته وتحكيم دينه».^(٢)

على هذا الأساس، ومع إدراكه لوضع العراق والنظام الحاكم فيه، قرر التوجه نحو الشهادة، واعتبرها خطوة نحو تحقيق النهضة والثورة لتغيير المجتمع. وأعلن بوضوح في رسالته الأخيرة:

«أعلن لكم جميعاً، يا أبنائي الأعزاء، أنني قد قررت الشهادة، وربما هذه هي آخر كلمات تسمعونها مني. اعلموا أن أبواب اللجنة مفتوحة لاستقبال قوافل الشهداء، على أمل أن يمنحكم الله النصر. الشهادة هائلة للغاية...».^(٣)

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، صص ٢٦ - ٢٣؛ نهادهای اقتصادی اسلامی، ترجمه غلام رضا بیات و فخرالدین شوشتری، صص ٢٢ - ١٦.

(٢) السيد فاضل النورى، المصدر نفسه، صص ١٠٦ - ١٠٥.

(٣) حائرى، مباحث الاصول، ج ١، ص ١٥٠؛ صحيفة كيهان، ٢٠ / ١ / ١٣٦٢، العدد ١٢١٢٨؛ عدد خاص للشهيد صدر، ص ٢.

الإنسانية في مواجهة القومية والإثنية

من أهم الآراء السياسية والاجتماعية للشهيد الصدر هو أنه في رؤيته وسيرته، لم يكن للقومية، النزعة العرقية، العروبة أو العربية (العروبية)، وما شابه، أي مكانة في نفسه. وعلى العكس، ما كان مهماً بالنسبة له وقبل كل شيء هو «الإنسان» و«حقوقه» وحسب. وإذا كان يؤكد على الإسلام كدين ويعتبره منهجاً للتحرر، فذلك نابع من إيمانه بأن الإسلام دين للبشرية جمعاء، ودين «الإنسان بما هو إنسان»، يركز على وحدة الإنسانية بدلاً من الوحدات العرقية، اللغوية، الجغرافية، وحتى الثقافية.

في الواقع، من وجهة نظر الشهيد الصدر:

«لقد أعلن الإسلام حرباً مستمرة ضد التمييز اللوني، والاجتماعي، والعربي، الذي بات عاملاً في تفوق المجتمعات الإنسانية، وأعلن أن كل مبدأ مشترك بين البشر هو جدير بالاحترام، وكل شيء يفرق البشر ويؤدي إلى الانقسام هو حالة عرضية لا ينبغي أن تكون أساساً للتدمير، والانقسام أو الانتقام».^(١)

وإذا كان تفكيره منصباً أولاً وقبل كل شيء على الثورة في العراق، فذلك لأنه كان يعتبرها حركة أولية وأساسية يمكن أن تتواصل وتنتشر إلى المجتمعات الأخرى، وليس فقط لأئمتها بلده أو مسقط رأسه. لهذا السبب، لم يكن يعتقد بـ«القومية» أو «العروبة»، بل كان يرفضها.

من سيرته وأفعاله بعد استشهاد مرتضى مطهري في إيران، جاء أنه:

«عندما بلغ خبر استشهاد الشهيد مطهري إلى آية الله الصدر في العراق، تأثر بشدة وشعر بحزن عميق، وقام بكتابة بيان وأعلن للجميع أن غداً سيقيم

(١) عبدالكريم بي آزار شيرازي، توحيد كلمه، ج ٢، ص ٤٦.

مجلس تأيين وذكرى للشهيد مطهري في مسجد الجواهري بالنجف. وفي ظهر اليوم التالي، جلس بنفسه في مقدمة المجلس. حضر العلماء، الطلاب، والمسلمون من مختلف الفئات في هذا المجلس، وقرأوا الفاتحة ترحماً على الشهيد مطهري، وأعربوا عن تعازيهم لآية الله الصدر.

كان الحديث في المجلس يدور حول شخصية الشهيد مطهري العلمية، الدينية، والثورية، وكذلك حول قضايا الثورة الإسلامية وقيادة الإمام الخميني.^(١)

وعندما جاء بعض الأشخاص من طرف النظام الحاكم في العراق وقالوا له إن مطهري شخص إيراني ونحن عرب، أجاب آية الله الصدر: «أنا لا ألتفت إلى ما تعتقدون به ولا أعترف بالقومية والحدود الدولية. هذا هو موقعي ولن أراجع عنه».^(٢)

وعندما سافر الإمام الخميني إلى باريس واشتدت الحملة القمعية في العراق، أرسل برقية إلى الإمام الخميني في باريس، معرباً عن استعداده الكامل لتقديم أي خدمة ممكنة في صفوف المناضلين والعلماء الإيرانيين. وبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أظهر دعمه الكامل والشامل للثورة الإسلامية في إيران، والشعب الإيراني، والإمام الخميني.^(٣)

جاء ذلك في وقت كان هو المرجع الثاني في العراق من حيث عدد المقلدين.^(٤) كما أنه قام بتأليف كتابه القيم «الإسلام يقود الحياة» بعد انتصار

(١) مصطفى قلى زاده، شهيد صدر بر بلندای اندیشه و جهاد، صص ٩٥ - ٩٤؛ «يادواره شهيد صدر» صحيفة اطلاعات، (ملحق)، ١٩ / ١ / ١٣٦١، ص ١٣.

(٢) ع. عصيانى، «آيت الله صدر، آغازگر فريادى در راستاى قامت امت اسلامى عراق»، صحيفة كيهان، الخميس، ١٩ / ١ / ١٣٦١، العدد ١١٥٤٧، ص ١٠.

(٣) الله كولاىى وآخرون، يادواره شهيد آيت الله سيد محمد باقر الصدر، ص ٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٧.

الثورة الإسلامية في إيران وقدمه إلى الشعب الإيراني.

خطواته هذه إلى جانب نهجه الجهادي وسيرته النضالية أدت إلى اعتقاله من قبل نظام البعث في العراق. وأثناء اعتقاله كانت السلطات الأمنية العراقية توجه إليه اللوم قائلة: «أنت عربي، فلماذا تؤيد الفرس؟» فأجاب: «أنا مسؤول أمام جميع المسلمين في العالم ويجب أن أؤدي مسؤوليتي تجاههم جميعاً».^(١)

ومن هنا ندرك أنّ «الإنسان» كان القضية الأساسية والمحورية بالنسبة له، لذا كان اهتمامه منصّباً على «النوع البشري»، مركزاً في أبحاثه بشكل خاص على مشاكل هذا النوع.

كانت نظره الإنسانية من الشدّة بحيث بدأ مقدمة كتابه القيم «فلسفتنا» بمشكلة الإنسان في العصر المعاصر قائلاً: «مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم، هي مشكلة النظام الاجتماعي...».^(٢)

إقامة العدل والقسط

العدالة - على المستوى الشخصي والفردى - هي ملكة نفسانية تمنع الإنسان من ارتكاب المحرمات والشُرور، وتوجّهه نحو فعل الخير وأداء الواجبات، والشخص العادل هو من يتّصف بهذه الخصلة. بالإضافة إلى ذلك، فإن جميع أبعاد حياته تكون على المسار الصحيح للعدالة والصراط المستقيم، وتكون حياته محكومة بالاستقامة. كما يعبر الشهيد الصدر قائلاً:

«العدالة عبارة عن الاستقامة على شرع الإسلام وطريقته... شريطة أن

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠؛ «پرورش یافتگان مکتب سرخ حسین»، صحيفة اطلاعات، ١٣٦٢/١/٢٠، ص ١٧.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ١١.

تكون هذه الاستقامة طبيعة ثابتة للعادل تمامًا كالعادة».^(١)

العدالة في هذا البعد، سواء من الناحية الفردية أو الاجتماعية، هي ملكة تمنع من وقوع الذنوب «بنحو لا يرتكب كبيرة أو صغيرة»^(٢).^(٣)

إذن، باعتقاد الشهيد الصدر أنّ ارتكاب الذنب، حتى لو كان صغيراً، يضرّ بالعدالة ويتعارض معها. حيث يذكر:

«والصحيح على المختار أنّ صدور المعصية الصغيرة يضرّ بالعدالة مطلقاً ما لم يتب...».^(٤)

على هذا الأساس، ندرك أنّ العدالة في نظر الشهيد الصدر مفهوم سامّ وحالة مانعة لا تقبل أي خروج عن طريق الحق. العدالة من هذا المنظور، في رأي الشهيد الصدر، شرط أساسي للقيادة في المجتمع الإسلامي، والمرجعية، والاجتهاد، والقضاء، والإمامة في الصلاة، وإقامة الشهادة، وغيرها من المسؤوليات السياسية، والثقافية، والدينية.

لكن ليست العدالة فقط هي المعيار والخصلة الأساسية للإنسان الحق في نظره، بل إنّ السعي لتحقيق العدالة وإقامة القسط معيار آخر أساسي، وهذان الأمران ذوا معنى عندما يكونا معاً ومتراطين. أي أن امتلاك العدالة لا ينفصل عن الطموح لتحقيق العدالة ونشرها، لأنها معاً يشكلان شرط تحقيق جميع القيم الإنسانية في المجتمع.

(١) المؤلف نفسه، الفتاوى الواضحة، ص ١٢٠؛ أنظر: منهاج الصالحين (تعليقات الشهيد الصدر)، ج ١، ص ١٢، تعليقه ٢٥.

(٢) منهاج الصالحين، ص ١٥، مسأله ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢، تعليقه ٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦، تعليقه ٣١.

وقد بينَّ الشهيد الصدر ذلك صراحةً بقوله: «لأن العدل في المسيرة وقيامها على أساس القسط هو الشرط الأساسي لنمو كل القيم الخيرة الأخرى»^(١)

لذلك، من وجهة نظر الشهيد الصدر، هناك معياران أساسيان لتطوير القيم في المجتمع:

١ - العدالة في السلوك ونهج الحياة.

٢ - إقامة العدل ونشره على أساس القسط.

من هذا المنظور، وعلى حدّ تعبير أغلب الأشخاص الذين عرفوا الإمام الصدر عن كُتب، كان شخصاً يتمتع بملكة العدالة بمعناها الكامل، وكان فرداً «عادلاً» و«تقياً». ولكن ما هو أسمى من كون المرء عادلاً، بل أصعب من ذلك بكثير، هو السعي لتحقيق العدالة، ونشرها، وإقامة القسط. إذ من الطبيعي أن يكون مثل هؤلاء الأشخاص الذين يتصفون بالأخلاق الحسنة والصفات النفسية عدول مع أنفسهم، ولكن ليس بالضرورة أن يسعوا لتحقيق العدالة أو نشرها في المجتمع. فهم يبحثون عن العدالة على صعيد حقوقهم الشخصية، ولكنهم لا يفعلون شيئاً من أجل تحقيق العدالة على مستوى المجتمعات البشرية، لأنهم يبحثون عن العدالة فقط في الدائرة الشخصية.

أما طلاب العدالة والمقسطون، فهم يبحثون عن العدالة في قلب المجتمع والسياسة، ولا يألون جهداً لتطبيقها. العدالة ليست مجرد حالة فردية بل هي عملية تتطلب التغيير في المجتمع بأسره. ومن هنا يظهر الفرق بين العادل الذي يعيش في عزلة ولا يسعى لتحقيق العدالة خارج نفسه، وبين العادل الذي يسعى إلى العدالة في مجتمعه ويسهم في نشرها بين الناس. وكان الشهيد محمد

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ١٤٢؛ خلافة الانسان و شهادة الانبياء،

باقر الصدر من الذين يعشقون العدالة. كان مناصراً للعدالة ومطالباً بها بمعنى الكلمة، ويسعى لتحقيقها ونشرها في المجتمع. لقد وظّف كل الفرص المتاحة لتحقيق هذا الهدف السامي، حتى أنه ضحى بحياته من أجل تحقيق العدالة.

كان الشهيد الصدر يرى أن العدالة من الأمور الحقيقية والموضوعية وقيمة فطرية يعرفها الإنسان بفطرته. لذا، فالعدالة عنده ليست مجرد أمراً اعتبارياً أو تعاقدياً، بل حقيقة أصيلة وعميقة.

وعليه، إذا كانت العدالة ذات قيمة عالية فهي تستحق أن يضحي الإنسان بحياته من أجلها، لأنها قيمة شاملة وصحيحة، وهي الخير والحق الذي يجب أن يسير عليه الإنسان في حياته. وقال في هذا السياق:

«كلنا نؤمن بعقلنا الفطري البديهي، بقيم عامة للسلوك، وهي القيم التي تؤكد أن العدالة حق وخير، والظلم باطل وشر».^(١)

وبذلك، كان الشهيد الصدر يعتبر العدالة قيمة أساسية يجب أن تسود في المجتمع. كان ينادي بتطبيق العدالة في مجتمع كانت أهم مشكلة تواجهه هي غياب المعنوية والعدالة:

«إنما نريد أن نواكب الإنسانية في واقعها الحاضر... لتصل إلى السلام والخير وتؤوب إلى حياة مستقرة يعمرها العدل والسعادة».^(٢)

وفي آخر رسالة له إلى الشعب العراقي، طرح بصراحة مسألة طلب الحق والعدالة، ودعا الناس إلى:

وحدة الكلمة وتعاون جميع شرائح المجتمع تحت لواء الإسلام من أجل

(١) السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، ص ٥٣؛ المرسل الرسول، الرسالة، ٥٩؛ روش

نوين در فلسفه اصول دین، ص ٤٠ و....

(٢) المؤلف نفسه، المدرسة الإسلامية؛ ص ١٣

تحرير العراق من سيطرة نظام البعث، وإقامة عراق حر وكريم يعمّ فيه العدل الإسلامي وتُصان فيه الكرامة الإنسانية.^(١)

الإحيائية في مجال العلم والحوزات العلمية

بدأ الشهيد الصدر في الحوزة العلمية حركة شاملة وعميقة من أجل التوجه نحو المجتمع والجماعة من جهة، والعمل على تحريك الحوزة وتنشيطها ودفعها للأمام من جهة أخرى. وقد بدأ في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف بتطوير طريقة فكرية خاصة مبنية على دمج الأسلوب الاستدلالي البرهاني والأسلوب الذوقي والإشراقي، بالإضافة إلى الطريقة الفقهية. وفي هذه الطريقة، التي كانت امتداداً لحركة الحكمة المتعالية الصدرائية، كان يجمع بين ثلاثة أساليب رئيسية: البرهاني، والاجتهادي، والقرآني (الوحياني). إضافة إلى ذلك، قام بتطوير أسلوب الاستقراء واستخدام حساب الاحتمالات في منهجية البحث والدراسة، مما فتح أفقاً جديداً للباحثين. من هنا، جاءت تسمية مدرسته بالمدرسة الفكرية الثورية والديناميكية، ذات الطابع التجديدي. أحد أبرز ملامح هذه المدرسة الفكرية هو التفسير الموضوعي أو التفسير التوحيدي، الذي يعد من ابتكاراته الخاصة.^(٢) كما يوضح هو نفسه في قوله:

«القرآن في هذا التفسير يتعلق بالواقع، ويتصل بالواقع، لأن التفسير (القرآن) يبدأ من الواقع الخارجي وينتهي بالقرآن، وليس العكس بأن يبدأ من

(١) «و بناء عراق حر كريم، تعممه العدالة الاسلام، و تسوده كرامة الانسان...» حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ١٥٣، أنظر: الملحق رقم ٦، آخر رسائل الشهيد الصدر.

(٢) حول التفسير الموضوعي أو التفسير التوحيدي أنظر: السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، صص ٣٨ - ٧، تفسير موضوعي ستهای تاریخ در قرآن، ترجمة: سيد جمال موسوي، صص

القرآن وينتهي بالقرآن دون علاقة بالحياة والواقع. في التفسير الموضوعي، تُعرض وقائع الحياة على القرآن... لا يمكن تحقيق لا نهائية القرآن إلا من خلال أسلوب التفسير الموضوعي... ومن هنا، يمكن أن يتحقق النمو السريع لهذا التفسير، لأن التجارب البشرية المستمرة ستغنيه وتثريه...»^(١)

بعدُ آخر في هذه الحركة كان تحريك الرؤية والمعرفة العلمية في الحوزات العلمية من «الاهتمام بالفرد» كمحور للبحث إلى «الاهتمام بالجماعة والمجتمع والمؤسسات السياسية والاجتماعية» إلى جانب الاهتمام بالفرد. كان الشهيد الصدر يعتبر أن من أهم المشاكل التي تعاني منها الحوزات والبحوث الفقهية المتعلقة بالمجتمع والسياسة محورية الفرد، مما أدى إلى أن تصبح هذه البحوث أحادية الجانب أو قاصرة على موضوع واحد فقط. في مواجهة هذه المشكلة، قدم الشهيد الصدر نموذج الاجتهاد المتحول والديناميكي، وحرص على أن تكون حركة العلم والبحث في الحوزات بنحوٍ لا تقتصر على الفرد فقط، بل تشمل الجماعة والمجتمع أيضًا. لهذا، أخرج الفقه من النظرة أحادية البعد إلى النظرة متعددة الأبعاد.

في هذا السياق، قام بتغيير مفهوم الاجتهاد، وجعل التحول في الاجتهاد يعتمد على هدفه وأسلوبه، فقال: «عندما يكتسب الهدف المحرك للاجتهاد أبعاده الحقيقية، ويشمل كلا من التطبيق الفردي والاجتماعي، ستزول تدريجيًا آثار الرؤية الأحادية أو رؤية الوجه الواحد التي كانت موجودة في السابق، ويصبح محتوى الحركة أكثر انسجامًا مع اتساع نطاق الهدف ومتطلبات خط الجهاد الذي يُنفذ من خلاله الاجتهاد...»^(٢)

(١) المدرسة القرآنية، صص ٢٤ - ٢٢، تفسير موضوعي ستهای تاریخ در قرآن، صص ٩٥ - ٩٤.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، همراه با تحول اجتهاد، ترجمة: اكبر ثبوت، ص ١٧.

بالإضافة إلى ذلك، أطلق الشهيد الصدر ثورة في وضع النظام التدريسي، والنظام الدراسي، والمحتوى الدراسي في الحوزات. «وقد شغل هذا الأمر تفكير الشهيد الصدر لفترة طويلة، وكان قد خصص وقتاً كبيراً لتحقيق هذا التغيير»^(١).

مثال على الجهود التي بذلها الشهيد الصدر في مجال الحوزات العلمية، يمكن العثور على أحد أمثلة هذه الجهود في تأليفه الكتاب القيم «دروس في علم الأصول» الذي جاء في ثلاث حلقات دراسية مترابطة ومتسلسلة. وفي مقدمة هذا الكتاب، وبعد أن ذكر أهمية الكتب الأصولية التعليمية والدراسية الموجودة، قال:

«في الوقت نفسه، لا ينبغي أن يمنعنا شيء من السعي لتحقيق تحول في المناهج الدراسية والتعليمية وجعلها أفضل وأفضل. وبالتأكيد، إذا دعت الحاجة إلى ذلك، وكان بالإمكان تأليف مناهج تعليمية تمتلك قدرة أكبر على أداء دورها العلمي في تربية الطلاب وتجهيزهم للانتقال إلى مراحل أعلى، فقد دفعنا ذلك منذ وقت طويل إلى التفكير في استبدال هذه المناهج بأخرى في مجال التدريس والتعليم...»^(٢).

ثم يعرض الشهيد الصدر الدوافع الأساسية لهذا التغيير والتحول في المتون الدراسية الحوزوية في أربعة جوانب.^(٣) ويطلق هذا العمل في الحوزات العلمية، قدم مع ذلك العديد من الإبداعات الأصولية والفقهية التي ساهمت في تأسيس «المدرسية الصدرية» في التدريس والبحث الفقهي والاجتهاد.

(١) السيد فاضل نوري، مصدر سابق، ص ١١٠.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، ج ١، ص ٨.

(٣) المصدر نفسه، صص ٢٨ - ٨؛ المصدر نفسه، صص ٢٥ - ١٠.

إبداعاته في الفقه وتقسيم أبواب المسائل الفقهية في الحوزات العلمية شملت أيضاً إبداعاً آخر في الفقه. فقد قام لأول مرة بتقسيم المباحث الفقهية بطريقة خاصة، بناءً على المعايير التي وضعها هو، حيث منح مكانة مهمة للموضوعات الاقتصادية (العامة والخاصة) والسياسة والقضايا السياسية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن المحقق الحلي كان قد قام لأول مرة في تاريخ الفقه بتقسيم المسائل الفقهية إلى أربعة أقسام^(١) استناداً إلى النية وعدمها، وذلك كما يلي:

١. العبادات (تشمل ١٠ كتب)؛

٢. العقود (١٥ كتاباً)؛

٣. الإيقاعات (١١ كتاباً)؛

٤. الأحكام (١٢ كتاباً).

وكان أساس هذا التقسيم يعتمد على أن الأحكام الشرعية إما أن تُنفذ بناءً على «النية وقصد القربة» (مثل العبادات: الصلاة، الصوم، وغيرها)، وإما من دون نية، وهذه الأخيرة تنقسم إلى نوعين: إما تحتاج إلى لفظ (عقد) وإما لا. إذا كانت لا تحتاج إلى لفظ (عقد) تُعد من الأحكام، (مثل أحكام الإرث والقصاص). أما الأمور التي تحتاج إلى عقد (انعقاد) فتكون إما أحادية الجانب (إيقاعات مثل: الطلاق، العتق...) وإما ثنائية الجانب (عقود مثل: النكاح، الإجارة).^(٢)

كان تقسيم المحقق الحلي في الفقه معمولاً ومرسوماً بين الفقهاء حتى وقتنا الحاضر. في هذا التقسيم، كانت السياسة وأحكامها السياسية تُعرض في بعض أجزاء الفقه مثل كتاب «الجهاد»، «القضاء»، و«البيع»، وغيرها. في

(١) نجم الدين جعفر بن حسن المحقق الحلي، شرايع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، ج ١

(٢) المحقق الحلي، المصدر نفسه، ترجمة: أبو القاسم يزدي، ص ١٠٨؛ السيد علي الطباطبائي،

رياض المسائل؛ مقدمة: محمد مهدي الآصفى بعنوان «حياة المحقق الحلي»، ج ٢، ص ٣٨.

العصر الحديث، ظهرت تقسيمات جديدة ومهمة، نذكر منها تقسيمين لهما أهمية خاصة:

التقسيم الأول: تقسيم الأستاذ مصطفى أحمد زرقاء

قسم الأستاذ مصطفى أحمد زرقاء الفقه إلى المجالات التالية:

١. العبادات

٢. الأحوال الشخصية

٣. المعاملات

٤. السياسة الشرعية أو الأحكام السلطانية

٥. العقوبات

٦. القانون الدولي

٧. الآداب.^(١)

التقسيم الثاني: تقسيم العلامة الشهيد الصدر

وقد قسم جميع المسائل الفقهية إلى أربعة أقسام رئيسية، كما يأتي:

١. العبادات: تشمل هذه الفئة الموضوعات المتعلقة بالطقوس الدينية،

مثل: الطهارة، الصلاة، الصوم، الاعتكاف، الحج، العمرة، والكفارات.

٢. الأموال: وتنقسم إلى نوعين:

أ) الأموال العامة (الثروات العامة)، وتشمل أي مال يتم تخصيصه

لمصلحة عامة مثل: الخمس، الزكاة، الخراج، والأنفال....

(١) السيد علي الطباطبائي، المصدر نفسه، صص ٤٠ - ٣٩.

ب) الأموال الخاصة (الملكية الخاصة)، التي تخص الأفراد وتحمل عناوين مثل «الأسباب الشرعية للملك» و«أحكام التصرف في المال». تشمل الحالة الأولى: إحياء الأرض، الحيازة، الإرث وغيرها، بينما تشمل الحالة الثانية: البيع، الصلح، والشركة... إلخ.

٣. السلوك الخاص:

وهو على نوعين:

أ) موضوعات تتعلق بتنظيم شؤون الأسرة، مثل: النكاح، الطلاق وغيرها.

ب) موضوعات شخصية خارج شؤون الأسرة، مثل: أحكام الطعام والشراب، المعاشرة، السكن، العهد، اليمين، وغيرها.

ج) السلوك العام (القضايا العامة والسياسية)، وتعلق بقضايا الولاية العامة أو القضايا السياسية والحكومية والقضائية المندرجة ضمن مجالات القضايا الحكومية، القضاء، الحرب، العلاقات الدولية، قضاء الشهادات، الحدود، الجهاد، وغيرها من الموضوعات التي تتعلق بالسياسة والحكم.^(١)

أهم ما يميز هذا التقسيم هو أنه جعل من القضايا السياسية جزءاً مستقلاً من الفقه، بحيث لم تعد تقتصر على موضوعات مثل «البيع» بل أصبحت قضية منفصلة في حد ذاتها. كما أن موضوعات مثل «الحدود» و«الجهاد» أصبحت جزءاً من هذا القسم الجديد. ومن المؤسف أن الشهيد الصدر لم يتوفر له الوقت الكافي لإنجاز الفقه السياسي بشكل كامل، خاصة القسم الرابع المتعلق بالفقه السياسي.

(١) أنظر: السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، صص ٩٩ و ١١٧ - ١١٤؛ السيد على طباطبائي، المصدر نفسه، صص ٤٣ - ٤٠.

الشعور بالمسؤولية السياسية والمعنوية تجاه الشعب

كانت هناك حركة واسعة وعظيمة أخرى قادها الشهيد الصدر في سبيل إحداث تحول في المراكز العلمية والدينية، وهي قائمة على الشعور بالمسؤولية تجاه الشعب والمجتمع والمصير المشترك للجماعة. فالمرجعية والحوزة، من وجهة نظر الشهيد الصدر، مسئولتان أمام الشعب ومصيره أكثر من أي مؤسسة أخرى، بالنظر لقدرتهما على التوعية وطبيعة النهج الذي تتبعانه، ولذلك فإنّ الشأن السياسي يعدّ من أهمّ شؤونهما. ووفقاً لرؤيته عليه السلام، تقع على عاتق العلماء والمفكرين الواعين وحمل الرسالة في المجتمع مسؤولية القيادة والسياسة لتحقيق العدالة والوصول إلى الحقوق المشروعة أكثر من أي فئة أخرى. كما أنهم يتحملون مسؤولية سدّ الفجوة الفكرية والسياسية في المجتمع. والأهم من ذلك أنّهم أول من يحمل راية الجهاد والمقاومة والثورة ضد الطغاة والمستبدين.

شؤون التصدي لريادة الأمة وقيادة المجتمع، وقضية الاستعداد لملء الفراغ الفكري والسياسي على هدى الاسلام، وحمل راية الجهاد على الطغاة والمستبدين...^(١)

مضمون هذا البيان هو أنّ الشؤون والوظائف الأساسية لهم عبارة عن:

١. قيادة الأمة وريادة المجتمع.

٢. الاستعداد لملء الفراغ الفكري والسياسي وتوجيه الإسلام توجيهًا إسلاميًا.

٣. حمل راية الجهاد في مواجهة الطغاة والمستبدين.

(١) السيد فاضل النوري، مصدر سابق، ١١٠.

من وجهة نظر الشهيد الصدر السياسية، فإن الحوزة والمرجعية تمثلان استمراراً وامتداداً لمدرسة النبوة والإمامة، اللتين كانتا «قادة البشرية وساسة الناس»^(١) بناءً على ذلك، سعى الشهيد الصدر إلى إدخال المرجعية والحوزة في مسار السياسة في المجتمع. وكما قال السيد محمد باقر الحكيم:

«كان يعتقد أنّ على الحوزة أن تبدأ نضالها السياسي، لأنّ هذا هو الخط الأصيل للإسلام وخط الأئمة، ويجب أن ننهض للدفاع عن الإسلام ووجوده....»^(٢).

كذلك يشير السيد محمد باقر الحكيم إلى موقف الشهيد الصدر الصريح من دعم حركة الإمام الخميني والشعب الإيراني في تصديهما لنظام الشاه، حيث كتب:

بعد وفاة المرحوم البروجردي، عندما بدأ الإمام الخميني (حركته) ضد نظام الشاه الظالم، كان آية الله الشهيد الصدر من بين قلة قليلة جداً دعمت هذه الحركة السياسية. ومن خلالي، كان يضغط على مرجعية المرحوم آية الله الحكيم ليسلك نفس النهج ويدعم هذه الحركة التي قادها الإمام^(٣).

خطوة أخرى اتخذها الشهيد الصدر في هذا السياق هي إحداث ثورة في طريقة تعامل الحوزات العلمية والعلماء الدينيين مع الشعب والأمة، فمن وجهة نظره، واحدة من أهم رسالات العلماء والمراجع هي التواصل مع الناس، «وإيلاؤوهم الأهمية» و«فهمهم» وتوظيف قدراتهم لتحقيق سائر أهدافهم. كان التفاعل بين المرجعية، الحوزة، والناس من الركائز الأساسية في

(١) المصدر نفسه.

(٢) إله كولائي وآخرون، مصدر سابق، ص ٤٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥.

فكره ومنهجه السياسي.

لم يكتفِ الشهيد الصدر بهذا نظرياً وعلمياً فقط؛ بل اتخذ خطوات عملية مهمة في هذا الاتجاه. فلم يقف عند توضيح أهمية دور الشعب بالنسبة للمرجعية العلمية والحوزات العلمية، بل منحهم مكانة استثنائية واهتماماً بارزاً. كان يؤكد دومًا على احترام الناس والاهتمام بشخصيات أفراد الشعب وأدوارهم في تقرير مصيرهم. بناءً على هذه القناعة، كان يرى نفسه بين الناس ومعهم، وكان يزيل أي حاجز بينه وبينهم بحزم. لهذا السبب، كان يولي اهتماماً خاصاً بجميع فئات المجتمع، واحتياجاتهم، وتطلعاتهم، وإمكاناتهم، ومواهبهم.

على سبيل المثال، عندما أراد تأليف رسالته العملية بعنوان الفتاوى الواضحة، وبسبب اهتمامه الكبير بالناس، خاصة الشباب والطلاب، أمر بإعداد الأسئلة التي كان يريد معالجتها في الرسالة على شكل استبيانات، وتوزيعها على فئات الشباب والناشئة. وبعد جمع آرائهم ومقترحاتهم وأسئلتهم، جعل ذلك أساساً في إعداد رسالته العملية الفتاوى الواضحة. عن كيفية تحقيق هذا الأمر المهم ذكر ما يلي:

في البداية، كان الشهيد الصدر يكتب فتاواه ثم يقوم بنسخها وتوزيعها بين الطلاب والدارسين لآرائهم. كان يطلب منهم أن يعطوا ملاحظاتهم عن الترتيب والتنظيم ومدى الوضوح أو التعقيد. وبعد جمع هذه الآراء ومراجعتها، نشر كتابه الفتاوى الواضحة، الذي يختلف بالكامل عن الرسائل العملية الأخرى للمراجع، ويعدّ كتاباً متوافقاً مع روح الجيل الجديد.^(١)

(١) محمد حسين جمشيدى، اندیشه سیاسی امام شهيد سيد محمد باقر الصدر، ص ١٨٣.

الوعي بالقضايا السياسية المعاصرة

إحدى أبرز السمات العقدية والسلوكية للشهيد الصدر شعوره بالوعي وبضرورة امتلاك هذا الشعور تجاه مقتضيات السياسة وقضايا العصر. كان الشهيد الصدر من خلال الدراسة، والاستفسار، والبحث والتحقيق، وكذلك تواصله مع الناس، وخاصة الأساتذة، العلماء، الطلاب والدارسين، وأهل العلم عمومًا، يسعى لإدراك كل ما يدور حوله. ولم يكتفِ بجعل هذا الوعي محور اهتمامه فقط، بل كان يسعى أكثر من ذلك لتحليل القضايا السياسية في عصره، وبناءً على هذا الأساس، كان يجعل حركاته السياسية، الاجتماعية، الثورية والعلمية مقرونة بهذا الوعي.

لذلك، لم يكن يكتب أو يتحرك في فراغ، ولم يكن على غرار بعض أهل العلم الذين يرصدون قضاياهم بعيدًا عن المجتمع والقضايا المعاصرة. كانت أبحاثه وإجراءاته كلها تأتي كإجابة على قضايا العصر في جميع الأبعاد المرتبطة بحياة الإنسان. على سبيل المثال، قال عند تناوله لموضوع الاجتهاد وضرورة ربط الفقه بقضايا العصر واحتياجاته:

«الأحداث المتطورة والمستجدة تتطلب دائمًا الإجابة الشرعية. الأحكام الشرعية ثابتة، إلا أنَّ الظروف المختلفة تضيف تغيرات في كيفية تطبيقها. لذلك، فإن الرسالة العملية التي تواجه هذه التحولات ينبغي أن تنظر بعين البصيرة إلى التغيرات لتحديد الحكم الشرعي»^(١).

كان اهتمام الشهيد الصدر بالقضايا السياسية في زمانه لافتًا لدرجة أنَّ غالبية الذين عرفوه أو تعاملوا معه أو كانت لهم صلة به، أشاروا إلى هذه المسألة

(١) السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، صص ٧٨ - ٧٧.

وأكدوا عليها بنحوٍ ما. على سبيل المثال، يكتب علي حجتى كرماني عنه:
 «الشهيد المعاصر السيد محمد باقر الصدر كان من أبرز وألمع العلماء
 والمراجع المفكرين في الإمامية... من حيث تخصصه في العديد من العلوم
 الإسلامية، وشموليته في فهم روح العصر والقضايا المعاصرة، ومعرفته
 بالمذاهب والمدارس الفكرية والعقائدية، وإلمامه بلغة ومصطلحات ومبادئ
 وأسس المدارس المختلفة، وأخيرًا وعيه ودرايته الكبيرة والنادرة بالمنهجية
 وأسلوب العمل العلمي والبحثي في هذا العصر... مع رؤية شيعية دقيقة
 وعُلوية... ومن هذه الجوانب، ومن حيث جهاده المتواصل، ورؤيته العلمية،
 وروحه الإنسانية، وتوجهه التقدمي، ورسالة ثورية... كان من أكثر المفكرين
 والمجاهدين ريادة وتقدمًا في عصره. وبحق، دون أي مبالغة، كان واحدًا من
 الأقطاب الفريدة في تاريخ مرجعية الشيعة»^(١).

وقبل ذلك كتب الدكتور علي شريعتي عنه قائلاً:

«لقد أظهر أن لديه فهمًا لعصرنا هذا وأنه يشعر بالآلام زماننا، ويتحدث
 «بلغة الناس في هذا الزمان» وهو أيضًا ملم بمناهج البحث العلمي في هذا
 العصر...»^(٢).

أحد الأبعاد المهمة في الشخصية السياسية للشهيد الصدر شعوره
 بالمسؤولية تجاه الناس والمجتمع، حيث امتاز بحب الحق والسعي للحقيقة. لقد
 أولى اهتمامًا خاصًا بالله والحق والعدالة والناس، وعلى هذا الأساس جعل من
 حب الحق والسعي للحقيقة معيارًا لأعماله وبحوثه. كان يرى أن الدين لا

(١) السيد محمد باقر الصدر، بانك اسلامي، ترجمة: حبيب الله خنجي، مقدمة: على حجتى كرماني،
 صص ٣-٢.

(٢) المصدر نفسه، صص ٤-٣؛ تشيع مولود طبيعي اسلام، صص ١٣-٧.

يسعى سوى إلى تحقيق الحق والعدالة، وليس له رسالة إلا هذه. فعلى سبيل المثال، يقول في نقاشه حول رسالة الدين:

«إنّ الدين يوحد بين المقياس الفطري للعمل والحياة، وهو حبه للذات، والمقياس الذي ينبغي أن يقام للعمل والحياة ليضمن السعادة والرفاه والعدالة...»^(١).

كان دومًا محبًا للحق والحقيقة، ومبغضًا للظلم والجور والعدالة المزيفة. نعم، من كانت فطرته محمية من كل آفة لا يفكر سوى في الحق والحقيقة. وكان حبه للحق والسعي إليه هو الذي دفعه إلى الوقوف والمقاومة في وجه الباطل، واستمر حتى نهاية حياته من أجل إحقاق حقوق الناس ومقاومة الباطل والفساد.

وإذ طلب منه تلميذه الشيخ محمد رضا نعماني أن يكتب سيرته الذاتية، أجاب قائلاً:

«إنّ دمي هو الذي سترجمني، فأنا لا أريد إلا خدمة الإسلام، وهو اليوم بحاجة إلى دمي أكثر من حاجته إلى ترجمتي، أما أنت فقد عشت معي طويلاً، وشاركتني محنتي، وعشت مراحل صراعي مع الظالمين، فعرفت الكثير من تلك الجوانب، فإن كتب الله - تعالى - لك السلامة فاكتب ما قد رأيته أو سمعته...»^(٢).

إحدى أعظم الحقائق التي يمكن القول بأنها كانت محط اهتمامه وتركيزه هي الاهتمام بالإنسان وحقوقه. على سبيل المثال، عندما كان يتحدث عن سياسة الإمام علي عليه السلام في قضية شورى الخلافة، كتب:

(١) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ٤٠.

(٢) النعماني، سنوات المحنة، ص ١٦.

«... هذه أفضل وسيلة لإثبات حقيقة النهج الذي اقترحه، ألم يكن الإمام علي عليه السلام يريد أن يفهم الجمهور أن رؤية الإسلام بشأن القضايا الاجتماعية هي شيء مختلف؟...»^(١)

بهذا المعنى، يعتبر أن حركة الإمام علي عليه السلام في قضية فدك كانت تهدف إلى إثبات حقيقة ما هو حق، وبالتالي لا يرى فيها أي مصلحة شخصية أو سياسية. كان موقفه هنا يتجاوز المصالح الذاتية أو الأهداف الظاهرة، بل كان يسعى لإظهار الحق كما هو دون التأثير بالظروف أو بالاعتبارات المؤقتة.

علاوة على ذلك، كان يرى أن الحق لا يكون حقاً إلا إذا كان مطابقاً للواقع ولا يتبع الموازين الاعتبارية أو التقديرات الظرفية. الحق في مفهومه يجب أن يتفق مع الواقع الفعلي وأن يكون مستنداً إلى استحقاق طبيعي، لا أن يعتمد على معايير أو مواقف اعتباطية. كما ذكر في كتابه «فدك في التاريخ»، حيث يناقش مفهوم الحق والعدل في سياق الكلام عن الحق:

«... كلما تم وصف أمر ما بأنه (حق)، فإن المقصود هو الحديث عن شيء مسلم وثابت. ولذلك، عندما نصف حكماً ما بالحق، فإننا نعني أنه يتوافق مع الحقيقة الثابتة والموثوقة...»^(٢)

وكانت فكرة حب الحق والسعي وراء الحقيقة مبدءاً أساسياً في حياته وفي تعاملاته مع الآخرين، وقد تم التأكيد على ذلك من قبل الكثير ممن عرفوه عن قرب. على سبيل المثال، يقول السيد محمد حسن الأمين:

«لا يستطيع المرء أن يقدم صورة وافية عن هذه الشخصية المتميزة ولكن... بدءاً من المميزات الخاصة بهذه الشخصية وهي مميزات الخلق النبيل،

(١) السيد محمد باقر الصدر، از سقيفه تا كوفه، ص ١٠٧.

(٢) المؤلف نفسه، فدك در تاريخ، ترجمة: محمود عابدي، ص ١٨٧.

والعلم الوفير، والورع، والحب وأركز على كلمة «الحُب»... على الرغم من توفر عناصر النبوغ الفكري والعلمى فى شخصيته، فإن العنصر الجاذب فى شخصيته هو هذا المقدار من الحُب، حُب الآخر، حُب الحقيقة...»^(١).

«على الرغم من عبقرية الفكرية والعلمية وغيرها من خصائصه، إلا أن العنصر الجاذب فى شخصيته كان صداقته مع الآخرين وصداقته للحق. فى نهاية هذا الفصل، سوف نعرض لأبرز السمات الشخصية للشهيد الصدر من وجهة نظر الدكتور حسين حنفي الذي يعتبره من أبرز مجددي الفكر الإسلامي فى العصر الحديث. ويقول هذا الباحث: «إن نظير الإمام صدر فى تحقيق النموذج المثالي لهذا الحديث الشريف الذي يهتم برسالة العصر نادر الوجود».

«يحمل هذا الدين، فى كل قرن، عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين، وانتحال الجاهلين كما ينفى الكير خبث الحديد»^(٢).

وتابع حديثه قائلاً:

«وهو فى العمل والسعي، مع القوة واللا تعب، لا مثيل له. كما قال الإمام علي عليه السلام: «أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة الظالم ولا على سغب المظلوم»^(٣). وكذلك هو فى متابعة رسل الله فى الدعوة الحقيقية والصادقة نحو الله تعالى».

إن الله جعل فى كلّ من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلّ إلى

(١) السيد محمد حسن الامين، و... «الصدر فى روى العلماء و المفكرين»، الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء، ص ٤٣٢.

(٢) عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، أنظر: الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء، ص ٤٥٩.

(٣) الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، جمع وإعداد: الشريف الرضي، تحقيق: السيد جعفر حسيني، ص ٢٧.

الهدى ويدعون إلى الله، فأبصرهم. فإنهم في منزله رفيعة وإن أصابتهم من الدنيا وضيعته. إنهم يحيون - بكتاب الله - الموتى، ويُبصرون بنور الله من العمى.^(١)

ثم يشير الكاتب إلى الآية التالية، موضحاً بأنه من الأمثلة الواضحة لأولئك الذين يبلغون رسالات الله، ولا يخشون إلا الله، ولا يخشون أحد سواه.^(٢) ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.^(٣)

(١) السيد محمد حسن الامين، ... المصدر نفسه، ص ٤٥٩، نقلاً عن الإمام الجواد عليه السلام.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦٠.

(٣) الأحزاب: ٣٩.

الفصل الثالث :
الإبداعات العلمية والأعمال السياسية
لشَهِيد الصدر عليه السلام

المقدمة

كما ذكرنا سابقاً، لقد أظهر الشهيد الصدر منذ طفولته المبكرة عبقرية وإبداعاً عجيّباً في البحث، والتوضيح، والتحليل، وعرض القضايا العلمية. في مرحلة المراهقة، كتب أول كتاب له في نقد ومراجعة بعض الكتب المنطقية. وفي سنّ الثالثة عشر، ألّف كتابه «غاية الفكر في علم الأصول»، الذي تضمّن بعض آرائه ونظرياته في علم الأصول.^(١)

يُقال إنه كان يقضي ١٦ ساعة من وقته بشكل مستمر ومركّز في طلب العلم والمعرفة.^(٢) لقد وقف حياته لخدمة العلم ونشر الحكمة، وفي التعليم والتحصيل، والدراسة والبحث، ولم يغفل لحظة عن هذا الأمر المهم. لقد ارتقى العلامة الشهيد سلّم العلم والبصيرة حتى صار يُلقب بـ «عبقري النجف».^(٣) وقد قيل في هذا الصدد:

لقد استطاع السيد الشهيد، وبشهادة جميع من أرّخوا له وكتبوا عن سيرته وفكره، أن يجمع بين الكم والكيف في كتاباته وابداعاته الفكرية، فاستحق بذلك لقب «عبقري النجف».^(٤)

كما كان الشهيد الصدر من العلماء الذين قرّنوا العلم والمعرفة بالالتزام

(١) ع. نجف، الشاهد الشهيد، (من مجموعة أضواء على حياة الامام الشهيد)، ص ٨.

(٢) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٤٤.

(٣) حمد كير «الابداع الفكري والعطاء العلمي للشهيد محمد باقر الصدر»، الامام الشهيد محمد

باقر الصدر سمو الذات وخلود العطاء، ص ٨١.

(٤) المصدر نفسه.

العملي والواقعي، حيث كان يطبق ما يعلم قبل أن يوجه النصيحة للآخرين، فكان يهذب نفسه أولاً ثم يربي الآخرين.

لم يكن العلم حاجزاً يعيقه عن الوصول إلى الحق أو المسؤولية، بل سلماً يعرج من خلاله للبحث عن الحق، وطلب الحقيقة، وأداء المسؤولية تجاه عباد الله سبحانه وتعالى، وعبودية الحق. لذا، أصبح علمه مرشده في مسيرته نحو الحقيقة والحق، وكانت مدرسته مدرسة تهذيب والتزام، قبل أن تكون مدرسة تعليم. لهذا السبب عُدَّ مشعل هداية الصالحين ومرشد الجديرين.

وقد قيل في وصفه:

«وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم».^(١)

وفي ميدان العلم والمعرفة، والبحث والتحقيق، كان الشهيد الصدر يذكر أساتذته الكرام بكل احترام وتبجيل، مثل السيد إسماعيل الصدر، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والشيخ مرتضى آل ياسين، وآية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ صدر بادكوبه،^(٢) وغيرهم. كما أنّ هؤلاء الأساتذة كانوا يذكرونه بكل احترام واعتزاز ويشيدون بعبقريته.

وخلال حياته القصيرة الزاخرة بالبركات، استطاع الشهيد الصدر أن يُربي جيلاً من الطلاب المبرزين. من بينهم:

١. العلامة السيد محمد حسين فضل الله

٢. السيد محمود الهاشمي

(١) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ١٤١. كلام الإمام على عليه السلام حول قادة البشرية الحقيقيين.

(٢) أنظر: السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الاصول، الحلقة الاولى، صص ٥٠ - ٤٦ و....

٣. الشهيد السيد محمد مهدي الحكيم

٤. الشهيد السيد محمد باقر الحكيم

٥. السيد كاظم الحائري

٦. الإمام موسى الصدر

٧. السيد صدر الدين القبانجي

٨. الشيخ محمد رضا النعماني

٩. السيد علي الحائري

١٠. السيد علي أكبر الحائري

١١. السيد عبد العزيز الحكيم

١٢. السيد عبد الغني الأردبيلي

١٣. السيد محمد باقر مهري

١٤. السيد نور الدين أشكوري

١٥. السيد حسين الصدر

١٦. السيد محمد الصدر

١٧. السيد عز الدين القبانجي

١٨. الشيخ محمد جعفر شمس الدين

١٩. الشيخ صبحي الطفيلي

٢٠. السيد عباس الموسوي

٢١. الشيخ علي الكوراني

٢٢. الشيخ محمد علي التسخيري

٢٣. السيد محمد الغروي

وغيرهم.^(١)

لم يكن الشهيد الصدر في تربيتهم مجرد أستاذ ومعلم، بل أهم من ذلك، كان مرشداً ودليلاً في الحياة، وصديقاً ومساعداً لهم. لذا كانت جاذبيته القلبية وحنانه الأبوي هما الأساس في علاقته مع طلابه. كانت شخصيته العاطفية، المبنية على الرحمة والصدق الأبوي، تجسد تماماً مفهوم «الأب الرحيم» في تعاملاته مع الأساتذة والطلاب وكل من يتعلمون منه.

لقد بلغ الشهيد الصدر درجة الاجتهاد ولما ينهي العقد الثاني من عمره، وهو ما اعترف به أساتذته بوضوح. وقالوا في هذا الصدد:

«... حتى أنه في حوالي عام ١٣٧٨ هـ، منع آية الله الخوئي الشهيد الصدر من حضور دروسه، معلناً صراحة أنه مجتهد مسلم وأنه تقريباً لا يحتاج إلى أستاذ. ومنذ ذلك الحين، بدأ الشهيد الصدر في تنظيم دروسه المستقلة...»^(٢)

وقد كتب السيد كاظم الحائري:

«ذات يوم، سألت الأستاذ رحمه الله إذا كان قد قلّد أحداً من العلماء طوال حياته؟ فأجاب الشهيد الصدر قائلاً: قبل أن أبلغ سن التكليف، كنت أقلّد المرحوم الشيخ محمد رضا آل ياسين، لكن بعد بلوغي سن التكليف ودخولي في

(١) أنظر: السيد محمد الغروي، تلامذه الامام الشهيد الصدر. يتناول هذا الكتاب المؤلف من ٣٧٦ صفحة تراجم ١٤٦ شخصاً من تلامذة الشهيد الصدر. أنظر: حائري، مباحث الاصول، ج ١، صص ٨٣-٧٩؛ مصطفى قلى زاده، شهيد صدر بر بلندای اندیشه و جهاد، صص ٣٤-٣٣؛ حوار مع حجة الاسلام السيد محمد باقر مهري، ١٣٦١، ص ٢٠؛ أنظر: ملاحق الكتابيوستهای كتاب، پيوست العدد ٧ شاگردان شهيد صدر.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، مقدمه ای بر اقتصاد اسلامي، ترجمة وتقديم: على علمي اردبيلي، ص ٣.

مرحلة المسؤولية، لم أعد أقلد أحداً...»^(١).

في عام ١٣٧٠ هـ، دعاه آية الله الشيخ عباس الرميثي - أحد أساتذته - للمشاركة في كتابة الحواشي العلمية والفقهية على رسالة الشيخ آل ياسين العلمية المسماة «بلغة الراغبين». وكانت الفتاوى التي أصدرها في تلك الفترة دليلاً على قوة تفكيره واستدلاله في سن مبكرة.

ومنذ ذلك الحين، وبسبب إيمانه بذكاء وشدة فطنة الشهيد الصدر، طلب منه السيد كاظم أن يشارك في الجلسات الخاصة بكتابة هذه الحواشي لتقديم مساعدته في استنباط الآراء.^(٢)

منذ بلوغه الثلاثين من عمره، أصبح شهيدنا مرجعاً للمسائل العلمية والدينية والسياسية. كما بدأ أول دورة لتدريس مرحلة «الخارج الأصول» في عام ١٣٧٨ هـ (عندما كان في الخامسة والعشرين من عمره) وأنهاها في عام ١٣٩١ هـ. وبدأت الدورة الثانية لهذا الدرس في عام ١٣٩١ هـ، وانتهت في عام ١٣٩٩ هـ. كما بدأ تدريس «خارج الفقه» في سن الثامنة والعشرين (عام ١٣٨١ هـ).^(٣)

تظهر مكانة الشهيد الصدر العلمية والفكرية بوضوح من خلال أعماله مثل «فلسفتنا»، «اقتصادنا»، «الإسلام يقود الحياة»، «الفتاوى الواضحة»، «البنك اللاربوي في الإسلام»، و«الأسس المنطقية للاستقراء»، وغيرها. كان الشهيد الصدر رائداً في جميع المجالات العلمية التي عمل بها، حيث كان صاحب ابتكار وتجديد في كل من هذه المجالات.

(١) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٥٢؛ زندگانی و افکار شهید صدر، صص ٦٠ - ٥٩.

(٢) النعماني، سنوات المحنة، ص ٢٥.

(٣) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٤٤.

إبداعاته وابتكاراته

من الخصائص المهمة التي ميّزت الشهيد الصدر في مجال العلم والبحث والمعرفة، هي إبداعاته الكثيرة. فقد حقق في العديد من الأعمال العديد من الابتكارات والإبداعات وأعلن عنها. ويمكن تلخيص أهم جوانب هذه الإبداعات في النقاط التالية:

١. تقديم وشرح مسائل علمية ومعرفية جديدة ؛
 ٢. تقديم حلول جديدة لمسائل كانت موضع خلاف ؛
 ٣. تقديم تقسيمات وتصنيفات علمية جديدة ؛
 ٤. البرهنة على بعض المسائل العلمية والمعرفية والاقتصادية التي لم تكن قد تم إثباتها من قبل ؛
 ٥. طرح تفسير جديد لبعض المسائل العلمية والفلسفية ؛
 ٦. نقد بعض النظريات والآراء والمواقف ؛
 ٧. تقديم بعض النظريات والآراء الجديدة خاصة في المجالات الفلسفية، والعلوم السياسية والاجتماعية، والفقه والأصول.
- يمكن مناقشة هذه الإبداعات في مجالين أساسيين:

(أ) مجال الرؤية والمنهج والنظرة

كان للشهيد الصدر منهجاً ورؤية خاصة به في مجال المعارف والعلوم، خاصة العلوم الإنسانية وكذلك المعارف والعلوم الدينية. كما بذل جهوداً لتطبيق رؤيته الإبداعية في بعض أعماله. على سبيل المثال، يمكن ملاحظة هذه الرؤية الإبداعية في كتابه المحنة، حيث يلفت الانتباه إلى ضرورة استخدام

«الفكر الاجتماعي» جنباً إلى جنب مع «المنهج والفكر الرياضي» لتوضيح الفعل الاجتماعي:

«الفعل الاجتماعي مبني على بيان الاحتمالات والفرضيات الاجتماعية، وتستمد هذه الفرضيات والاحتمالات من التجربة والاختبار، وتشكّل وفقاً للظروف والمتطلبات الحالية .. تتبلور هذه الفرضيات من خلال التفاعل المتبادل مع الناس ... لذا يجب أن نثق في الاحتمالات والفرضيات الاجتماعية وأن نتفكر ونبحث في كيفية تكونها في أذهاننا عبر التدبر في تجاربنا واختباراتها»^(١).

كما أبدع الشهيد الصدر في تعليم العلوم وطرق تدريسها. على سبيل المثال، كان يُعلّم علم الأصول لطلابه بطريقة جديدة، تقسم إلى ثلاثة مراحل (مبدئية، متوسطة، وعالية). وفي مقدمة كتابه القيم «دروس في علم الأصول»، بعد أن قام بمراجعة ونقد طريقة التدريس المتبعة لهذا العلم في الحوزات العلمية، ذكر دوافعه الأساسية لتغييرها، وكتب ما يلي:

«في رأينا يجب أن يتم هذا الاستبدال بشكل كامل، ويجب أن تُستبدل مجموعة المناهج الدراسية الحالية في الأصول، بمجموعة أخرى تملك روحاً واحدة وتستند إلى أسس مشتركة، وتتكون من ثلاث مراحل»^(٢).

في مجال الفقه، سعى الشهيد الصدر إلى إبداع أسلوب تدريسي جديد، وكان يهدف إلى تطبيق هذه الأساليب الجديدة في مستويين مختلفين - في الحوزة العلمية وفي المجتمع. على سبيل المثال، شرح عروة الوثقى والفتاوى الواضحة كان نتاج هذه الفكرة. في هذا المجال، قام لأول مرة بدراسة وتصنيف

(١) السيد محمد باقر الصدر، المحنة، صص ٨٩ - ٨٧.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، دروس في علم الأصول، ج ١، ص ١٩.

الموضوعات الفقهية وابتكر طريقة جديدة لعرضها وتعليمها.^(١)

في مجال الفلسفة، وفي كتابه فلسفتنا، تناول الفلسفة الإسلامية بطريقة جديدة تتناسب مع متطلبات هذا العصر - القرن العشرين الميلادي - وتتيح مواجهة الفلسفات الغربية الحديثة. كما أنه في كتابه المباني المنطقية للاستقراء وضع طريقة جديدة في الفلسفة واللاهوت تقوم على نظرية الاحتمالات، مما يعكس رؤيته الفكرية الخلاقة وإبداعه في أساليب البحث العلمي.

كما كان لديه في مجالات أخرى مثل السياسة والاقتصاد والتاريخ وبعض العلوم الأخرى أيضًا منهج ورؤية جديدة. بشكل عام، يمكن اعتباره صاحب مدرسة خاصة في الرؤى والأساليب البحثية والعلمية والفلسفية. وقد أطلق العديد من الناس على هذا المذهب «المدرسة الصدرية».

يستعرض السيد محمود الهاشمي خصائص هذه المدرسة كما يلي:

١. الاستيعاب والشمول: «فاشتملت مدرسته على دراسات في الفقه، وأصول الفقه، والمنطق، والفلسفة، والعقائد، وعلوم القرآن، والاقتصاد، والتاريخ، والقانون... وغير ذلك من الحقوق المعروفة الإنسانية».^(٢)

مدرسة الشهيد الصدر تغطي أبحاثًا في الفقه وأصول الفقه والمنطق والفلسفة والعقائد (العالمية ووجودية)، وعلوم القرآن، والاقتصاد، والتاريخ، والقانون، وغير ذلك من حقوق الإنسان المعروفة.

٢ - الدقة في البحث والتحليل والتوسّع في الحلول الجديدة والمبتكرة؛

٣ - الإبداع والتجديد (في المنهج والنظرة)؛

(١) أنظر: السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، صص ٩٩ - ٨٧.

(٢) السيد محمود الهاشمي، «المعالم الفكرية والعلمية لمدرسة السيد الشهيد محمد باقر الصدر» الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، سمو الذات وخلود العطاء، صص ١٤ - ١٣.

- ٤ - المنهج الموضوعي والشمولية في الرؤية؛
- ٥ - اختيار المنهج المناسب للاستدلال في كل موضوع؛
- ٦ - الجمع بين المنهج المنطقي ومراعاة الضمير الإنساني؛
- ٧ - الجمع بين الذوق الفني والإحياء العقلائي؛
- ٨ - المنهج النقدي في التعامل مع إنجازات العلم والحضارة البشرية في العصر الحديث.^(١)

ب) مجال مسائل المعارف والعلوم والنظريات والرؤى

في مجال مسائل المعارف، والعلوم، والنظريات، والعلوم المختلفة التي تناولها بالبحث والتحقيق، كانت للشهيد الصدر ابتكارات وإبداعات متنوعة. فقد حقق في العديد من العلوم مثل الفقه، وأصول الفقه، واللاهوت، والفلسفة، والتاريخ، والسياسة، وتفسير القرآن، وغيرها من المجالات ابتكارات متعددة كان من بينها العديد من الأعمال المبدعة. وفيما يلي بعض الأمثلة على أبرز إبداعاته:

الفلسفة واللاهوت

كانت أهم الإنجازات الإبداعية للشهيد الصدر في مجال العلوم الفلسفية واللاهوتية. على سبيل المثال، كتابه فلسفتنا هو عمل يتناسب مع ظروف المجتمع المعاصر، يتسم بالإبداع والجدّة في قضايا المعرفة، ومقارنة المدارس الفلسفية وغير ذلك، حيث يعرض الشهيد الصدر فيه الفلسفة الإسلامية ويوجّه نقدًا للفلسفتين الماركسية والليبرالية. فقد كتب في مقدمة هذا الكتاب:

(١) المصدر نفسه، صص ١٣ - ٢٢.

«غزا العالم الإسلامي، منذ سقطت الدولة الإسلامية صريعة بأيدي المستعمرين، سيل جارف من الثقافات الغربية... وقام الصراع بين تلك المفاهيم الواردة، على حساب الأمة، وكيانها الفكري والسياسي الخاص. وكان لا بد للإسلام أن يقول كلمته، في معترك هذا الصراع المرير، وكان لا بد أن تكون الكلمة قوية عميقة، صريحة واضحة، كاملة شاملة، للكون، والحياة، والإنسان، والمجتمع، والدولة والنظام، ليتاح للأمة أن تعلن كلمة (الله) في المعترك...»^(١).

كان الإبداع والابتكار في هذا الكتاب وبعض القضايا المطروحة فيه، مع الحسم والوضوح في التعبير وقوة البراهين، على درجة كبيرة اعترف معها العديد من المفكرين بأن «هذه الفكرة خلقت موجة عاصفة في العالم الإسلامي، وعرضت قوة الدين بطريقة واضحة ولكن ثابتة»^(٢).

أهم جانب إبداعي في هذا العمل هو الرؤية المقارنة التي اعتمدت على المذهب الفلسفي الإسلامي، مع نقد وتحليل المدارس الفلسفية الأخرى. كما يمكن الإشارة إلى استخدام منهج الاستقراء في أعمال أخرى مثل الأسس المنطقية للاستقراء وغيرها.

المنطق والاحتمالات

في مجال المنطق والاحتمالات والفلسفة الحديثة، يُعد تأليف الأسس المنطقية للاستقراء من الأعمال المبدعة التي تُقدم رؤية جديدة للمسائل المنطقية والفلسفية والرياضية، والتي لم تكن مسبوقة من قبل. بالإضافة إلى ذلك،

(١) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ٦.

(٢) «شهاد رابع اسوه جهاد، شهادت...»، حوزة، ص ٨.

حاول المؤلف في هذا العمل أن دراسة الاستقراء وحل مشاكله من خلال نظرية الاحتمالات، واستخدمها أيضًا في إثبات وجود الله وتديره الحكيم لعالم الوجود. ولذلك، قدم الشهيد الصدر أسلوبًا جديدًا في معالجة قضية الله وعلوم الإلهيات، حيث يظهر مثال ذلك في مقدمة كتاب الفتاوى الواضحة تحت عنوان «المرسل، الرسول، الرسالة». في كتاب الأسس المنطقية للاستقراء، قدم الشهيد الصدر الأساس النظري والمنطقي لشرح «الدليل التجريبي على وجود الله تعالى».^(١)

الفقه وأصول الفقه

في مجال الفقه وأصول الفقه أيضًا كانت للشهيد الصدر العديد من الإبداعات، من أبرزها منهجه الخاص في تصنيف أبواب الفقه، وهو المنهج الذي تم تناوله في الفصل الثالث من هذا الكتاب. وقد استخدم هذا المنهج في كتابه القيم الفتاوى الواضحة، حيث قسم الفقه وأحكام الدين إلى أربعة أقسام رئيسية. وفي هذه الأقسام الأربعة، أفرد جزءًا خاصًا لـ «السياسة والأحكام المرتبطة بها».

كما ذكرنا، قسم الشهيد الصدر الموضوعات الفقهية بطريقة مبتكرة وجديدة، متوافقة مع العلوم والمعارف، إلى أربعة أقسام:

١. العبادات أو الأعمال العبادية: هي الأعمال التي تتطلب النية وقصد القربة، أي التي تؤدي بقصد تنفيذ أمر الله، والتقرب إليه. وتتركز هذه الأعمال في الغالب على العلاقة الفردية بين الإنسان وربه (الله) في إطار الإيمان المثالي والوجود المطلق. وبالتالي، فإن هذا القسم يتناول العلاقة بين الإنسان وخالقه.

(١) أنظر: السيد محمد باقر الصدر، الأسس المنطقية للاستقراء، ص ٤٨٠.

٢. الأموال (الثروات والممتلكات):

(أ) الأموال العامة: وهي كل مال يتم تخصيصه لأغراض المصلحة العامة.
(ب) الأموال الخاصة (الثروات الخاصة): وهي الثروات المملوكة للأفراد.

في هذا القسم، تُدرس العلاقة بين الإنسان والممتلكات، وكيفية إنتاجها وتوزيعها واستخدامها.

٣. السلوك الخاص (الأمر غير العامة):

(أ) الأمور الأسرية مثل الزواج والطلاق.
(ب) الموضوعات الشخصية غير المرتبطة بالأمور الأسرية.
هذا القسم يتناول العلاقات الشخصية بين الأفراد في سياق أوسع من الأمور العائلية.

٤. السلوك العام: (الأمور العامة والسياسية)، والتي تشمل السلوك في المجالات الحكومية، والقضاء، والحروب والجهاد، والسلام، والعلاقات الدولية، والولاية العامة (السلطة العامة)، والشهادات، والحدود، وما إلى ذلك.^(١)

مفهوم السلوك الخاص هنا يتعلق «بالعلاقة بين الفرد وذاته أو مع الأسرة أو مع الأفراد الآخرين كأشخاص، مثل البيع والشراء وهو عبارة عن علاقة بين شخص وآخر». أو الزواج، وهو علاقة أسرية بين شخصين. إذاً، فالسلوك الخاص هو علاقة شخص بشخص آخر.^(٢) أما السلوك العام فيتناول

(١) الفتاوى الواضحة، صص ٩٩ و ١١٧ - ١١٤؛ السيد على طباطبائي، مصدر سابق، صص ٤٢ - ٤٠.

(٢) علاقة شخص مع شخصين أو ثلاثة في إطار البيع أو المزاولة أو المساقاة وما شابه هي من نمط

الأحكام التي تبين العلاقة بين الفرد والمجتمع أو الجماعة أو غيرها من المجتمعات، وبالتالي يعدّ نوعاً من العلاقة السياسية والاجتماعية أو العامة. أهم مميزات هذا التصنيف أنّه يأخذ القضايا السياسية أو الفقه السياسي على نحو مستقل، أي ما يتعلق بإدارة الشؤون العامة ومصير الجماعة البشرية، وهي مسألة لم تُعطَ هذا القدر من الدقة والاهتمام من قبل في التصنيفات الفقهية التقليدية.

تفسير القرآن

إبداع آخر من إبداعات الشهيد الصدر يقع هذه المرة في مجال «تفسير القرآن»، وهو تطويره لطريقة تفسيرية جديدة تحت عنوان «التفسير الموضوعي» أو «التفسير التوحيدي». فقد نقد الشهيد الصدر الأساليب التفسيرية السائدة آنذاك، وأوضح ضرورة فتح آفاق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. وأكد أن التفاسير التقليدية كانت تكتب على أساس «التفسير التجزيئي»، الذي لا يعالج قضايا الإنسان المعاصرة ولا يساهم في حل مشاكله. في هذا النوع من التفسير، يتم تناول الآيات بشكل منفصل، دون النظر إلى الترابط بينها أو التفاعل مع الواقع المعاصر. وعادة ما تركز هذه التفاسير على شرح المسائل اللغوية والنحوية والتاريخية، دون أن تقدم إجابات عملية أو تطبيقية للأزمات الحقيقية التي يواجهها البشر اليوم. فلا يوجد هدف رئيسي في هذا النوع من التفاسير، فالمفسّر لا يسعى إلى تقديم نتيجة عملية ملموسة أو رأي محدّد وواضح. باعتقاد الشهيد الصدر أنّ هذه التفاسير لا

العلاقة الشخصية والفردية أي تندرج ضمن السلوك الخاص لأنّ أصل الفعل يعود إلى الفرد (مثلاً في البيع) أو إلى الوضع الطبيعي (مثلاً القيمومة على الابن) وغير ذلك.

تتعامل مع الوقائع السياسية والاجتماعية الجارية، ولا تتوافق مع الأهداف السامية للقرآن الكريم.

في المقابل، يعتبر الشهيد الصدر أنّ «التفسير الموضوعي» شيء مختلف تمامًا، فهو يمتاز بعدة خصائص، أهمها:

أولاً، الهدف والاتجاه الواضح للبحث: في التفسير الموضوعي، يكون الهدف من البحث والتفسير محددًا مسبقًا.

ثانيًا، البحث عن نتائج عملية: يسعى التفسير الموضوعي إلى إيجاد نتائج عملية وواقعية يمكن تطبيقها على القضايا الأساسية التي يواجهها المجتمع في وقتنا الحالي.

ثالثًا، التفاعل مع الواقع الاجتماعي والسياسي: يرتبط هذا النوع من التفسير ارتباطًا وثيقًا بالواقع الاجتماعي والسياسي، حيث يُنظر إلى القرآن على أنه مصدر إلهام، وقيم يمكن أن تُطبق في المجتمع المعاصر.

رابعًا، يمتلك هذا المنهج التفسيري مسارًا تكامليًا: إن الموضوعات البشرية والعلمية تتطور وتتقدم، وبالتالي فإن التفسير الموضوعي يتسم بالمرونة ويأخذ في اعتباره هذه التغيرات لضمان استمرار فعاليته وملاءمته.

خامسًا، استخراج الرؤية القرآنية: في هذا النوع من التفسير، يتم «استنطاق» القرآن، أي استخراج الرؤية القرآنية حول موضوعات متنوعة بناءً على نصوص القرآن نفسها. وبالتالي، فإن المفسر يتفاعل مع القرآن بطريقة إيجابية، ويستنبط منه المبادئ والأحكام المتعلقة بكل موضوع. لذا يكون دور المفسر والقرآن دورًا إيجابيًا وليس منفيًا.

سادسًا، استخراج القوانين الاجتماعية والسياسية: يتم من خلال التفسير

الموضوعي استخراج القواعد والنظريات التي تحكم الظواهر الاجتماعية والسياسية من آيات القرآن، وتُستخدم هذه القواعد كأساس لإعداد العلوم الاجتماعية الإسلامية التي تعتمد على القرآن والسنة، وتحرير العلوم الإنسانية والاجتماعية من ربة الهيمنة الغربية والحديثة، وبهذه الطريقة تتم أنسنة وعولمة العلوم الاجتماعية والإنسانية، والأهم من ذلك، أنسنة وعولمة السياسة والعلوم السياسية. وفقًا لهذا المنهج، القرآن ليس كتابًا علميًا، وإنما مصدر لاستنباط العلوم الإنسانية.

قدّم الإمام الصدر نموذجًا لهذا العمل في كتابه «المدرسة القرآنية» وكيف يمكن استخدام هذه الطريقة في تفسير القرآن. ففي الأجزاء من الأول إلى الثالث من الكتاب، أوضح الشهيد الصدر أهمية التفسير الموضوعي (التوحيدي) ومزاياه، وشدد على ضرورة توسيع نطاق هذا المنهج. وأكد على أنّ القرآن، رغم أنه ليس كتابًا علميًا بالمعنى الحديث، لكنّه يمكن أن يكون مصدرًا غنيًا لاستخراج القوانين والعلوم الإنسانية. وقال:

«إذا كان الهدف أن يصبح القرآن مرشدًا للحياة، فيجب على المفسرين أن يفهموا ما يقوله القرآن بشأن مختلف جوانب الحياة البشرية ويعرضوه للناس... وعندما تتم دراسة القرآن مع الأخذ في الاعتبار التجارب البشرية، يظهر اكتشاف جديد وهو الفهم الصحيح والرؤية الأصيلة الإسلامية»^(١).

واستمر الشهيد الصدر في الكتاب بتحليل «السُنن والقوانين الاجتماعية والسياسية أو التاريخية» التي تحكم الظواهر الاجتماعية والسياسية المختلفة في

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، صص ٤٢ - ٧؛ تفسير موضوعي ستهای تاریخی در قرآن، صص ١٠٨ - ٨١؛ انسان مسئول و تاریخ ساز از دیدگاه قرآن، ترجمه: محمد مهدی فولادوند، صص ١٧ - ٧.

المجتمع باعتباره موضوع محدّدًا وضروريًا من الموضوعات التفسيرية في القرآن، وأظهر كيف يمكن استخلاص قواعد علمية متقنة من آيات القرآن التي يمكن أن تشكل الأساس لإقامة علوم اجتماعية وإنسانية، بعيدة عن الهيمنة الغربية أو النظرة الحديثة.

التاريخ

في مناقشته للتاريخ، سعى الشهيد الصدر إلى استخدام التاريخ كوسيلة لاستنباط القوانين الاجتماعية والسياسية العامة للبشر. من هذا المنطلق، عرض نظرية استقراء قوانين التاريخ وسننه من جوف التاريخ ذاته، وقام بدراساتها. وفقًا لهذا التصوّر، أصبح التاريخ أداة للعلم والعقل والتفكير، وعُدّ مسارًا حاسمًا ومرشدًا يستشرف المستقبل بناءً على القواعد الاستنتاجية للمجتمعات السابقة.

من وجهة نظره، هناك بعض الآيات القرآنية التي تحث وتشجع على الاستفادة من وقائع الماضي، بحيث يحفز القرآن الهمم لتطبيق مبدأ الاستقراء التاريخي، وفي هذا السياق يُطلب من الناس استقراء الحوادث لاكتشاف القوانين العامة التي تحكمها. فاستقراء الحوادث التاريخية يُعدّ عملاً عملياً بحد ذاته، ويحث الناس على البحث عن القوانين من خلال الغوص في التفاصيل والظروف المحيطة بكل حدث.^(١)

من المهم أن نذكر أنّه قبل العلامة الصدر، كان ابن خلدون قد تناول هذا الموضوع بشكل أساسي واستقرائي في كتابه التاريخي العبر الشهير بمقدمة ابن خلدون،^(٢) حيث استعرض فيه المجتمع والتاريخ بطريقة استقرائية، مستفيداً

(١) السيد محمد باقر الصدر، مصدر سابق، صص ٥٤ - ٥١؛ مصدر سابق، صص ١١٩ - ١١٨..

(٢) ابن خلدون، مقدمه، ترجمة: محمد پروين گنابادی.

جزئيًا من مضامين بعض الآيات القرآنية في هذا الصدد. وفي الغرب، قام مفكرون مثل مونتسكيو وآخرون باتباع نهج مشابه في تفسير تطور المجتمعات والتاريخ. وفي النهاية، تمخّضت عن هذه الرؤى فلسفات التاريخ التي طورها هيغل وماركس و توينبي وآخرون.

لكن الشهيد الصدر، بنظرته العميقة واهتمامه الكبير، استخدم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بالإضافة إلى المبادئ العقلية والنظرية للإنسان، للبحث في سنن التاريخ، وكان هدفه من ذلك إحداث ثورة كبيرة في مجتمعه. استخدم الشهيد الصدر التاريخ كأداة لتفسير حاضر الإنسان واستشراف مستقبله، عبر الأدوات القديمة مثل «التاريخ النقلي» أو «التاريخ الروائي»، ليكشف حقيقة الوضع الحالي ويشع ضوءًا على مستقبل الإنسان.

المقارنة بين بعض موضوعات «روح القوانين» لمونتسكيو ومقدمة ابن خلدون وكتاب المدرسة القرآنية للعلامة الصدر تُظهر عمق رؤيته وابتكاره، ودقة تفكيره ونظرته العميقة إلى القضايا التاريخية والاجتماعية والسياسية.

السيرة

بالنسبة لدراسة سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، كان الشهيد الصدر يرى ضرورة إحداث تحول أساسي في النظرة إلى سيرتهم السياسية والاجتماعية والفردية. وكان يعتقد بضرورة التصدي للاتجاه الذي يروج للدور السلبي للأئمة عليهم السلام، معتبرًا هذا التوجه تشويهاً للحقيقة وانحرافاً عن المسار الصحيح. إذ كان الشهيد الصدر يؤمن بأنّ التفسير الصحيح لحياة الأئمة عليهم السلام يُظهر أنهم لم يكن لديهم أبداً رؤية سلبية تجاه الوضع القائم، ولم تكن هناك أيّ نظرة محافظة تحكم منهج حياتهم. بل على العكس، كانوا يعملون وفقاً للظروف الزمانية

والمكانية لتحقيق العدالة، وتحقيق الحرية للإنسان، وتوفير حقوقهم.

على سبيل المثال، كان الشهيد الصدر يقول:

«إذا قمنا بتحليل حياة الأئمة بهذه الطريقة - بأن دورهم في مواجهة الحكومات كان فقط على شكل صراع سلبي - فهذا ليس فكرًا خاطئًا وتحليلًا غير دقيق فحسب، بل سوف يشكل خطرًا عمليًا على أتباعهم. لأنه بناءً على هذا التحليل، سيظهر للناس أن الأئمة لا يتحملون أي مسؤولية اجتماعية، وأنه لا يوجد أمل في وصولهم للسلطة يومًا ما، مما قد يؤدي إلى إضعاف الروح الثورية لدى الناس. من هنا شعرنا بواجبنا لمحو هذه الفكرة الخاطئة من أذهان الأمة الإسلامية».^(١)

كما كان الشهيد الصدر يرفض النظرة الفردية المجتزئة لحياة الإمام المعصوم عليه السلام التي قد توحى باختلاف سياسات الأئمة عليهم السلام فيما بينهم. كان يعتقد أنّ هذا التوجه يفرّق بين الأئمة عليهم السلام ولا يعكس الحقيقة الكلية الكاملة لسيرتهم. لذلك طرح رؤية شاملة ومتكاملة لمسألة الإمامة والقيادة، على غرار التفسير الموضوعي للقرآن، أي بنحوٍ ما رؤية خطابية لسيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام.

الاقتصاد

يُعتبر الشهيد الصدر بحق رائدًا ومفكرًا في مجال الفكر والنظام الاقتصادي الإسلامي في العصر الحديث. كتب مثل اقتصادنا و البنك الإسلامي وغيرها، تُظهر نظرة فريدة، وإبداع متفوّق، وعبقريّة علميّة، وعقل وقاد، وبحوثه نظرية دقيقة ومبتكرة في مجال الاقتصاد. في كتابه «البنك اللاربوي في الإسلام» أو «البنك

(١) السيد محمد باقر الصدر، نقش پیشوایان شیعه در بازسازی جامعه اسلامی و آزادی در قرآن، ترجمة: علی اسلامی و هادی انصاری، ص ١٠.

الإسلامي»، الذي يُعد فريداً من نوعه، صمّم نظاماً مصرفياً ونقدياً بدون فوائد من منظور المدرسة الإسلامية. وهذا العمل يُعد سابقة فريدة في تاريخ الفقه الإسلامي. وفي كتابه «اقتصادنا»، يعرض منهجاً بحثياً مقارناً للدراسة وتوضيح الأنظمة الاقتصادية الثلاثة: الاشتراكية، الليبرالية، والإسلام، موضحاً أن النظام الاقتصادي القائم على الإسلام هو الضمانة لسعادة البشر.

علاوة على ذلك، يحتوي هذا الكتاب على محتوى ومفاهيم دقيقة وراقية، ويمتاز بشموليته وامتداده. كما أن الحيادية العلمية والاعتماد على المعايير العقلية والعملية الصحيحة تعدّ من أبرز خصائصه. جاء في مقالة الشيعة، المقاومة، والثورة من مجموعة مقالات المؤتمر الدولي بجامعة تل أبيب:

«... من بين الكتب التي كان لها تأثير خاص [على الشعب الإيراني قبل الثورة الإسلامية وأثناء انتصارها] كتاب اقتصادنا الذي كتبه محمد باقر الصدر، وهو رجل دين شيعي كان يعيش في العراق... وتستمد هذه الميزة للكتاب من أربعة جوانب تتعلق بالاقتصاد الإسلامي: أولاً، كان الصدر في هذا الكتاب يسعى لتأسيس استدلالاته على النصوص الإسلامية وتقديم آرائه استناداً إلى الفقه التقليدي الإسلامي. ثانياً، كان يعتقد، أكثر من غيره، أن الإسلام قد وضع قيوداً على كسب الأموال وامتلاكها. ثالثاً، كان يرى وجوب أن تلعب الحكومة دوراً رئيسياً في الأنشطة الاقتصادية (كمحرك للتقدم الاقتصادي من جهة، وكأداة للحد من تضخم الثروة الفردية من جهة ثانية). وأخيراً، والأهم من ذلك، أن الصدر كان يجد في الفقه الإسلامي (ولاية الفقيه) آلية يمكن من خلالها تنفيذ البرامج والإصلاحات الاجتماعية».^(١)

(١) شافول بخاش، «اسلام و عدالت اجتماعی در ايران» تشيع مقاومت و انقلاب (مجموعه مقالات المؤتمر الدولي في جامعة تل أبيب ١٩٨٤) صص ١٣٧ - ١٣٦.

السياسة وعلوم السياسة

لقد أبدع الشهيد الصدر في مجال الفكر السياسي والسياسة أيضًا إبداعات ونظريات جديدة ومهمة. من أبرز هذه النظريات «النظرية الشاملة للثورة الإسلامية» و«نظرية منطقة الفراغ القانونية»، و«نظرية خلافة الإنسان»، و«نظرية شهادة (الرقابة) الأنبياء والأئمة والمراجع العامين»، و«نظرية الحكومة الإسلامية»، و«نظرية العدالة»، و«مسألة الأحزاب والتشكيلات»، و«الانتفاضة ومكافحة الظلم»، و«الحرية»، وغيرها من المسائل التي تناولها بشكل جديد وعميق في أعماله السياسية والفلسفية المتعددة.^(١)

كما قام بتشخيص الأزمة السياسية والاجتماعية المعاصرة، حيث طرح حلولاً أو أكد على ضرورة وجود نظام سياسي اجتماعي متكامل يتوافق مع فطرة الإنسان، واحتياجاته، وإمكاناته، واستعداداته، ويستند إلى فلسفته ورؤيته للحياة والوجود. وطرح الشهيد الصدر أيضًا العديد من الأفكار حول القوانين الأساسية التي تحتاجها المجتمعات البشرية، ودور العلماء والمراجع في السياسة، بالإضافة إلى قضايا متنوعة أخرى، والعديد من هذه الأفكار جديدة وفريدة من نوعها، وسوف نناقش بعض هذه الأفكار في الفصل التالي (أعماله السياسية).

أحد أهم إبداعات الشهيد الصدر في هذا المجال تنظيره حول الثورة وسبل تحقيقها، بالإضافة إلى تفسيره النظري والفكري والعملي لثورة إيران الإسلامية ونظام الجمهورية الإسلامية المنبثق عنها وقيادة الإمام الخميني.

(١) محمد حسين جشمي، اندیشه سیاسی امام شهيد سيد محمد باقر الصدر؛ على معموري، نظريه سياسی شهيد صدر، سوف نتناول بالبحث والتمحيص ضرورة هذه النظريات والإبداعات في مباحث قادمة من هذا الكتاب.

كانت هذه المسألة في غاية الأهمية بالنسبة له، بحيث يمكن مقارنة ارتباطه العاطفي بالثورة الإسلامية الإيرانية - خاصة بعد انتصار الثورة - ارتباطاً عاطفياً مشابهاً لذلك الذي كان بين هيغل والثورة الفرنسية. وقد تحدث الشهيد الصدر مراراً عن أهمية هذه الثورة والنظام القائم عليها، ويُعدّ كتابه الإسلام يقود الحياة من أهم أعماله التي كتبها لتوضيح وتعزيز أهداف الثورة الإسلامية، وكان الكتاب بمثابة هدية للشعب الإيراني.

على سبيل المثال، كتب الشهيد الصدر في حديثه عن الثورة الإسلامية الإيرانية: «... وبعد فنيّ أشعر باعتزاز كبير يغمر نفسي وأنا أتحدث إلى هذا الشعب العظيم، إلى هذا الشعب الإيراني المسلم الذي كتب بجهاده ودمه وبطولته الفريدة تاريخ الإسلام من جديد وقدم إلى العالم تجسيدا حياً ناطقاً لأيام الإسلام الأولى بكل ما زخرت به من ملاحم الشجاعة والإيمان.

ويزداد شعوري عميقاً وأنا أجد هذا الشعب أمام لحظة عظيمة لا تشكل منعطفاً في تاريخه فحسب بل تشكل منعطفاً في حياة الأمة الإسلامية كلها.... إنكم بالاختيار العظيم [نظام الجمهورية الإسلامية] تحققون للدماء الطاهرة التي أريقَت قبل ثلاثة عشر قرناً على ساحة كربلاء هدفها الكبير....»^(١)

الأعمال السياسية

أصبح الشهيد الصدر في فترة ثورة ١٩٥٨م في العراق، من الناحية العملية، جزءاً بارزاً من ساحة النضال السياسي والاجتماعي. فقد أسس حزب الدعوة الإسلامية، وتعاون مع جماعة العلماء وغيرهم، وبدأ منذ تلك الفترة أو

(١) السيد محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، المصدر نفسه، صص ٢٥ - ٢٣؛ نهادهای اقتصادی اسلامی، صص ٢٠ - ١٦.

ربما قبلها بكتابة مؤلفاته السياسية، الاجتماعية، والثورية. ولذلك، فهذه المؤلفات السياسية، الاجتماعية، والثورية ظهرت بالتزامن مع دخوله معترك السياسة واهتمامه بالحياة السياسية.

بالإضافة إلى ذلك، عندما كان الشهيد الصدر يكتب «فلسفتنا» و«اقتصادنا»، كما أشار بنفسه إلى ذلك، كان يخطط لتأليف كتاب بعنوان «نظامنا (سياستنا ودستورنا)»^(١) حول السياسة والشؤون العامة، كان يهدف فيه إلى دراسة الدستور وأساليب تأسيس المجتمع المدني من وجهة نظر الدين الإسلامي، وكذلك كان ينوي نقد الأنظمة السياسية السائدة في تلك الفترة. مع تصميمه على تأليف كتاب تحت عنوان «مجتمعنا» يعالج فيه موضوعات سياسية واجتماعية متنوعة بشكل شامل، ونظري وعميق، ولكن، لأسباب عديدة، منها الأوضاع الحساسة التي مرّت بالعراق آنذاك، خاصة مع التوترات مع النظام الحاكم، بالإضافة إلى اهتمام الشهيد الصدر بإنجاز الأبحاث هذه على مستوى علمي، ومع ضيق الوقت، تأخر في كتابة هذه المؤلفات وإصدارها، حتى استشهاده. برغم عدم تمكنه من كتابة هذين العملين القيمين، إلا أنه تناول العديد من القضايا السياسية والاجتماعية في مؤلفات أخرى مثل الأسس الإسلامية، و المدرسة الإسلامية، و المدرسة القرآنية، و الإسلام يقود الحياة، وغيرها من الأعمال. كما تطرق لبعض الموضوعات السياسية في مقدمة «فلسفتنا»، وكذلك في «اقتصادنا» وأعماله الأخرى.

وباعتقاد بعض تلاميذه: لم يتناول باقي القضايا بشكل مباشر لكونها ذات طابع تخصصي في مجال علم الاجتماع، لأنها لم تكن مفهومة أو مفيدة

(١) السيد محمد باقر الصدر، ثورى شناخت و جهان بينى در فلسفه ما، ترجمه سيد حسن حسيني،

للعمامة. ولذلك، اتخذ قرار بعدم نشر مجتمعنا في تلك الفترة.^(١)

في ثمانينات القرن الهجري الماضي، كتب الشهيد الصدر عملين سياسيين مهمين بعنوان «رسالة في الحكومة الإسلامية» و«الدستور الإسلامي»، ولكن للأسف لا توجد نسخ من أي من هذه الأعمال في الوقت الحالي. وكتب السيد محمد باقر الحكيم ملاحظات بخط يده عن جماعة العلماء في النجف الأشرف في تلك الفترة قائلاً:

«أذكر في تلك الفترة كان الشهيد الصدر قد كتب رسالة بخط يده حول إثبات شرعية الحكومة الإسلامية. لقد حصلت على هذه الرسالة وعرضتها على بعض المجتهدين البارزين في ذلك الوقت لكي يتم تعميق هذا الفكر والعمل على نشره».^(٢)

كما أورد الحكيم في مكان آخر حادثة تاريخية مثيرة للاهتمام، حيث قال:

«مجموعة من رواد الحركة الإسلامية وأبناء جماعة العلماء، مستلهمين من أفكار آية الله الشهيد محمد باقر الصدر، وبناءً على تعاليمه، قاموا بوضع نماذج لدستور إسلامي. في تلك الفترة، كانت هناك مناقشات مع بعض إخواننا من أهل السنة حول هذا المشروع، حيث تم التباحث حوله لعل هناك توافقاً واتفاقاً يتم التوصل إليه بشأنه. كان هذا الدستور يعتمد على منهج أهل البيت (عليه السلام) وكان يشكل خطوة وحلاً لمشاكل الأمة الإسلامية في ذلك الوقت».^(٣)

(١) المصدر نفسه، ص ١٩.

(٢) السيد صدر الدين القبانجي، اندیشه های سیاسی آیت الله شهید محمد باقر صدر، ترجمة: ب، شریعتمدار، ص ١٦.

(٣) المصدر نفسه، صص ١٦ - ١٧.

مراجعة عامة للأعمال السياسية

في تصنيف موضوعي بسيط، يمكن تقسيم الأعمال السياسية والاجتماعية للشهيد الصدر، التي تتضمن قضايا سياسية هامة، إلى فئتين رئيسيتين:

أ) أعمال كُتبت لأغراض سياسية محددة ولتنوير الرأي العام في مجالات السياسة والمجتمع، وتحتوي في الغالب على موضوعات سياسية واجتماعية. وتشمل هذه الأعمال:

١. رسالتنا.
٢. المدرسة الإسلامية.
٣. المدرسة القرآنية (التفسير الموضوعي للسنن التاريخية في القرآن أو السنن السياسية - الاجتماعية والتاريخية من منظور القرآن).
٤. الأسس الإسلامية.
٥. حول الاسم والشكل لحزب الدعوة.
٦. كيف تكون الدعوة إلى الإسلام.
٧. أول مراحل الدعوة أو الثورة الفكرية.
٨. الشخصية الإسلامية والأعمال والمثل العليا.
٩. أطروحة المرجعية الموضوعية.
١٠. فذك في التاريخ.
١١. بحث حول الولاية.
١٢. بحث حول المهدي عليه السلام.

١٣. أهل البيت: تنوع الأدوار ووحدة الهدف.
 ١٤. نظرة جديدة إلى الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام.
 ١٥. الحرية في القرآن.
 ١٦. خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء.
 ١٧. الجمهورية الإسلامية.
 ١٨. مصادر السلطة في الدولة الإسلامية.
 ١٩. الحسين عليه السلام يكتب قصته الأخيرة.
- ب) أعمال كُتبت لأهداف أوسع، استهدف من خلالها توضيح رؤيته في مجالات الفلسفة، الاقتصاد، الفقه والكلام، لكن تضم أيضًا بعض الموضوعات السياسية والاجتماعية بشكل محدود. من هذه الأعمال:
١. فلسفتنا.
 ٢. النبوة الخاتمة.
 ٣. العمل الصالح من منظور القرآن.
 ٤. مقدمة على الصحيفة السجادية.
 ٥. اقتصادنا.
 ٦. الفتاوى الواضحة.
- تصنيف آخر حسب المعايير التاريخية، وبناءً على مسيرة حياة الشهيد الصدر السياسية، يمكن تقسيم أعماله إلى أربع مراحل تاريخية رئيسية كما يلي:
١. الأعمال الأولى: تركّز هذه الأعمال، في الغالب، على الجانب المنطقي والفقهوي والأصولي. ورغم أن بعض الأعمال السياسية مثل «فدك في التاريخ»،

يحلل قضية اجتماعية - سياسية في صدر الإسلام تتعلق بمفهوم الحكم والحكومة الإسلامية، لكنّها تدرج ضمن هذه الفئة أيضًا.

٢. الأعمال المكتوبة في فترة الحراك الثقافي - السياسي للشهيد الصدر (من بداية حياته حتى ١٩٦٨ م): بصرف النظر عن بعض الأعمال الفقهية والمنطقية، هناك العديد من الأعمال البارزة التي تتناول القضايا الثقافية والسياسية والاجتماعية في المجتمع البشري، مثل: رسالتنا، فلسفتنا، اقتصادنا، المدرسة الإسلامية، الأسس الإسلامية، بالإضافة إلى الدورات الدراسية والكتابات المرتبطة بحزب الدعوة الإسلامية.

كان الهدف الأساسي للشهيد الصدر في هذه الفترة هو التعاطي مع الأزمة الأساسية في العالم المعاصر، بالاعتماد على قدرات وإمكانات الدين الإسلامي، ومن وجهة نظره هو. على سبيل المثال، في مقدمة كتابه «فلسفتنا»، يعتبر الشهيد الصدر أن أبرز مشكلة في العصر الحديث هي أزمة النظام الاجتماعي والسياسي،^(١) ولذلك يقدم حلاً لهذه الأزمة الأساسية من خلال تصميم منهج جديد يتضمن ثلاثة حلقات بحثية (الفلسفة، السياسة، الاجتماع والاقتصاد).

في مجال الفلسفة، كان «فلسفتنا» هو الأساس الذي يتضمن مبحثين أساسيين هما: «نظرية المعرفة» و«الوجود»، وهما اللذان يشكلان أساس النظرية والاعتقادات في المجتمع والفرد. وقد ذكر الشهيد الصدر:

أن «فلسفتنا»، عبارة عن تصوراتنا وأفكارنا عن العالم الخارجي، والتي تقدّم رؤيتنا لهذا العالم.^(٢)

(١) السيد محمد باقر الصدر، فلسفه ما، ترجمه سيد حسين حسيني، المصدر نفسه، صص ١٧٣ - ١٧٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢.

في مجال السياسة والمجتمع، بناءً على تصريحات الشهيد الصدر في بعض أعماله، وكذلك بناءً على أقوال بعض تلاميذه، كان هناك مشروع لدى الشهيد الصدر لكتابة كتاب بعنوان «ساستنا» أو «مجتمعنا»، لكن بسبب قصر عمره واستشهاده، لم يتمكن من إكمال هذا المشروع. كانت المسودات الأولية لهذا الكتاب جاهزة للكتابة مرة أخرى، لكن للأسف لم يتم نشرها. ولكن، على الرغم من ذلك، فإن أعمالاً مثل «المدرسة الإسلامية»، «الأسس الإسلامية»، وغيرها من الرسائل السياسية التي كتبها في تلك الفترة قد غطت إلى حد ما هذا الموضوع.

في مجال الاقتصاد، وبالأخص الاقتصاد السياسي، كتب الشهيد الصدر كتاباً قيماً بعنوان «اقتصادنا»، وقد كتبه بعد «فلسفتنا» بعامين. من بين هذه الأعمال، تُعد كتب «فلسفتنا»، «المدرسة الإسلامية»، و«اقتصادنا» من أهم الأعمال التي تغطي المنهج الذي كان يطمح الشهيد الصدر لتحقيقه.

٣. أعمال فترة منتصف حياته (١٩٦٨م / ١٣٤٧هـ ش - حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران ١٣٥٧هـ ش / ١٩٧٩م): تتميز الأعمال المكتوبة في هذه الفترة بتركيز أكبر على السياسة، بالإضافة إلى التركيز على الفقه، الاجتهاد، وضرورة التحول في الاجتهاد، كتاب القرآن، وتضمن العديد من الكتب التي تتعامل مع قضايا أكثر تفصيلية وشرح الأحكام وواجبات الأفراد. من أبرز الأعمال التي كتبها الشهيد الصدر في هذه الفترة هي:

١. البنك اللاربوي في الإسلام

٢. الفتاوى الواضحة (رسالة فقهية)

٣. أطروحة المرجعية الموضوعية

٤. أهل البيت: تنوع الأدوار ووحدة الهدف

٥. العمل الصالح من منظور القرآن

٦. الحرية في القرآن (الحرية في القرآن)

في هذه المرحلة، أصبح الاهتمام بالأبعاد الكلامية والفقهية أكثر بروزاً في أعماله مقارنة بالأعمال الفلسفية والعقلية التي كانت تهيمن في الفترة السابقة. ومن بين هذه الأعمال، تُعد رسالتي «البنك الربوي في الإسلام» و«الفتاوى الواضحة» من الأعمال الرائدة في مناقشة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٤. الأعمال في أواخر حياته (منذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران حتى استشهاده): تميّزت أعمال هذه الفترة بكونها أعمالاً توعوية وتنبيهية، وذات علاقة وثيقة بالأحداث السياسية اليومية والقضايا الاجتماعية. كما يظهر في هذه الأعمال المنهج الراديكالي والثوري الذي كان يتبناه الشهيد الصدر. كانت بعض هذه الأعمال مرتبطة بشكل وثيق بتحقيق الثورة في العراق، واستكمال خطوات الثورة الإسلامية في إيران. ومن بين هذه الأعمال بعض الكتب التي كانت موجهة خصيصاً إلى الشعب الإيراني.

من أبرز الأعمال التي كتبها في هذه المرحلة:

١. الإسلام يقود الحياة، في ثلاثة أجزاء سياسية هي:

- خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء

- لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران

(مسودة فقهية حول الدستور الإيراني)

- منابع القدرة في الدولة الإسلامية

بالإضافة إلى ثلاثة أجزاء اقتصادية هي:

- صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي

- خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي

- الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي

على ضوء ما تقدّم ذكره، نتناول فيما يلي باختصار الأعمال السياسية

للشهيد الصدر:

عناوين الأعمال السياسية

١. رسالتنا

يعتبر كتاب «رسالتنا» باكورة الأعمال السياسية والاجتماعية للشهيد الصدر. هذا الكتاب في الأصل عبارة عن مجموعة من المقالات كتبها الشهيد الصدر في مجلة الاضواء الإسلامية، التي كانت بمثابة لسان حال جماعة العلماء في السنوات الأولى من عمر النظام الجمهوري في العراق. تحت عنوان «رسالتنا»، كان الهدف الرئيسي لهذه المقالات هو توضيح الرسالة التي يجب أن يحملها المسلم المؤمن، وكذلك المجتمع المسلم المؤمن في العالم المعاصر. كان الهدف النهائي هو تمكين الأفراد والمجتمع من تحقيق حركة ثورية شاملة وإحداث تغييرات جذرية.

يتناول الشهيد الصدر في هذا الكتاب العديد من الموضوعات التي ترتبط بالقضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة، مثل:

- الثورة

- الشخصية الإسلامية

- السلام

- الأزمات التي يواجهها المجتمع المعاصر

- التنمية

- الحرية

وفي مقدمة الطبعة العربية لهذا الكتاب، يعتبر السيد محمد حسين فضل الله «رسالتنا» بمثابة المرحلة التمهيديّة في مسار الحركة الثورية للأمة الإسلامية.^(١)

٢. فلسفتنا

عمل فلسفي يتناول قضايا أساسية تتعلق بـ«المعرفة» و«الرؤية الكونية». قام الشهيد الصدر في هذا الكتاب بمناقشة هذه القضايا بشكل نقدي وعبر طريقة جديدة مبتكرة، حيث أشار إلى أنّ كتابه يمتاز ببيان «جذري، قوي، واضح، وصريح».^(٢) يعالج الكتاب مجالات واسعة في الوجود، الحياة الإنسانية، المجتمع، الدولة، والنظام،^(٣) بهدف أن يتمكن المسلمون من رفع كلمة الله في مواجهة الصراع بين الأفكار المستوردة وبين الفكر الإسلامي الأصيل.^(٤)

وقد ترك الكتاب أثرًا عميقًا في العالم الإسلامي، إذ يمكن القول:

«أنه شكل «موجة هائلة» في الأوساط الإسلامية وأبرز قوة الدين

(١) السيد محمد باقر صدر، رسالتنا، صص ١٠ - ٩ (مقدمة: السيد محمد حسين فضل الله).

(٢) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ٦.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

بصورة واضحة وقوية»^(١).

يتناول الشهيد الصدر في هذا الكتاب قضايا فلسفية مهمة، وخاصة تلك التي تدور بين الإلهيين والماديين.^(٢) كما قسّم الكتاب إلى ثلاث أقسام رئيسية تتعلق بـ:

١. الأنظمة الاجتماعية في العالم

٢. نظرية المعرفة

٣. الرؤية الكونية

وقد عالج هذه القضايا بأسلوب منطقي متسق، يمتاز بالاتقان والانسجام المنطقي والمنهجي، بحيث يتمكن القارئ من فهمها بصورة سلسلة وواضحة. كما تناول الشهيد الصدر في مقدمة الكتاب مسألة مهمة تتعلق بأزمة العالم المعاصر، مشيرًا إلى ضرورة وجود نظام اجتماعي شامل وصالح. وتطرق أيضًا إلى دراسة الأنظمة السياسية والاجتماعية الأربعة الكبرى في الفكر المعاصر:

- الليبرالية

- الاشتراكية

- الشيوعية

- الإسلام^(٣)

المدرسة الإسلامية

«المدرسة الإسلامية» عمل سياسي واجتماعي يهدف إلى تقديم رؤية الإسلام بشأن السياسة والنظام السياسي والاجتماعي. كتب الشهيد الصدر في

(١) «شاهد رابع، اسوه جهاد و شهادت، آيت الله صدر»، حوزة، ص ٨.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ٥.

(٣) فلسفتنا، صص ٤٧ - ٥.

هذا العمل قائلاً:

«يجب بذل الجهد لطرح الفكر الإسلامي في شكل حلقات مترابطة...
تحت عنوان المدارس، ويجب العمل من خلالها على نشر الرسالة الفكرية
الإسلامية...»^(١).

كان الهدف الأساسي من تأليف هذا العمل - الذي بقي غير مكتمل -
«بيان الأهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للإسلام، باستخدام
أسلوب تدريسي»^(٢). ومن هذا العمل، كتب الشهيد جزئين هما: «الإنسان
المعاصر والمشكلة الاجتماعية»، و«ماذا تعرف عن الاقتصاد الإسلامي».

في الجزء الأول من الكتاب، تناول الشهيد الصدر موضوعات متعددة تتعلق
بالنظام الاجتماعي والسياسي وأهميته للمجتمع البشري، والمذاهب السياسية
المعاصرة، ومفهوم الحرية، والضمان في الإسلام وغير ذلك. يعد الجزء الأول من
الكتاب توسّعاً تفصيلياً للأفكار التي تم طرحها في مقدمة «فلسفتنا»، حيث يتناول
الآزمات السياسية والاجتماعية المعاصرة، المدارس الفكرية السائدة، ورسالة الدين
في العالم المعاصر، والعديد من القضايا المرتبطة بذلك.

المدرسة القرآنية

«المدرسة القرآنية» عمل يعتمد التفسير الموضوعي للقرآن الكريم
بأسلوب خاص، قدّمه تحت عنوان اسم «السُنَن التاريخية» أو «السُنَن السياسية
والاجتماعية في القرآن»، في ١٤ حلقة دراسية في أواخر حياته في الحوزة العلمية
بالنجف الأشرف. في هذا الكتاب، تناول الشهيد الصدر، مستنداً إلى السُنَن

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية، ص ٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥.

السياسية والاجتماعية والتاريخية، موضوعات وقضايا مهمة مثل الثورة والتغيير في المجتمعات البشرية، والحرية ومسؤولية الإنسان، وتحليل العناصر الاجتماعية، وكيفية تحول المجتمع، ودور الإنسان في التحولات التاريخية، والسُّنن التاريخية، والخيارات المثالية للإنسان، والتشريع الثابت والمتغير في قوانين الإسلام، وغيرها من القضايا.

الأهم من ذلك، أن الشهيد الصدر في هذا الكتاب بدأ (في الحلقتين الأولى والثانية) بتوضيح طريقته الإبداعية في تفسير القرآن التي أطلق عليها «التفسير الموضوعي» أو «التفسير التوحيدي»، وبيّن أوجه القصور في التفسير التحليلية الموجودة، واعتبر طريقته أكثر دقة ومنطقية في تفسير القضايا السياسية والاجتماعية في العالم المعاصر. واصل الشهيد الصدر العمل الذي بدأه ابن خلدون في مقدمة كتابه، في فهم المجتمعات، مستوحياً من القرآن ولكن بأسلوب جديد وبسيط يتناسب مع متطلبات العصر، هدفه إحياء روح الوعي والثورة في الأفراد من أجل تحقيق الثورة الإنسانية.^(١)

الأسس الإسلامية

كتاب «الأسس الإسلامية» هو عمل من تأليف الشهيد المفكر السيد محمد باقر الصدر، يتناول فيه موضوعات سياسية مهمة مثل تعريف الإسلام، تعريف المسلم، الوطن الإسلامي، الدولة الإسلامية، أسس الدولة الإسلامية، الحكومة في الإسلام، نظام الشورى، وأحكام الشريعة وتعاليمها، إضافة إلى مناقشة مباحث القضاء وغيرها من الموضوعات. أُلّف الكتاب في عام ١٣٨١ هـ، وأجرى عليه لاحقاً الجرح والتعديل وأضاف إليه تفاصيل في شكل تكملة

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، (تراث الشهيد الصدر: ١٩).

وشرح. يتناول الكتاب دراسة أسس ونظام الحكم في الإسلام بشكل يتناسب مع مقتضيات العصر، حيث يطرح السيد الصدر مفهوم الحكم الشورائي كنوع ملائم ومناسب من الحكومات للمجتمعات الإسلامية في العالم المعاصر.^(١) يسعى الكتاب إلى تقديم رؤية فلسفية وتنظيمية لكيفية تطبيق النظام الإسلامي في الحكم وضرورة تحقيق العدالة والمساواة في هذا الإطار.

حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة

هذه الرسالة عبارة عن عمل مختصر يناقش مشروعية الحزب وأهمية وجود التنظيمات الحزبية في المجتمع الإسلامي، مع الأخذ في الاعتبار المفهوم المعاصر للأحزاب. كتب الشهيد هذه الرسالة في وقت تأسيس «حزب الدعوة الإسلامية»^(٢) وهي تُعبّر عن رؤية المفكر الإسلامي لضرورة وجود تنظيم سياسي إسلامي يعمل على تجميع القوى المؤمنة بالرسالة الإسلامية. كما تمت ترجمة هذا العمل إلى الفارسية تحت عنوان «پرامون نام و شیوه سازماندهی حزب دعوت اسلامی».^(٣)

دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون ثورية

الكتاب عمل مختصر يجيب عن السؤال «كيف يجب أن تكون الدعوة إلى الإسلام؟». في هذا الكتاب، قسم السيد الصدر الحركات الإسلامية إلى نوعين: الحركات الإصلاحية والحركات الثورية. وبحث في مفهوم وأبعاد وخصائص كل

(١) محمد الحسيني، مصدر سابق، ملحقات، الاسس الاسلامية، صص ٣٥٩ - ٣٣٦؛ العاملي،

محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج ١، صص ٢٨٠ - ٢٦٧.

(٢) المصدر نفسه، صص ٣٦٥ - ٣٦٧.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، از مبانی فکری حزب دعوت اسلامی، صص ١٠ - ٨.

نوع من أنواع تينك الحركتين، مشيرًا إلى الفرق الجوهرية بينهما.^(١)

فيما يخص الحركة الثورية يشير إلى أنها:

إنها حقيقة لا يمكن إنكارها وهي أنّ استبدال نظام حكومي واجتماعي مكان نظام آخر، لا يعني فقط تغيير قانون بآخر، ولا يعبر عن حادثة عابرة، بل إنّ هذا التغيير [الثورة الإسلامية] يعكس تحوّلًا شاملاً في الأفكار والآراء والتصورات البنيوية وله جذور في الحياة والوجود.^(٢)

ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحية وما نرفضه منها

هذا العنوان «ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحية وما نرفضه منها» هو لكتاب من تأليف الشهيد الصدر، دُوّن في عام ١٣٨٠ هـ، ويناقش فيه أنماط الدعوات الإصلاحية والثورية وما يجب وما لا يجب، ويؤكد على الدعوة الثورية.^(٣)

أول دعوة أو ثورة فكرية

هذا الكتاب هو عمل مختصر يقدم فيه السيد الصدر رؤيته حول السياسة العامة لحزب الدعوة الإسلامية والهدف النهائي^(٤) من تأسيسه، وتم تأليفه في بداية تأسيس الحزب. يتناول الكتاب بالبحث والتحليل مفاهيم «الدعوة» و«استراتيجية الدعوة» بمثابتهما ثورة فكرية وثقافية.

(١) المصدر نفسه، صص ٣٠-٢٧؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٦٣-٣٦١؛ العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٦٢-٢٦٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٠؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٣٦٢؛ من المبادئ الفكرية لحزب الدعوة الإسلامية، ص ٢٩.

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٦٢-٢٦٤.

(٤) من المبادئ الفكرية لحزب الدعوة الإسلامية، صص ٢٦-٢٤.

الشخصية الإسلامية: أعمال وأهداف المسلم

هذا العمل يتألف من مقالين منفصلين يناقش فيهما الشهيد الصدر العوامل المؤلفة للشخصية الإنسانية. في المقال الأول، يُقدّم دراسة عميقة حول جذور تشكل الشخصية الإنسانية، بدءاً من الجذور النفسية والاجتماعية التي تؤثر في الإنسان. ثم يتطرق إلى تصنيف الشخصيات إلى أنواع متعددة ثم ينتقل لمناقشة الشخصية الإسلامية بشكل خاص. أما في المقال الثاني، فيناقش الشخصية والفعل في بعدين: هادف وغير هادف.^(١)

أطروحة المرجعية الموضوعة

«أطروحة المرجعية الموضوعة» كتاب يهتم بمسألة «المرجعية الصالحة» ويدرس هدف هذه المرجعية ورسالتها في المجتمع الإسلامي، والآليات الكفيلة بجعلها قوة فاعلة لتدخل معترك السياسة والاضطلاع بدور قيادي وحزبي بناءً، لإنقاذ البشر من الظلم والاستبداد وتحقيق النظام الحكومي الصالح واللائق.^(٢) يشير الشهيد الصدر إلى ضرورة دخول المرجعية الشيعية في معترك السياسة والمجتمع لتحقيق العدالة ورفاه الإنسان. يعدّ الكتاب فريداً من نوعه ورائعاً في طرحه. الهدف الرئيس من هذا الكتاب هو تجديد دور المرجعية بحيث لا تقتصر فقط على الجانب الديني، بل تتداخل مع القضايا السياسية والاجتماعية. يشير الصدر إلى أن المرجعية يجب أن تكون قادرة على تقديم حلول للمشاكل السياسية والاجتماعية المعقدة التي تواجهها الأمة، وتكون جزءاً من التغيير الثوري الذي يحارب الاستبداد والظلم.

(١) المصدر نفسه، صص ٢٣ - ١١، جزء من هذا العمل منسوب إلى الشيخ عارف البصري، أنظر:

العاملي، مصدر سابق، ص ٢٦٤.

(٢) محمد الحسيني، مصدر سابق، صص ٣٩٠ - ٣٨٢.

فدك في التاريخ

هذا الكتاب هو دراسة تاريخية-سياسية حول قضية فدك في التاريخ الإسلامي، حيث يُقدّم الشهيد الصدر تفسيرًا جديدًا لهذه القضية التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالبعد السياسي لمسألة فدك وموقف السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في مواجهة بواكير الظلم الذي تعرّضت له في صدر الإسلام.^(١) ويخصّص الشهيد الصدر الجزء الأخير من الكتاب للحديث عن مفهوم الحق والعدل في الإسلام.^(٢)

النبوة الخاتمة أو التجديد والتغيير في النبوة

موضوع الكتاب يتعلق برسالة خاتم الأنبياء ﷺ. طرح السيد الشهيد مفاهيمه حول موضوع النبوة والرسالة في سنة ١٣٨٨ هـ ق خلال دروسه لطلاب العلوم الدينية في النجف الأشرف. ثم قام بتحرير هذه المحاضرات التي كانت قد نشرت في شكل مقالات، وأصدرها لاحقًا كعمل مستقل بعنوان «التجديد والتغيير في النبوة». في هذا الكتاب، يقوم الشهيد الصدر بتحليل ظاهرة النبوة والرسالة في تاريخ البشرية باعتبارها ظاهرة ثقافية وسياسية اجتماعية. يوضح كيف أن النبوة لم تكن مجرد إرسال رسائل دينية بحتة، بل كانت جزءًا من تغيير اجتماعي وثقافي وسياسي عميق في كل مجتمع تحققت فيه الرسالة السماوية.^(٣)

(١) السيد محمد باقر الصدر، فدك في التاريخ، صص ١٩١ - ١٤.

(٢) المصدر نفسه، صص ١٨٦ - ١٩١.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، المجموعة الكاملة للمؤلفات السيد محمد باقر الصدر، ج ١١، القسم الثالث، النبوة الخاتمة، صص ٦١ - ١.

بحث حول الولاية

دراسة وضعها الشهيد الصدر كمقدمة لكتاب «تاريخ الشيعة الإمامية وأسلافهم» تأليف الدكتور عبد الله فياض، ثم أضيفت إليه إضافات متعددة ليُصبح كتابًا مستقلًا.

تتناول هذه الدراسة أهمية «الولاية» و«أصالتها» في تاريخ الإسلام، وتستعرض كيف أن مبدأ الولاية في مذهب الشيعة هو جزء طبيعي وعضوي من الفهم الإسلامي. يبرهن الشهيد الصدر على حقيقة المذهب الشيعي كفرع طبيعي للإسلام الأم، من خلال التركيز على مبدأ الولاية ودورها الحاسم في التأثير على تاريخ المسلمين من عهد الرسول الكريم ﷺ إلى الإمام علي عليه السلام وما بعده.

الكتاب، الذي ترجمه علي حجتي كيرماني إلى الفارسية تحت عنوان «تشيع مولود طبيعي إسلامي»، أضاف إليها نقدًا من الدكتور علي شريعتي الذي عزز من الأهمية الفكرية والسياسية لهذا الكتاب.

بحث حول المهدي

كتاب «بحث حول المهدي» أو «بحث حول الإمام المهدي عليه السلام» هو عمل مختصر بدأ كمقدمة لكتاب «موضوعة الإمام المهدي عليه السلام» الذي كتبه السيد محمد الصدر. نظرًا لأهمية هذا الكتاب، تم نشره لاحقًا كعمل مستقل.

من أبرز الموضوعات التي يعالجها الكتاب هو «الإمام المهدي عليه السلام وسر غيبته». يناقش السيد الصدر فيه كيفية حدوث الثورة في المجتمع العالمي والشروط والخصائص التي ينبغي توافرها لتحقيق ذلك.^(١) على سبيل المثال:

(١) السيد محمد باقر الصدر، انقلاب مهدي وبنادها، ترجمه سيد احمد علم الهدى، صص ١٠٤ - ٩٢.

يذكر أن الشروط التي توفر بيئة مناسبة لاستقبال الثورة على صعيد العالم تشمل «النمو الفكري والوعي الاجتماعي الكامل»، بحيث يكون الناس قد وصلوا إلى درجة من الوعي والاتحاد يرغبون معها في إقامة عدالة اجتماعية كاملة. هذه الوعي والنمو الفكري يتم اكتسابها من خلال تجارب الأمم والشعوب عبر الزمن.^(١)

أهل البيت: تنوع أدوار ووحدة هدف

هذا الكتاب دراسة تحليلية ونظرية حول وحدة الحركة السياسية والجهادية لآل البيت عليهم السلام في تعاطيهم مع الخلفاء والأمراء في فترات حياتهم. يستتج الشهيد الصدر في هذا الكتاب كيف أن آل البيت، رغم تنوع أدوارهم السياسية والظروف المختلفة التي مروا بها، كان لديهم دائماً خط سياسي موحد، وقد شكل هذا الخط الفكري والسياسي «العمود الفقري» لجميع تحركاتهم.

ويخلص الشهيد الصدر إلى أن هذا الخط السياسي الواحد كان متسقاً في جوهره، رغم تنوع أساليب العمل، حيث أن الظروف المتغيرة والمحدودية في الإمكانيات^(٢) جعلتهم يتكيفون مع الواقع السياسي بطريقة مرنة ولكن دون التنازل عن المبادئ الأساسية التي طالما كانت سمة مواقفهم.

نظرة جديدة إلى الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام (من السقيفة إلى الكوفة)

في هذا العمل، يقدم الشهيد الصدر تحليلاً سياسياً للأحداث الحاسمة في

(١) المصدر السابق، ص ١٠١؛ أنظر: امام مهدي عليه السلام حماسه اى از نور، ترجمة: المكتبة الإسلامية الكبرى،

صص ٧٨-٧٦؛ سبعة أسئلة حول الإمام المهدي عليه السلام، ترجمة: عباس مخير دزفولي، ص ٣٠.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، أهل البيت عليهم السلام، تنوع ادوار وحدة هدف، صص ١٤٩-٥٥.

تاريخ صدر الإسلام باستخدام قواعد السلوك السياسي وعلم النفس الفردي والاجتماعي. النص الأصلي للكتاب عبارة عن ١١ محاضرة قدمها الشهيد الصدر لشرح وتحليل مسألة الإمامة والخلافة بعد النبي محمد ﷺ وبعض الأبعاد المهمة في الحياة السياسية للإمام علي عليه السلام^(١).

الحرية في القرآن

الحرية في القرآن عنوان رسالة مختصرة^(٢) قائمة على النظرة الفلسفية والعقلية لمفهوم الحرية وأبعادها وطبيعتها وفق المنظور القرآني. الشهيد الصدر، بالاعتماد على أصالة الحرية الفطرية في وجود الإنسان وكونها سابقة على الحضارة وإنجازاتها، يعتبر الحرية في جوهرها «تعبير عملي لتنفيذ إرادة الإنسان في استخدام مصالحه»^(٣). من خلال استعراضه لمختلف أبعاد الحرية في هذا الكتاب، ينتقد الشهيد الصدر الآراء الليبرالية والنظرة الأحادية في هذا الصدد.

العمل الصالح من وجهة نظر القرآن

تم تدوين هذا العمل قبل مجيء نظام البعث إلى السلطة في العراق، وهو جزء من النقاشات التي كتبها المؤلف لمجلة «الأضواء» تحت عنوان «تفسيرات من القرآن». الموضوع الذي يتم مناقشته في هذا النص هو الدعوة الإسلامية والفعل الإنساني من وجهة نظر المدارس الفكرية مثل الليبرالية، والماركسية، وبشكل

(١) السيد محمد باقر الصدر، از سقيفه تا كوفه (نگاهی تازہ به حیات سیاسی امیر مؤمنان علی عليه السلام)، ترجمة: مكتب بدر للأبحاث والنشر، ١٣٧٢، بعض مباحث هذا الكتاب تتطابق مع مباحث كتاب «أهل البيت».

(٢) السيد محمد باقر الصدر، بحوث اسلامية ومواضيع أخرى «الحرية في القرآن»، صص ٥٤ - ٤٣.

(٣) بحوث اسلامية و مواضيع اخرى، ص ٤٤.

خاص الإسلام. وفي هذا السياق، يتم التركيز على دراسة الفعل ببعديه النوعي والروحي، أي «المحتوى الداخلي والنفسي للفعل أو الدافع الروحي»^(١).

مقدمة على الصحيفة السجادية

في هذا الكتاب القصير، يتناول الشهيد الصدر مكانة الإمام زين العابدين عليه السلام الروحية والسياسية في المجتمع المسلم في ذلك الوقت، وأيضاً أهمية الصحيفة السجادية التي تضم أدعية الإمام عليه السلام مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف والأوضاع الزمنية التي كان يعيش فيها الإمام الرابع عليه السلام^(٢). على سبيل المثال، يكتب الشهيد الصدر:

«وهذه الطريقة يجب تعريف الصحيفة السجادية كأعظم عمل اجتماعي يتناسب مع ضرورة المرحلة التي كانت القيادة فيها تقع على عاتق الإمام عليه السلام»^(٣).

خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء

عمل مبتكر و حديث، يتناول أحد أبرز النظريات السياسية للشهيد محمد باقر الصدر تحت عنوان «نظرية خلافة الإنسان في الأرض و شهادة الأنبياء». في هذا الكتاب القيم، الذي يُعد جزءاً من مجموعة «الإسلام يقود الحياة»^(٤)، يقوم الشهيد الصدر بمناقشة خطين إلهيين سياسيين من خلال

(١) بحوث اسلامية و مواضيع اخرى، صص ٤٢ - ٣١؛ عمل صالح از ديدگاه قرآن، ترجمة: جمال موسى، ص ٢٤.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، مقدمه اى بر صحيفه سجادية، ترجمة: جمال موسى.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٤) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، صص ١٧٢ - ١٢٧.

نظريتين سياسيتين تتعلقان بتشكيل المجتمع التوحيدي وتحقيق الحياة الاجتماعية والسياسية للإنسان على الأرض واستمرارها.

الكتاب يتبع منهجاً فلسفياً - كلامياً تفسيرياً،^(١) حيث يفترض أن الإنسان - بصفته إنساناً - هو خليفة الله في الأرض، وبالتالي يمكنه تولي قيادة العالم وإدارة مصيره في جميع أبعاد حياته. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر الصدر أن الحكومة الديمقراطية (حكومة الشعب على نفسه) مشروعة بموجب هذه النظرية، وأن الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض مسؤول وملتزم بتحقيق هذه الحكومة.^(٢)

مسودة مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران (لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران)^(٣)

نص هذا العمل - الذي يعد جزءاً من كتاب «الإسلام يقود الحياة»^(٤) أيضاً - عبارة عن نقاش سياسي يتضمّن شرحاً وتوضيحاً لحكومة الجمهورية الإسلامية في إيران وأدلة إثباتها، وهو مكتوب بنظرة فلسفية وتفسيرية فقهية. وتشير القرائن إلى

(١) أسلوب الشهيد الصدر في هذا الكتاب هو التفسير الموضوعي (التوحيدي) المستند إلى الآيات التي تتناول الإنسان ومسؤولية الأنبياء والأئمة والعلماء.

(٢) خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، ص ١٠؛ الإسلام يقود الحياة، ص ١٣٤.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الدستور الجمهورية الإسلامية في إيران.

(٤) الإسلام يقود الحياة، صص ١٩ - ١؛ كتاب الإسلام يقود الحياة يحتوي على ٦ فصول عناوينها كالتالي: ١. لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية؛ ٢. صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي؛ ٣. خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي؛ ٤. خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء؛ ٥. منابع القدرة في الدولة الإسلامية؛ ٦. الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي. دون الكتاب بعد انتصار الثورة الإسلامية وأُهدي إلى الشعب الإيراني كمشروع لإقامة نظام سياسي ديني - شعبي.

أنّ هذا العمل قد كُتب في نسختين. واحدة منها كانت بمثابة مسودة لتدوين وتصديق دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، وتم إرسالها إلى إيران بواسطة السيد محمود الهاشمي الذي كان في ذلك الوقت ممثلاً للشهيد الصدر في إيران. وقد نُقش هذا النص في جلسات مجلس خبراء الدستور للجمهورية الإسلامية في إيران وترك تأثيراً كبيراً على الدستور ومبادئه. أما النسخة الأخرى فقد أُرسِلت ردّاً على رسالة بعض العلماء المسلمين في لبنان^(١) إلى هذا البلد.

منابع القدرة في الدولة الإسلامية^(٢)

في هذا العمل يتناول الكاتب دراسة موارد القوة الوطنية في الحكومة الإسلامية أو الحكومة الدينية ومصادرها وعناصرها، ليستتج في نهاية المطاف أنّه لتحقيق الأهداف الأساسية السياسية والحكومية، ينبغي تغطية المقاصد والأفعال الدنيوية بغطاء سماوي، مثل تحويل العمل على الطبيعة إلى واجب ديني وعبادي.

«لذلك، فإنّ المسلمين الذين يرون الأرض جزءاً من السماء - والذين يعلّقون نظرهم بها - ويعتبرون أنفسهم خلفاء الله فيها، يجتهدون في إعمارها وزيادة ثروتها، ... وهم أقرب إلى الزهد الإيجابي الذي يقودهم إلى السيادة والنجاح في العالم - وليس عبوديته - ويمنعهم من التحول إلى طواغيت يستغلون الآخرين.»^(٣)

(١) المؤلفون هم كل من: السيد محمد الغروي، الشيخ علي طحيني، الشيخ حسن الحريري، الشيخ محمد جعفر شمس الدين، الشيخ الشهيد راغب حرب وآخرون، تاريخ كتابة الرسالة في ٢٨ صفر ١٣٩٩ هـ، وتاريخ الجواب في ٦ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ، أي بعد ٨ أيام، ما يشير إلى أنّ هذه الملاحظات كانت جاهزة.

(٢) الاسلام يقود الحياة، صص ٢٠٧ - ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه، صص ٢٠٧ - ٢٠٦؛ منابع القدرة في الدولة الإسلامية.

الحسين يكتب قصته الأخيرة

هذا العمل في الأصل يتألف من خطبتين للشهيد السيد محمد باقر الصدر بعنوان «التخطيط الحسيني لتغيير أخلاقية الهزيمة» حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام وجهوده في إيقاظ الأمة ومعالجة مرض تردهم وضعفهم أمام جهاز الخلافة الاستبدادي، والتي ألقاها في ١٦ و ١٧ صفر ١٣٨٩ هـ في النجف الأشرف، وقد انبرى السيد كاظم الحائري لتدوينها وكتابتها، وأضيفت إليها إضافات ونشرت تحت اسم «الحسين يكتب قصته الأخيرة» بتحقيق وتعليقات صادق جعفر الروازق.^(١)

منشورات جماعة العلماء

كتب الشهيد السيد محمد باقر الصدر نصوص سبعة منشورات لجماعة العلماء، وتاريخ كتابتها هو عام ١٣٧٨ هـ. تتضمن هذه النصوص العديد من القضايا السياسية بالإضافة إلى رسالة الإسلام وخصائصه، موجهة إلى الشعب العراقي والأمة الإسلامية.^(٢) على سبيل المثال، فيما يتعلق بالسياسة جاء في أحد هذه المنشورات:

«... السياسة بمعناها الصحيح... هي رعاية شؤون الأمة وإدارة علاقاتها الداخلية والخارجية، فالسياسة تعني تحقيق مصالح الأمة وحفظ كيائها الاجتماعي في كل جوانب الحياة....».^(٣)

(١) السيد محمد باقر الصدر، الحسين يكتب قصته الأخيرة، تقرير: كاظم الحائري، تحقيق وتعليق ومراجعة: صادق جعفر الروازق.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٣٢٧ - ٣١١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٦.

المكاتيب والرسائل

بالإضافة إلى ما تم ذكره هنا، للشهيد الصدر العديد من الرسائل والمكاتيب والخطب والفتاوى... التي تناول فيها بعض القضايا السياسية المهمة. ولكننا هنا، بسبب اختصار الموضوع، نتجنب التطرق إلى جميع هذه الرسائل. ونشير فقط إلى خطبتين سياسيتين - اجتماعيتين له بعنوان «المحنة»^(١)، حيث تناول فيها المشكلة الأساسية التي تواجه المجتمعات الإسلامية اليوم، وخاصة المراكز العلمية والحوزات في العالم الإسلامي. وقدم حلولاً عملية وواقعية لهذه المشاكل. مثلاً، يقول في هذا الصدد:

فمن لابد لنا من أخلاقية التضحية بالمصالح الخاصة في سبيل المصالح العامة: أمّا ما كان موجوداً فهو على الغالب إيثار للمصلحة الخاصة على المصلحة العامة.^(٢)

من بين الرسائل والمكاتيب، يمكن الإشارة إلى الرسائل التي كتبها في أواخر حياته، من بينها ثلاث رسائل ألقاها إلى المجتمع العراقي والأمة الإسلامية والتي تحمل أهمية سياسية.^(٣) هذه الرسائل، التي تحتوي على أهم آرائه وأفكاره في حقل السياسة وإدارة المجتمع، وكذلك طرق مواجهة الظلم والاستبداد، والتضحية بالنفس في سبيل تحقيق العدالة وحرية الإنسان من قبضة الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي، وتُعدّ من أهم الوثائق السياسية التي تركها مرجع ديني كبير في العصر الحديث. هذه الرسائل تحتوي على مضامين سياسية واجتماعية سامية. على سبيل المثال، جاء في الرسالة الثانية ما يلي:

(١) السيد محمد باقر الصدر، «المحنة».

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٣) الملاحق بأرقام: ٤ و ٥ و ٦.

ولكن الجماهير دائماً هي أقوى من الطغاة مهما تفرعن الطغاة و قد تصبر ولكنها لا تنسى، وهكذا، نتوجس الطغاة.^(١)

النقطة التي تستحق المراجعة الجادة هنا هي أن الشهيد الصدر كتب هذه الأعمال والرسائل والخطب بكل إيمان واعتقاد راسخ، وليس بناءً على مشاعر عابرة أو تحفيز سريع لتهييج الآخرين. لذلك، فهذه الكلمات نابعة بالفعل من أعماق قلبه، وهي تمثل خطّه السياسي وسيرته الفكرية. كما أن سلوكه في حياته يعدّ شهادة كاملة على صحة ما قاله، فهو لم يكن مجرد متحدث، بل كان شخصاً يعيش أفكاره في الواقع اليومي.

يمكن القول إن الشهيد الصدر من بين الأشخاص الذين تشكل أعمالهم السياسية جزءاً أساسياً من سيرتهم السياسية، خصوصاً عندما نعلم أنه كان يسعى إلى إحياء نوع من «النهضة المعرفية والأخلاقية» في السياسة وإدارة الشؤون العامة. كان يهدف إلى نهضة شاملة في الفكر، والإدارة، والأخلاق، والعدالة.

كما نلاحظ فإنّ الشهيد الصدر تناول قضايا إنسانية هامة في أعماله، بما في ذلك السياسة وإدارة شؤون المجتمع، والمصير المشترك للإنسانية، وكان له توجه فلسفي-كلامي وتفسيري-فقهي تناول من خلاله أهم القضايا التي تواجه البشرية. قدّم رؤيته وملاحظاته بشأن السياسة وحقوق الإنسان، وحاول أن يدمج هذه المبادئ في سياق المجتمع الإسلامي، محاولاً إيجاد حل للمشاكل التي يعاني منها المجتمع المسلم في مواجهة تحديات العصر.

إضافةً إلى ذلك، كان الشهيد الصدر على دراية عميقة بالحضارة الغربية (الحداثة) والحضارة الإسلامية، وحاول عبر إحاطته بعلمون العالم المعاصر وفلسفته وحضارته من منظور الإسلام،^(٢) أن يوظّف فهمه الوقاد بها يسمح به

(١) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ١٥٠.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، تفسير موضوعي ستهائ تاريخ در قرآن، ص ٧٧.

عمره لخلق نوع من الجسر بين المعرفة الإسلامية الحديثة وبين التحديات التي تطرحها الحضارة المعاصرة. وبالتالي، كان يحاول أن يقدم للجيل الجديد زادًا فكريًا يمكنهم من فهم التحديات المعاصرة والتعامل معها بمنهج إسلامي مدروس.

ولابد من التأكيد على أن الشهيد الصدر كان يتحدث بلغة عصره، فذاع صيته ليس على الصعيد المحلي بل على الصعيدين القومي والعالمي، فكان له حضور عالمي في الفكر السياسي الإسلامي. وقد جعل أفكاره تتجاوز حدود القومية والطائفة والعرق، ليلج ميادين النضال الفكري والسياسي، وهو ما جعل أفكاره ووجوده يشكل تهديدًا حقيقيًا لقوى الاستبداد الكبرى وعملائهم المحليين، ما أدى إلى استشهادهِ على يد النظام العراقي في ذلك الوقت. ولولا إرادة قوى الظلم في عالم السياسة، لما تمكن النظام العراقي العميل من ارتكاب هذه الجريمة البشعة.

إنَّ كتابات الشهيد الصدر تمثل بحق مرجعية فكرية في معالجة قضايا المجتمع الإسلامي في زمنه، وقد عكست بوضوح جهاده الفكري ضد الاستبداد والطغيان، وهو ما يجعل سيرته السياسية جزءًا أساسيًا من التراث السياسي الذي يعكس الآمال والطموحات في بناء مجتمع إسلامي عادل وقوي قادر على مواجهة تحديات العصر.

الفصل الرابع :

الشهيد الصدر ومقتضيات الزمان

المقدمة

المقصود من مقتضيات الزمان هو الأوضاع، الأحوال، والقضايا والحوادث التي تمر بها المجتمعات البشرية في عصر المفكر الذي يتم مناقشة أفكاره وسيرته. تلعب هذه الأوضاع والظروف دورًا أساسيًا في تشكيل الآراء والأفكار السياسية والمواقف والسير السياسية للمفكرين.

بالطبع، هذا لا يعني أن أفكار وسيرة كل إنسان هي نتاج الظروف والمقتضيات الزمانية والمكانية فقط، بل على العكس، يمكن القول أن الإنسان هو من يشكل أفكاره وشخصيته وسيرته وفقًا لإرادته. وبالتالي، لا يمكن أن يكون للزمان والمكان دور حاسم في تشكيل الشخصية السياسية للأفراد لوحدهما، ولكن في الوقت نفسه، لا يمكننا أن نتجاهل تأثيرهما، إذ أن الزمان والمكان هما بمثابة الحاويات التي يُصاغ فيها الفكر الإنساني، وبالتالي يمكن أن يكون القول «الإنسان ابن زمانه» صحيحًا في هذا السياق.

لذا، من أجل فهم السيرة والمواقف السياسية لأي مفكر أو نظرية سياسية، لا بد من النظر إلى الظروف الحياتية والبيئية التي نشأ فيها هذا المفكر. خصوصًا وأنّ المفكرين الكبار غالبًا ما يكونون كردود أفعال كبيرة تجاه ظروف ومقتضيات زمانهم، وهو ما يجعل أهمية دراسة هذه الظروف أعمق وأوضح. لهذا، في هذا الفصل، سوف نتناول مقتضيات عصر الشهيد الصدر في ثلاثة محاور أساسية: المجتمع العالمي، العراق، وكيفية تطبيق الظروف والمقتضيات على حياة هذا الرجل الكبير.

المجتمع العالمي

الأوضاع السياسية والاجتماعية

المقصود من المجتمع العالمي أو النظام الدولي «مجموعة من الوحدات السياسية المستقلة التي تتفاعل بشكل متكرر وفقاً لخطوط منسقة لإحداث ردود فعل متبادلة....»^(١) يشمل هذا المجتمع العالمي الدول، بالإضافة إلى الأمم، والأعراق، والطوائف، والمنظمات غير الرسمية، والأهم من كل هذا الأفراد، والأيديولوجيات، والعلاقات، والنشاطات الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، وغيرها. يُعرف المجتمع العالمي المعاصر بخصائص مثل «الإنسانية»، «الفردانية»، «سياسة القوة»، «المادية»، وغيرها، التي تُعد الأسس التي تقوم عليها الثقافة، والسياسة، والاقتصاد في العالم الحديث (المعاصر). هذه الخصائص تحكم الوحدات السياسية وكذلك على العلاقات والتفاعلات بينها.

كما ذكرنا، وُلد العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر في عام ١٩٣٥ م (١٣٥٣ هـ ق و ١٣١٤ هـ ش) في مدينة الكاظمية، إحدى المدن المركزية في العراق وموطن العتبات المقدسة، وتوفي شهيداً في السجن ببغداد عام ١٩٨٠ م. من أبرز القضايا التي كانت تشغل أذهان المفكرين في وقت ولادته، الصراع الشديد بين الأفكار والأيديولوجيات السياسية المتعددة في مختلف أنحاء العالم، والتي نتج عنها تنافسات سياسية وثقافية واقتصادية وعسكرية واسعة النطاق. كان الفكر السياسي الليبرالي المسيطر في ذلك الوقت يواجه تحديات من أيديولوجيات اشتراكية - خاصة الاشتراكية الروسية القائمة على الماركسية أو الماركسية-اللينينية، بالإضافة إلى الأيديولوجيات الفاشية والشمولية التي برزت في العديد من دول العالم. على

(١) جوزف فرانكل، روابط بين الملل در جهان متغير، ترجمه عبدالرحمان عالم، ص ٢٠١.

الرغم من أن أول ثورة ليبرالية^(١) كانت قد مرت عليها أكثر من قرن ونصف، وأن الثورة الماركسية الأولى في روسيا لم يمضِ على وقوعها عشرون سنة، فإنّ النظام الاشتراكي كان قد حقق نجاحات ملحوظة على مستوى العالم، مما جعله يشكل تهديدًا كبيرًا للنظام الليبرالي السائد آنذاك.

هذان المذهبان، على الرغم من أن الأول (الليبرالية) كان يعتمد على الفردانية والثاني (الاشتراكية) كان يركز على أصالة المجتمع والجماعة، إلا أنّ كليهما كانا يقومان على أسس مادية وإنسانية - بالمعنى الحديث لها. إلى جانب هذين المذهبين المسيطرين، حيث كانت تتبلور في داخلهما، الأيديولوجيات المتطرفة التي توصم بالطابع الديكتاتوري والشمولي، مثل الفاشية في إيطاليا، والنازية في ألمانيا، والستالينية في الاتحاد السوفيتي، في ساحة الفكر والعمل السياسي، كانت هناك صراعات رئيسيان: الأول الحرب بين الليبرالية والاشتراكية وأنصارهما، والثاني الحرب بين الأيديولوجيات المتطرفة وذينك المذهبين. أمّا الصراع الثاني فترافق مع عوامل وأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة، وكان في العام الخامس من حياة العلامة الصدر، الذي شهد نشوب الحرب العالمية الثانية.

في هذا الوقت، كان انتصار الماركسية، ومن ثم بروز الستالينية في روسيا، قد أثار القلق الشديد في الدول الغربية، كما أحدث قلقًا بالغًا لدى الدول الآسيوية مثل إيران والصين، خاصة في البلدان التي كانت قد نالت استقلالها حديثًا، مثل العراق. من الناحية السياسية والعسكرية، كان تشكيل تحالف دول المحور ودول الحلفاء^(٢) في فترة حياة الشهيد الصدر يحمل أهمية خاصة.

(١) وقعت الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ م.

(٢) هي بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وقد أطلق تشرشل عليها الاتحاد الكبير.

موضوع آخر كان ذا أهمية سياسية بالغة في ذلك الوقت هو مساعي الحركات الاستقلالية المختلفة في آسيا وأفريقيا في محاربة الاستعمار، وهو ما أدى إلى استقلال بعض البلدان في آسيا وأفريقيا. من الناحية الثقافية، كانت الدول الغربية قد بدأت منذ وقت طويل جهودًا جبارة لفرض نفوذها الثقافي وترسيخ الثقافة الغربية في جميع أنحاء العالم، وكانت تواصل هذه الجهود بوتيرة أسرع وأكثر قوة.

من الناحية الاقتصادية، على الرغم من أن الأزمة الاقتصادية العالمية أو الركود الاقتصادي الكبير (١٩٢٩-١٩٣٣ م) قد أدى إلى تشديد «السياسة الحمائية» الاقتصادية، مما تسبب في انتشار المشاعر التي ترفض التعاون بين الدول أو تتجاهلها،^(١) إلا أن دول أوروبا الغربية، والولايات المتحدة، واليابان، ظلت القوة الاقتصادية المهيمنة. بينما كان معظم العالم - وخاصة آسيا وأفريقيا - يعاني من فقر مدقع. وفي نفس الوقت، شهد العالم محاولات الدول الغربية لإعادة تقاسم العالم فيما بينها.

كانت العوامل التي تم الإشارة إليها، بالتوازي مع الأزمات السياسية في النصف الثاني من عقد الأربعينيات من القرن العشرين، مثل اصطفاف الدول الغربية بعضها إزاء بعض، وغزو إيطاليا لأراضي الحبشة، قد أدت إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، واستمرت سبعة أعوام وانتهت في الثاني من سبتمبر ١٩٤٥ م باستسلام اليابان دون قيد أو شرط، مع ما خلفته الحرب من خسائر بشرية تقدر بـ ٥٢ مليونًا و ٤٨٠ ألف شخص.^(٢)

غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية، كما حدث بعد عشرين عامًا من انتهاء

(١) مكتب التخطيط الدراسي وتأليف المناهج الدراسية، التاريخ العام، ص ٥٩.

(٢) پير رونون، بحرناى قرن بيستم، ج ٢، ١٩٤٥ - ١٩٢٩، ترجمه: احمد ميرفندرسكى، صص

الحرب العالمية الأولى، استفادت الحركات الاستقلالية و«الحركات التحررية» من الفرصة التي أتاحتها الظروف الجديدة لتحقيق أهدافها.

في البُعد السياسي، بالإضافة إلى تشكيل حركات الاستقلال والتحرر، نشأت تغيرات أساسية أخرى في العالم: أولاً، تغيير في تصنيف القوى الكبرى، وثانياً، زيادة قوة بعض القوى الكبرى وتراجع البعض الآخر.^(١)

حلّت القوى «الجديدة» الأمريكية والروسية محل القوى الأوروبية الغربية والوسطى، بحيث أصبح العالم يتمتع بنظام ثنائي القطبية - المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية والمعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي الاشتراكي - . نشأ التناقض بين الأسس الإيديولوجية والمبادئ الفكرية، وأساليب الحياة، والآراء الاقتصادية، وبنى الحكومات لدى هاتين القوتين الكبيرتين، مما أدى إلى ظهور نظام ثنائي القطبية في الساحة الدولية في فترة «الحرب الباردة».^(٢)

كانت الديمقراطية والليبرالية الأمريكية من جهة، والاشتراكية والشيوعية الروسية من جهة أخرى، تتراشقان تهمة الإمبريالية،^(٣) ولم يستمر تعاونهما أكثر من أربع سنوات. الآن، أصبح كل طرف يسعى لاستخدام مختلف الأساليب والوسائل للهيمنة على العالم وطرده منافسه من الساحة.

الحرب الباردة تتكون من ثلاث مراحل:

١. المرحلة الأولى (١٩٤٥-١٩٥٣ م): في هذه المرحلة، ظهرت المنافسة

(١) بيير رونون، المصدر نفسه، ص ٥٠٤.

(2) cold war.

(٣) بيير رونون، المصدر نفسه، ص ٥٠٧.

بين القوتين العظميين بشكل علني، وبدأ الهجوم الثقافي والإيديولوجي المتبادل بين الطرفين. في هذه الفترة حدثت أزمات مثل أزمة آذربيجان وكردستان في إيران، وأزمة برلين، والحرب الكورية، كما تم تأسيس منظمة حلف شمال الأطلسي (الناتو).^(١)

٢. المرحلة الثانية (١٩٥٣-١٩٦٠ م): في هذه المرحلة، زادت كل من القوتين من حملاتهما الدعائية ضد بعضهما البعض.^(٢) في عام ١٩٥٣ م، استبدلت الولايات المتحدة «خطة مارشال»^(٣) بـ «الأمن المشترك».^(٤) كانت الأزمات الكبرى في هذه المرحلة عبارة عن: أزمة الهند والصين، أزمة بولندا والمجر، أزمة قناة السويس، وغيرها. في هذه المرحلة، أنشأ السوفييت «حلف وارسو» ردًا على حلف الناتو. وفي عام ١٩٥٦ م، طرح خروتشوف مبدأ «التعايش السلمي»، الذي لم يحظ بترحيب كبير في الغرب. في المرحلة الثانية من الحرب الباردة بدأ العالم الثالث، نتيجة لنمو الحركة القومية وصحوة الشعوب المستعمرة، باتخاذ خطوات كبيرة نحو تبني سياسة مستقلة عن الشرق والغرب، وهو ما كان يلاحظ أيضًا في منطقة الشرق الأوسط.

٣. المرحلة الثالثة (١٩٦٠-١٩٦٣ م): في هذه المرحلة، بذلت القوتان العظميان آخر محاولتهما لمواجهة بعضهما البعض. ومع ذلك، بينت التحولات العالمية أنه من الأفضل لهما التوصل إلى تفاهم بشأن القضايا العالمية. في هذه المرحلة أيضًا، وقعت أزمات متعددة مثل أزمة الكونغو، بناء جدار برلين، ثورة

(1) North Atlantic Treaty organization (NATO)

(٢) پير روناون، المصدر نفسه، ص ٥٠٧، «قبل العام ١٩٤١ م كانت الديمقراطية الأمريكية والشيوعية تتبادلان الاتهام بالإمبريالية».

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(٤) مكتب التخطيط الدراسي وتأليف المناهج الدراسية، المصدر نفسه، ص ٨٠.

الجزائر، أزمة الصواريخ الكوبية، وغيرها. كان توقيع اتفاقية الحد من الأسلحة^(١) في عام ١٩٦٣ م بمثابة نهاية الحرب الباردة وبدء فترة سياسة «احتواء التوتر» و«التعايش السلمي»، التي استمرت حتى انهيار الاتحاد السوفيتي مع بعض التقلبات صعودًا وهبوطًا. وكانت سياسة احتواء التوتر^(٢) في هذه المرحلة بدأت تأخذ طابعًا سياسيًا وعسكريًا أكثر منه أيديولوجيًا وثقافيًا.

من الظواهر المهمة بعد الحرب العالمية الثانية تشكيل منظمة الأمم المتحدة بهدف تأمين السلام والأمن الدوليين في عام ١٩٤٥ م، التي نشأت فعليًا بمبادرة القوى الكبرى ومن أجل الحفاظ على مصالحها، وما تزال تعمل في هذا السياق لتلبية مصالحها حتى يومنا هذا. كما أن حركة عدم الانحياز هي أيضًا منظمة نشأت بالاعتماد على مبدأ «سياسة عدم الانحياز»، حيث اعتمدت في عملها على عدم الارتباط العسكري بالشرق أو الغرب. لكن هذه الحركة، بالإضافة إلى افتقار قراراتها إلى ضمانات تنفيذية، فإن العديد من أعضائها هم فقط غير منحازين في الشعارات والأقوال.

القضايا الأساسية والتحول الجوهري في فترة حياة العلامة الصدر، التي تمثل جزءًا كبيرًا من تاريخ العصر الحديث، تشمل: هيمنة الليبرالية الغربية، صعود الشيوعية وسقوطها، ظهور الأيديولوجيات المتطرفة، انتشار النزعات القومية خاصة في آسيا وأفريقيا، والانتصار النسبي للغرب في الحرب الباردة وتأثيراتها على روح وفكر وسلوك البشر، وأخيرًا «صحوة دينية

(١) تم التوقيع على هذه المعاهدة في ١٩٦٣ م من قبل مندوبي بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

(2) detente

وسياسية في العالم، خاصة النهضة السياسية في العالم الإسلامي^(١). كما عبر الشهيد الصدر، «إنّ التعرف على هذه القضايا وتحليلها هو الذي يظهر بوضوح المشكلة العالمية التي تشغل كل الأفكار البشرية اليوم...»^(٢).

لكن للتعرف على هذه المشكلة، في البداية، وبالنظر إلى أن النظرة الغربية أو المتغربة كانت سائدة في هذا العصر على مستوى العالم، سوف نعرض هنا لمحة موجزة عن الأسس الفكرية للمذاهب الغربية، خاصة الليبرالية والرأسمالية.

أسس الفكر والعمل السياسي الغربي الجديد

الغرب، بهذا المعنى، يشمل بشكل عام الغرب الإيديولوجي والفلسفي، أي العالم الحديث - الليبرالي والاشتراكي -. لذلك، عندما نتحدث عن الأسس الفكرية والسياسية الجديدة للغرب، فإننا نقصد المبادئ والمعايير التي تُعد أساساً لجميع الأفكار والسياسات التي تمثل الحداثة أو الحضارة الجديدة في العالم، وهذه الأسس على الرغم من أن جذورها أوروبية، إلا أنه لا يوجد اختلاف كبير بين المذاهب المختلفة التي ظهرت في هذا الغرب حول هذه الأسس. تاريخياً، الثقافة الغربية الحديثة تنبع من الثقافة اليونانية، والتي تطورت على مر العصور من خلال تأثيرات وتفاعلات وتحولات مختلفة لتأخذ شكلها الحالي.

وعلى حدّ تعبير أحد المفكرين الغربيين:

«ما نسميه نحن الثقافة الغربية بمعناها الواسع، هو في الأصل الثقافة

(١) مجتبی امیری، «درسهایی از قرن بیستم» مروی بر کتاب جدید الانتشار برژینسکی، اطلاعات سیاسی - اقتصادی، العددان ٦٨ - ٦٧، ص ٢٨.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، مدرسه اسلامی، ترجمه علی کاظمی خلخالی، ص ٩.

اليونانية التي ورثناها عبر الرومان، والتي كانت قد انتقلت من خلال تعاليم المسيحية عبر آباء الكنيسة، وامتدت عبر أجيال من الفنانين، وأرباب القلم، والعلماء والفلاسفة، من بداية العصور الوسطى حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وقد تم توسيعها وتطويرها بشكل مستمر.^(١)

في القرون التاسع عشر والعشرين الميلاديين، تركزت محاولات الفلاسفة الغربيين بشكل رئيسي على إصلاح وتعديل الثقافة والحضارة الغربية، بهدف إيجاد نقطة تحول في هذا السياق. وكانت النتيجة إما الوصول إلى الرابية الفلسفية أو إلى عبودية العقل الجمعي. يمكن اعتبار المبادئ والمعتقدات الأساسية للثقافة الغربية، أساس وجوهر جميع المذاهب الغربية، وهذه المبادئ هي باختصار «الإنسانية»^(٢)، «العقلانية»^(٣)، «المادية»، «العلمانية» و«العلموية». في هذا السياق، سوف نشير بإيجاز إلى كل من هذه المفاهيم:

الإنسانية

الوجه الرئيسي للثقافة الغربية هو «الإنسانية» أو الإيمان الراسخ بعظمة الإنسان ورفعته، ومنح الأولوية لإرادة الإنسان ورغباته وترجيحها على كل شيء آخر. يعود أصل الإنسانية إلى عدة قرون قبل الميلاد، وتحديدًا إلى الثقافة اليونانية. «في الثقافة اليونانية، كانت الآلهة تعد منافسة للإنسان. كانت «النار السماوية» أو «النار الأبدية» محجوزة حصريًا لزيوس (إله الآلهة)، وكان يسعى بكل قوته لكي لا تقع هذه النار في يد الإنسان... وبالتالي، كانت الثقافة

(١) إيتيان جيلسون، نقد تفكير فلسفي غرب (از قرون وسطى تا اوایل قرن حاضر)، ترجمه احمد احمدی، ص ٢٥٦.

(2) hummanism

(3) rationalism

اليونانية تحمل فكرة أنّ الإنسان منافس للآلهة، وأنّ الأصالة للآلهة»^(١).

نتيجة لهذا الاعتقاد، كان البعض في اليونان القديمة يطرح فكرة «أصالة الإنسان» بشكل عام في مقابل «الألوهية» وأصالة إرادة الآلهة، وفي عصر النهضة عادت الإنسانية ومحورية الإنسان لتُطرح في حلّة جديدة، وتحوّلت إلى فلسفة ترى في الإنسان مفهومًا ظاهريًا وأنّ نفسانياته مقياس لكل شيء، فصارت هذه الفلسفة مرجعًا لجميع المذاهب والفلسفات الغربية. كتب رينيه غينون في هذا السياق:

«لو استطعنا تحليل أقوال مشاهير الفلسفة والأيدولوجية الغربية، لأدركنا أنّ مرجعيّة كل هذه الأصول والمبادئ هو مذهب أصالة البشر»^(٢).

في ظلّ هذا الفكر انقطعت صلة الإنسان بالسماء، وأصبح هذا الإنسان المادي باحتياجاته الطبيعية المصطنعة أعني أهواءه النفسانية معيارًا لجميع الأمور. ما يزال الكلام لرينيه غينون حيث كتب في هذا الصدد:

في عصر النهضة، كان هناك مصطلح واحد حظي باحترام خاص وأصبح يختزل برنامج الحضارة الحديثة بأكمله، وهو «الإنسانية» (الفلسفة التي ترى أنّ الإنسان هو معيار القيمة لكل شيء). في الواقع، كان المقصود من هذا المصطلح هو أن يتم حصر كل شيء في المقاييس البشرية فقط... ويمكن القول على سبيل التمثيل أنّ المقصود كان رفض السماء باسم السيطرة على الأرض»^(٣).

(١) مكتب التخطيط الدراسي وتأليف المناهج الدراسية، آشنائي با مكاتب و اصلاحات عقيدتي و سياسى، صص ٤ - ٣.

(٢) رينيه غنون، بحران دنيای متجدد، ترجمه ضياء الدين دهشيري، صص ٢٠ - ١٨.

(٣) رضا داوورى اردكاني، فارابى، مؤسس فلسفه اسلامى، ص ١١.

العقلانية

أما لماذا يمكن للإنسان أن يكون معيارًا لكل القيم؟ الجواب هو أنه «موجود يمتلك عقلاً»، هذه ثاني سمة رئيسية من سمات الثقافة الغربية هي «الاعتقاد بأن العقل هو ما يميز الإنسان». كان هذا المفهوم مقبولاً في اليونان وروما. كما أن المسيحية، التي أصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية، سلّمت بتعريف «الحيوان الناطق» بمعنى «الحيوان العاقل ذو فكر». بحسب فكر الفلاسفة المسيحيين، خلق الله الإنسان على صورته لأنه يمتلك العقل.

لكن في الفكر الغربي الحديث، لا يُنظر إلى العقل على أنه مفهوم فلسفي أو عقلي فطري، أو معيار للتمييز بين القيم أو معيار إنسانيته. في هذا الفكر، يُنظر إلى العقل كمفهوم محدود قائم على المنفعة ويميز بين المنفعة والضرر من منظور مادي. وفقاً لهذه الرؤية، يرى العقل نفسه من زاوية حسّية وتجريبية، ويتم الحكم عليه من نفس الزاوية.

العقل الذي تصفه تجارب الأديان والمناطق الجدد هو عقل ضعيف لا يفكر سوى في الربح والخسارة.

أكثر الأشكال شيوعاً لهذا النوع من العقل هو نظام وهمي كمّي، يصطدم، في نهاية المطاف، بالعقل الفلسفي والعقل الديني، وتنكره جميع أشكال العقل الأخرى. وبالتالي، فالعقل بحسب العقلانية الحديثة، ليس محدوداً وضعيفاً فحسب، بل ممسوخاً ومنحطاً، ويفقد مفهومه الأصلي، ليقصر على «المحاسبة» و«الفهم الضعيف القائم على الحس والتجربة»، وفي النهاية يصبح «مادياً بحثاً» أو «نفسانياً».

تتعاطى العقلانية الحديثة مع الحياة والبيئة بمفهوم مادي وحسابي، وقد

نشأت هذه الفكرة في أوروبا نتيجة للأفعال وردود الأفعال إزاء العصور الوسطى. لذلك، يُقدّم العقل في الفكر الغربي الحديث، على أنه «انعكاس للمادة والحس».

العلموية

العقلانية وفق المفهوم المذكور في أعلاه، حيث تعتمد على الحواس والتجربة، تجلت في مجال المعرفة في شكل العلموية. وبما أنّ العقل لم يكن له سوى مهمة الحساب والتدقيق وفحص الظواهر الكمية والتقنية، فقد أصبح هدف المعرفة والعلم أيضًا مقتصرًا على «فهم قوانين الطبيعة ليتسنى تسخيرها لخدمة الإنسان واكتساب القوة». في المشروع الذي قدمه فرانسيس بيكون للمدينة الفاضلة في كتابه «أتلانتس نو»، منح العلم السيادة المطلقة واعتبره الطريق الوحيد للبشر نحو حياة سعيدة. انتشر المذهب الجديد للعلموية بسرعة عبر أرجاء أوروبا، وهو المذهب الذي يرى في العلم والعقل المحاسبي والتقني الشرط اللازم والكافي لتحقيق سعادة الإنسان، ممّا غيّر مفهوم العلم والمعرفة. كتب والتر، من أصحاب دائرة المعارف في القرن الثامن عشر، عن هذا الموضوع قائلاً:

«... يجب علينا أن نحسب، ونقيس، ونراقب، فهذه طبيعة الفلسفة، وما تبقى هو خرافات».^(١)

بلغت العلموية الذروة في القرن التاسع عشر الميلادي بالاستناد إلى المبدأ الوضعي. وقد أعطى أوغست كونت، الفيلسوف الفرنسي، لهذا الأساس صيغة صريحة وكلاسيكية. في النصف الأول من القرن العشرين، اعتمدت

(١) مكتب التخطيط الدراسي وتأليف المناهج الدراسية، المصدر نفسه، ص ٢٧.

العلموية بشكل أساس بلحاظ المنهجية المعرفية على الوضعية المنطقية، وهذه بدورها تؤكد على الحس والتجربة، بالإضافة إلى أن هذه المدرسة اعتبرت معظم القضايا الفلسفية والدينية والأخلاقية خلف وبلا معنى. كان كارناب يعتقد أن «رسالتنا هي إلغاء الفلسفة تمامًا».^(١) اليوم، تعتبر الوضعية الحديثة التي يُشار إليها أحياناً بالسفسطائية الجديدة، والتي تمثلها بشكل رئيسي آراء كارل بوبر، وفيليب فرانك، وكارل همبل، هي الشكل السائد والهيمنة الفكرية الغربية والشكل الجديد للعلموية. فالعلموية التي هي عصارة العقلانية الحديثة ونتاج عصر النهضة، أدت أخيراً إلى الانفصال الكامل بين العلم أو الفلسفة والأخلاق والإيمان، وهي قضية شبهها الفيلسوف الإنجليزي الكبير ألفريد نورث وايتهيد بمرض التصلب.^(٢)

العلمانية

لقد أدى التنامي المضطرد للعلموية والتكنولوجيا جنباً إلى جنب مع حركة التنوير في العالم الغربي، إلى ما يُسمى بالعلمانية أو الدنيوية. وتمخّض عن هذا التحول الغرق في الماديات والمظاهر الدنيوية. في عصر التنوير، طُرحت فكرة الفلسفة والحكمة الإلهية العلمانية والدنيوية.

وفقاً للرؤية العلمانية، تم نقل الحقائق من دائرة الدين والفلسفة إلى دائرة الأمور غير المقدسة والطبيعية والتجريبية. في المجال الاجتماعي والسياسي، تم فصل السياسة عن الدين والأخلاق، وعلمنة المؤسسات السياسية والاجتماعية، مما أدى إلى خلع القداسة عن بعض مظاهر العالم والإنسان نتيجة

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٢) متلازمة sklerose تصيب الإنسان عادة في مرحلة الكهولة وهي عبارة عن تليّف الأنسجة الذي يؤدّي إلى موت المريض.

لهذه الرؤية القائمة على الدنيوية.

إذا كان كما قال كونت بأن المراحل الإلهية والفلسفية قد انتهت، ويجب أن يدخل الفكر البشري إلى المرحلة النهائية، أي المرحلة العلمية، وفقاً لما يُسمى بالـ «العلموية» أو الوضعية، حينئذ سوف يحلّ العلم التجريبي المعتمد على الحواس والتجربة محل الدين والفلسفة. وهذا الاستبدال ليس سوى نتيجة من نتائج العلمانية، وقطع العلاقة بين الإنسان والعالم المعنوي، وتقييد الإنسان بأغلال عالم المادة والحسّ.

في هذا «الاستبدال»، تم تسليم المهام التي كانت تقع على عاتق «الفلسفة» و«الدين» في العصور السابقة إلى العلوم المادية والتجريبية، وعندما لم تتمكن هذه العلوم من تحقيق ذلك، خرجت الحياة البشرية من صورتها الكلية والوجدانية. وعليه، بسبب نقص المعرفة الإنسانية الصحيحة والضرورية لتفسير الحياة البشرية، أصبحت الحياة خالية من «الروحانية»، مما أدى إلى حدوث «أزمة معنوية» حادة في الحياة البشرية المعاصرة.

الرؤية المادية

فصل مظاهر الحياة الإنسانية عن المجتمع وعن الروحانيات والأخلاق، وإحلال العلم والتجربة محلّ الفلسفة والدين، قد غير بشكل كبير من نظرة الإنسان إزاء وجوده وحواسه. فالفرار من الروحانيات، والتركيز على الماديات، والتعلق بالظواهر والسطحيات، والابتعاد عن أعماق الأمور وبواطنها، لدلالة على رؤية الإنسان الغربي وفهمه الجديد لحقائق الوجود. فمع التركيز الكامل على الماديات والعلوم المادية، حُرمت القلوب تدريجياً من الإشعاع الروحي، وبالتالي بدأت الأسس غير الإنسانية لنظام «الرأسمالية» —

أي البحث المنفلت من عقاله عن المصالح الخاصة — تجد أرضاً خصبة في أعماق القلوب المظلمة التي تبحث عن النمو والانتشار.

نتيجة لهذه الرؤية، أصبح من واجب الفلسفة والعلم أن يقتصروا على البحث في العالم المادي والطبيعة، لأن الوجود صار يُحتزل في هذا العالم المادي فقط. حتى الإنسان، مثل باقي الكائنات غير الحية، أصبح ظاهرة مادية بلا روح تشبه الساعة أو السيارة. في مثل هذه الرؤية، يصبح الله أيضاً ذا بعد مادي، وعمله في الخلق مشابهاً لعمل صانع الساعات.

«... وكانت نتيجة هذا التحول في الفكر الغربي أن صارت الحياة خاوية بلا معنى، بسبب فقدانها البعد المتعالي، وتحولت إلى ظاهرة غير محسوبة وغير هادفة، حيث أصبح الإنسان هو الذي يجب عليه أن يخلق لها هدفاً ويضع «عقداً» لتوجيهها نحو «المقصد المتعاقد عليه»...»^(١)

ومن المثير للاهتمام أنه مع هذه النظرة إلى الحياة، يتم تحريف كل شيء، وبفقدان الإنسان ماهيته وحقيقته، تصبح الأولوية للبعد المادي والاقتصادي - القائم على المال -، ويتحول الإنسان إلى كائن مادي وطماع متشبث بالدنيا بعيد عن الإنسانية.

أزمة العصر الحديث

على الرغم من التقدم الكبير الذي حققه الإنسان الغربي في العصور الحديثة في حقل العلوم الطبيعية والتجريبية، فإن غياب المعنوية والروحانية والاعتماد على الماديات البحتة قد أدى إلى خلق نوع من الفراغ في فكر الإنسان المعاصر وروحه. إن الحركة الليبرالية التي مضى عليها أكثر من قرنين منذ أول

(١) محمد علي سادات، سرمايه تاراج رفته، صص ٩٩ - ١٠٠.

ثورة كبرى لها، وهي الثورة الفرنسية الكبرى، رغم أنها حققت العديد من أهدافها مثل الإطاحة بالحكومات المطلقة، والقضاء على الإقطاع، وتحرير الفلاحين من قيوده، وإزالة السلطة السياسية والاجتماعية للكنيسة من الحياة الاجتماعية الغربية، وإنشاء المؤسسات الديمقراطية، قد نجحت في ذلك، أو على حدّ تعبير الشهيد الصدر:

«... هذا النظام أزال، إلى حدّ ما، الظلم الاجتماعي في الحياة الاقتصادية، والدكتاتورية في الحياة السياسية، ووجود الكنيسة في الحياة الفكرية، وسلّم السلطة إلى هيئة حاكمة جديدة، لتحلّ محلّ الأنظمة السابقة، وتبدأ دورها الاجتماعي بطريقة جديدة»^(١).

ورغم أن هذه المدرسة استطاعت أن تزرع العديد من مبادئها وقيمها مثل الفردانية، وأصالة العقل، والنسبية، والديمقراطية الاجتماعية، والتقدم الاقتصادي، في العديد من شعوب العالم، إلا أنها فشلت في الوصول إلى أهم مبادئها مثل: حرية الإنسان، الديمقراطية، حقوق الإنسان، وما إلى ذلك. وبالتالي، تحولت إلى أيديولوجية النظام الرأسمالي العالمي الذي يهدف إلى إحلال الرؤية والقيم الرأسمالية والبورجوازية محلّ رؤية النظام الإقطاعي وقيمه.

من ناحية أخرى، فإن المذهب الاشتراكي، الذي بدأ عهده بشعار «المساواة الاجتماعية» و«العدالة الاقتصادية»، وجعل من تحقيق المجتمع المثالي والهدف النهائي للبشرية، أي الشيوعية، هدفاً له، لم يتمكن في أي فرع من فروع حلّ المشاكل الاجتماعية والسياسية والفكرية الأساسية للبشر.

الفرع الأشهر لهذا المذهب، وهو الماركسية، الذي ظهرت أفكاره

(١) السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ص ١٣؛ بينش اجتماعي اسلام، ص ٦.

السياسية لأول مرة مع الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧، على الرغم من أنه استطاع لأكثر من سبعين عاماً تقريباً أن يشكّل المذهب الفكري الثاني في العالم المعاصر، ويسيطر على أجزاء واسعة من العالم، وتمكن من إقامة حكومات الحزب الواحد والدكتاتوريات الشمولية، إلا أنه فشل في تحقيق أهدافه الأساسية. إنّ عجز هذين المذهبين الحاكمين عن حل مشاكل الإنسان المعاصر أدى إلى حدوث أزمة جوهريّة في العصر الحديث انعكست على الحياة السياسية والاجتماعية وأسفرت عن التشويش، والاغتراب، والتهيه، وعدم الأمان الذي يعيشه الإنسان المعاصر،^(١) فكانت نتيجته «انحطاط الغرب» كما أشار إلى ذلك أسوالد شبنجلر^(٢).^(٣)

في الحقيقة، إنّ عقيدة بريجنسكي بشأن أسباب فشل الشيوعية ينطبق أيضاً على جميع المدارس الفكرية والفلسفية في الغرب. فقد اعتقد: «إنّ الشيوعية كانت تدعو إلى نوع من التمرد الأخلاقي، لأنها كانت ترفض القيم الروحية الثابتة، وكانت تحتل الأخلاقيات إلى مجرد أداة في السياسة، وكانت تعتمد بشكل كامل على الأداء المادي لتحقيق نجاحاتها».^(٤)

أحد المفكرين البارزين الذين فهموا أزمة الفكر السياسي المعاصر وأزمة النظام الاجتماعي والسياسي في عصرنا بشكل جيد، وسعى للوصول إلى رؤية جديدة في التفكير الاجتماعي والفكر السياسي استناداً إلى الفكر الديني والفلسفي هو العلامة السيد محمد باقر الصدر. حيث قام في كتابه «المدرسة الإسلامية» و«فلسفتنا»، قام بدراسة الأنظمة السياسية والاجتماعية المعاصرة.

(١) على حجتى كرماني، عصر امتياز ماشين، صص ٢١٢ - ١٩٢.

(2) spengler

(٣) نشره جهان نور، العدد ٥ و ٤، ص ٧٦.

(٤) مجتبى اميرى، المصدر نفسه، ص ٢٦.

ورأى أن المشكلة الأساسية للبشر في العصر الحالي هي «أزمة المنتظم الاجتماعي - السياسي» و«الأزمة في الفكر والفلسفة السياسية - الاجتماعية»، وهي الأساس الحيوي الذي يحتاجه المجتمع. من خلال دراسته للحالة الراهنة للمدارس الفكرية المعاصرة، حدد العوامل الرئيسية لهذه الأزمة كالتالي: «روح المادية»، «المنفعة الفردية»، «الطمع»، «القيم والمعايير المادية المحققة»، «الفردانية»، «غياب الروحانية»، «الاقتصاد الحر»، وما إلى ذلك.

الأوضاع العالمية والشهيد الصدر

في خلاصة مختصرة، إذا أردنا تقسيم حياة هذا العالم الكبير، التي امتدت خمسة وأربعين عامًا، بناءً على الأوضاع والمواقف السياسية والفكرية المعاصرة في العالم، والنقاط الأساسية والمفصلية التي تميزت بها هذه الفترة، فسوف نجد أنها تنقسم إلى أربعة فترات محددة:

١. السنوات (١٩٣٥ - ١٩٣٨ م)، أي قبل الحرب العالمية الثانية، وهي فترة الطفولة والشباب للشهيد الصدر. في هذه الفترة، بدأ العالم يشهد تحولات كبيرة على الصعيدين السياسي والفكري. ففي هذه الفترة كان العالم يشهد سباق بين القوى الكبرى وتشكيل تحالفات جديدة، كما كان العالم يخرج من فترة من الهدوء النسبي الذي تلا الحرب العالمية الأولى، بينما كان يسعى لتقسيم العالم مرة أخرى في إطار محاولات جديدة للهيمنة الاستعمارية. في الوقت ذاته، كانت الحركات التحررية في مختلف أنحاء العالم، ومنها العراق، تسعى إلى نيل استقلالها من سيطرة الاستعمار.

يجب الإشارة إلى أن العراق، مسقط رأس الشهيد الصدر، كان يمثل مسرحًا لصراعات القوى الكبرى من جهة، وفي الوقت نفسه كان ساحة

للصراع من أجل التحرر والاستقلال من جهة أخرى. لذا فقد تأثر بشكل كبير بالأوضاع السياسية العالمية في تلك الفترة.

من الأهمية بمكان أن نلاحظ أن فترة الطفولة تُعد مرحلة حاسمة في نمو وتطور الخيال والإبداع لدى الطفل، كما يشير بعض علماء النفس: «إن القدرة على الخيال والإبداع في هذه المرحلة (مرحلة الطفولة) تبلغ ذروتها».^(١) في هذه المرحلة، يكون الأطفال عادةً أكثر ابتكارًا، ويبحثون عن طرائق جديدة للتخطيط والتنظيم، ويسعون إلى النشاط المستمر. وفقًا للنظريات النفسية، فإن هذه المرحلة هي الأهم في تعليم الأفراد وصيرورة تحولاتهم الذهنية. كما يقولون:

«... لا يكون الطفل في أي وقتٍ من الأوقات مستعدًا لتعلم الأمور بسرعة وفعالية كما في هذه المرحلة. حيث يكون متحمسًا ويمكنه التعاون مع أطفال آخرين لبناء أشياء جديدة.»^(٢)

وبناءً على ذلك، من المهم أن نعلم أن وعي الطفل بما يحدث من حوله، وخاصةً إذا كانت الأسرة والمحيطين به يتفاعلون بوعي وحساسية مع الأحداث السياسية والاجتماعية المحيطة، يمكن أن يكون له تأثير كبير في تشكيل مستقبله وبناء شخصيته. كما يعتقد إريك إريكسون: «إن بيئة الطفل تساعد في الوقوف على قدميه».^(٣)

وبدون شك، كان للأجواء السياسية والفكرية المحيطة بالشهيد الصدر في تلك الفترة تأثير كبير على وعيه وتوجهاته الفكرية المستقبلية. كانت أسرته تتمتع بوعي سياسي كبير، خاصةً في ظل الظروف السياسية التي كانت تمر بها

(١) روبرت بيلر، كاربرد روان شناسی در آموزش، ترجمه پروین كديور، ص ١٤٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٣) المصدر نفسه.

المنطقة والعالم الإسلامي بشكل عام، وكان العديد من أفراد أسرته في تلك الفترة يشغلون مناصب سياسية هامة، وأبرزهم السيد محمد الصدر.^(١)

٢. سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م)، تزامن هذا العصر تقريباً مع سنوات الدراسة الابتدائية للشهيد الصدر في المدرسة الابتدائية بمتدى النش في الكاظمية، الواقعة في ضواحي بغداد. كانت هذه المدرسة تهتم، بالإضافة إلى تدريس المواد الدراسية، بـ «تربية وإعداد» الأطفال، وكانت على مستوى عالٍ من الثقافة مقارنةً بالعديد من المدارس الأخرى في تلك الفترة)، وكان المسؤولون والمعلمون في المدرسة من المثقفين البارزين. ونظراً لأن العراق كان في خضم الحرب، فقد كانت القضايا الأساسية التي يشهدها العالم تُناقش بشكل أو بآخر في هذه المدرسة، فكان تأثير ذلك كبيراً في صنع مستقبل هذا الطالب الأملعي.

(١) السيد محمد الصدر هو أحد الرجال السياسية والعلم في العراق. شغل مناصب سياسية مهمة في العراق، وكان لفترة رئيساً لمجلس النواب العراقي، وبعد سقوط صالح جبر ونجاح انتفاضة الشيعة في العراق، أصبح رئيساً للوزراء. كما قام بزيارة إلى إيران. يروي السيد محمد أبطحي قائلاً: «... عندما أرسل رضاخان محمدرضا للدراسة في الخارج، مرّ في طريقه بالعراق ودخل بغداد. ومن الطبيعي أن يزور الحرم (الحرم الكاظمي) لأسباب سياسية. ولكن بسبب وقاحته وعدم تدينه، دخل بحذائه إلى الإيوان المطهر للإمام الكاظم عليه السلام. فما كان من السيد محمد الصدر، الذي كان رئيس وزراء العراق، إلا أن يصيح به بأعلى صوته قائلاً: «كن مؤدباً، واخلع حذاءك»، مما أثار غضب محمدرضا خان، فاتصل هاتفياً برضا شاه، الذي بدوره قال لابنه: «كان عليك أن تعرف في حضرة من كنت». ثم يضيف أبطحي: «على أي حال، كان السيد محمد الصدر أيضاً من الشخصيات المهمة».

<http://imamsadr.ir/aboutimam/mosahebeh/010htm>

نقلًا عن: «عدد خاص من مجلة تاريخ و فرهنگ معاصر»، شتاء ١٣٧٢، مقابلة مع آية الله السيد محمد أبطحي. وكان أيضًا من «كبار الشخصيات المناضلة ضد الاستعمار البريطاني». أمير محمد مسيحا، «مجته نوگرا» في:

<http://www.hamshari.net/hmnews/1384/840118/world/idea.htm>

ومن المحتمل أن هذه الأحداث كان لها تأثير على تغيير طريقة تعلم العلامة الصدر، وكذلك على توجهه نحو الحوزة العلمية ودروسها. كما أن وعيه بالآزمات المعاصرة واهتمامه بإيجاد حلول لهذه الآزمات كان أيضًا محرّكًا مهمًا في تطور أفكاره وتوجهاته في تلك الفترة.

٣. سنوات الحرب الباردة (١٩٤٥ - ١٩٦٣ م)، في هذه الفترة، كان الشهيد الصدر قد نال درجة الاجتهاد وبدأ بالانخراط في معارك علمية وثقافية وسياسية واسعة. كانت هجرة الشهيد الصدر من الكاظمين إلى النجف الأشرف في بداية هذه الفترة، والتي كتب فيها أهم كتبه، مثل فلسفتنا و اقتصادنا، وهي كتب تُعد ردودًا على المذاهب الليبرالية والاشتراكية المعاصرة. كما تأسست جماعة العلماء وحزب الدعوة الإسلامية، والتي كانت أهدافها تتجاوز الحدود الجغرافية للأمة الإسلامية. ومن أهم أعماله في هذه الفترة، إصدار منشورات جماعة العلماء، كتابة مقالات رسالتنا في مجلة الاضواء، وكذلك تدوين كتابه المهم والقيم «الأسس الإسلامية» وبعض المنشورات السياسية والحزبية الأخرى.

بشكل عام، خلال هذه السنوات، نلتقي بـ الصدر المهاجر والصدر المجاهد في ساحتين: الأولى «الفكر والتفكير»، والثانية «العمل الفعلي». في الواقع، يمكن القول أن السيرة السياسية للشهيد الصدر، على الرغم من جذورها في ماضيه، قد بدأت تتشكل في هذه الفترة وازدهرت.

٤. سنوات فترة احتواء التوتّر (١٩٦٣ - ١٩٨٠ م)، في هذه الفترة، بالإضافة إلى استمراره في الحركتين الفكرية - الثقافية، والسياسية - الاجتماعية، اللتين بدأهما سابقًا، شرع الشهيد الصدر بحركة جديدة، وهي عرض الدين الإسلامي بشكل كامل وصحيح بحيث يكون قادرًا على أن يحلّ

محل الليبرالية والاشتراكية وغيرهما من المذاهب الغربية. في السياسة والقضايا الاجتماعية، أنشأ المدرسة الإسلامية، وفي الاقتصاد، قدّم البنك الإسلامي، وفي الفقه والشريعة، أصدر الفتاوى الواضحة، وفي علم الأصول، ألقى دروساً في علم الأصول. كما بذل جهداً كبيراً لإحداث تغييرات في الحوزة العلمية، ابتكر المنهج البحثي لتفسير القرآن الموضوعي، أي تفسير القرآن بشكل موضوعي في الحوزة العلمية بالنجف. كما ربّى تلاميذ مميزين ومجاهدين، حيث أعدم نظام البعث البائد العديد منهم. كل هذه الجهود كانت في إطار تحقيق الحركة السياسية والجديدة للشهيد الصدر.

بشكل عام، في هذه الفترة، استمر الشهيد الصدر بدراسة وفهم قضايا عصره، وكان يعمل جنباً إلى جنب مع هذه القضايا، متابعاً تفكيراً سياسياً وأيضاً فعلاً سياسياً متجدداً.

أوضاع العراق

أرض العراق والقضايا الإنسانية

الموقع الجغرافي والاستراتيجي

يقع العراق في قلب منطقة الشرق الأوسط، تحدّه من الشرق إيران، ومن الشمال تركيا، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الجنوب المملكة العربية السعودية والكويت. تمتد سواحل العراق على الخليج العربي بمقدار ٥٨ كيلومتراً (٣٦ ميلاً بحرياً). إضافة إلى ذلك، المياه الإقليمية المتنازع عليها للعراق تمتد على مسافة ٢٢ كيلومتراً (١٢ ميلاً بحرياً).

تبلغ مساحة العراق ٤٤٨ , ٤٣٨ كيلومتراً مربعاً، وكان عدد سكانه في عام ١٩٨٠، وهو العام الذي استشهد فيه العلامة السيد محمد باقر الصدر،

حوالي ١٧ مليون نسمة. أما نظام الحكم في العراق بعد عام ١٩٥٨م، فقد أصبح «جمهوريًا»، وتم صياغة الدستور في عام ١٩٧٠م، وأُجريت آخر التعديلات عليه في عام ١٩٧٧م. كان للعراق مجلسٌ وطني يتألف من ٢٥٠ عضوًا، كما كان منقسمًا إلى ١٨ محافظة. أما الحزب الحاكم في العراق آنذاك، فكان حزب البعث العربي الاشتراكي.^(١)

اقتصاديًا، كان العراق يعتمد بشكل كبير على النفط كمصدر رئيسي للعائدات، وكان اقتصاده أحادي الإنتاج (النفط). أما من الناحية الاستراتيجية، يمكن تلخيص أهم ميزات العراق في الثلث الأخير من القرن العشرين في النقاط التالية:

١. موقعه الجغرافي في قلب منطقة الشرق الأوسط وعلى ضفاف الخليج العربي؛
٢. قربه الجغرافي من إسرائيل وفلسطين المحتلة؛
٣. امتلاكه احتياطات هائلة من النفط؛
٤. حدوده مع جمهورية إيران الإسلامية؛
٥. التركيبة السكانية والدينية والاجتماعية والسياسية المتنوعة؛
٦. تاريخ طويل وحضارة عريقة.

القضايا الإنسانية والاجتماعية

وفقًا للتعداد السكاني لعام ١٩٨٠م، كان عدد سكان العراق ١٧ مليون نسمة. وبالنظر إلى مساحة العراق، كان هناك في المتوسط ٢٨ شخصًا يعيشون

(1) Arab Socialist Bath Party

في كل كيلومتر مربع. وكان معدل النمو السكاني آنذاك يقدر بحوالي ٤, ٣٪. من حيث التوزيع العرقي، يتكون السكان من ٧٥٪ من العرب، ١٥٪ من الأكراد، و ١٠٪ من الأقليات الأخرى مثل الإيرانيين،^(١) الأتراك، وأقليات عرقية أخرى.^(٢)

اللغة الرسمية في العراق هي اللغة العربية، رغم أن اللغتين الكردية والفارسية تُستخدمان أيضًا بشكل محدود في بعض المناطق. يتركز معظم سكان العراق في المناطق الجنوبية والوسطى من بلاد ما بين النهرين، حيث يعيش حوالي ٦٠٪ من السكان في المدن، بينما يعيش البقية في القرى أو بشكل بدوي. على الرغم من أن عدد وأهمية العشائر العراقية قد انخفضت في العصر الحديث، إلا أن العشائر لعبت دورًا هامًا في السياسة العراقية عبر التاريخ.

من حيث التنوع الديني والاجتماعي، لا يتمتع العراقيون بتجانس كبير بسبب التفاعلات العرقية والدينية التي حدثت عبر القرون نتيجة الهجمات أو الهجرات من قبل شعوب وأمم مختلفة. يشكل المسلمون ٩٥٪ من السكان، حيث ينتمي ٥٥-٦٥٪ منهم إلى الطائفة الشيعية و ٣٠-٤٠٪ إلى الطائفة السنية. أما الـ ٥٪ المتبقية، فيتوزعون بين المسيحيين والصابئة واليزيديين، مع وجود عدد قليل من اليهود. بحسب الدستور العراقي لعام ١٩٧٠م فإن الإسلام هو «الدين الرسمي» للدولة، كما ضمن حرية المعتقدات الدينية.^(٣) في فترة حكم البعث، كان السنّة يتمتعون بوضع اقتصادي أفضل من الشيعة،

(١) طبقًا لتقرير النظام البعثي فقد كان يعيش في العراق في الفترة ١٩٦٩ - ١٩٦٨ أكثر من نصف مليون إيراني. أنظر: أحمد الكاتب، تجربة الثورة الإسلامية في العراق منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠، ص ١٧٢.

(٢) مركز التعليم العالي لإعداد المعلمين السياسيين في الفيلق، العراق، ص ٦.

(٣) على بيگدلی، تاريخ سياسی اقتصادى عراق، ص ١١٦.

وكانوا يسيطرون على معظم المناصب السياسية والإدارية. لم يكن لأهل السنة توجهات دينية كما هو الحال مع الشيعة، لذلك كانوا يتكيفون بسهولة مع الأنظمة السياسية المختلفة، وحتى كانوا يعتبرون الطاعة لتلك الأنظمة واجباً.

من الناحية الاقتصادية، كان العراق يعتمد، بشكل رئيسي، النظام الاقتصادي المركزي الاشتراكي، حيث كانت الحكومة تسيطر على جميع الأنشطة الاقتصادية ما عدا بعض القطاعات مثل الزراعة والخدمات والتجارة الشخصية. قبل أن يأتي نظام البعث، كانت الزراعة تمثل الجزء الأكبر من الاقتصاد العراقي، لكن مع مرور الوقت، فقد هذا القطاع أهميته.

وجود المواقع الدينية والتاريخية في العراق، وخاصة العتبات المقدسة، جعل العراق يستقطب سنوياً أعداداً كبيرة من الزوار والسياح حول العالم، خصوصاً من الشيعة الذين يزورون أضرحة الأئمة الأطهار عليهم السلام. هؤلاء الزوار يسهمون بشكل كبير في توفير دخل نقدي للدولة من خلال السياحة الدينية.

موجز تاريخ العراق السياسي

كان العراق جزءاً من الإمبراطورية الفارسية منذ عهد كوروش الكبير ملك الفرس (القرن السادس قبل الميلاد) وحتى السنة الثانية عشرة للهجرة (٦٣٣ ميلادي). بعد ذلك، أصبح العراق جزءاً من الدولة الإسلامية في عهد الخليفة الثاني. في فترة خلافة الإمام علي عليه السلام، اختار الكوفة مركزاً للحكم في العالم الإسلامي. ثم حكم الأمويون العراق بعد ذلك. انتهت دولة الأمويين بعد انتصار أبي مسلم الخراساني وصعود العباسيين إلى السلطة. في السنة ١٤٥ هـ، بنى الخليفة الثاني العباسي منصور مدينة بغداد عاصمة للخلافة العباسية. ومنذ ذلك الحين وحتى سنة ٦٥٦ هـ، عندما احتل هولاكو، حفيد جنكيز

خان، بغداد، كانت بغداد منارًا للعلم والسياسة والثقافة والحضارة الإسلامية. بعد سقوط الخلافة العباسية خضع العراق لسيطرة الدولة الفارسية، حتى عام ٩١٤ هـ حيث غزا العثمانيون العراق وهزموا الجيش الصفوي، وظل هذا البلد تحت حكم الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى باستثناء فترة من عام ١٠٠٤ هـ إلى ١٠١٧ هـ عندما كانت إيران تحتل العراق. وكانت إيران تشرف على شؤون العتبات المقدسة في العراق طوال هذه الفترة.

مع تفكك الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى، خضع العراق للانتداب البريطاني في عام ١٩٢٠ م. في نفس العام، اندلعت «ثورة ١٩٢٠» وكانت عبارة عن نهضة شيعية بزعامة مرجع الشيعة الكبير في تلك الفترة، السيد ميرزا محمد تقى الشيرازي، وبعده كبار العلماء مثل شيخ الشريعة الأصفهاني والسيد محمد الصدر^(١) والسيد أبو القاسم الكاشاني، والميرزا محمد رضا اليزدي.^(٢) اعتبرت هذه الثورة في نظر العراقيين «حرباً وطنية من أجل الاستقلال» كانت تهدف إلى إجبار البريطانيين على قبول تشكيل حكومة وطنية ومنح الاستقلال للعراق.^(٣)

في العام التالي، نُصّب فيصل بن الحسين ملكاً على العراق بدعم من بريطانيا، وبذلك تشكل «النظام الملكي» في العراق كنظام سياسي جديد. في ١٠ يوليو ١٩٢٤ م، أصبح العراق أول دولة تملك دستوراً بتشكيل النظام

(١) إنّه من أقارب الشهيد الصدر وأحد زعماء ثورة العشرين وزعيم ومؤسس حزب حراس الاستقلال العراقي، وكان لفترة رئيساً لمجلس الشيوخ وبعد انتفاضة عام ١٩٤٨ م اختير لمنصب رئاسة الوزراء.

(٢) ابن المرجع الكبير السيد كاظم اليزدي.

(٣) عبدالله فهد نفيسي، نهضت شيعيان در انقلاب اسلامي عراق، ترجمة: كاظم چايچيان، ص ١٤٤.

الملكي الدستوري. كانت السلطة التشريعية مقسمة بين مجلسين: مجلس الأعيان ومجلس النواب، بينما كانت الحكومة التنفيذية مسؤولة عن تنفيذ القوانين والقرارات التي يصدرها المجلسان. بعد صراع طويل، أجبر الشعب العراقي، خاصة الشيعة، الحكومة البريطانية على إنهاء نظام الانتداب ومُنح العراق الاستقلال. في ٢٣ مارس ١٩٣٠م، اختارت بريطانيا أحد أتباعها، وهو نوري السعيد، ليصبح رئيساً لوزراء العراق. وقد وقّع السعيد اتفاقية لمدة ٢٥ عامًا مع بريطانيا، نصت على أن العراق سيُعترف به كدولة مستقلة ابتداءً من انضمامه إلى عصبة الأمم.

كان استقلال العراق، على الرغم من كونه رسمياً، استقلالاً ظاهرياً، وخاضع للتأثير البريطاني حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية. في عام ١٩٤١م، في محاولة للتخلص من السيطرة البريطانية، قام رشيد عالي الكيلاني بانقلاب عسكري استولى فيه على السلطة. لكن سرعان ما هاجمت القوات البريطانية الأردنية بغداد، مما أسفر عن فشل الانقلاب وهروب الكيلاني.^(١)

في عام ١٩٤٨م، تم توقيع اتفاقية استعمارية بين وزير الخارجية البريطاني ورئيس وزراء العراق آنذاك في مدينة بورتسموث، فأثارت الاتفاقية موجة من الغضب في العراق، وانتشر خبرها بسرعة في أنحاء البلاد، مما أدى إلى اندلاع ثورة شعبية عارمة. كنتيجة لهذا الاحتجاج الشعبي، أُلغيت الاتفاقية وأُجبر صالح جبر، رئيس الوزراء، على الاستقالة، وتم تعيين آية الله السيد محمد الصدر مكانه رئيساً لمجلس النواب العراقي.

في عام ١٩٥٥م، تم التوقيع على حلف بغداد بين العراق وتركيا، وانضم إليها لاحقاً كل من إيران وباكستان وبريطانيا، وكانت الولايات المتحدة

(1) Horlod Nicson, peacemaking 1919, London, 1969, pp 140-144.

الأمريكية تحضر اجتماعات أعضاء الحلف بصفة مراقب. في ١ شباط/فبراير ١٩٥٨م، أثارت الوحدة بين مصر وسوريا وتأسيس «الجمهورية العربية المتحدة» إلى قلق شديد في العراق، مما دفع العراق، بدعم من بريطانيا، إلى التحالف مع المملكة الأردنية الهاشمية، وتشكيل «الاتحاد العربي» بين البلدين على أساس فدرالي.

في ١٤ يوليو ١٩٥٨م، أطاح عبد الكريم قاسم بالنظام الملكي بانقلاب عسكري وأعلن قيام الجمهورية في العراق. وبدأت مرحلة جديدة مع إلغاء البرلمان، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وصياغة الدستور المؤقت. وتم تشكيل حزب الجبهة الوطنية، وعُقدت محاكمات ضد المسؤولين في النظام الملكي. كما تم إلغاء حلف بغداد، لكن في الوقت نفسه استمر التوتر الداخلي، واستمرت الديكتاتورية والمناخ السياسي غير المستقر.

في عام ١٩٦٣م، قام عبد السلام عارف، بدعم من حزب البعث، بانقلاب آخر ضد عبد الكريم قاسم واستولى على السلطة. قُتل عبد السلام عارف في حادثة مروحية عام ١٩٦٦م، وخلفه شقيقه عبد الرحمن عارف في رئاسة الجمهورية. ولكن في عام ١٩٦٨م، شهد العراق انقلاباً آخر بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي، بزعامة أحمد حسن البكر، أسقط حكومة عبد الرحمن عارف، وأدى إلى تأسيس «مجلس قيادة الثورة» الذي أصبح الحزب الحاكم.

عُين أحمد حسن البكر رئيساً للعراق، بينما تولى صدام حسين منصب نائب الرئيس. ومع مرور الوقت، أصبحت السلطة الفعلية بيد صدام حسين داخل الحكومة، حتى أصبح في عام ١٩٧٩م رئيساً للعراق بعد استقالة أحمد حسن البكر. أصبح صدام حسين ديكتاتوراً مطلقاً في العراق، وقام بتأسيس نظام دكتاتوري قمعي، وعمل على تصفية كل معارضيهِ بطرق وحشية.

في عام ١٩٨٠ م، بعد أن أقدم على قتل السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى، أشعل صدام حسين الحرب ضد إيران بتوجيه من الغرب، وتحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية. استمرت الحرب بين العراق وإيران لثمان سنوات، وفي النهاية انتهت الحرب بالقبول بقرار مجلس الأمن الدولي رقم ٥٩٨، الذي أنهى الحرب وأدى إلى فترة من الاستقرار النسبي بعد فترة طويلة من التوتر العسكري.

النظام البعثي العراقي

أيديولوجية حزب البعث

في عام ١٩٣٩ م، تأسس «حزب إحياء العرب» في سوريا بقيادة ميشيل عفلق المسيحي وصلاح الدين البيطار السني المذهب، وكان حزباً قومياً. وبعد فترة قصيرة، تحول اسم الحزب إلى «حزب البعث العربي». وقد تلخص الهدف العقائدي لحزب البعث في: «القومية العربية، الحرية، الوحدة، والاشتراكية». أما هدفه السياسي فكان محاربة الوجود الاستعماري الفرنسي في المنطقة، والعمل من أجل إنشاء «سوريا الكبرى»، التي تشمل سوريا ولبنان والعراق والأردن وفلسطين.

في نهاية عام ١٩٥٤ م، اندمج حزب البعث مع الحزب القومي العربي الاشتراكي ليشكل «حزب البعث العربي الاشتراكي»، الذي أعلن عن أهدافه في أول اجتماع رسمي له في دمشق، حيث أكد على «الوحدة، الحرية، الاشتراكية»، كما أقرَ بمسألة «الرسالة الخالدة» للأمة العربية.

المبادئ الأساسية لبرنامج حزب البعث العربي عبارة عن:

١. رفض الاستعمار: يعتبر الحزب الاستعمار وكل من يرتبط به مجرمين،

ويؤمن بأن المجتمع البشري يجب أن يكون وحدة مترابطة بقيم ومبادئ مشتركة تسعى للسلام والحضارة.

٢. القومية العربية: يؤمن الحزب بأن القومية العربية هي هوية حية ودائمة، وأنها تشكل أمة واحدة موحدة تجمع كل الأفراد من مختلف البلدان العربية.

٣. الوطن العربي الواحد: الحزب يتبنى فكرة الوطن العربي الكبير، ويعمل على توحيد الأمة العربية في دولة واحدة، ويعتبر أن العرب يجب أن يكونوا على قلب واحد في جميع القضايا المصرية.

٤. الاشتراكية: الحزب يؤمن بأن الاشتراكية هي ضرورة ملحة لتحقيق القومية العربية، حيث أن النظام الاشتراكي يُعتبر آلية رئيسية لتحقيق العدالة الاجتماعية والتوازن الاقتصادي بين جميع طبقات المجتمع.

٥. الطابع الشعبي للحزب: حزب البعث هو حزب شعبي يعبر عن إرادة الشعب، ويؤمن بأن الشعب هو المصدر الرئيسي للسلطة. وهو يرى أن القوة الحقيقية تكمن في الجماهير العريضة التي يجب أن تساهم في بناء الدولة والمجتمع.

٦. إحياء القومية العربية: يؤكد الحزب على ضرورة إحياء الهوية والعرق العربي، والعمل على وحدة العرب في دولة مركزية قوية.

٧. حزب ثوري: حزب البعث يعتبر نفسه حزباً ثورياً يسعى لتحرير الشعوب العربية من الهيمنة الاستعمارية، ولتحقيق وحدة الدول العربية تحت راية دولة مستقلة ومركزية.

كتاب «في سبيل البعث» الذي كتبه ميشيل عفلق يعتبر بمثابة «منشور

الحزب». يعتقد البعض أن حزب البعث هو حزب استعماري وقومي، وأن دوافعه الأساسية هي محاربة الإسلام، دعم الإمبريالية الغربية، وحصار الحركات الإسلامية في المنطقة. ومع ذلك، يرى ميشيل عفلق أن الإسلام هو تجسيد وظهور للهوية القومية العربية، حيث يشير إلى:

«الإسلام نهضة عربية وأهدافه بعث القومية العربية وتطويرها. وقد نزل الإسلام باللغة العربية، والإسلام في جوهره هو ظاهرة حضارية عربية.»^(١)

إذن، في رؤية حزب البعث، الإسلام ليس ديناً عالمياً وإنسانياً، بل ديناً عرقياً خاصاً بالعرب جاء من أجلهم، وهدفه هو تطوير القومية العربية.

المبادئ الحكومية لنظام البعث

مبادئ الحكم في نظام البعث هي نفسها منهاج الحزب، كما أن الحزب يعتقد أن السياسة الداخلية يجب أن تقوم على تشكيل حكومة برلمانية مع الالتزام بالدستور والعادات الوطنية، مع نظام إداري غير مركزي، وقضاء مستقل، واحترام الحقوق القانونية للشعب. أما في السياسة الخارجية، فيجب أن تستند إلى مصالح القومية العربية ووحدتها.

وبالنسبة للاقتصاد، فالموارد والإنتاج والثروات يجب أن تكون تحت سيطرة الحكومة وتدار بشكل مركزي. مع مراعاة مبادئ القومية العربية، وتأسيس أي حزب أو تنظيم أمر مسموح به.

وفقاً لدستور العراق إبان حكم البعث، يعتقد الحزب أن رسالته هي تحقيق الاشتراكية ضمن إطار القومية العربية. هذا ما ورد بشكل صريح في دستور العراق في عهد البعث، حيث أشار إلى أن الحزب يمتلك صلاحيات

(١) عبد الأمير فولاذزاده، جنائيات رزيم بعث عراق، صص ٣٣ - ٣٢.

واسعة في ممارسة السلطة.

طبقاً لهذا الدستور، تضمن الدولة حرية المعتقد، التعبير، والرأي. أما «مجلس قيادة الثورة» فيعد أعلى سلطة في الدولة العراقية، ويضم ستة أعضاء، ويختار أعضاؤه رئيس المجلس ونائبه بأغلبية الثلثين. وبالرغم من ذلك، يتولى رئيس مجلس قيادة الثورة في الوقت نفسه منصب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة والقائد العام للقوات المسلحة، بينما يخضع الوزراء لسلطته.

كانت صلاحية المجلس الوطني العراقي تقتصر على مراجعة القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية. أما الشؤون الدفاعية والمالية والأمنية فكانت تحت سيطرة «مجلس قيادة الثورة». من أهم صلاحيات هذا المجلس: تهيئة وإعداد القوانين، إصدار أوامر التعبئة العامة، إعلان الحرب والسلام، تحديد الميزانية، توقيع الاتفاقيات الدولية، الإشراف على أنشطة الوزراء، مراقبة الشؤون الدفاعية والأمن القومي.

بشكل عام، كان النظام السياسي في العراق خلال هيمنة حزب البعث يتكون من جزئين: الحزب والدولة، حيث كانت الأولوية دائماً لصالح الحزب. حتى المحافظون في المحافظات كانوا يبدأون بمعالجة القضايا اليومية بناءً على قرارات المجالس الحزبية المحلية ولجان مختصة. في فترة حكم صدام حسين الطويلة، كان له حكم استبدادي مطلق في الحزب وفي العراق بشكل عام.

أسلوب الحكم لحزب البعث

على الرغم من أن حزب البعث كان يدافع عن الحكومة البرلمانية من حيث المبدأ، إلا أن الواقع كان يشير إلى أن العراق في فترة حكم البعث كان تحت نظام رئاسي توتاليتاري، استبدادي، مركزي، وكان يفتقر إلى الحريات الأساسية.

حرية الدين، والرأي والتعبير التي نص عليها الدستور لم تكن موجودة على أرض الواقع. بل كان العراق في تلك الفترة يعيش في جو من القمع والتسلط الشديد. وعلى الرغم من تأكيد حزب البعث على حرية تشكيل الأحزاب في إطار المبادئ القومية، إلا أن الأحزاب المسموح بها كانت تلك التي تتبع بالضبط الأيديولوجية البعثية. وكان العراق دولة إسلامية ذات أغلبية شيعية نسبية، إلا أن الشيعة كانوا يعانون من ضغوط شديدة.

كان حزب البعث يعتبر نفسه حزباً شيعياً، وكان يتبع إلى حد كبير النظرية الشيوعية والإشتراكية التي كانت سائدة في الاتحاد السوفيتي السابق، مثل مركزية السلطة، السيطرة على الهيكل الحزبي، السرية والشبكات القوية للمخابرات. بالنسبة للبعث، كانت الاشتراكية مجرد أداة لتحقيق القومية العربية، حيث قالوا:

«الاشتراكية بالنسبة لنا وسيلة لبعث القومية وتجديد حياة شعبنا، الاشتراكية هي النافذة التي من خلالها يدخل الشعب العربي مرة أخرى إلى التاريخ»^(١).

الجرائم، القتل، المجازر، الإعدام، اعتقال الأبرياء والأحرار، تطهير الإدارات الحكومية من المعارضين وخاصة من الشيعة، طرد الإيرانيين والشيعة المقيمين في العراق، إعدام العلامة السيد محمد باقر الصدر وشقيقته بنت الهدى الصدر، إغلاق العديد من الحوزات العلمية والمساجد، تهجير ١٢٠ ألف شيعي في عام ١٩٧٠م، وكذلك ٨٠,٠٠٠ شخص في عام ١٩٨٠م، وأيضاً تقريباً نفس العدد في الأعوام من ١٩٩٠ إلى ١٩٩١م، حرب العراق على إيران، وقصف حلبجة بالأسلحة الكيميائية... هي بعض الأمثلة على السياسات التي

(١) على بيگدلی، المصدر نفسه، صص ٧١ - ٧٠.

تُظهر أن حزب البعث حكم بالحديد والنار واستخدام الحيل والخداع.^(١)
يقول أحد الكوادر القيادية السابقة في حزب البعث: «صدام يدمر أي معارضة حتى وإن كانت نسبة الموالين له ٩٥٪ والمعارضين ٥٪ فقط».^(٢)
يمكن اعتبار أسلوب حكم حزب البعث في العراق نوعاً من الحكومات البوليسية، المستبدة، الفردية والتوتاليتارية في العالم اليوم. خلال هيمنة هذا الحزب على العراق، كانت هناك منظمتان للاستخبارات والأمن واسعتا النفوذ هما «مديرية الأمن» و «المخابرات».

الشيعة في العراق

القضايا الإنسانية والاجتماعية

وفقاً للإحصاءات الرسمية لنظام البعث في العراق عام ١٩٨٦م، كانت نسبة الشيعة ٥٥٪ من إجمالي سكان العراق. مع ذلك، تشير المصادر غير الرسمية العراقية إلى أن هذه النسبة في العام المذكور تراوحت بين ٦٠ إلى ٦٥٪ من إجمالي السكان، و ٦٥ إلى ٧٠٪ من مجموع المسلمين في البلاد. من المهم أن نلاحظ أن كلاً من الحكومة البريطانية ونظام جمهورية العراق، خصوصاً نظام البعث، قد سعى إلى تقليص نسبة الشيعة في العراق سواء من الناحية العددية أو من حيث الكفاءة والفعالية. كما قال أحد أعضاء المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق: «أيديولوجية نظام البعث هي تقليص الشيعة في العراق».^(٣)

تركز الكثافة السكانية الشيعية بشكل عام في المناطق الجنوبية والوسطى

(١) أنظر: المركز الوثائقي لحقوق الإنسان في العراق نظير «التعذيب في العراق» و...

(٢) عبدالامير فولاد زاده، المصدر نفسه، ص ٦٢.

(٣) مقابلة المؤلف مع بعض المسؤولين في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق و مركز حقوق الإنسان في العراق و...

من العراق مثل البصرة، العمارة، ذي قار، السماوة، القادسية، كربلاء، النجف، بابل وغيرها. أما المدن الكبرى التي يقطنها الشيعة فهي: كربلاء، النجف، الكاظمية، سامراء، الحلة، والبصرة... إضافة إلى ذلك، يوجد شيعة بين الأكراد في جنوب العراق، بغداد، ديالى، وبعض أكراد كركوك، وكذلك حوالي ثلث التركمان في العراق.

تتمتع الثقافة الشيعية في العراق بشراء كبير، حيث يوجد العديد من الحوزات العلمية والمراكز الدينية، وعدد كبير من المراجع والعلماء الدينيين، فضلاً عن عدد كبير من الوعاظ والمبلغين الشيعة في القرى والقبائل والمدن الصغيرة. كما أن وجود الأضرحة المقدسة والمعالم الشيعية جعلت من العراق مركزاً ثقافياً مهماً للشيعة، مع تواصل دائم مع شيعة إيران ولبنان والباكستان ومناطق أخرى من العالم، خصوصاً مع إيران. لذلك، يتمتع الشيعة بمستوى ثقافي أعلى مقارنة ببقية الطوائف.

هناك أيضاً شغف كبير لدى الشيعة في العراق بالقضايا الدينية، كما يظهر ذلك من خلال الاهتمام الكبير بالمناسبات الدينية السنوية، مثل عاشوراء ومحرم، خاصة مسيرة الأربعين. حيث يتجمع الناس في مدن مثل كربلاء، النجف، الكاظمية، سامراء، بغداد، الحلة، وحتى البصرة، في مسيرات ضخمة نحو كربلاء.

من الناحية التاريخية، عُرف الشيعة في العراق كمجموعة نضالية وثورية. أما اقتصادياً، فيتمركز النشاط الزراعي في يد الشيعة، ولكن في السنوات الأخيرة، بسبب زيادة الواردات، وتطور الصناعات التجميعية، وزيادة التوسع الحضري، تراجعت أهمية الزراعة، مما أثر على القوة الاقتصادية والسياسية للشيعة. قبل وصول حزب البعث إلى الحكم، كان الشيعة يسيطرون على حوالي ٩٠٪ من التجارة في العراق، ولكن اليوم قد تراجع هذا الرقم بشكل كبير.

سعى نظام العراق إلى التقليل من قوة الشيعة الاقتصادية من خلال عدة وسائل، مثل تركيز الصناعة في المناطق السنية، وتدمير القطاع الزراعي، وطرد الشيعة من الإدارات الحكومية، مما أدى إلى زيادة البطالة بين الشيعة وضعف قوتهم الاقتصادية. كما أن الشيعة في العراق يمثلون أقلية في المناصب الحكومية حيث لا يتجاوز تمثيلهم حوالي ٢٪، مما ساهم في تزايد التوترات الاجتماعية والاختلالات في توزيع المسؤوليات.

لطالما اعتبر الشيعة في العراق «النصف الأشرف» مركزاً سياسياً للطائفة الشيعية وقيادتها الدينية والسياسية، حيث كان المرجع الديني الأعلى، الذي كان يُشار إليه أحياناً بـ «الإمام»، يُعتبر السلطة العليا لهم. وكان الشيعة في العراق يتبعون توجهات المرجعية الشيعية حتى في القضايا السياسية، بحيث إذا تعارضت توجهات الحكومة مع فتاوى المرجع، كانوا يفضلون الالتزام بتوجهات المرجع.

إضافة إلى ذلك، كانت الصراعات السياسية واحدة من الأسباب الرئيسية لاختلاف الشيعة مع باقي المذاهب الإسلامية، حيث كان النزاع على «الولاية»، «الإمامة»، و«العدل» يعد من الأسباب الرئيسية لهذا التباين. وهذا ما جعل الشيعة في العراق وفي مختلف أنحاء العالم يُعرفون كحزب مقاوم ضد الحكومات الظالمة والباطلة.

على عكس أهل السنة، فإنّ مصدر الدخل بالنسبة لعلماء الشيعة لا يأتي من الحكومة، وبالتالي لا ترتبط مرجعياتهم بالأنظمة السياسية. فعلماء الشيعة يعتمدون على الأموال الشرعية للمؤمنين، مثل الزكاة و«سهم الإمام»، كمصدر أساسي لدخل العلماء والحوارات العلمية. وقد ساعد ذلك على تعزيز العلاقة بين الناس والعلماء، فكان له دور كبير في تأجيج الحركات الثورية الشيعية.

بالإضافة إلى ذلك، كان الشيعة في العراق يعتبرون حكومة إيران، حتى

قبل انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ بقيادة الإمام الخميني، الحكومة الشيعية الوحيدة في العالم، وكانوا دائماً يعبرون عن دعمهم لها. في الأوقات العصيبة، كان الشيعة العراقيون يستمدون العون من الحكومة الإيرانية. لذا، تربط الشعبين العراقي والإيراني صلة وثيقة.

ويكتب «هراير دكمجيان» في كتابه:

«وجود المجتمعات الشيعية الكبيرة في إيران والعراق أدى إلى تكوين علاقة تعايش تكاملية بين المؤسسات الدينية في البلدين...»^(١)

كما أن تشابه النسيج الثقافي والاجتماعي للشعبين، بسبب التاريخ المشترك، وتواجد العديد من الشيعة العراقيين في إيران والعكس، وكذلك العلاقة العلمية والدينية بين العلماء والطلاب من البلدين، فضلاً عن الحدود الطويلة المشتركة، ساهمت كلها في تقوية هذه العلاقة.

ولطالما كان المجاهدين الشيعة العراقيين متأثرين من الناحية السياسية بالآراء السياسية لمراجع الدين والعلماء العراقيين مثل السيد محمد باقر الصدر وسائر أعضاء أسرة الصدر، وآل الحكيم، وآل الشيرازي وغيرهم. وبنسبة أقل بأفكار الإمام الخميني.

ويجدر بالذكر أن الشيعة العراقيين، وخاصة منذ ثورة ١٩٢٠م، كانوا دائماً في صراع ضد الأنظمة الاستبدادية والاستعمارية الحاكمة في العراق، مما جعل هذه الأنظمة تعادي الشيعة وتعمل ضدهم. على سبيل المثال، قالت «غروتربل»، السكرتيرة العليا للمفوض السامي البريطاني، في ردها على اعتراضات الشيعة حول عدم تحقيق العدالة في تشكيل مجلس الوزراء (عام ١٩٢١م):

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ١١٤.

«أنا شخصياً سعيدة جداً لأن الشيعة يواجهون صعوبة، لأنهم من أصعب طبقات الشعب تعنتاً وأشدّهم مراساً»^(١).

الأحزاب والجماعات الشيعية العراقية

في الحكومات الاستبدادية والشمولية، عادةً ما يكون دور الشعب سلبياً، ويتجسد هذا الدور في شكل منظمات غير رسمية وسرية ومعارضة. وكان هذا هو حال جميع الأحزاب الشيعية المناضلة في العراق تقريباً. يعود تاريخ نشوء الأحزاب المناضلة الشيعية إلى زمن بعيد، إذ يُقال أن أول حزب شيعي ثوري في القرن العشرين كان عبارة عن تنظيم سري تحت مسمى «جمعية النهضة الإسلامية»، وكان هدفه النضال السياسي والتهيؤ للثورة المسلحة في نهاية المطاف، وقد تأسس على يد شخصيات مثل محمد علي بحر العلوم، والشيخ محمد جواد الجزائري، وغيرهم.

ومن ثم ظهرت أحزاب أخرى مثل «لجنة الثورة الإسلامية» (١٩١٨م)، و«حزب حماة الاستقلال» بقيادة آية الله السيد محمد الصدر (١٩١٩م)، و«لجنة الحيدري» بقيادة المرجع الكبير السيد كاظم اليزدي (١٩٢٠م)، وغيرها. فيما يلي، نذكر فيما يلي الأحزاب التي تأسست في حياة العلامة السيد محمد باقر الصدر وبمساعده:

١. جماعة العلماء المجاهدين أو جماعة العلماء في النجف الأشرف

هذه هي أول منظمة ثورية تأسست بعد انقلاب عبد الكريم قاسم في النجف الأشرف، وقد تم تأسيسها كأداة تحت تصرف المرجعية والعلماء الشيعة لمواجهة التيارات المنحرفة وتحقيق الأهداف الإسلامية. وكان من أبرز العلماء

(١) عبدالله فهد نفيسي، المصدر نفسه، صص ١٨٧ - ١٨٦.

الذين شاركوا في هذه الجماعة: آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين، والشيخ محمد رضا آل ياسين، والشيخ محمد رضا المظفر، والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم.

كان على رأس هذه الجماعة هيئة رقابة تتكون من الشيخ مرتضى آل ياسين (خال العلامة الصدر)، والشيخ حسين الهمداني، والشيخ خضر الدجيلي، وغيرهم. وبعد هيئة الرقابة، كانت هناك هيئة تنفيذية مكونة من تسعة علماء من الصف الثاني في النجف. وبحسب اعتراف بعض العلماء والطلاب، وكذلك تلامذة العلامة الشهيد الصدر، فإن فكرة تأسيس هذه الجماعة، وكذلك قيادتها الفكرية، كانت من بنات أفكار العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ولكن نظرًا لصغر سنّه فقد أوكل تأسيسها إلى خاله الذي بفضل دعمه وبعض العلماء الكبار، استطاع تحويل هذه الفكرة إلى واقع. وقد كانت هذه الجماعة تصدر مجلة باسم «الأضواء»، ويكتب افتتاحياته العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر.^(١)

بشكل عام، كانت الأهداف الرئيسية لهذه الجماعة أو المنظمة تتمثل في محاربة الانحرافات العقائدية، وتعزيز العلاقة بين المراجع والناس، وقيادة المجاهدين الفكريين والعقائديين والسياسيين، وتقديم الإسلام الأصيل، ووضع خطة لإقامة حكومة إسلامية.

٢- أنصار جماعة العلماء

أنصار جماعة العلماء في الواقع هو تنظيم سياسي ذو أهداف ثورية وخط راديكالي، تأسس على يد جماعة العلماء المجاهدين ومجموعة من الشباب المؤمن

(١) المصدر نفسه، ص ٢.

والمتقف. من أبرز قاداته آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم.

٢- حزب الدعوة الإسلامية

تأسس حزب الدعوة الإسلامية على يد الشهيد السيد محمد باقر الصدر بعد عقد عدة اجتماعات لجماعة العلماء المجاهدين، وبالنظر إلى الأوضاع في العراق، خصوصاً بعد انقلاب قاسم، وأهم من ذلك، الحاجة الملحة لتنفيذ الأحكام الإسلامية من أجل تأسيس حكومة إسلامية عالمية، والعمل على إعداد المجتمع والناس لتحقيق هذه الأهداف. أعلن الحزب عن نفسه في شهر آب/أغسطس ١٩٥٨ م.^(١)

أهداف حزب الدعوة الإسلامية بشكل مختصر هي كما يلي:

١. تطبيق الإسلام في الساحة الاجتماعية بشكل كامل وشامل، ليس فقط في العراق بل في جميع أنحاء العالم.
٢. التحرك الفكري والعقائدي والثقافي لتهيئة الناس للثورة وإقامة الحكومة الإسلامية.

٣. تقديم نموذج لنظام حكم إسلامي والنضال من أجل إقامته.

٤. تحرير المجتمع من قيود التقليد والتعصب الخطير.

٥. التعليم والتربية، وتنظيم وتدريب القوى الشابة والمستعدة.

لتنفيذ أهدافه، حدد الحزب أربع مراحل رئيسية هي:

١. التغيير والتحول في الفكر والتربية.

(١) أنظر: محمد مهدي الحكيم، المصدر نفسه، صص ٣٩ - ٣٥.

٢. النضال السياسي والعسكري.

٣. تأسيس الحكومة الإسلامية.

٤. المراقبة والتنفيذ الدقيق للقوانين الإسلامية.

٤- المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق

تأسس هذا المجلس استلهامًا من أفكار وتوجهات العلامة السيد محمد باقر الصدر، وبعد استشهاده في ١٧ / ١١ / ١٩٨٢، بناءً على اقتراح آية الله السيد علي خامنئي - الذي كان رئيسًا للجمهورية الإسلامية في إيران آنذاك. كان هذا المجلس هيكلًا سياسيًا ودينيًا يهدف إلى جمع كل القوى المعارضة في العراق تحت غطاء سياسي وإعلامي، بقيادة موحدة، لتحقيق الأهداف الأساسية للمجلس.

٥- منظمة العمل الإسلامي

تأسست هذه المنظمة في عام ١٩٦٧ م على يد مجموعة من رجال الدين الثوار والمثقفين الملتزمين في العراق. كانت هذه المجموعة تدعم النشاطات ذات الأهداف الطويلة الأمد والأساسية، وكان الجهاز الإعلامي الرئيسي لها هو «العمل الإسلامي».

٦- حركة المجاهدين

تأسست هذه الحركة في عام ١٩٧٩ م من خلال بعض الأنشطة المسلحة. وكانت الأجهزة الرئيسية لهذه الحركة هي «صوت المجاهدين». وتعتبر الحركة نفسها أنها تستلهم أفكار وتوجهات الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

٦- الحزب الفاطمي - ومعظم أعضائه من أصول إيرانية.

٧- حركة جند الإمام المنتظر عليه السلام.

٨- الرابطة الإسلامية.

٩- رابطة المرأة المسلمة.

١٠- منظمة زينب.

١١- فرع حركة أمل في العراق (مقر الحزب الرئيسي في لبنان).

الانتفاضات الشعبية الشيعية في العراق

من المعلوم أنّ أرض الرافدين تعدّ واحدة من أهم المراكز الأساسية للتشيع، وفيها ظهرت الحركات النضالية الشيعية عبر التاريخ ضد الخلفاء الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، والاستعمار البريطاني، والاستبداد المحلي. وقد حافظت مدينة النجف الأشرف، التي تعدّ مركزاً سياسياً وعلمياً للتشيع في العراق، على استقلالها الذاتي في مواجهة الحكومات الاستبدادية. ومع مرور الزمن، أصبحت هذه المدينة مركزاً للحركات الثورية الشيعية. من أهم الثورات التي وقعت في هذه المدينة، ثورتي ١٨٥٠ و ١٩١٥ م التي كانت بداية لتغييرها إلى مركز سياسي للشيعية. في هذا السياق، نذكر بعض الثورات المهمة التي قام بها شيعة العراق في القرن العشرين الميلادي - العصر المعاصر:

١ - ثورة ١٩٢٠ م للشيعية في العراق: كانت هذه الثورة تهدف إلى مقاومة الاستعمار البريطاني، وقد بدأت في الفترة ما بين ١٩١٤ و ١٩١٥ م ووصلت ذروتها في عام ١٩٢٠ م. وتحولت إلى حركة وطنية شاملة لجميع مناطق العراق، وكان قادتها من العلماء والمراجع الدينية الكبار. وتمت هذه الثورة

استجابة لفتوى المرجع الكبير في ذلك الوقت، آية الله السيد محمد تقى الشيرازي. ومن نتائج هذه الثورة أنها أجبرت حكومة بريطانيا على إعادة النظر في استمرارية سيطرتها المباشرة على العراق، كما مهدت الطريق لتأسيس النظام الملكي في العراق وإلغاء القيادة المباشرة البريطانية.

٢ - ثورة ١٩٤٨م في العراق: وقعت هذه الثورة في كانون الثاني/يناير من عام ١٩٤٨م، احتجاجاً على إبرام معاهدة بورتسموث، والتي انتهت بإلغائها. من نتائج هذه الثورة أيضاً، عزل صالح جبر من منصب رئيس الوزراء، وتعيين السيد محمد الصدر، زعيم الشيعة، مكانه.

٣ - الانتفاضة الدموية عام ١٩٧٧م: اندلعت هذه الانتفاضة في العشرين من صفر عام ١٣٩٦ هـ (١٩٧٧م) مع مسيرة الأربعين الشيعية التي انطلقت من مدن عراقية مختلفة نحو كربلاء، ثم تحولت إلى تظاهرات سياسية رافقتها شعارات ثورية ضد النظام البعثي، بالإضافة إلى اللطم والعزاء. تم قمع هذه الانتفاضة بأوامر من أحمد حسن البكر وصادم حسين، لكنها شكلت تمهيداً للانتفاضات اللاحقة. بعد هذه الانتفاضة، تم اعتقال الشهيد السيد محمد باقر الصدر من قبل القوات الأمنية لاعتقاد السلطات أنه كان من المحرضين على هذه الانتفاضة.

٤ - الانتفاضة عام ١٩٧٩م: وهي أول انتفاضة شعبية شيعية في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران. كانت تهدف إلى تأكيد نجاح الثورة الإسلامية في العراق، قادها العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر. امتدت الانتفاضة إلى معظم مدن العراق مثل بغداد، كربلاء، النجف، الكاظمية، الناصرية وغيرها. في المقابل، قام النظام البعثي بقمع الثوار بشكل عنيف، وفي النهاية تمكن من اعتقال العلامة السيد محمد باقر الصدر وأخته بنت الهدى الصدر وإعدامهما،

بالإضافة إلى العديد من تلاميذه، مما حدّ من تأثير الانتفاضة.

٥ - انتفاضة الشعب العراقي (١٩٩١م): بعد الهجوم الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية على العراق وتدمير البلاد وإضعاف معنويات الجيش وعجز النظام الحاكم عن التصدي له، أتاحت الفرصة مجددًا للشعب العراقي - خاصة الشيعة - للتحرك. وبما أن الشعب كان مسلحًا في تلك الفترة، أصبحت الظروف مهيأة للانتفاضة والثورة. بدأت الانتفاضة الشاملة في ١٥ شعبان عام ١٤١١ هـ (١٩٩١م) تحت اسم «إمام العصر عليه السلام» من مدينة البصرة. بعد يومين من بداية الانتفاضة، أعلنت وكالة رويترز: «أن الثوار المسلمين تحت قيادة رجال الدين الشيعة قد سيطروا على مدينة البصرة بعد ٣٥ ساعة من القتال».^(١)

في الأيام التالية، سقطت المدن الجنوبية والوسطى من العراق الواحدة تلو الأخرى. في يوم ٢٢ شعبان ١٤١١ هـ أعلنت وكالات الأنباء أن ٢٤ مدينة جنوبية في العراق خرجت من سيطرة النظام البعثي.^(٢) ولكن لأسباب متعددة مثل القمع الوحشي وقتل حوالي ٣٠,٠٠٠ من المتفضين،^(٣) والفقر والعوز وانتشارهما بين الناس - والتي كانت استراتيجية متعمدة من قبل النظام البعثي لمواجهة الشعب - نقص المواد الغذائية والدوائية في العراق، الحصار الاقتصادي الذي فرضته قوات النظام البعثي الحاكم على الشعب، وفقدان الدعم الدولي ومنظمات حقوق الإنسان الدولية لانتفاضة الشعب العراقي، واستخدام النظام الحاكم في العراق للأسلحة المدمرة لمواجهة

(١) صحيفة كيهان، العدد ١٤١٣٤، تاريخ ١٢/١٢/١٣٦٩.

(٢) المصدر نفسه، العدد ١٤١٣٩، ١٨/١٢/١٣٦٩.

(٣) مقابلة المؤلف مع بعض المسؤولين في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، مثل ياسين رمضان و... بعد فترة قصيرة بعد اندلاع انتفاضة في العراق في ١٩٩١ م.

الانتفاضة وقمعها، وغياب القيادة الحاسمة، الواعية والموجهة التي يمكن أن تكون محوراً للوحدة والحركة العامة في المجتمع، وكذلك عدم الوحدة والتضامن بين شرائح المجتمع العراقي المختلفة، تم في نهاية المطاف قمع هذه الانتفاضة من قبل النظام الحاكم في العراق.

العراق والشهيد الصدر

في ملخص تحليلي، يمكننا تقسيم حياة الشهيد محمد باقر الصدر التي استمرت خمسة وأربعين عامًا، على ضوء الأوضاع السياسية والدينية في العراق وأحداث العالم الإسلامي، إلى أربع مراحل متميزة، كل منها لها خصائصها وسماتها الفريدة:

١ - السنوات (١٩٣٥ - ١٩٥٨ م): استمرت هذه الفترة حتى بلوغ العلامة الصدر ٢٨ عامًا، وهي فترة تعلمه وتحصيله العلم، تكوين الذات، الاستعداد للانخراط في النضالات الثقافية والسياسية الواسعة، الحصول على درجة الاجتهاد، الحركة الفكرية وتقديم بعض الابتكارات في المنطق والأصول والفقه.

٢ - السنوات (١٩٥٨ - ١٩٧٠ م): أدى الانفتاح السياسي والحاجة إلى إحياء الإسلام كمدرسة شاملة ومواجهة الأفكار المنحرفة إلى نشوء مؤسسة «جماعة علماء النجف الأشرف»، والتي كانت القيادة الفكرية فيها للشهيد الصدر، وكان يكتب افتتاحيات مجلة «الأضواء»، لسان حال هذا الحزب. كما تأسس حزب «أنصار جماعة العلماء» في هذا الوقت من قبل الشهيد السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد مهدي الحكيم.

بالإضافة إلى ذلك، قام العلامة الصدر بالتعاون مع بعض العلماء والمفكرين بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية وتولى قيادته، وبالتالي دخل بشكل

فعلي وواسع في النضال السياسي ضد النظام العراقي. في هذه الفترة، ألف كتباً قيمة مثل «الأسس الإسلامية»، «فلسفتنا»، و«اقتصادنا» بهدف تسليط الضوء على الدين الإسلامي ومواجهة باقي المذاهب الفكرية الموجودة. يمكن وصف هذه الفترة بأنها مرحلة الحركة الثقافية - الإصلاحية للشهيد الصدر. في عام ١٩٦٨ م، وصل البعثيون إلى السلطة، ومنذ ذلك الحين زادت الضغوط عليه وعلى مؤيديه.

٣- السنوات (١٩٧٠-١٩٧٩ م): على الرغم من أن الشهيد الصدر كان يُعتبر محور الجاذبية السياسية للشيعَة العراقيين خلال حياة السيد محسن الحكيم، إلا أنه من عام ١٩٧٠ م تولى فعلياً القيادة السياسية والدينية للشيعَة. بالإضافة إلى مواصلة وتوسيع الحركة الثقافية - الإصلاحية في هذه الفترة، أحال النضالات السياسية إلى حركة ثورية شاملة ومتكاملة. دوره في انتفاضات العراق في أعوام ١٩٧٣، ١٩٧٤، و١٩٧٧ م مفهوم بشكل جيد. مواجهته للنظام في أبعاد وحركات متعددة، خاصة فيما يتعلق بمحاولة النظام إخراج العلماء من العراق ونقلهم إلى لبنان، ونضالاته الواسعة ضد النظام، كانت جزءاً من أعماله في بداية هذه المرحلة.

في العشرين من صفر ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٧ م، حين حاولت القوات الأمنية التدخل في مراسم مسيرة المعزين الشيعة (موكب الشيعة) في طريق النجف - كربلاء، واجههم الشيعة المؤيدون للشهيد الصدر بغضب، وهاجموا مركزاً للشرطة بشعارات قوية. تم قمع هذه الانتفاضة من قبل النظام العراقي، وأعقبت ذلك حملات اعتقال واسعة للشيعَة، بما في ذلك شخص آية الله الصدر، كما حوكم عدد منهم وتم إعدامهم.

الفترة (١٩٧٩ - ١٩٨٠ م): تبدأ هذه الفترة القصيرة بانتصار الثورة

الإسلامية في إيران وتنتهي بشهادة العلامة الصدر في سجن بغداد على يد نظام البعث. في هذه الفترة، بدأ الشهيد الصدر عملياً ومن خلال ثورة واسعة وشاملة حركته في «الجهاد السياسي» لمواجهة النظام البعثي في العراق بشكل كامل وحاسم بهدف الإطاحة بالنظام وتحقيق الثورة الإسلامية في العراق. استمر في قيادة الثورة حتى شهادته. شملت أبعاد هذه المقاومة والجهاد العديد من الرسائل، والفتاوى الثورية، وإرسال ممثلين إلى مختلف أنحاء البلاد لبدء حركة شاملة، ودعوة عامة للثورة ضد النظام، والمسيرات والتظاهرات، والإضرابات، وإعلان الدعم الكامل للثورة الإيرانية ضد النظام، وللشعب الإيراني والإمام الخميني. كان أهم ما في ذلك هو «فتوى الجهاد لإسقاط» نظام البعث. كما شجّع على النضال المسلح واستخدام السلاح والقوة لمواجهة نظام البعث العراقي، وفتوى الإعدام الثوري لقادة النظام البعثي، وتعطيل دروس الفقه والأصول العليا بسبب الظروف الاستثنائية السائدة، وتقديم دروس في تفسير القرآن لتوجيه النضال الشعبي، وغيرها من الإجراءات المهمة. في تلك الفترات، كان الشهيد الصدر محاصراً في منزله وكانت علاقاته مع الناس مقطوعة. كما وضع خطة لاستمرار الثورة في حال استشهاده، وسلمها لطلابها، والتي عُرفت بـ «القيادة السياسية النائية».^(١)

(١) أنظر: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، القيادة السياسية النائية.

الفصل الخامس:

نحو السياسة والمقاومة السياسية

الشهيد الصدر والسياسة

في الفكر السياسي للصدر، تشغل السياسة مكاناً مركزياً في نظرية خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء. والجزء الأساسي من هذه النظرية يتكون من خطين رئيسيين: الأول تكويني (خلافة الإنسان على الأرض) والثاني تشريعي (شهادة الأنبياء والأئمة وإشرافهم على البشر). يرى الصدر أن المحور الأساسي في نظرية خلافة الإنسان التكوينية (الاستخلاف أو الاستئمان) وأبهى تجلي لحركة الأنبياء والأئمة التشريعية (الشهادة) هو «السياسة». وفقاً لفكره، فإن أهم واجب للإنسان في مسار تحقيق خلافته الإلهية على الأرض هو إنشاء نظام سياسي واجتماعي سليم وصالح. الثورات التي قام بها الأنبياء كانت تهدف بشكل أساسي إلى إنشاء النظام السياسي الصالح، وهذه المسألة تُعد جزءاً من ما يسمى بـ «السياسة العليا». كان النبي محمد ﷺ يتحمل مسؤولية القيادة السياسية والاجتماعية للأمة إلى جانب مهامه الأخرى (إبلاغ الرسالة وحفظها)، وكان الأئمة المعصومون عليهم السلام مكلفين بتنفيذ حركة وقيادة النبي ﷺ السياسية والاجتماعية.

«مواصلة القيادة السياسية والاجتماعية للتجربة التي خلفها النبي ﷺ...»^(١).

لا يستخدم الصدر السياسة بالمعنى السائد في أذهان الناس - الذي

(١) السيد محمد باقر الصدر، خلافة الانسان و شهادة الانبياء، ص ٤٩؛ الاسلام يقود الحياة،

يعتمد على الانحراف والنفاق في الأقوال والأفعال (الالتواء والافتراء). من وجهة نظره، تتجلى السياسة في شكلين رئيسيين:

١. السياسة بالمعنى السائد: وهي دائرة ضيقة ومعنى غير دقيق يرتبط بسلوك مبني على عدم الأمانة والصدق.

٢. السياسة بالمعنى الصحيح: وهي تجسد دائرة واسعة ومفهوم دقيق ومعبر، قائم على الأمانة والصدق. هذه السياسة تمثل الطريق والوسيلة لهداية الإنسان والمجتمع البشري، وهدفها دنيوي وآخروي.

من هذا المنظور، يُعتبر الأنبياء أيضًا علماء في السياسة وهم مسؤولون عن تحقيق السياسة في المجتمع. كما يقول الإمام الخميني: «جاء في الحديث الشريف أن النبي الأعظم قال أنه بعث ليكون مسؤولاً عن سياسة الأمة».^(١) يهتم الصدر بالسياسة بمعناها الحقيقي والصحيح:

«وإنما أقصد بها مفهومها الحقيقي الذي لا التواء فيه...».^(٢)

وفي تفسيره لهذه السياسة الصحيحة، يكتب:

«إن السياسة بمعناها الصحيح - وليس كما نراها من الاستعماريين - تعني الاهتمام بشؤون الأمة وإدارة علاقاتها الداخلية والخارجية بشكل يحقق مصالح الأمة ويحافظ على وجودها الاجتماعي في جميع جوانب الحياة...».^(٣)

«السياسة العليا» في فكر الصدر هي الجمع بين البعدين السياسي والمركزي لخطتين: خلافة الإنسان العامة والشهادة التشريعية للأنبياء والأئمة، أي التوجيه وقيادة المجتمع البشري نحو الخير والرفاه والسعادة الدنيوية

(١) صحيفه امام، ج ١٣، ص ٤٣١.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، فذلك في التاريخ، ص ٤٤.

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٦.

والآخروية. وهي سياسة الأنبياء والأئمة المعصومين. من هذه الزاوية، فإن السياسة ليست «تعبيرًا مكثفًا عن الاقتصاد وصراع الطبقات»^(١) ولا هي مجرد حكم سلطوي أو تسلط على الآخرين، ولا هي كما وصفها هارولد لاسويل: «من يملك؟ ماذا يملك؟ متى يملك؟ كيف يملك؟»^(٢).

المفهوم اللغوي للسياسة في اللغة العربية يعكس هذا المعنى أيضًا:

«السياسة: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل أو الآجل»^(٣).

في هذا المنظور، سياسة المدينة هي تدير الحياة السياسية والاجتماعية أو تدير المصير العام، وفي هذا الإطار يتم تدير أمور المجتمع العامة استنادًا إلى العدل والاستقامة، وحركة الأمة نحو الخير والكمال الحقيقي. سياسة المدينة في اللغة العربية تحمل هذا المعنى: «السياسة المدنية: تدير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة»^(٤).

وهكذا يطرح الشهيد الصدر الإسلام كعقيدة تحتوي على سياسة ورؤية وفكر سياسي، لكن ليس السياسة بمعنى الاستبداد والاستعمار، بل المعنى الذي كان رسول الله ﷺ يمارسه: «الذي كان يقوم به رسول الله ﷺ...»^(٥).

ومن هذا المنظور، تعتبر السياسة أساسًا وضعه الإسلام فوق العديد من

(١) عبدالرضا على باباي، فرهنگ علوم سياسی، ج ١، ص ٣٩٤، تعريف لنين للسياسة.

(2) Stephen Tansey, Politic, p 5.

(٣) لويس معلوف، المنجد في اللغة و الاعلام، ص ٣٦٢؛ أنظر: اين منظور، لسان العرب، واژه «س و س» و...

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

(٥) العاملی، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٢٦.

المبادئ والتوجهات الأخرى.^(١) ولهذا يجب على المسلمين أن يبنوا نظرتهم إلى السياسة على أساس إسلامي، وفي النهاية، «السياسة التي يرغب فيها الإسلام هي سياسة حفظ ورعاية الأمة ومصالحها وشؤونها...»^(٢) كما قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».^(٣)

الشهيد الصدر يعرض سياسة المدينة أو السياسة العامة في ثلاثة أقسام: «السياسة العليا»، «السياسة الاقتصادية»، و«السلطات القضائية».^(٤) القسم الأول يتعلق بالقيادة وإدارة شؤون المجتمع السياسية، القسم الثاني يتعلق بإدارة شؤون المجتمع الاقتصادية، والقسم الثالث يتعلق بإدارة شؤون المجتمع القضائية. بناءً على نظرية الخلافة الإنسانية، تعتبر السياسة أمانة عامة إلهية ولها طابع جماعي، وبالتالي هي مسؤولية طبيعية وفطرية، ومن هنا تكون المشاركة السياسية حقاً من حقوق الناس ومسؤولية يجب أن يسعى الجميع إلى أدائها. أيضاً، في رؤية الشهيد الصدر، وبالنظر إلى فطرية «الدين»، لا يوجد تعارض أو انفصال بين الدين والسياسة، بل السياسة جزء جوهري من الدين، ولذلك لا يمكن تصور «الدين الحق» دون السياسة. مثل هذا التصور يعادل عدم اعتبار الدين تكوينياً، وبالتالي رؤيته أمراً منفصلاً عن الإنسان وخصائصه الفطرية، لذا فإن هذا الفهم من أساسه غير صحيح.

لذلك، في رأي الشهيد الصدر، الإسلام في حد ذاته هو دين ثوري وسياسي،

(١) المصدر نفسه، .

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٧-٣٢٦؛ محمد باقر المجلسي، المصدر نفسه، ج ٧٢، ص ٣٨؛ حسن بن أبي الحسن الديلمي، ارشاد القلوب، ج ١، ص ١٨٤؛ تاج الدين الشعيري، جامع الاخبار، ص ١١٩.

(٤) السيد محمد باقر الصدر، فذلك في التاريخ، ص ٥٤.

والسياسة الثورية جزء من طبيعته. على سبيل المثال، كتب في هذا الصدد:

«الإسلام هو مذهب ثوري لا يفصل فيه بين الحياة والعقيدة، ولا يوجد فاصل بين بعده الاجتماعي ومحتواه الفكري والروحي، ومن هنا كان الإسلام الثوري عبر التاريخ مميزًا وفريدًا».^(١)

وبناءً على ذلك، باعتقاد الشهيد الصدر، السياسة هي شأن من شؤون الإنسان ومحصلة تفكيره وإرادته أو حريته، التي تظهر مع حياته المدنية والاجتماعية، وهي أهم طريق للوصول إلى سعادة الإنسان. بناءً على نظرية الخلافة العامة التي طرحها الشهيد الصدر، الإنسان مسؤول عن أن يكون له حق وحكم على مصيره ومصير مجتمعه، وكل البشر متساوون في هذا الحق وهذه المسؤولية، لذلك فواجب الجميع هو السعي لإقامة حكومة تدير وتنظم حياتهم السياسية. ومن الوسائل لتحقيق هذه الفكرة الدخول في الساحة السياسية والنضال السياسي، بالإضافة إلى «التحزب» و«التنظيم أو التشكيلات»، وهما عنصران نالا اهتمامًا خاصًا من الشهيد الصدر.

الشهيد الصدر والنضال والحياة السياسية

كل مفكر يجد في حياته وحياة المجتمع الفرص لدخول المجال السياسي والاجتماعي، ولكن بعضهم يفضلون الحياة العلمية والبحثية والانزواء السياسي والاجتماعي على دخول هذا المجال، ويختارون نمط حياة هادئ يستطيعون من خلاله خدمة المجتمع ثقافيًا. هؤلاء الأشخاص يعتبرون الانخراط في النضال السياسي نوعًا من الخطيئة والانغماس في الدنيا. هذان النوعان من الأشخاص، أعني العلماء المنزويين والزهاد المنعزلون ليسوا

(١) السيد محمد باقر الصدر، صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، ص ٩.

بالقليلين، في المقابل هناك آخرون يعتبرون دخول ساحة السياسة والمجتمع والعيش مع الناس والنضال من أجلهم نوعاً من الخلاص والسعادة، ويعتبرون الوصول إلى الله من خلال خلقه. هؤلاء المفكرون، بعد أن يمروا بالمراحل العرفانية، يرون أنه يجب عليهم العودة إلى الناس بترسانة من المعارف والأخلاق الإلهية، ويتوجهون إلى السير والسلوك السياسي والاجتماعي مع الحق في وسط خلق الله. هذه الفئة من المفكرين قليلة وهم عرضة للعديد من الخصومات والهجمات.

المفكرون العظام من أمثال سقراط إلى أبو نصر الفارابي، ومن شيخ الإشراق إلى الشهيد الأول والشهيد الثاني، وصولاً إلى الشهيد آية الله محمد باقر الصدر، الذين خطّوا بجهدهم وعطاءاتهم مسيرة تاريخ البشرية بأسرها. وكان الشهيد الصدر من بين هؤلاء الذين بدأوا منذ مرحلة الطفولة والمراهقة في التفكير في السياسة والمجتمع والناس، ومنذ تلك الفترة دخل مجال الحياة العامة والمدنية بتلك الفكرة. هذه الطريقة التي يتبعها طلبة الحوزات العلمية في مجال الدراسات الدينية نادرة جداً. بالفعل، تشير الأدلة والوثائق الباقية من حياة الشهيد الصدر إلى أنه منذ بداية شبابه انخرط في النشاطات السياسية، لكن لا يمكن تحديد تاريخ دقيق لهذا الانخراط. خاصة وأن البيانات الافتتاحية من مجلة «الأضواء» الناطقة باسم جماعة العلماء في النجف الأشرف تُظهر أن الشهيد الصدر كان له دور في النشاطات السياسية. كما تُظهر بعض الوثائق المتبقية أن الشهيد الصدر لم يقتصر دوره على المشاركة في النضالات السياسية بعد انتفاضات الشعب الإيراني في السنوات ١٩٦٢ و ١٩٦٣م، بل كان له دور قيادي في بعضها. علاوة على ذلك، كان ناقدًا لاذعًا لسياسات الاستعمار والهيمنة الأجنبية، وخاصة في علاقته مع إيران والحركات الشعبية الإيرانية.

كما ذكرنا، لقد أشار في إحدى الوثائق إلى وضع إيران ونفي الإمام الخميني إلى تركيا وأعرب عن استيائه من هذا الحدث، معبراً عن رؤيته لهذه الأحداث على أنها من فعل «عملاء أمريكا»، وقال صراحة:

«... أما بالنسبة لإيران؛ فالوضع كما كان، والسيد الخميني قد تم نفيه إلى تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران. هذه المرة استطاع السيد الخميني أن يسكت فم الشاه الذي كان دائماً يصف الحركة المعارضة له في إيران بأنها رجعية ومتخلفة. هل يمكن لأي إنسان في العالم أن يصف محاربة منح الامتيازات الجديدة للأمريكيين بأنها رجعية ومتخلفة؟!...»^(١)

تبين هذه الوثيقة التاريخية بعض الحقائق المتعلقة بالنضال السياسي للشهيد الصدر، خاصة فيما يتعلق بثورة إيران، ومن هنا نذكر بعض النقاط:

١. عبارة «أما في ما يتعلق بإيران» تشير إلى أن الشهيد الصدر كان يراقب ويحلل الأحداث السياسية في العالم، خاصة في العالم الإسلامي والشيوعي، بشكل مستمر. كان يتابع الأخبار المتعلقة بتلك الأحداث ويسعى لفهمها بشكل دقيق.

٢. عبارة «الوضع كما كان» تكشف عن أن الشهيد الصدر كان على دراية تامة بالأوضاع في إيران، بما في ذلك نظام الحكم الإيراني وانتفاضات الشعب الإيراني في فترة حكم الشاه. فهو كان قادراً على فهم واستشراف موقف النظام الإيراني من الحركات الشعبية بين عامي ١٩٦١ و ١٩٦٣ م، وهو ما يعكس عمق فهمه السياسي.

٣. عبارة «تم نفي السيد الخميني من قبل عملاء أمريكا إلى تركيا» تدل

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، صص ١٧ - ١٨؛ أنظر: الملاحق، الملحق العدد ٩، قسم من رسالة الصدر في عام ١٩٦٥ م و...

على أن الشهيد الصدر كان يعتبر النظام الحاكم في إيران نظامًا تابعًا للقوى الأجنبية، وبالأخص للولايات المتحدة. هذا التفسير يعكس الإدراك السياسي الواسع للشهيد الصدر حول تبعية النظام الإيراني في ذلك الوقت. ومن خلال هذه العبارة، يظهر فهمه العميق للسياسات الدولية، خاصة سياسة الهيمنة الأمريكية في المنطقة. وكان هذا التصور في تلك الفترة نادرًا بين العلماء في الحوزات العلمية، إذ كان معظمهم لا يعترف بكون النظام الإيراني نظامًا عميلًا للقوى الأجنبية. كما تظهر هذه العبارة أن الشهيد الصدر كان يتابع بدقة حركة الشعب الإيراني وثورة الإمام الخميني منذ البداية، وكان يتابع تلك الحركات من خلال اتصالاته بالطلاب الإيرانيين في النجف الأشرف، والذين كانوا يشكلون مصدرًا رئيسيًا للمعلومات في تلك الفترة.

٤. عبارة «هذه المرة تمكن السيد الخميني...» تمثل تأكيدًا على الفهم العميق للشهيد الصدر للأحداث السياسية في إيران. فقد فسر الشهيد الصدر نفى الإمام الخميني بأنه هزيمة لنظام الشاه في محاولاته المستمرة لتشويه صورة الثورة الشعبية الإيرانية واتهامها بالرجعية. الشاه، الذي حاول تشويه صورة الخميني وحركته، لم ينجح في منع تطور الثورة الإيرانية، بل قام بنفي الإمام الخميني. هذا الموقف السياسي يعكس رؤية الشهيد الصدر للظروف التي كانت تحيط بثورة إيران في تلك الحقبة.

٥. أهم من ذلك كله، العبارات الأخيرة في الوثيقة التي تظهر وعيًا دقيقًا وتحليلًا سياسيًا عميقًا من جانب الشهيد الصدر حول الوضع الداخلي في إيران وعلاقاتها الدولية، خاصة السياسة الخارجية الإيرانية وعلاقتها بالولايات المتحدة الأمريكية. تركز هذه العبارات على كيفية محاربة الامتيازات الجديدة للأمريكيين، وكيف كانت هذه المحاربة تُعتبر من قبل الولايات المتحدة

والحكومة الإيرانية «رجعية» و«متخلفة». هذا الوعي الدقيق يظهر لنا كيف كان الشهيد الصدر يرى تلك السياسات التوسعية والاستعمارية وأثرها على استقلال إيران ووحدتها.

يُظهر لنا التاريخ أنّ الشهيد الصدر في بداية تأسيسه لجماعة العلماء، بعد انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، بدأ يمارس دوره بوضوح في الساحة السياسية ويشارك في النضال ضد النظام الاستعماري والطغيان المحلي. وقد ساهم في إنشاء وتطوير «جماعة العلماء»، وهي جماعة علمية شيعية تأسست لدعم الحركات السياسية في المنطقة بعد الأزمة التي مرّ بها العراق في تلك الفترة. قالوا عن دوره في تأسيس هذه الجماعة:

«على الرغم من أن الشهيد الصدر لم يكن عضواً رسمياً في الجماعة، لكنّ تأثيره عليها ومسار تطورها كان كبيراً من خلال علاقاته الشخصية مع عدد من العلماء، ومنهم خاله آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين، الذي كان يثق تماماً بقدرات الشهيد الصدر الفكرية والتنظيمية».^(١)

وفي موضع آخر، اعتبر هذا الباحث أنّ تأسيس وظهور هذه الجماعة يعود إلى أفكار وجهود الشهيد السيد محمد باقر الصدر. وكتب يقول:

«من المؤكد أنّ تشكيل هذه الجماعة العلمائية يعود إلى أفكار الشهيد الصدر واهتماماته وآمال المرجعية الكبرى في ذلك الوقت، أي المرحوم آية الله السيد محسن الحكيم... فقد كان له دور أساسي في تأسيسها وتوجيهها».^(٢)

لا بد من الإشارة إلى أن جماعة العلماء كانت حركة ثقافية - سياسية نشأت في مواجهة الانقلابين والنظام الجديد. وكانت المجلة الرئيسية لهذه

(١) السيد حميد روحاني، بررسی و تحلیلی از نهضت امام خمینی، ص ٧٤٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٦.

الحركة هي مجلة الأضواء التي كان الشهيد الصدر يكتب افتتاحياتها تحت عنوان «رسالتنا» ثم منشوراتها. وكتب الشهيد بنفسه عن هذه المجلة قائلاً:

«مجلة الأضواء هي مجلة تجاهد في سبيل الله. والحمد لله، قد تراجعت هجمات جماعة العلماء ضدها وتمت طمأننتهم بأنه لا يزال لديهم إشراف ورقابة على المجلة. لكن كما سمعت، فإن هناك هجمات كبيرة وقوية من بعض طلاب العلوم الدينية وأشخاص يدّعون أنهم من أهل العلم أو يُتسبون إليهم، ويقال إن هذه الهجمات قد تسببت في تشويه صورة الأضواء في أذهان بعض كبار رجال الدين إلى درجة أن بعض من يُنظر إليهم في الأوساط الروحية بعين القدسية والوجاهة لا يترددون في توجيه اتهامات إلى الأضواء وكتابتها»^(١)

ومن بين الخطوات المهمة التي قام بها الشهيد الصدر في تلك الفترة، تأسيس حزب الدعوة الإسلامية بالاشتراك مع بعض العلماء والشخصيات الدينية البارزة. ولا شك في أنه كان أحد مؤسسي هذا الحزب. كما قال أحد الباحثين في سيرة حياته:

«من المؤكد أن الشهيد الصدر كان - بلا شك - أحد مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، بل كان الركيزة والأساس في تشكيله»^(٢)

لم يكن الشهيد الصدر أول من طرح فكرة إنشاء حزب سياسي واسع تحت قيادة المراجع والعلماء الدينيين فحسب، بل إنه بذل جهوداً لتأسيس هذا الحزب. وكان هو الشخصية الأبرز في قيادة الحزب. لم تقتصر أدواره في إدارة الحزب على الجوانب الفكرية والثقافية، بل كان له دور كبير في الجوانب السياسية والتنظيمية أيضاً. هذان الجانبان الرئيسيان هما:

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٠.

(٢) محمد الحسيني، السيد محمد باقر الصدر حياة حافلة، فكر خلاّق، ص ٧٥.

(أ) البُعد الفكري والثقافي؛

(ب) البُعد السياسي والتنظيمي.

(أ) البُعد الفكري والثقافي

كان الشهيد مسؤولاً عن تأمين الأدبيات الفكرية والثقافية لحزب الدعوة الإسلامية، وقد جعلها واقعاً عملياً. ومن بين الأعمال التي تشهد على هذا الدور، هناك مؤلفاته مثل «كيف تكون الدعوة إلى الإسلام»، وهو أول منشور صدر عن الحزب، و«الأسس الإسلامية» وهو يشكل، نوعاً ما، دستور الحكومة الإسلامية، و«الشكل ومشروعية التنظيم والاسم، ويتناول مشروعية التشكيلات والتحرُّب في الإسلام، هذه الأعمال تؤكد دور الشهيد الصادر في هذا المجال.

وبعيداً عن الأنشطة الحزبية، فمن بين خطوات الشهيد الصادر على الصعيد الفكري والثقافي وفي إطار إلقاء دروس جديدة وتقديم رؤية ثورية للطلاب الدينين والطلاب الجامعيين، هي مواكبته وجهوده في تأسيس كلية أصول الدين ومتابعتها والإشراف عليها. على سبيل المثال، قام بتأليف كتاب «المعالم الجديدة في علم الأصول» ليُدْرَس في هذه الكلية. وعليه كان دوره أساسياً وحاسماً في تأسيسها، وكذلك في التخطيط الدراسي وتقديم أساليب تعليمية، بالإضافة إلى وضع خطط ثقافية وبحثية للكلية. علاوة على ذلك، «استفاد الطلاب من إشرافه الأبوي».^(١) وفي كتابه الجهاد السياسي، نقرأ عن هذا التعاون:

«كان السيد الشهيد قد شارك في تأسيس هذه الكلية، وكذلك في

(١) حائري، زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٨٦.

التخطيط وتقديم طرق التعليم، وأدى دوراً أساسياً في إعداد خطط ثقافية»^(١).
كما كتب الشهيد الصدر درساً بعنوان «علوم القرآن» لطلاب السنة الأولى في الكلية، وكان يُدرّس على مدار أربع سنوات متتالية. بالإضافة إلى ذلك، ألّف كراساً حول «الاقتصاد الإسلامي» لتعليم طلاب هذه الكلية. كما تعاون بشكل جدي مع مجلة «رسالة الإسلام»، التي كانت تصدرها الكلية.

(ب) البُعد السياسي والتنظيمي

تولّى الشهيد الصدر لمدة عامين على الأقل القيادة التنظيمية والإدارية للحزب، وكان يقوده خطوة بخطوة ومرحلة بمرحلة. إلى جانب الأنشطة الحزبية، قام بعدة أنشطة سياسية أخرى، بعضها سوف نتناوله في هذا النص.

الآراء المطروحة حول بدايات دخول الشهيد الصدر إلى ساحة النضال السياسي

على الرغم من أن توقيت دخوله إلى الساحة السياسية مسألة مهمة، إلا أن الأهم من ذلك هو كيفية دخوله وطريقة مشاركته في هذا المجال. لذلك، قال البعض عن الشهيد الصدر:

«لا يمكن تحديد بداية واضحة لحياة السيد الشهيد السياسية، لأن النشاط السياسي كان جزءاً من الشخصية القدسية والإلهية لهذا الرجل العظيم»^(٢).

بخصوص توقيت وكيفية دخول الشهيد الصدر في معركة السياسة، هناك

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) إله كولائي وآخرون، المصدر نفسه، ص ١٣.

رأيان رئيسيان. الأول هو أنه دخل هذا المجال منذ بداية شبابه، عندما أصبح واعياً بالأوضاع والظروف السائدة، ودخل المعركة السياسية بشكل عادي، وبدأ حياته السياسية. وبالتالي، لا يمكن تحديد توقيت معين لبدء نشاطه السياسي. ولذلك، أصر بعض تلاميذه على أن السياسة، والجهاد والمقاومة كانت جزءاً من كيانه، وكانت لها تجليات طوال حياته. كمثال على ذلك، يمكن الإشارة إلى القرار الذي اتخذه في شبابه من بين منحيين متغايرين مهمين كانا يتجاذبان في حياته. قال الشيخ النعماني، حدثني الشهيد الصدر عن هذه المرحلة من حياته فقال:

«إنَّ المرحوم السيد محمد الصدر، رئيس وزراء العراق آنذاك (الذي كان من أقاربي)، كان يصطحبني معه إلى مزرعته خارج بغداد على ظهر جواد له، فكان يمنيّني بمنصب كبير في الدولة وبحياة ناعمة مرفّهة إن أنا واصلت دراستي في المدارس الحكومية، فقلت له: إنَّ حياة الحوزة والدراسة فيها هي خيارى الوحيد، وإنَّ قناعتي في ذلك تامة رغم حاجتي للمال وكانت هذه بداية الطريق إلى الحوزة العلمية والنشاط العلمي والجهادي».^(١)

وأضاف أيضاً ردّاً على من كانوا يتحدثون عن مستقبله خلافاً لإرادته ورغبته، فقد وقف موقفاً عملياً حسم به ذلك التجاذب، وأشعر تلك الأطراف التي تقاطعت رغباتها بمستقبله ببواقع ما يطمح إليه، فقد أضرب تقريباً عن الطعام من دون إعلان، واكتفى من الطعام بقطعة صغيرة من الخبز يسدّها رمقه طوال الليل والنهار. بعد أيام أحسّ الجميع - بالإضراب الهادئ - فسألوه عن السبب فقال:

«إنَّ الذي يستطيع أن يعيش على قطعة صغيرة من الخبز أياماً عديدة هو قادر على أن يستمر إلى آخر العمر كذلك، فأنا لا أخشى من الفقر ولا أخاف

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٤٤؛ سألهاى رنج، ص ٢١.

من الجوع»^(١).

هذا النوع من التعامل يظهر روحه الحرة ورغبته في الحرية، وقد اختار هذا الطريق في ظروف كانت أخته بنت الهدى الصدر تروي عنها قائلة:

«كنت مع أخي في تلك الفترة نجمع ما نحصل عليه من مال قليل، فيشتري السيد به كتاباً فنطالعه ونستوعبه، ثم يبيع الكتاب ليشتري بثمنه كتاباً آخر، وهكذا استمرّ الحال بعد هجرتنا إلى النجف الأشرف»^(٢).

ثانياً، كان حضوره الحتمي والعلني في ساحة النضال السياسي والجهادي في مجتمعه أمراً شخصياً، مدفوع بإرادة حاسمة وخطة مدروسة، ويمكن في الواقع اعتباره نقطة تحول في نضاله. وفي هذا الصدد، تبرز أماننا عدة أمور مهمة، منها:

١. بداية مرجعية آية الله السيد محسن الحكيم:

بعد وفاة آية الله سيد إسماعيل الصدر، تولى آية الله السيد محسن الحكيم مرجعية الشيعة في العراق (النجف الأشرف)، وفي نفس الوقت كانت مرجعية آية الله البروجردي تتركز في إيران. ومن هنا، وبفضل العلاقة الوثيقة بين الشهيد الصدر وآية الله السيد محسن الحكيم وعائلته، دخل الشهيد الصدر ساحة النضال السياسي، وأصبح له تأثير على السيد محسن الحكيم وعائلته في هذا المجال. يروي السيد محمد باقر الحكيم، الذي كان من تلاميذ الشهيد الصدر وابن آية الله السيد محسن الحكيم، قائلاً:

«مع مرور الوقت، اقتربت منه وأصبحت أحد أتباعه. في الواقع،

(١) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه، ص ٢٣.

بجانب كوني تلميذه، كان يُظهر لي محبة كبيرة، وأصبحنا أصدقاء حقيقيين، حتى أنه كان يسمح لي بالتدخل في أكثر أموره الخاصة. كنت أشارك في كل نشاطاته العلمية والسياسية والاجتماعية...»^(١).

ثم يضيف السيد محمد باقر الحكيم:

«حافظت على علاقتي به في جميع مراحل حياتي. كنت أنا، باعتباري ابن آية الله الحكيم، حلقة الوصل بينه وبين الشهيد الصدر، وكنت دائماً أعتبر نفسي جندياً يتبع قائداً»^(٢).

ويظهر لنا من خلال الأدلة وشهادات تلاميذ الشهيد الصدر أن نشاطاته السياسية كانت كبيرة في فترة مرجعية آية الله السيد محسن الحكيم، وكان له تأثير كبير في السياسة، رغم أن آية الله الحكيم كان يرتدي زي المرجعية، لكنه استفاد كثيراً من رؤى الشهيد الصدر السياسية. على سبيل المثال، يقول السيد محمود الهاشمي:

«في الحوزة العلمية بالنجف الأشرف كانت علاقته مع باقي المراجع والعلماء جيدة. كانت المرجعيات السابقة في النجف دائماً تعتمد عليه وتستفيد من رؤاه السياسية، على سبيل المثال، كان المرحوم آية الله (السيد محسن) الحكيم يستفيد من رؤى الشهيد الصدر في العديد من القضايا السياسية...»^(٣).

٢. التحرك السياسي الأول الكبير للشهيد الصدر:

كان الخطوة السياسية الكبرى للشهيد الصدر هي المشاركة في تشكيل

(١) «يادواره شهيد آيت الله السيد محمد باقر الصدر»، صحيفة اطلاعات، ١٩/١/١٣٦١، ص ٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨.

جماعة العلماء في النجف الأشرف. وبناءً على هذه الرؤية، بدأ الشهيد الصدر تحركه السياسي بالتوازي مع تأسيس جماعة العلماء. حيث قيل:

«على الرغم من أنه قد بدأ تحركه السياسي في وقت مبكر أو قبل ذلك بقليل، فإن ظهوره الواضح كان يتزامن مع تأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف، ولا يمكن تحديد بداية حياة الشهيد السياسية، حيث كانت السياسة جزءاً من شخصيته القدسية والإلهية. لكن يمكن تحديد دور الشهيد الصدر الفعّال والمهم سياسياً من خلال تأسيس جماعة العلماء في النجف الأشرف، حيث أصبح عنصراً رئيسياً في الحركة الفكرية والسياسية المستمرة في العراق والمنطقة العربية، وخاصة العراق».^(١)

كما أشار بعض الباحثين إلى أنه كان العنصر الرئيسي في تأسيس هذه الهيئة السياسية والعلمية. على سبيل المثال، يكتب مدين الموسوي:

«من جهة أخرى، كان هو العامل الرئيسي في تأسيس جماعة العلماء، وبعد الحصول على إذن نشر المجلة الأضواء، تولى مسؤولية كتابة افتتاحياتها لمدة عامين».^(٢)

٣. الرأي الثالث حول بداية النشاطات السياسية للشهيد الصدر:

يشير البعض إلى أن بداية النشاط السياسي العلني للشهيد الصدر كان قبل أو مع بداية الانقلاب الذي قاده عبد الكريم قاسم في عام ١٩٥٨ م. ويرتكز هذا الرأي على نقطة مهمة وهي أن انفتاح الأجواء السياسية بعد

(١) المصدر نفسه، ص ٣.

(٢) مدين موسوي، «تقابل نوعي در حرکت و مواضع شهيد صدر»، اندیشه ماندگار، العدد ٦، اول بهمن ١٣٧٩، ص ٣٥.

الانقلاب قد ساعد في توسيع مجال النشاط السياسي في العراق، مما أتاح فرصاً لظهور حركات سياسية وجماعات متنوعة، بما فيها الجماعات اليسارية والماركسية. يعتبر البعض أن الحكم الذي تبناه حكومة قاسم كان نظاماً غير إسلامي ذي ميول يسارية، وهو ما فتح المجال أمام علماء ودعاة مثل الشهيد الصدر للمشاركة في السياسة لمواجهة هذه الأيديولوجية. بناءً على هذا الرأي، تم تأسيس العديد من الأحزاب مثل جماعة العلماء في النجف، و حزب الدعوة الإسلامية، وغيرها، في هذه الفترة.

على سبيل المثال، يقول السيد عبد العزيز الحكيم:

«بدأت المسيرة النضالية الواضحة لآية الله الصدر بعد انقلاب عبد الكريم قاسم في عام ١٩٥٨ م في العراق، حيث كتب العديد من الكتب مثل فلسفتنا واقتصادنا وغيرها من الكتب».^(١)

بينما كان الشهيد الصدر في بعض الوثائق في سنوات ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م يدرس قضايا حزبية وكان يركز على ضرورة إقامة الحكومة الإسلامية.

«كان يركّز في لقاءاته على أن الشباب الجامعيين الذين ينضمون إلى الأحزاب العلمانية لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، وكان يصر على ضرورة إقامة حكومة إسلامية».^(٢)

يكتب أبو زيد العاملي:

«أنه طلب من الحاج محمد صالح أديب أن يجمع نصوص النظام الداخلي لأحزاب عراقية مختلفة (مثل الحزب الشيوعي وحزب البعث العراقي والقوميين العرب)، وكذلك الكتب العشرة لتقي الدين بنهاني التي تلخص

(١) «يادواره شهيد آيت الله محمد باقر صدر»، صحيفة اطلاعات، ص ١٣.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٤٣.

الفكر السياسي لحزب التحرير، ليجمعها له... وطلب أيضًا من السيد مهدي الحكيم أن يجمع النظام الداخلي لجمعية منتدى النشر وغيرها من الجمعيات، وكان هدفه من هذا العمل دراسة أهداف هذه الأحزاب وطرقها العملية»^(١). ويقول هو بنفسه (في تلك الفترة):

«قد نعمل ونغيّر المجتمع، فإذا كانت الحكومة لا تؤمن بذلك، فإنها قادرة وبجّرة قلم على إلغاء كل ما قمنا فيه»^(٢).

بعد نقد الكتب وتدريس القضايا الحزبية، خلال اجتماع في منزل السيد الصدر الحكيم في النجف الأشرف بحضور سبعة آخرين، تم اتخاذ الخطوة الأولى لتشكيل حزب سياسي، وهو حزب الدعوة الإسلامية في ١٧ ربيع الأول ١٣٧٧ هـ، الموافق ١٢ / ١٠ / ١٩٥٧ م، وبعد عدة أشهر من هذا الحدث، حدث انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق. كما تم عقد الاجتماع الثاني في صيف عام ١٩٥٨ م حيث تم طرح فكرة تأسيس الحزب الإسلامي من قبل الشهيد الصدر. وبعد ذلك كان هناك اجتماع في كربلاء بحضور الشهيد الصدر حيث بدأت الخطوات الأولية لتشكيل الحزب.

نمطان من السيرة السياسية

بشكل عام وموجز، يمكن القول إن النضال السياسي والمشاركة في الساحة السياسية والمجتمع كانت من الأفكار الأساسية والمحورية التي كان الشهيد الصدر يسعى لتحقيقها. من هذا المنطلق، كان يؤمن بضرورة حضور

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤٢؛ حزب الدعوة الإسلامية، صص ٤٨ - ٥١؛ الجهاد (مجلة)، العدد ٦٨،

١٩٨٣ / ١ / ٣ م و...

العلماء والمراجع الدينية في الساحة السياسية. في هذا الإطار، قدم خطة شاملة تحت عنوان «المرجعية الرشيدة، والحوزة الرشيدة، والأمة الرشيدة»، واعتبر أن المراجع والعلماء هم الأنسب والأكثر استحقاقاً للمشاركة في الحياة السياسية والتواصل الشامل مع الناس. كان يطرح المرجعية الرشيدة من منطلق أنها «تتحمل مسؤولية الشهادة للأمة».^(١) وهذه المسؤولية تقع على عاتق «العلماء»^(٢) بعد الأنبياء وأوصيائهم، كما كان يشير إلى الحوزة الرشيدة التي تعني «التطور في الحوزة العلمية بطريقة تتناسب مع مكانتها، لتكون بمثابة مجموعة تشهد للأمة ولها دور قيادي في تربية الأمة».^(٣)

طيلة حياته جعل الشهيد الصدر من النضال من أجل الأمة والمشاركة في الساحة السياسية جزءاً أساسياً من مسيرته، كما يوضح ذلك في قوله:

«منذ أن عرفت نفسي ووعيت مسؤوليتي تجاه هذه الأمة، وضعت كل قوتي وبكل أمانة في خدمة أبناء هذه الأمة من شيعة وسنة، عرب وكرد، بمعنى أنني حرصت على الحفاظ على العقيدة المشتركة والموحدة بين الجميع، وفي تفكيري وتصرفاتي لم أعمل إلا من أجل الإسلام، لأن الإسلام هو طريق النجاة والهدف المشترك بيننا جميعاً...».^(٤)

في الواقع، لو أخذنا النضال السياسي بمعناه الشامل، لوجدنا أن الشهيد الصدر قد بدأ هذا المسار منذ مرحلة مبكرة من حياته، قبل انقلاب ١٩٥٨ م، وقبل تشكيل جماعة العلماء أو حزب الدعوة الإسلامية. ولكن مسيرته

(١) السيد صدر الدين القبانجي، دور الشهيد الصدر في الحوزة العلمية، ص ٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، صص ٥ - ٤.

(٤) حائري، زندگي و افكار شهيد صدر، ص ١٦٠، پیام سوم شهيد صدر.

السياسية والتنظيمية الحزبية بدأت بشكل جاد من خلال تشكيل جماعة العلماء وحزب الدعوة الإسلامية في سنوات ١٩٥٦-١٩٥٨ م، تقريباً بالتزامن مع انقلاب عبد الكريم قاسم، مما يعكس تحوله إلى النضال الحزبي والتعليمي المنظم. لذلك، يمكن القول أنّ نضاله في مرحلة ما قبل الانقلاب كان ذو طابع عادي، بينما كانت بذرته السياسية والتنظيمية قد بدأت منذ فترة مراهقته، وخصوصاً عند بلوغه مرحلة الاجتهاد التي كانت في النصف الثاني من حياته، ومن المحتمل أن تكون هذه المرحلة قد بدأت من حوالي سن الثالثة عشرة.

لذلك، من أجل مواجهة عدة تيارات أساسية مثل النفوذ الاستعماري والغزو الأجنبي في العراق، ومحاولات الجماعات الاشتراكية، القومية والشيوعية، وكذلك توعية الناس وإيقاظهم لاسترداد حقوقهم، بدأ منذ البداية النضال في إطار ثقافي، اجتماعي، وسياسي. وعندما توفرت فرصة بعد الانقلاب وظهرت بوادر الانفتاح في الفضاء السياسي في العراق، بدأ نشاطه الحزبي والتنظيمي لمواجهة الاستبداد، والبدع الدينية، والإلحاد، وفقدان العدالة والروحانية، بهدف مقاومة الظلم والعدالة، وإحياء الفكر الإسلامي الأصيل والعالي.

بعبارة أخرى:

لقد حاول في هذه الأوضاع المزرية أن يستخدم أسلوب المواجهة عبر تأسيس حزب سياسي^(١) لمواجهة تنظيمات المعارضة. وقد أدرك أن المجتمع كان في حالة تدهور نتيجة الغزو الثقافي والعدوان الفكري الأجنبي، فكان يرى أن أسلوب التنظيم وتأسيس الحركة السياسية هو الطريقة المثلى لمواجهة هذه التحديات.^(٢)

وتظهر جهوده وأعماله مثل التعاون في تأسيس جماعة العلماء، وإصدار

(١) منظور از حزب الدعوة الإسلامية.

(٢) مدين موسى، المصدر نفسه، ص ٣٤.

البيان الخاص بها، الحصول على إذن لنشر الأضواء وكتابة افتتاحياتها ومنشوراتها، كتابة مقالات قُرئت على راديو بغداد من قبل أحد الخطباء، تأسيس حزب الدعوة الإسلامية وأنصار جماعة العلماء، كتابة أعمال مثل فلسفتنا واقتصادنا وغيرها، جميعها تشير إلى حركة تنظيمية، حزبية، وشاملة متعددة الأبعاد.

كانت أبرز سمات نضال الشهيد الصدر قبل هذه الفترة تتمثل بشكل رئيسي في الجانب الثقافي، وكان يهدف إلى حماية عقول وأفكار الأفراد وخاصة المسلمين. وحتى نهاية حياة العلامة شهيد السيد محمد باقر الصدر، كانت أفكاره ونضالاته السياسية قد أثرت بشكل كبير عليه.

بناءً على ذلك، كانت له سیرتان سياسيتان: الأولى يغلب عليها الطابع الثقافي والاجتماعي، والتحضير والتأسيس المحدود، أما الثانية فذات طابع تنظيمي «حزبي» منظم وواسع، شامل وجامع، مما يدل على مشاركته الواضحة والواسعة في الساحة السياسية.

أما أهم أدواته في النضال فكانت: الحوزات العلمية وفصول الدراسة، مكاتب المراجع وعلماء الحوزة، خاصة مكتبه الخاص، المراكز الثقافية والدينية مثل المساجد، والحسينيات، وضريح الإمام علي عليه السلام في النجف، بالإضافة إلى أدوات الخطابة، الفتوى، كتابة الكتب والمقالات، والأهم من ذلك، تأسيس الحزب لتحقيق أهدافه.

أما أساليب نضاله، فكانت الأساليب الحزبية والتنظيمية، الثقافية، العقائدية والكلامية، السياسية وغيرها.

في الجانب التنظيمي، يُعد إنشاء أحزاب مثل حزب الدعوة أو أنصار جماعة العلماء، وكذلك التعاون مع جماعة العلماء، أمراً ذا أهمية كبيرة. وفي

الجانب الثقافي، كان التواصل مع الحوزات العلمية والجامعات والسعي لإيقاظ وتوعية شريحة الشباب ودمجهم في مسار النضال السياسي والحزبي يحظى باهتمام خاص.

أما الجانب العقائدي والكلامي، فتركز على بيان حقائق الإسلام وتفسيرها وإثباتها بلغة العصر وفي قالب كلامي جديد. ومن هذا المنظور، يمكن اعتباره أحد المؤسسين لعلم الكلام الجديد في العالم الإسلامي.

في الجانب السياسي، تمثل جهوده في محاربة النظام الحاكم في العراق، وتقديم خطط لقيادة العالم الإسلامي وتحقيق الثورة الإسلامية الاجتماعية؛ كما قام بوضع مسودة دستور لإدارة المجتمع والنظام السياسي الذي كان يطمح إليه، وغيرها من المبادرات.

أما أهم الأدوات التكتيكية التي كان يستخدمها الشهيد الصدر فهي كتابة الكتب، المقالات، الافتتاحيات في الصحف الكبرى، الخطابة، الهجرة، البيانات والبلاغات... وفي هذه الفترة تحديداً، قام بتأليف رسالة تناول فيها جواز إقامة الحكومة الإسلامية، بل وجوبها في فترة الغيبة، وأشار إلى هذه المسألة من خلال تفسيره لآية الشورى. ويقال إن هذا العمل تم تحديداً في عام ١٩٥٩م أو ١٣٧٨ هـ.^(١)

بعض الأعمال السياسية والحزبية للشهيد الصدر في هذه الفترة تشمل:

١. دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون ثورية.^(٢)
٢. ما نرتضيه من الدعوة الإصلاحية وما نرفضه منها.^(٣)

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٩.

(٢) أنظر: المصدر نفسه، صص ٢٦٢ - ٢٦٠.

(٣) أنظر: المصدر نفسه، صص ٢٦٣ - ٢٦٢.

٣. حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية.

٤. الشخصية الإسلامية.

٥. الأعمال والأهداف.

٦. الأسس الإسلامية.

٧. افتتاحيات الضوء تحت عنوان «رسالتنا».

٨. منشورات جماعة العلماء.

خصائص نضال الشهيد الصدر قبل التحرك التنظيمي والحزبي

نظرًا لأن حياة الشهيد الصدر السياسية كانت متوازية مع حياته العلمية، ولا يمكن الفصل بين هذين البعدين، فإننا نعتقد أن الشهيد الصدر كان منذ بداية تحصيله العلمي في الحوزة، يتعامل مع القضايا المتعلقة بحياة الناس والمجتمع ويتخذ قراراته السياسية من خلال مواقف متنوعة. على سبيل المثال، عندما كان أمامه خياران: إما التعليم في المدارس الحكومية والجامعات مع المناصب الرفيعة (كما اقترح عليه السيد محمد صدر) أو التعليم في المدارس الفقهية والحوزة العلمية، اختار بوعي الخيار الثاني،^(١) وهو قرار سياسي بحد ذاته. قال: «خطت نفسي طريقًا آخر، يجب أن أتجه إلى الحوزة في النجف...»^(٢).

لذلك، فإن أولى تجاربه في الحياة السياسية كانت حاسمة. ومن هذه التجارب، يمكن الإشارة إلى ثورة عام ١٩٢٠م، والتي رغم وقوعها قبل ولادة الشهيد الصدر، إلا أن تأثيرها عليه كان كبيرًا، خاصة مع دور بريطانيا في العراق بعد هذه الحادثة، حيث سعت للتعويض عمّا فاتها واستمر ذلك حتى

(١) المصدر نفسه، ج ١، صص ١٣٦ - ١٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٤.

عام ١٩٥٨ م، بعد انقلاب قاسم. وقد تركت هذه الأحداث أثراً كبيراً عليه. بعد ذلك، كانت هناك تجارب عديدة على المستوى الداخلي، مثل تبعية النظام الملكي في العراق لبريطانيا، والتدخلات الواسعة لبريطانيا في إدارة العراق، ومسألة فلسطين وإسرائيل، التي كانت بالنسبة للشهيد الصدر، كما هي بالنسبة للإمام الخميني، قضية جادة وإسلامية وإنسانية. على سبيل المثال، في سياق تربيته السياسية لأبنائه، كان يشدد على ضرورة الاهتمام بالقضايا الإنسانية، والتعرف على الحق والعدل، والنفور من الظلم والاضطهاد. في هذا الصدد، قال: «لقد غرست في ابنتي روح الكراهية تجاه الصهاينة - رغم أنها كانت طفلة صغيرة في ذلك الوقت...»^(١).

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن انتفاضة عام ١٩٤٨ م في العراق، التي حدثت احتجاجاً على معاهدة «بورتسموث»، والتي أدت إلى إلغائها، ثم عزل صالح جبر من رئاسة الوزراء وتعيين السيد محمد الصدر (من المقربين للشهيد الصدر وزعيم للشيعَة آنذاك) مكانه، كان لها تأثير كبير عليه. هذه التجربة جعلته يهتم بالسياسة والمجتمع منذ سن مبكرة، واستمر معه هذا الاهتمام حتى نهاية حياته وقد ضحى بها على هذا الطريق.

بناءً على ما ذكر، يمكن القول أنه على الرغم من عدم وجود بداية محددة لنضاله السياسي، إلا أن بعض المؤشرات تشير إلى أنه بدأ العمل السياسي - الأخلاقي تقريباً في عام ١٩٤٨ م، أي في بداية العقد الثاني من عمره. كما أن قراره في سن الحادية عشرة بترك المدرسة والالتحاق بالحوزة لمواصلة طريق أجداده في إحياء العلوم والمعارف الإسلامية،^(٢) رغم إصرار وضغط الأقارب،

(١) حائري، زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٥٥.

(٢) محمد حسين جمشيدى، اندیشه سياسی امام شهيد السيد محمد باقر الصدر، ص ١٣١.

يعد مثلاً واضحاً على هذا النضال السياسي - الأخلاقي.

تدوينه لكتاب «فدك في التاريخ» في رمضان ١٩٤٦ م^(١) واستقلاله في الرأي في الاجتهاد ورفضه التقليد،^(٢) يعتبران مثالين آخرين على سيرته الحركية والنضالية التي جمعت بين النشاط السياسي والإنساني.

وجاء في إحدى سيرته الذاتية ما يلي:

منذ بداية شبابه، وبفضل الذكاء والحنكة والحساسية التي كان يتمتع بها تجاه الإسلام والمسلمين، انخرط في الأنشطة السياسية.^(٣)

الخصائص المهمة لنضال الشهيد الصدر

في هذه الفترة عبارة عن:

١. محدودية البلد: على الرغم من أن الشهيد الصدر كان يحمل أهدافاً عالمية وشاملة، إلا أن نضاله في هذه الفترة كان محصوراً بالعراق. وكانت هذه المحدودية تتعلق بعدم كفاءة النظام الحاكم، ومواجهته مع الجماعات غير الدينية وغيرها. مع ذلك، كان المحور الأساسي في نضاله توعية المسلمين وإيقاظهم، وكان هدفه الأساسي هو تحصين عقول المسلمين وأفكارهم في المجتمع الإسلامي ضدّ التهديدات والمخاطر، خاصة المخاطر الأخلاقية، الروحية والفكرية. بالإضافة إلى ذلك، كانت هذه المحدودية الجغرافية تشمل أيضاً القيود على نشاطاته، حيث كانت انشغالاته العلمية، والتحصيل العلمي

(١) العامل، المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه، صص ١٦٢ - ١٦١.

(٣) المؤتمر الدولي لتكريم الشهيد الصدر، حياة الشهيد الصدر، في:

تشكل عائقاً أمام توسيع نطاق أنشطته السياسية والنضالية.

٢. تبني نشر حقائق الإسلام وأحكام الدين: في هذه الفترة، كان تركيز الشهيد الصدر الأكبر على نشر الحقائق الدينية وبيان الأحكام الإسلامية، خاصة لرفاقه من نفس الجيل. وكان الشهيد الصدر يرى أن المجتمع قد ابتعد عن الإسلام الحقيقي، وأن الحل الأمثل لمشاكل المجتمع يكمن في العودة إلى الإسلام، أي العودة إلى ذاته الحقيقية. ومن الأمثلة على نشاطاته في هذا السياق تأليفه لكتاب «فدك في التاريخ»، ومشاركته في التعليق على «بلغة الراغبين» مع الشيخ عباس الرميثي.^(١) كما كان في عام ١٩٥٧ م يعقد جلسات توجيهية لطلابه، يتناول فيها القضايا السياسية والنضالية.^(٢)

٣. التمسك بالسلام والهدوء: من الخصائص الأخرى لنضال الشهيد الصدر قبل انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق الطابع السلمي لهذا النضال. في هذه الفترة، كانت أسس عمله تعتمد النصح والوعظ والإرشاد. لذا، لم يكن في جهوده ما يدل على محاولاته لإقامة حركة حزبية أو تنظيم سياسي معقد ومنظم أو حركة واسعة.

٤ - الطابع الثقافي والعائدي للنضال: لما كانت نقطة انطلاق أي تحرك أو نشاط أو نضال، وجود وعي وإحساس بالمسؤولية تجاه هذا التحرك، وكان الشهيد الصدر يدرك هذه الحقيقة بشكل جيد. لذا، عند توجهه نحو ساحة السياسة والمجتمع، جعل التحرك الثقافي والعائدي أول خطوة في أي نضال. وكان قد

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٠٣؛ بلغة الراغبين، هي رسالة فقهية للشيخ محمدرضا آل ياسين و الشهيد الصدر وقد دُعي الشيخ عباس الرميثي للتعليق على الكتاب وقد قبل الدعوة، وكان في سن ١٥ أو ١٦. وقد خاطب عباس الرميثي الشهيد الصدر قائلاً: «ان التقليد عليك حرام»، المصدر نفسه، ص ٢٠٣، النعماني، شهيد الامة وشاهدها، ج ١، ص ٦٩ و...
(٢) أنظر: العاملي، المصدر نفسه، صص ٢٩١ - ٢٩.

أدرك أيضًا أنه طالما أنّ أساسيات أذهان المسلمين وأفكارهم غير ثابتة أو من غير أساس، فإن محاربة نفوذ القوى الأجنبية والتصدي لوسائلها لن يكون له أي تأثير طويل الأمد. وحتى لو استطاع المسلمون مقاومة النفوذ الثقافي للعدو في المرة الأولى، فلا ضمانة لنجاح نفس المقاومة في المرات التالية.^(١)

وفي ختام إحدى محاضراته في أصول الفقه، قال لطلابه ومؤيديه:

«لقد قلنا مرارًا وتكرارًا أننا ندرس هذه العلوم لكي نسلح بها، وندخل بها معركة وصراعًا مع أعداء الإسلام وأعداء الدين، بهدف الدفاع عن الإسلام... من الواجب علينا أن نستخدم كل إمكانياتنا وقدراتنا العلمية في خدمة الإسلام... من أفضل الطرق لتحقيق هذا الهدف دراسة أحوال الأئمة عليهم السلام، فهم القدوات العليا في مسار الدعوة والدفاع عن الإسلام... لذا، الفائدة من هذا البحث هي أن نخطو خطوات على طريق الأنبياء والعلماء الأوفياء الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الإسلام ومن أجل رفع كلمة الإسلام.»^(٢)

بناءً على ذلك، كان التحرك الثقافي والعقائدي هو الخطوة الأولى في النضال. إضافةً إلى ذلك، فإن الحركة المنظمة والتشكيلات السياسية تحتاج إلى أتباع ومناصرين مخلصين وأوفياء. لذلك، كان التحرك الثقافي والنضال العقائدي وسيلة لإعداد هؤلاء الأتباع والمناصرين المضحّين. لذا كان الشهيد الصدر يولي اهتمامًا خاصًا للعثور على هؤلاء الأشخاص، وكان يعتبر الصدق، والعاطفة القوية، والحب الكبير تجاه العلماء، والمعلمين، والطلاب، والزملاء، وغيرهم من الأفراد، بمثابة أسس لهذه الحركة. لذلك، لم يكن الشهيد الصدر مجرد أستاذ درس

(١) مدين موسى، المصدر نفسه، ص ٣٥.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٩٥ - ٢٩٤؛ السيد محمد باقر الصدر، المجموعة الكاملة لتراث الشهيد الصدر، ج ١٧، صص ٢٥ - ٢٣ و الملاحق، الملحق العدد ٤.

أو زميل دراسة، بل كان يولي اهتماماً أيضاً للجاذبية العاطفية والقلبية، وكانت شخصيته العاطفية تظهر بشكل جلي، خاصةً في تواصله مع طلابه.^(١)

أيضاً، رسائل الشهيد الصدر في عقده الثاني من عمره، مثل رسالته إلى السيد عبد الحسين شرف الدين،^(٢) ورسالة أخرى إلى السيد حسن الأمين،^(٣) تؤكد هذا الرابط العاطفي واهتمامه الأخلاقي والإنساني.

كان استخدامه لهذه الأدوات العاطفية وخلق أجواء من الألفة والصدقة يساهم بشكل كبير في حب واهتمام أستاذته، وعلمائه، وطلابه، وزملائه. كان لديهم تعلق شديد به، حتى أولئك الذين كانوا لا ينظرون إليه نظرة إيجابية. حتى تجاه الأشخاص الذين قد لا يكونون دائماً في صفه، كان لديه حب خاص. على سبيل المثال، قال السيد كاظم الحائري:

«في الوقت الذي أمهلت الحكومة البعثية المجرمة الإيرانيين المقيمين بالنجف الأشرف - بمن فيهم طلبة العلوم الدينية - ستة أيام فقط لمغادرة العراق، رأيت أحد الباحثين في العلوم الدينية يودع أستاذنا الشهيد. وكان الأستاذ يبكي مثل أم فقدت طفلها، رغم أنه كان يعلم أن هذا الشيخ من الذين يطعنون فيه.»^(٤)

(١) «شهيد رابع، اسوه جهاد و شهادت، آيت الله صدر»، مجله حوزة، ص ٦.

(٢) أنظر: العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢١٤ - ٢١٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.

(٤) حائري، زندگي و افكار شهيد صدر، ص ٥٦.

الفصل السادس:

الشهيد الصدر وجماعة العلماء المجاهدين

مقدمة

في الحكومات الديمقراطية والإنسانية، يشارك الناس عادةً من خلال الأحزاب والجماعات الرسمية، بينما في الحكومات الاستبدادية المطلقة، تأخذ مشاركة الناس جانباً سلبياً وتظهر في تجمعات غير رسمية وسرية أحياناً. وقد تتحول مشاركة الناس إلى مجموعات ضغط. كانت الحكومة البعثية في العراق - تحت قيادة صدام حسين التكريتي - من أشدّ الحكومات الاستبدادية والشمولية في العالم المعاصر، حيث لم تكن تسمح إطلاقاً للمعارضين بممارسة النشاط بأي شكل من الأشكال. من ناحية أخرى، كان الشيعة دائماً معارضين للحكومات الاستبدادية وغير الشعبية ولم يتوقفوا عن النضال ضدها. لذا، غالباً ما تحولوا إلى أحزاب سياسية سرية ومجاهدة لمحاربتها، واستمر هذا الوضع خلال فترة سيطرة البعثيين تحت عناوين مختلفة.

تاريخ تكوين الأحزاب والجماعات الشيعية المجاهدة في العراق كما في سائر البلاد الأخرى قديم قدم تاريخ التشيع، خاصة في العراق حيث ظهرت هذه التجمعات والتنظيمات الشيعية منذ عهد الحكام الأمويين. ولكن في القرن العشرين الميلادي، أخذت الأحزاب الشيعية في العراق شكلاً آخر، ومع تحرر العراق من السيطرة العثمانية ظهرت مجموعات شيعية مجاهدة مثل حزب «حراس الاستقلال» الذي كان هدفه النهائي استقلال العراق،^(١) و«لجنة الحيدري» التي كانت تضم علماء شيعة بارزين مثل أبو القاسم الكاشاني وأبو

(١) احمد الكاتب، المصدر نفسه، صص ١٨١ - ١٨٠؛ عبدالله نفيسي، المصدر نفسه، ص ١١١.

الحسن الشيرازي وغيره.^(١) وبعد ذلك استمر تكوين ونشوء الأحزاب السياسية والسياسية-الدينية.

الشهيد الصدر والتحزب

في نظر الشهيد الصدر، يُعتبر التحزب أمرًا ضروريًا وحيويًا لتحقيق الأهداف السياسية للإنسان على الأرض، وكذلك لتنفيذ أمر الدعوة الدينية أو الدعوة إلى الخير والسعادة العليا من خلال الإيمان بالله. هذه المسألة ذات أهمية خاصة في عالم اليوم حيث تعتبر «الأحزاب السياسية» واحدة من أهم أركان المجتمع المدني وتحقيق أهداف الناس وتطلعاتهم. كما قال روبرت ميشيل:

«لا يمكن أن نتصور الديمقراطية بدون تنظيم.... من الواضح أنّ المنظمة أو الحزب هي الوسيلة الوحيدة لتأسيس إرادة جماعية. ومن حيث أنّ أساس التنظيم يقوم على مبدأ «الحد الأدنى من الجهد»، أي أقصى توفير ممكن في بذل الطاقة، فالنتيجة هي أن ما يُسمى تنظيمًا وتشكيل يعدّ سلاح الطبقة الضعيفة في صراعها ضدّ الخصم القوي والمقتدر.»^(٢)

اعتقد الشهيد الصدر أن التنظيم والتحزب ضروريان لإعداد الناس وتحقيق الثورة، لأن الظروف والمقتضيات الزمنية تتطلب ذلك. على سبيل المثال، كتب عن تشكيل حزب الدعوة الإسلامية:

«في هذا السياق، يمكننا أن نسمي أنفسنا حزبًا وحركة وتنظيمًا دون أن نواجه مانعًا شرعيًا، لأننا حزب الله، أنصار الإسلام، في الساحة الاجتماعية في شكل حركة ودعوة وفي مجال النشاط والعمل في شكل تنظيم وتشكيل. وفي

(١) عبدالله فهد نفيسي، المصدر نفسه، صص ١٤٨ - ١٤٧.

(٢) روبرت، ميشيل، احزاب سياسى، مقدمه: سيمور مارتين ليبست، ترجمه: حسن پويان، ص ٨٧.

كل الأحوال عملنا هو «دعوة» ونحن «دعاة». الأمة التي تهدف إلى الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن تكون قادرة على التشكل ضمن أحزاب وتنظيمات، وخلق هوية وهيكل موحد وفعال واستخدام أساليب فعالة ذات عائد أفضل.^(١)

في نظر الشهيد الصدر، التحزب والتنظيم «مشروع» و«مفيد» في آن معاً. بالنسبة لمشروعية هذه الأنواع من التنظيمات، يعتمد الصدر على عوامل مثل «نشر وترويج مفاهيم وأحكام الإسلام» و«إحداث تغيير في المجتمع بناءً على المبادئ الإسلامية»، وهي الأهداف الأساسية للتحزب الذي يتصوره. لذا، يؤمن بإمكانية استخدام أي وسيلة أو طريقة مفيدة ومناسبة لمطالبات العصر، طالما أنها لا تتطلب «فعلاً محرماً». وبرأيه، التحزب في زماننا هو أفضل وسيلة لتحقيق الأهداف المرجوة. لذا، كتب:

لا شك في صحة وشرعية الأسلوب التنظيمي الذي يهدف إلى نشر وتقوية الإسلام، فلا يمكن التشكيك أو افتراض تحريم أو نهي شرعي بشأنه. الأمة التي تهدف إلى الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يجب أن تكون قادرة على أن تتشكل في تنظيمات وأحزاب تسعى لتحقيق هذه الأهداف، مما يتيح لها أن تأخذ هوية موحدة ومنسجمة، وتنفذ أنشطتها بطرق فعالة وأكثر إنتاجية.^(٢)

إن هذا الرأي من الفقيه المجتهد الجامع للشرائط، عندما يتخذ طابعاً فقهياً، يصبح بمثابة «فتوى»، وبالتالي يكون على المقلدين أن يتبعوا هذه الفتوى

(١) محمد الحسيني، الامام الشهيد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته و منهجه، صص ٣٦٦ -

٣٦٥؛ السيد محمد باقر الصدر، از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

في تشكيل الأحزاب والمنظمات الإسلامية. كما يمكنهم الانضمام إلى الأحزاب التي تتوافق مع هذه المبادئ والأهداف، بشرط أن تكون هذه الأحزاب ذات أهداف مشروعة، وفقاً لما أوصى به الشهيد الصدر. إن موقف الصدر من تشكيل «الحزب» بمعناه المعاصر حاسم لدرجة كان يرى:

«من المؤكد أنه لو كان النبي ﷺ يعيش في عصرنا، لكان استخدم أساليب الدعوة والتوعية والتنظيم المناسبة لعصرنا بناءً على حكمته. والحقيقة أن أسلوب الدعوة الذي استخدمه النبي ﷺ لم يكن غريباً عن أسلوب «التنظيم والتشكيل». من المؤكد أن تنسيق الجهود المبذولة في سبيل الإسلام، وتنظيمها بشكل موحد ومنسجم، واختيار أساليب أكثر فاعلية وإنتاجية في هذا المجال هو ليس فقط أمراً جائزاً ومشروعاً في عصرنا الحالي فحسب، بل واجبٌ أيضاً لأنّ التغيير المجتمعي، وتعبئة الناس في سبيل الله، ومقاومة الكفر الممنهج تتطلب ذلك»^(١).

لقد أثبتت التجربة، بزعم الشهيد الصدر نجاح هذه التنظيمات وفعاليتها في عصرنا المعاصر. ويظهر الوضع الحالي والتحديات التي نواجهها في هذا العصر أن التنظيمات والتشكيلات هي السبيل الفعال لتحقيق التغييرات الاجتماعية الصحيحة والموحدة، وكذلك توجيه هذه التغييرات نحو الخير والفضيلة أو دفعها نحو الشر والفساد.^(٢)

من جانب آخر، اعتقد الشهيد الصدر أن تميّز التنظيم الإسلامي عن التنظيمات غير الإسلامية هو تميز جوهري وذاتي، وهو ما يعكس الفرق بين تنظيمات تحكمها المبادئ الدينية وتلك التي تخضع للغايات الإنسانية أو

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٦؛ المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

الدنيوية. «حيث أن الجهود المبذولة في التنظيمات الإسلامية تكون في إطار «رسالة الله» وليست مجرد رسالة بشرية، فيتبع المتمون إليها أمر الله وليس إرادة البشر، وينالون جزاءهم من يد الله الواسعة وليست من أيدي الناس».^(١)

فيما يتعلق «بالانضباط الحزبي» الذي كان الشهيد الصدر يراه ضرورة أساسية لأعضاء التنظيم، فهو يستند إلى ثلاثة مبادئ أساسية:

أولاً: العهد الشرعي أو القسم: وهو العهد الذي يُقدمه العضو في التنظيم أو الحزب بالالتزام بالنظام والانضباط وفق مصلحة الدعوة. هذا العهد يجعل العضو ملزماً بتطبيق تعليمات التنظيم إلا في حالة واحدة وهي إذا تبين له حرمة الأمر الذي يُطلب منه تنفيذه، بعد أن يستند إلى قناعة شرعية قاطعة تحكم على ذلك الأمر بأنه محرم.

ثانياً: لأنّ تحقيق الأهداف والمثل العليا للإسلام في الحياة الاجتماعية يعتمد على العمل الجماعي والحزبي المنظم وعلى أساس التخطيط الحكيم، وأن إنتاجية أي عمل تنظيمي تعتمد على الانضباط التنظيمي.

ثالثاً: ممارسة صلاحيات ولاية الفقيه بما يتعلق بوجوب الطاعة للحزب والتنظيم....^(٢)

كما أكد الشهيد الصدر على ضرورة متابعة «الهدف المحدد» مع التركيز على «أصالة هذا الهدف» واهتمام أعضاء الحزب وابتعاد الدعاة عن الأحادية والفردانية، والالتزام بالواجبات والمسؤوليات الخاصة بكل منهم. إضافة إلى ذلك، كان يرى أن الحزب والتنظيم القائم على الإسلام يجب أن يمر بأربع

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٦٦ - ٣٦٥؛ السيد محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص ٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٧؛ المصدر نفسه، ص ١٠.

مراحل لتحقيق أهدافه، وخاصة إقامة الحكومة الإسلامية:

١. المرحلة الفكرية، وهي مرحلة التغيير الفكري، وإعداد وتكوين القوى الملتزمة والمجاهدين، أو ما يسمى بـ «الثورة الفكرية».
٢. المرحلة السياسية والعسكرية، وهي مرحلة الجهاد السياسي.
٣. مرحلة الوصول إلى السلطة وتشكيل الحكومة الإسلامية.
٤. المرحلة الرقابية، وهي مرحلة مراقبة واستمرار الثورة وتنفيذ القوانين الإسلامية بدقة.

وقد ركز الشهيد الصدر، بناءً على ظروف عصره، بشكل أكثر على المرحلة الفكرية، واعتبرها مرحلة أساسية من أجل تحقيق «ثورة فكرية أساسية». وكتب قائلاً:

«التوجه الرئيسي والأصيل في مسار النضال في هذه المرحلة هو النضال الثقافي الفكري من أجل إحداث ثورة فكرية أساسية للإسلام بين الجماهير... وفي المرحلة الثانية، الاتجاه إلى الجهاد السياسي».^(١)

كما يعتبر أن المسار العام لأنشطة الحزب في المرحلة الأولى هو «السرية»، حتى يصبح الحزب في وضع كمّي وكيفي لا يمكن معه القضاء عليه أو الإطاحة به. ويعني بالسرية أن تبقى تنظيمات الحزب، أعضاؤه، برامجهم، وأنشطته سرية.

من الإجراءات التي اتخذها الشهيد الصدر في مجال التنظيم السياسي وضرورته الملحة في المجتمع المعاصر من أجل تحقيق الأهداف السياسية المنشودة: التعاون الواسع والإدارة السرية وغير المباشرة لجماعة العلماء، وتشكيل أنصار جماعة العلماء، وتشكيل حزب الدعوة الإسلامية، فضلاً عن

(١) از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٥.

العمل المشترك في اتجاه إنشاء تنظيم أمل.

جماعة العلماء

تأسس هذا الكيان السياسي - الديني في عام ١٩٥٨م في مدينة النجف الأشرف، وذلك بعد حوالي شهرين من تشكيل حزب الدعوة الإسلامية،^(١) وبعد انقلاب عبد الكريم قاسم في العراق. تكونت هذه الجماعة من مجموعة من العلماء ومراجع الشيعة بهدف التصدي للتيارات المعادية للدين، الملحدة، الماركسية، وغيرها من التيارات المنحرفة والفساد الذي ظهر في أجواء الانفتاح السياسي بعد الانقلاب. كانت أهم خصائص هذه الجماعة:

١. أنها كانت مكونة حصرياً من كبار علماء الشيعة.

٢. كان الهدف الأساسي لهذه الجماعة مواجهة الانحرافات والاتجاهات المعادية للدين واللا دينية، بالإضافة إلى «رفع مستوى الوعي السياسي للمسلمين».^(٢)

٣. النهج الرئيسي في بداية عمل الجماعة كان نهجاً ثقافياً وتربوياً وتعليمياً.

٤. امتازت نهضة جماعة العلماء بالمرونة في تحركها نحو تحقيق أهدافها، وبالتالي تصدّت لتصرفات قادة النظام تجاه المناوئين للدين والتدخل في الشؤون المتعلقة بالتعاليم الدينية من خلال «تنظيم احتجاجات عامة سلمية غير عنيفة».^(٣) لتختار الجماعة فيما بعد أسلوب النضال والشهادة لتحقيق أهدافها، حيث «كان العلماء من بين الأشخاص الذين ضحوا بحياتهم في

(١) العامل، المصدر نفسه، ج ١، صص ٣٠٣ - ٣٠٢.

(٢) جويس ان. ويلي، نهضة اسلامي شيعيان عراق، ترجمه مهوش غلامى، ص ١٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٤.

هذا الطريق»^(١).

٥. هذه الجماعة كانت بطبيعتها تتألف من رجال الدين والعلماء الشيعة الذين كانوا مستقلين عن الدولة والنظام السياسي. كانت هذه الاستقلالية تشمل الاستقلال الاقتصادي، الثقافي، والسياسي. ولذلك، كان من الصعب عليهم تحمّل النظام السياسي الحاكم.

«العلاقة بين تشكيلات رجال الدين الشيعة والحكومة العراقية كانت عادة علاقة تحمل فيها كل طرف الآخر مكرهاً. إذ أن رجال الدين الشيعة كانوا مستقلين إلى حد كبير عن الدولة، لأن الدعم المالي لهم وترقياتهم إلى المناصب العليا كانت تتم عن طريق أتباعهم وليس الدولة. على عكس حال علماء أهل السنة، حيث كان النظام السياسي يتحكّم بدعمهم وترقياتهم»^(٢).

ظهرت فكرة تأسيس هذه الجماعة في عام ١٩٥٨م بعد انتشار الأفكار الشيوعية في العراق، وكان ذلك من قبل السيد محمد باقر الصدر والشيخ محمد حسن الجواهري. وتكونت الجماعة من شخصيات مثل الشيخ محمد رضا المظفر، السيد محمد تقى بحر العلوم، السيد محمد صادق الصدر، السيد إسماعيل الصدر، السيد موسى بحر العلوم، الشيخ جواد الشيخ راضي، الشيخ محمد طاهر الشيخ راضي، السيد مرتضى الخلخالي، الشيخ محمد تقى الإيرواني، الشيخ مرتضى آل ياسين، الشيخ محمد حسن الجواهري، والشيخ خضر الوصلي، وغيرهم. وقد تم تعيين الشيخ مرتضى آل ياسين زعيماً للجماعة.

دور الشهيد الصدر في تأسيس جماعة العلماء

كان للشهيد الصدر دور أساسي ومؤثر في إنشاء جماعة العلماء، على

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

الرغم من أن الهيئة الرئيسية للحزب كانت تتألف من كبار العلماء الذين كانوا في الغالب أكبر سنًا، حيث كان الشهيد الصدر في تلك الفترة أصغر العلماء سنًا، المتمين للحزب. إلا أنه كان من أبرز الشخصيات الناشطة في هذا الحزب، وكان بالفعل يمارس نوعًا من القيادة العملية والسرية على الحزب. يقول الشيخ علي الكوراني:

«أول إجراء اتخذته مراجع الدين وعلماء النجف لمواجهة موجة الإلحاد كان تشكيل جماعة رجال الدين في النجف، التي أصدرت بيانات ومواقف معينة، وفي عام ١٩٦١م أصدرت الجماعة مجلة (الأضواء). في هذا التحرك كان دور الشهيد الصدر بارزًا، على الرغم من أنه كان في سن الثلاثين،^(١) إلا أن عبقريته الفكرية وذكاءه الحاد وحركته السريعة جعلته من أبرز الشخصيات الناشطة في جماعة رجال الدين في النجف التي كان يقودها خاله الراحل آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين. ومن الجدير بالذكر أن معظم كتابات الجماعة كانت من تأليف الشهيد الصدر».^(٢)

كما كتب أبو زيد العاملي: «تم تشكيل هذه الجماعة بجهود الشهيد الصدر وأخيه...».^(٣)

بالإضافة إلى أن الشهيد الصدر كان له دور كبير في تشكيل جماعة العلماء، فقد كان يسعى أيضًا إلى توجيهها نحو النضال الشامل متعدد الأبعاد. لذلك، كما تشي كتاباته في مجلة «الأضواء»، كان يرى أن هذا الحزب هو تمهيد

(١) طبقًا للدراسات الدقيقة فإنَّ عمر الشهيد الصدر عند تشكيل جماعة العلماء كان ٢٣ أو ٢٤ سنة.

(٢) على الكوراني، «شَهِيد محمد باقر صدر، مؤيد و پیرو و مطیع امام»، صحيفة اطلاعات، یادواره

شَهِيد آیت الله السید محمد باقر الصدر، ١٩ فروردین ١٣٦١، ص ٤.

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٥.

لثورة شاملة في الأمة الإسلامية، وكان يسعى من خلال القادة الذين كانوا على رأسه إلى تنظيم توجهه الثوري. كان يعتقد أن أول خطوة نحو تحقيق الثورة في المجتمع يجب أن تأتي من أكثر فئات المجتمع وعياً، أعني المرجعيات الدينية والعلماء الكبار. وما لم تهتأ المرجعية الصالحة والرشيّدة، لا يمكن إصلاح الحوزات العلمية، وإذا لم يتم إصلاح هذه الحوزات والطبقات العلمية، لن ينصلح المجتمع.

لذلك، كانت رؤيته الكلية في تأسيس هذه الجماعة عبارة عن نهضة واسعة وشاملة، نهضة كان يمكن لها أن تثمر. كان نضاله ضد الانحرافات الفكرية والعقائدية جزءاً من هدفه. لم يكن الشهيد الصدر يرغب فقط في تحريك الحوزات العلمية والمراكز الثقافية من أجل توعية العامة وتحقيق انتفاضة شعبية ضد الاستبداد والانحرافات والاستعمار الأجنبي، بل كان يهتم أيضاً بحال الحوزات العلمية والمراكز الأكاديمية ووضعها الداخلي. كان يؤمن قبل كل شيء أن العلماء بحاجة إلى إصلاح، عدالة، تنظيم، وإدارة أمورهم. وكان يرى أنه إذا لم يحدث هذا التحول في جميع جوانب الحوزات، فكيف يمكن لها أن تقود المجتمع؟ والحال أن القيادة في المجتمع يجب أن تؤول إلى أهل العلم وأصحاب الوعي. لهذا كان الشهيد الصدر يولي اهتماماً خاصاً بالقضايا الأساسية التي تضمن إصلاح هذه الحوزات، وكان يوجه جهوده نحو تنظيم وتطوير جماعة العلماء من أجل تحقيق هذا الإصلاح. هذه القضايا الأساسية عبارة عن:

١. نظرة المراجع والعلماء بشكل عام إلى داخل الحوزة وضرورة تحقيق النظام وضرورة أن تصبح الحوزة العلمية منظمة ومرتبة، بل وأن تتحول إلى مرجعية رشيّدة وصالحة، إذ كان يعتقد أن «تقدم وصلاح الحوزة يتطلب وجود

نظام شامل لها».^(١)

وفي إطار سعيه لتحقيق هذا الهدف، قام بتشجيع بعض أبناء آية الله الحكيم لدفعه إلى إنشاء مدرسة علمية تهدف إلى تدريب الكوادر العلمية والشرعية القادرة على تلبية الاحتياجات الإسلامية والتربوية في جميع أنحاء العراق. وقد تحققت هذه الفكرة وأقيمت هذه المدرسة واشتهرت فيما بعد تحت اسم «دورة آية الله الحكيم».^(٢)

٢. إقامة علاقة بين الحوزة والعلماء والشعب، من القضايا الأساسية التي كان الشهيد الصدر يهتم بها هي ضرورة وجود علاقة مباشرة بين رجال الدين والشعب، وكان يعتقد أن هذا يجب أن يكون من الأسس التي تقوم عليها الحوزة العلمية. وقد عمل الشهيد الصدر على تنفيذ هذه الفكرة تدريجياً في حوزة النجف، كما أكد على ذلك السيد محمود هاشمي.^(٣)

٣. خلق ديناميكية في الفقه وفي رؤيته الاجتماعية:

تركيبة وأهداف جماعة العلماء

كان على رأس تشكيلات «تنظيم جماعة العلماء» هيئة مشرفة مكونة من الأعضاء:

١. آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين (خال الشهيد الصدر الذي كان في حكم الزعيم الرسمي للجماعة).

(١) «طاولة مستديرة مع عدد من علماء العراق البارزين»، صحيفة اطلاعات، ١٩ فروردین ١٣٦١،
يادواره شهيد آيت الله السيد محمد باقر الصدر، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

٢. آية الله الشيخ حسين الهمداني.

٣. آية الله الشيخ خضر الدجيلي.^(١)

كانت هذه الهيئة تمثل أعلى هيئة دينية - سياسية في جماعة العلماء، وكانت تتخذ القرارات الأساسية أو تُشرف على قرارات الهيئة التنفيذية للمنظمة، وكانت في الحقيقة تتألف من كبار علماء مدينة النجف والعراق بشكل عام.

بعد هيئة الإشراف، تأتي الهيئة التنفيذية وكانت تتألف من تسعة علماء من الطبقة الثانية في النجف الأشراف. كانت معظم القضايا تُناقش في جلسات الهيئة التنفيذية، حيث يتم اتخاذ القرارات بناءً على تلك المناقشات، وتُنفذ القرارات تحت إشراف الهيئة التنفيذية. كان هيكل الحزب بسيطاً للغاية، حيث كان هذان القسمان يشكّلان الأجزاء الرئيسية في التنظيم. في بداية تشكيل جماعة العلماء، يبدو أنّ الشهيد الصدر لم يكن عضواً رسمياً في أي من الهيئتين المذكورتين.

من جهة أخرى، كانت المرجعية العليا في ذلك الوقت في العراق متمركزة في شخص آية الله السيد محسن الحكيم، وكان هو المشرف على الهيئة، حيث كانت الجماعة وهيئة الإشراف تعتمد بشكل كبير على توجيهاته وآرائه وتستشيريه في معظم قراراتها.

كما نظّمت الجماعة تشكيلاً أصغر يتألف من العلماء الشباب تحت مسمى «أنصار جماعة العلماء»، وكان يضم بشكل رئيسي شباباً مؤمنين، مثقفين، مناضلين وطلاباً جامعيين.

أصدرت جماعة العلماء مجلة «الأضواء» التي كانت تستخدمها للإعلان عن مواقفها وآرائها.

(١) القبانجي، الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر، ص ٢١.

بشكل عام، أهداف هذه المنظمة كانت كالتالي:

١. مكافحة الانحرافات الماركسية، القومية البعثية، الانحرافات المعادية للدين، الفساد الأخلاقي....
٢. مواجهة البدع ومنع تلويث الدين.
٣. تجسير العلاقات بين مراجع الشيعة، الناس، الشباب، رجال الدين والمثقفين المناضلين.
٤. قيادة النضال الفكري، الثقافي، العقائدي والسياسي.
٥. إيقاظ الشعب وزيادة وعيه.
٦. العمل على تأسيس حزب سياسي والتخطيط لإقامة حكومة إسلامية والعمل الجاد للوصول إلى الأهداف المرجوة.

الشهيد الصدر وجهوده في إطار حركة جماعة العلماء

كما ذكرنا سابقاً، لم يكن الشهيد الصدر عضواً رسمياً في بداية تشكيل جماعة العلماء وفي سنواتها الأولى، لكن دوره كان محورياً وأساسياً في العديد من الإجراءات الحاسمة التي اتخذتها الجماعة. كان يؤثر بشكل كبير في القرارات المهمة، وكانت الكثير من القرارات تُطرح وتُتخذ بناءً على آرائه وأفكاره.

سبب عدم عضويته الرسمية في الجماعة، وفقاً لما يبدو، يعود إلى فارق السن بينه وبين باقي الأعضاء، حيث كان أصغرهم سناً. رغم ذلك، لم يكن هذا الفارق في السن ليحول دون تأثيره الكبير ودوره البارز داخل الجماعة، الذي تمثل في إرشادها وتوجيهها في كثير من القضايا المصيرية.

لانه كان صغير السن بالنسبة الى هذه الطبقة - طبقة العلماء المشتركين

فى الجماعة و كان اخوه المرحوم آية الله السيد اسماعيل الصدر اعضاء فى هذه الحركة، و كان الشهيد الصدر لايتجاوز حينذاك السادسة و العشرين.^(١)

إحدى أبرز المبادرات التى قام بها الشهيد الصدر كانت الكتابة والإعداد للمنشورات والمقالات، خاصة المقالات الافتتاحية فى مجلة «الأضواء»، التى كانت تُنشر تحت عنوان «رسالتنا»،^(٢) وكانت تُطبع بصورة مستقلة.^(٣) هذا العمل كان بمثابة بيان سياسى وفكرى يعكس التوجهات السياسية والمبدئية التى كان الشهيد الصدر يعتقد بها، كما كان يعبر عن جهوده الكبيرة لتحقيق ثورة فى الأمة الإسلامية. فى أول مقالة له ضمن سلسلة «رسالتنا»، تناول الشهيد الصدر الشرط الأساسى للحركة والنهضة فى الأمة، حيث كتب:

«الشرط الأساسى لنهضة أي أمة، وجود مبدأ (أسلوب الكتابة والرؤية الشمولية) مناسب ومؤهل، يتم من خلاله توضيح وشرح أهداف ومقاصد تلك الأمة، ويعرض نموذجًا متفوقًا استنادًا إلى ذلك ليكون أساسًا للأمة، ويُحدد الاتجاه الذى تسير فيه...».^(٤)

لقد اعتُبرت توجيهاته وأفكاره بمثابة البوصلة التى توجه الجماعة فى أنشطتها. ولهذا السبب، كان العديد من الأشخاص مثل السيد محمد باقر الحكيم والقُبَانَجِي يعتبرون الشهيد الصدر «محور جماعة العلماء»، وهو محور تم تنفيذه عبر تأثيرات أساسية من خلال خاله وأخيه فى الحزب.

كما انه كان يمثل عنصرًا علميًا فى التحريك و التوجيه عن طريق ايمان

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٢) أنظر: المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا.

(٤) المصدر نفسه، ص ١، رسالت ما، ترجمه محمد تقى رهبر، ص ١.

خاله آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين به، و معرفته بعلمه و فضله و ذكائه و ثقافته الاسلاميه و العامه، و حسن تقييمه للاثياء.^(١)

تحول الشهيد الصدر إلى عنصر بارز في تحفيز و توجيه جماعة العلماء من خلال ثقة عمه، الشيخ مرتضى آل ياسين، به، و من خلال معرفته بعلمه و فضله و ذكائه و ثقافته الإسلامية و العامة، و حسن تنفيذه للأمور. هذا الأمر يوضح أن إيمان و ثقة آل ياسين، الذي كان يُعتبر الشخصية المحورية و الأبرز في جماعة العلماء، بالشهيد الصدر لم يكن عشوائياً، بل استند إلى أسس منطقية قائمة على إدراكه العميق لعلم الصدر و فضله و ذكائه و ثقافته و حسن إدارته للأمور.

يؤكد الكثيرون، و منهم صدر الدين القبانجي، على أن الشهيد الصدر كان محور الفكر و العمل لجماعة العلماء، حيث كتب: «أليس معنى هذا الكلام (المذكور أعلاه) أن الشهيد الصدر كان محور كل التحركات داخل جماعة العلماء؟» و أضاف أن الشهيد الصدر كان صاحب الفكر الذي مثل فكر جماعة العلماء.^(٢)

كما أشار النص إلى العلاقة الخاصة التي كانت تجمع الشيخ مرتضى آل ياسين بالشهيد الصدر، حيث كانت آراؤه و مقترحاته و كلماته غير مردودة.^(٣) و يستنتج «عمق تأثير السيد الشهيد و دوره في هذه الجماعة».^(٤)

في مقدمة كتاب «رسالتنا»، أشار السيد محمد حسين فضل الله إلى دور الشهيد الصدر المحوري، حيث اعتبر أن توجه مجلة «الأضواء» قد تأسس على مقالاته الافتتاحية التي كانت تُكتب تحت عنوان «رسالتنا». و رأى فضل الله أن

(١) السيد صدر الدين القبانجي، المصدر نفسه، ص ٢٠، نقلاً عن السيد محمد باقر الحكيم، مذكرات جماعة العلماء.

(٢) المصدر نفسه، صص ٢١ - ٢٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤) المصدر نفسه.

«الأضواء» كانت بمثابة شعاع من نور الإسلام الساطع، وجزءاً من حركة فكرية شاملة قادها المصلحون والقادة المسلمون لتتلمس الأمة الإسلامية الطريق المستقيم وتعرف كيفية فتح مغالق العالم الذي تركته بمفاتيح إلهية.^(١)

واصفاً الشهيد الصدر بأنه كان الطليعة لهذه الحركة، «كان فكره وقلمه يمثلان النقلة المتقدمة لحركة الاتجاه الإسلامي».^(٢)

وعلى الرغم من صغر سن الشهيد الصدر، فقد استطاع، بفضل مكانته العلمية المرموقة وعلاقته الوثيقة بخاله الشيخ مرتضى آل ياسين وأخيه السيد إسماعيل الصدر، أن يترك أثراً عظيماً في جماعة العلماء، وبشكل خاص خاله الشيخ مرتضى آل ياسين الذي «يعتبر في مركز الرئيس للجماعة».^(٣) وبالأخص من خلال كتابته للمقالات الافتتاحية في مجلة «الأضواء»، التي كانت تمثل الجريدة الرسمية لجماعة العلماء، حيث ساهم في رسم «خط جديد للإسلام» في إطار الجماعة.

ومن الجدير بالذكر أن أحد الأسباب التي تثبت الدور الأساسي للشهيد الصدر في تأسيس وتطوير جماعة العلماء هو أن الجماعة لم تكن حزباً سياسياً بالمعنى التنظيمي والهيكل، بل كانت تجمعاً لعلماء يفتقر إلى الإرادة والنظام الداخلي الموحد، وكان يركز على المؤتمرات والهيئات العلمية.^(٤)

دور الشهيد الصدر في جماعة العلماء ونجاحاتها

كان تأثير الأفراد الشبان، مثل الشهيد الصدر، عاملاً رئيسياً في نجاح جماعة العلماء، إذ كان يحظى بثقة غالبية أعضائها، لا سيما الزعماء الرئيسيين مثل

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ١٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦.

(٤) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

الشيخ مرتضى آل ياسين. لذلك، فقد قيل:

«أول عامل ساعد في نجاح عمل جماعة العلماء وتحديد مسارها هو وجود بعض الشخصيات المثقفة من العلماء الشبان، وفي مقدمتهم الإمام الشهيد الصدر، الذي لم يكن عمره يتجاوز ستة وعشرين عاماً في ذلك الوقت. ولذلك كان يُعتبر جندياً مجهولاً في هذه الجماعة، لكنه كان يقف وراء كل الأنشطة الجهادية والمواقف الإسلامية البارزة.»^(١)

مع مرور الوقت، أصبحت جماعة العلماء تحت مرجعية السيد محسن الحكيم بيد العلماء الشبان. حتى أنه كان يُنظر إليها من قبل البعض على أنها حزب الدعوة، والعلماء فيها جزءاً من علماء الحركة الإسلامية.^(٢) وقد حدث هذا التحول عندما قام الشهيد الصدر بكتابة أول ميثاق لجماعة العلماء تحت إشراف ومراقبة السيد محسن الحكيم في ٢٣ جمادى الأولى ١٣٧٨ هـ.^(٣)

في مقدمة هؤلاء العلماء الشبان كان السيد محمد باقر الصدر، الذي سعى وأتباعه لإيصال أصواتهم إلى جميع مدن العراق. ومن بين هؤلاء العلماء الشبان الذين ساهموا في تشكيل هذه المرحلة: الشهيد السيد محمد باقر الصدر، السيد محمد مهدي الحكيم، السيد محمد باقر الحكيم، السيد مرتضى العسكري، الشيخ عارف البصري، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الشيخ محمد مهدي الآصفى، السيد طالب الرفاهي، الشيخ عبد الهادي الفضلي، الشيخ محمد أمين زين الدين، الشيخ مهدي السماوي، السيد عبد الرسول علي خان، والشيخ محمد باقر الناصري.^(٤)

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٤٤.

(٢) العامل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

كانت جهود الشهيد الصدر وأتباعه في هذه المرحلة تهدف إلى تحويل جماعة العلماء إلى حركة سياسية وإدخالها في مجال النضال ضد النظام الحاكم في العراق. ومن بين أهم الأعمال التي قام بها الشهيد الصدر في جماعة العلماء، إضافة إلى كتابة مقالات افتتاحية في مجلة «الأضواء» تحت عنوان «رسالتنا»، إعداد الميثاق السابع لجماعة العلماء تحت إشراف ومراقبة الهيئة العليا للجماعة، والمشاركة في توزيع نسخ هذا الميثاق.

كانت هذه النصوص مشحونة بالقضايا والمفاهيم السياسية الأساسية، مثل السياسة، وعلاقة الدين بالسياسة، والحرية، والعدالة، والحق، وكرامة الإنسان، والعزة، والاستقلال، والقيام، والجهد، والمقاومة. على سبيل المثال، جاء في الميثاق الأول:

«... هيّا الى راية الاسلام، راية الكرامة الانسانية والعزة، راية الحرية و السعادة، راية الانعتاق و التحرر من القوى الطاغية...»^(١)

في المنشور الثاني:

«... ان الاسلام حين يكون دين دولة يعنى انه دين اجتماعي و قول الهى فاصل فى حق الفرد و الامّة على السواء...»^(٢)

إن معنى العبارة هو أن الإسلام دين وأمة، أي أنه دين اجتماعي، والكلام الإلهي يميز بين حق الفرد وحق الأمة بشكل متساوٍ. وفي المنشور السابع ورد ما يلي:

(١) العاملى، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣١١؛ السيد محمد باقر الصدر، منشورات جماعة العلماء فى النجف الاشرف، صص ٢٣ - ١٨.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، منشورات جماعة العلماء فى النجف الاشرف، صص ٢٨ - ٢٤؛ العاملى: المصدر نفسه، ج ١، صص ٣١٤ - ٣١٣.

«إن السياسة بمعناها الصحيح - لا بما شاهدناه من المستعمرين - هي رعاية شؤون الأمة وعلاقاتها الداخلية والخارجية، فهي التي تحقق للأمة مصالحها وتحفظ كيانها الاجتماعي في شتى شعب الحياة ونواحيها... إن السياسة التي يريدها الإسلام هي سياسة رعاية واهتمام بالأمة ومصلحتها وشؤونها...»^(١).

مقارنة هذا النص مع مؤلفات الشهيد الصدر السياسية، تظهر أن هناك تشابهاً كبيراً في أسلوب الكتابة واستخدام المفاهيم والمصطلحات، ما يشير إلى أن هذه النصوص نابعة من نفس الفكر والأسلوب. وهذا بالإضافة إلى أن الشواهد التاريخية نفسها تعدّ دليلاً آخر على أن هذه الكتابات من إنتاج الشهيد الصدر، وتعتبر وثائق قوية لفهم آرائه وأفكاره السياسية.

وكما أشرنا، فإنّ أحد أبرز الأنشطة السياسية لجماعة العلماء تأسيس مجموعة سياسية باسم «أنصار جماعة العلماء»، والتي كانت تضم الشبان المؤمنين والمثقفين، خاصةً من بين طلاب العلوم الدينية والطلاب الجامعيين. وكان من أبرز زعماء هذه المجموعة آية الله الشهيد الصدر والشهيد السيد محمد مهدي الحكيم. كانت هذه المجموعة من جهة تمثل حلقة الوصل بين جماعة العلماء والمجتمع، ومن جهة أخرى كانت تحقق أهداف جماعة العلماء بين الشباب في المجتمع.

ومن بين أنشطة الشهيد الصدر السياسية التي أثرت في جماعة العلماء، سعيه نحو وضع دستور إسلامي. يذكر السيد محمد باقر الحكيم في ملاحظاته ما يلي:

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٣٣٧ - ٢٣٥؛ منشورات جماعة العلماء في النجف الاشرف، صص ٦٥ - ٥٨.

«مجموعة من رواد الحركة الإسلامية وأبناء جماعة العلماء، مستلهمين من أفكار آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر، وفي ضوء تعاليمه، قاموا بوضع مسودة دستور إسلامي»^(١)

الشهيد الصدر ومجلة الأضواء الإسلامية

كانت مجلة الأضواء، الناطق الرسمي لجماعة العلماء، تصدر شهرياً. والمقال الافتتاحي في الأعداد الأولى لهذه المجلة يُكتب بواسطة الشهيد الصدر تحت عنوان «رسالتنا». تم إصدار العدد الأول من المجلة في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م. وقد اهتم الشهيد الصدر بشكل كبير باستمرار إصدار هذه المجلة لأنه كان يعتبرها عملاً ذا قيمة كبيرة ويعتقد أنها كانت لها تأثير كبير في بناء المجتمع الإسلامي.^(٢)

وُصفت المجلة بأنها «مجلة إسلامية»، تهدف إلى نشر وتأسيس الثقافة الإسلامية المبنية على الدين، وكانت تصدر شهرياً.^(٣)

كان الشهيد الصدر يعترف بالقيمة السياسية والدينية الكبيرة لمجلة الأضواء، ولهذا كان يشرف عليها بشكل مباشر. «ولقد كان السيد الشهيد ﷺ وثلة من أصحابه العلماء الواعين المشرفين على صدور هذه المجلة».^(٤) والأهم من ذلك، كان يكتب أهم وأخطر المقالات فيها، أي المقالات الافتتاحية.

(١) السيد صدر الدين القبانجي، اندیشه های سیاسی آیت الله شهید السيد محمد باقر الصدر، ترجمه ب. شریعتمدارف ص ١٦، به نقل از سید محمد باقر حکیم، یادداشت های تاریخی از جماعة العلماء.

(٢) محمد الحسینی، المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٣١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٩.

وقد صرح الشهيد الصدر بنفسه عن أهمية هذه المجلة في رسالة بعثها إلى أحد العلماء، قال فيها:

«إن فائدة الأضواء أكثر من الكتب بكثير، وليقال له (أي الحكيم): إن نور الأضواء قد نفذ حتى إلى القرى التي استطاعت أن تصل إليها في لبنان»^(١).
هذا القول يُظهر الأثر الكبير الذي كان لمجلة الأضواء بين المسلمين، حيث امتد من العراق إلى لبنان. ومن الجدير بالذكر أن هذه المجلة لم تكن خالية من التأثير في إيران بين الشيعة والمسلمين الإيرانيين أيضًا.

كانت تأثيرات الشهيد الصدر في الأضواء بالغة الأهمية إلى درجة أن أعداء جماعة العلماء بدأوا في التشكيك في ما يُنشر من أفكار في المجلة. إذ طرحوا أنه لم تكن المجلة تمثل أفكار جماعة العلماء وقادتها، بل كانت تعبر فقط عن أفكار السيد الصدر وأصدقائه الشباب.^(٢)

يشير مؤلف كتاب «الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر» إلى إحدى الظواهر التي أدت إلى هذا الانقسام، هي اعتراف محمد رضا بهلوي شاه إيران بدولة إسرائيل. بعد هذا الاعتراف، بدأ بعض العلماء في النجف يشككون في وجود انقسام بين علماء النجف، فبعث الشيخ محمود شلتوت، رئيس جامعة الأزهر، برسالة إلى آية الله السيد محسن الحكيم في النجف، يطلب منه أن ينكر هذا الاعتراف، ويدعوه للضغط على شاه إيران لسحب تصريحاته.

وعلى إثرها مارس السيد محسن الحكيم ضغوطاً على شاه إيران عبر رسالة بعثها إليه من خلال أحد مقرّبيه وهو السيد محمد البهباني، وفي تلك الأثناء عمدت مجلة الأضواء إلى نشر رسالة الشيخ شلتوت وردّ السيد الحكيم

(١) صدر الدين القبانجي، المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٠.

عليها وانقسام علماء النجف إلى فريقين موافق للأضواء ومعارض لها، وقد نجم هذا الانقسام بسبب اللقاء السري الذي تمّ بين عناصر السافاك الإيراني وبعض علماء النجف لاقناعهم بأنّ مواقف الأضواء ضدّ الشاه تضرّ بها.^(١) أحياناً كانت هذه الهجمات تُشنّ من قبل حزب البعث وعناصره.

كتب الشهيد الصدر في رسالته إلى السيد كاظم الحائري الذي كان آنذاك في لبنان ما يلي:

«... بعد ذهابك إلى لبنان، حدثت بعض الأحاديث والنقاشات، ووقعت أحداث وهجمات متبادلة. كل هذه الهجمات كانت ضد صديقك^(٢) وتهدف إلى تدميره... بدأت هذه الهجمات داخل هيئة الإشراف على مجلة الأضواء - أو بالأحرى، بين بعض أعضائها - وأتباعهم. أولاً بدأوا بالانتقاد والتذمر، ثم تصاعدت الهجمات. فجأة، رأينا أن مجموعة من الأشخاص قد انضموا إلى هذه الجماعة بتوجيه من شخصيات مثل حسين الصافي.^(٣) لا أعلم إن كان هناك رابط بين هذه الهجمات أم لا؟... نعم، تم توجيه اتهامات ضدي وضد عدد من الأشخاص الذين تعرفهم، واختلاق قصص عنّا كانت مفاجئة وغير قابلة للتصديق...»^(٤)

من المحتمل أن يكون تصوّر محمد رضا شاه إيران للاختلاف بين علماء النجف وعرضه على الإسرائيليين كان ناتجاً عن هذا النوع من الخلافات الداخلية التي تم نقلها عبر عملاء جهاز المخابرات الإيراني (السافاك) في

(١) المصدر نفسه، صص ٢٥١ - ٢٥٠.

(٢) المقصود الشهيد الصدر.

(٣) أحد عملاء نظام البعث العراقي.

(٤) حائري، مباحث الأصول (مقدمه)، صص ٧٥ - ٧٤، زندگانی و افکار شهيد صدر،

النجف. على أي حال، كان ما يهم نظام البعث في العراق، والنظام البهلوي، وإسرائيل في هذه القضية أمرين مهمين:

١. أسلوب الافتراء: حيث تم نشر إشاعات بين الناس بأن مجلة «الأضواء» لا تمثل آراء جماعة العلماء، بل هي مجرد وسيلة لتعريف آراء تنظيم سياسي سري يستغل اسم «جماعة العلماء». من الواضح أن هذا لم يكن صحيحاً، فقد وُجّهت انتقادات شديدة لمسألة تبعية المجلة لتنظيم سياسي.

٢. تشويه سمعة المقالات الافتتاحية تحت عنوان «رسالتنا» التي كانت تنشر باسم «جماعة العلماء» والتي كان يكتبها الشهيد الصدر، دون أن يعرض أي من هذه المقالات على علماء النجف.^(١)

رد الشهيد الصدر على هذا الانتقاد قائلاً:

«هنا أيضاً يوجد العديد من الاعتراضات والأفكار المضللة في أذهان البعض من الناس، خاصة رجال الدين في النجف، بشأن مجلة الأضواء وخصوصاً مقالات «رسالتنا». هؤلاء يقولون: لماذا تُنسب هذه المقالات إلى مجموعة علماء النجف (جماعة العلماء)، بينما لم يتم نشرها من قبلهم ولم يكن أي من هؤلاء العلماء على دراية بمحتواها؟ ثم يضيفون: هذا النوع من التصرف يتسبب في التقليل من شأن العلماء وكسر هيبتهم... عجيب! يقال هذا الكلام في وقت، كما أفاد أخي... أن جميع قراء المجلة في بغداد يعترفون بأن مقالات «رسالتنا» هي تعبير جديد وحيوي عن المفاهيم الدينية، وهي طريقة مبتكرة تماماً، ولها مكانة أعلى مقارنة ببقية المقالات في المجلة.»^(٢)

هذه الممارسات كانت تتصاعد بشدة من قبل نظام البعث. وتُظهر

(١) حائري، زندگانی و افکار شهید صدر، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه.

رسائل الشهيد الصدر^(١) المختلفة هذه الحقيقة المبررة، وكيف أن هذه المحاولة الجديدة والثورية كانت تتعرض للهجوم والافتراءات من كل الجهات، وكان شخص الشهيد الصدر وقلمه هما محور هذه الهجمات. وكان هذا الأمر يشكل تهديداً كبيراً للطغيان الداخلي والاستعمار الأجنبي، سواء كان من القوى العالمية مثل بريطانيا، أمريكا، إسرائيل، أو حتى حزب البعث نفسه. وكان من الواضح أيضاً أن بعض الأشخاص الذين رفعوا راية النضال والصراع ضد «رسالتنا» والشهيد الصدر، مثل حسين الصافي، كانوا من رجال الدين الذين كانت لديهم علاقات وثيقة مع كواليس النظام البعثي في العراق.

من المثير للاهتمام أن هذه الهجمات لم تكن من طرف واحد فقط ضد الشهيد الصدر ومقالاته، بل كان الأعداء يسعون أيضاً إلى إشراك بعض العلماء في هذا الصراع والمواجهة، ليصبح تأثيرها أكثر فعالية. كما يوضح السيد كاظم الحائري:

«من الطبيعي أن هذا الاضطراب والصراع كان له دور أساسي في تخفيف العلماء، خاصة «جماعة العلماء»، ضد الأستاذ الشهيد الصدر والمجلة المذكورة... وبالفعل، كان الشهيد الصدر بحق، وبأعصاب هادئة وقوة إرادة، قد حلّ هذا العقدة الصعبة وأزال المشكلة الكبرى المتعلقة بالشكوك والافتراءات عن طريق نضجه الكامل وحكمته».^(٢)

ولمواجهة هذه الهجمات، قام الشهيد الصدر بعدة خطوات:

١. إثبات عدم انتمائه إلى أي تنظيم سياسي، بل هدفه الأساسي بناء مشروع فكري إسلامي مستقل، بعيداً عن أي ارتباط تنظيمي أو حزبي. وهو

(١) أنظر: المصدر نفسه، صص ٨٤ - ٨٣.

(٢) حائري، مباحث الأصول، ج ١، صص ٧٦ - ٧٥؛ زندگی و افکار شهيد صدر، ص ٨٤.

أكد مراراً أن دوره كان دينياً وفكرياً بحثاً.^(١)

٢. توضيح الموقف الديني والقيمة السامية لمجلة الأضواء: في هذا السياق، أكد في رسالته على أن «الأضواء» هي في جوهرها مجلة نضالية من أجل الله، وأن هدفها الأساسي كان نشر وتعميق الثقافة الإسلامية المبدئية بين الناس. وأوضح أن الشكوك التي كانت تثار حول المجلة كانت لا أساس لها، وأن علماء «جماعة العلماء» عندما اكتشفوا أن لديهم إشرافاً على محتويات المجلة، أصبحوا أكثر اطمئناناً وسعادة.

٣. تبني موقف الصبر والسكوت: هذا الموقف بدأ مع العدد السادس من مجلة «الأضواء» واستمر لفترة. خلال هذه الفترة، توقف الشهيد الصدر عن كتابة المقالات الخاصة به. هذا التكتيك كان له دور كبير في إظهار حكمة الشهيد الصدر، حيث كانت هذه فترة هدوء استراتيجي قبل أن يعود مجدداً بقوة في مواجهة الهجمات.

لقد قررت هيئة إشراف جماعة العلماء توسيع نطاق إشرافها على المجلة ومراقبتها العملية بعناية أكبر.

ومن الطبيعي أن بعض الموضوعات كانت لا تعرض على جميع أعضاء جماعة العلماء الذين كان لديهم إشراف مباشر على المجلة بسبب بعض الضرورات.^(٢)

تشير القرائن إلى أنه بعد أن ساد الهدوء في جماعة العلماء، بدأ تيار آخر من العلماء وطلاب العلوم الدينية في شن حملة ضد الشهيد الصدر وكتاباته. وكان

(١) المصدر نفسه، ص ٧٦؛ المصدر نفسه.

(٢) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٢؛ نعماني، ساهل رنج، ص ١٤٠؛ القبانجي، الجهاد السياسي، للسيد الشهيد الصدر، ص ٥٠.

الهدف من هذا الهجوم هو تشويه سمعة مجلة الأضواء في أذهان كبار رجال الدين في مدينة النجف (خصوصاً مراجع التقليد). ومرت فترة من الصبر والسكوت من جانب الشهيد الصدر، وبعدها، وبجهود بعض العلماء مثل السيد محمد حسين فضل الله والشيخ مهدي شمس الدين، تم استئناف كتابة مقالات «رسالتنا». وأظهرت التجارب أن جماعة العلماء قد وصلت إلى مرحلة من النضج الفكري والوعي مكّنها من قبول الأفكار الجديدة والثورية. وفي رسالة له بعد هذه الأحداث في ١٨ من ربيع الأول ١٣٨٠ هـ، كتب الشهيد الصدر ما يلي:

«ما يمكن قوله عن مجلة الأضواء بدون شك هو أنها مجلة موثوقة تمامًا، والمقالات فيها تعكس آراء ثلاثة من العلماء الكبار. وحتى الآن، لم تواجه المجلة أي مشكلة خطيرة في هذا المجال. ونحن نشكر الله سبحانه وتعالى بلا حدود»^(١).

من المثير للاهتمام أنه خلال هذه الأحداث، كانت مواقف وتوجهات قيادة جماعة العلماء، ممثلة في الشيخ مرتضى آل ياسين، ثابتة، وكان الخط الثوري والجديد في جماعة العلماء تحت قيادة الشهيد الصدر، سواء في كتابة المقالات أو في المواقف الأخرى، يحظى بتأييد ودعم. وقد أكد الشهيد الصدر على هذا الموضوع في رسالة إلى أحد تلاميذه^(٢).

بعد أن خمدت نار الفتنة نتيجة لجهود الشهيد الصدر وقيادة جماعة العلماء وهيئة الإشراف الرئيسية، بدأ الشهيد الصدر عمله مرة أخرى. وكتب في رسالته:

(١) حائري، زندگانی و افکار شهید صدر، ص ٨٥.

(٢) أنظر: محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

«أعتقد أنه - إذا شاء الله - ستستمر مجلة «الأضواء»، لأنها الآن تتمتع بدعم خارجي قوي وكذلك بتأييد داخلي. الدعم الخارجي يتمثل في العدد الكبير جدًا من المشتركين... أما التأييد الداخلي فهو يتمثل في رضا وتوافق جماعة العلماء مع هذه المجلة».^(١)

وبذلك، تمكن الشهيد الصدر من استكمال الطريق الذي بدأه بحكمة وصبر، رغم التحديات والصعوبات، بهدف نبيل، وهو خلق صحوة ووعي ديني وسياسي لدى الأمة لتحقيق ثورة شاملة وتقويض الأسس الظالمة. وبمساعدة وتعاون أصدقائه وطلاب علمه، تمكن هذا المشروع الثوري الإسلامي من الاستمرار في العمل مع الأمة، وتوجيهها نحو أهدافها السامية.^(٢)

(١) العامل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨١؛ حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٧٧؛ زندگي و

افكار شهيد صدر، صص ٨٦ - ٨٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٦؛ مباحث الأصول، ج ١، ص ٧٧.

الفصل السابع :

الشهيد الصدر و حزب الدعوة الإسلامية

مفهوم الدعوة في نظر الشهيد الصدر

كلمة «دعوة» تعني، ببساطة، السعي لدعوة الناس إلى الإيمان بمذهب الإسلام. بعبارة أخرى، «هذه الكلمة في المفهوم السياسي تعني دعوة الناس لتبني الأهداف الإسلامية.» إن إضافة «الإسلامي» إلى كلمة الدعوة تكشف هذه الحقيقة بوضوح. ما يوضح مفهوم الدعوة الإسلامية بشكل جلي أمران أساسيان: الأول، أن الدعوة تركز على الإيمان الصادق والخالص بين المسلمين، والثاني، أن جمهور الدعوة ليسوا فقط من المسلمين، بل إن نطاق الدعوة يمتد ليشمل الكون برمته، بما في ذلك كوكب الأرض الذي هو ساحة الدعوة ومجالها. وكلا المفهومين كانا في صميم فكرة الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

السبب وراء هذا الأمر واضح، وهو أولاً، الإسلام أصلاً يعتبر الدعوة من أسس مبادئه النظرية في التعامل مع الناس، فقد بدأ رسول الله ﷺ رسالته بدعوة الناس إلى الإسلام، وأسس سياسة ثابتة وذات قيمة لتحقيق هذه الدعوة. لذلك، فالدعوة، بالمعنى الذي ذكره الشهيد الصدر، هي إشارة إلى مبدأ أساسي من مبادئ الإسلام وسنة النبي ﷺ وأئمة الصادقين. وقد جاء هذا المفهوم بشكل صريح في حديث النبي ﷺ مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما أرسله إلى اليمن:

«لأن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس وغربت.»^(١)

(١) نهج الفصاحة، جمعه وترجمه: ابوالقاسم پاينده، ص ٦٢٤ حديث ٢٢١٦؛ راهنمای انسانیت، احادیث و ترجمه من كتاب نهج الفصاحة، جمعه: مرتضى فرید تنكابنی، ص ٦٥٢، حديث ٤.

ثانياً، في منظور الشهيد الصدر وممارساته، لا تقتصر الدعوة على دعوة الناس إلى الإسلام باعتباره أحد أسس الدين النظرية، بل الدعوة تتجاوز ذلك لتشمل دعوة المجتمع الإسلامي إلى العودة إلى جوهر مذهب الإسلام وفهم الهوية الحقيقية للأمة الإسلامية في ظل الظروف التي تواجهها هذه الأمة اليوم. هذه الدعوة، وفقاً للشهيد الصدر، تعد ضرورية في هذا الوقت العصيب.

وقد أكد الشهيد الصدر في تصريح له:

«في الوقت الحاضر، يقاتل المسلم ضد تأخره الاجتماعي، لكن مع كل الجهود الطبية وغير الطبية التي يبذلها، لا يجد إلا طريقاً واحداً لتحقيق النصر النهائي: وهو الثورة في ضوء الإسلام.»^(١)

في الواقع، في نظره، إذا كانت الظروف والأوضاع تتطلب تغييراً جوهرياً، فإن ضرورة الدعوة تصبح أكثر أهمية. ولكن اليوم، بسبب التأخر الذي يعاني منه المجتمع الإسلامي وبعده عن الإسلام، تصبح ضرورة الدعوة أكثر أهمية.

ولهذا السبب، فإن دعوتنا تتبع نهجاً ثورياً يهدف إلى تحرير الأمة من الوضع الفاسد والمزري الذي تعيش فيه. وفي هذا السياق، نؤمن بما قاله الله تعالى في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ...﴾^(٢)،^(٣)

كما أن هناك ضرورة أخرى تتعلق بالموضوع وتتمثل في الحاجة إلى «الثورة» في المجتمعات الإسلامية المعاصرة. في الواقع، الدعوة هي دعوة لثورة

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية، ص ١٨٠؛ اسلام و مكتبهائ اقتصادي، صص ١٨٥ - ١٨٦.

(٢) الصف (٦١): ١٣ - ١٠.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٣؛ محمد الحسيني، الامام الشهيد محمد باقر الصدر، دراسة في سيرته و منهجه، ص ٣٦٣.

شاملة وعميقة، سواء كانت ضرورية لتوعية الناس بطبيعة الدين الحقيقي ودوره في حياتهم، أو كانت ضرورية لمواجهة الاستبداد والاستعمار الذي يهيمن على المجتمعات الإسلامية، وبالتالي تُعتبر عملاً سياسياً لمقاومة الظلم. كما قال الشهيد الصدر:

«إن الحركة الثورية، مع إدراكها العميق للواقع الذي تعاني منه الأمة، لا ترضى مطلقاً بالتسليم بالوضع القائم والظروف السائدة، وفي مواجهة هذا الواقع الذي يتناقض مع المبادئ الفكرية والمذهبية، تسعى بكل قوة لتحقيق تحول عميق وجذري.»^(١)

لذلك، في نظرة الشهيد الصدر، ترتبط الدعوة بثلاثة أهداف أساسية:

١. الدعوة إلى جوهر الإسلام والإيمان.
٢. الدعوة إلى العودة للإسلام الصحيح.
٣. الدعوة إلى الانتفاضة والثورة لتحقيق تغيير جذري في الوضع القائم والوصول إلى وضع أفضل.

التحزب والدعوة

نظراً لأهمية وضرورة مسألة الدعوة، كان الشهيد العلامة الصدر يؤكد دائماً على ضرورة استخدام الأدوات المناسبة لتحقيقها، مشدداً على أن الوصول إلى أهداف الدعوة في المجتمعات المعاصرة يتطلب أدوات تتناسب مع الظروف والمتطلبات الزمنية. وقد كان العديد من المراجع المعاصرين للشهيد الصدر، مثل الإمام الخميني، والسيد محسن الحكيم، والسيد الخوئي، يتفقون

(١) السيد محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص ٢٧.

معه في هذا الرأي.

على سبيل المثال، في ردِّ على تصريح الشهيد الصدر بشأن ضرورة وجود حزب منظم يعتمد على مذهب أهل البيت لتحقيق الحكومة، قال السيد الخوئي: «هذا هو الذي يجب أن يكون»^(١) وهو ما يعكس تأييداً ضمنياً لوجهة نظر الشهيد الصدر في هذا الموضوع.

لكن الشهيد الصدر، بشجاعته وجرأته المعهودة، لم يقتصر على تأييد أي وسيلة مفيدة وملائمة للوصول إلى هدف الدعوة فحسب، بل أكد بوضوح على أنه:

«إذا كان رسول الله ﷺ في عصرنا هذا، لكان استخدم، بناءً على حكمته، أساليب التوعية المعاصرة المتوافقة مع زمانه. ومن المؤكد أن طريقة رسول الله في الدعوة لم تكن بعيدة عن استخدام المنظمات والمجموعات المخلوقة.»^(٢)

بمعنى آخر، كان الشهيد الصدر يعتبر أن رسول الله ﷺ إذا كان حياً في عصرنا هذا، لكان قد استثمر الوسائل الحديثة التي تواكب التغيرات الاجتماعية والتقنية والإعلامية لمواصلة دعوته، وكان على يقين بأن أسلوب النبي في الدعوة كان يتضمن استخدام أي أداة فعالة تتماشى مع الزمن، بما في ذلك التنظيمات الحزبية.

ليس فقط أنه كان يجوز إنشاء الأحزاب السياسية كوسيلة مشروعة، بل كان يرى أنه في الظروف الاجتماعية والسياسية المعاصرة، أصبح إنشاء

(١) العاملي، المصدر نفسه، ص ٣٨٣، بالنسبة لموقف السيد محسن الحكيم أيضاً أنظر: المصدر نفسه، ص ٢٨١؛ محمد الحسيني، محمد باقر الصدر، حياة حافلة، فكر خلاق، صص ١٦٧ - ١٦٨.

(٢) محمد الحسيني، الامام الشهيد السيد محمد باقر صدر، ص ٢٢٥؛ السيد محمد باقر صدر، حول الاسم و الشكل التنظيمي لحزب الدعوة الاسلاميه، ص ٣٦٦.

الأحزاب ضرورة ملحة، بل واجباً. وأكد في هذا الصدد بقوله:

«ما هو واجب مادام تغيير المجتمع وتحويله إلى عبودية الله الواحدة، ومواجهة الكفر والنظم، متوقفاً على ذلك.»^(١)

الشهيد الصدر يرى أن الدعوة إلى تغيير المجتمع من وضعه الحالي إلى وضع أفضل ليست فقط ضرورة، بل هي واجب ديني. وإن تحقيق هذه الدعوة اليوم يتطلب أدوات ووسائل سياسية حديثة مثل الأحزاب التي يمكنها العمل بشكل فاعل في المجال السياسي لتحقيق أهداف الدعوة في سبيل الله ولتحقيق تحرير الإنسان.

وعليه، ما كان يسعى إليه الشهيد الصدر في مفهوم الحزب السياسي كان حزباً يمتلك القدرة على العمل السياسي الفعال وتوجيه الجهود نحو تحقيق أهداف الدعوة. كان يفكر في حزب منظم يمكنه أن يكون عنصراً فاعلاً في المجتمع ليحقق التغيير المطلوب ويكون الوسيلة لتحقيق الحرية والمساواة والاستقلال بناءً على المبادئ الإسلامية الأصيلة.

وفي هذا السياق، من الضروري فهم أن الدعوة في نظر الشهيد الصدر ليست مجرد دعوة دينية بل دعوة ثورية تهدف إلى إحداث تغييرات جوهرية في المجتمع. وإذا كان تأسيس الأحزاب الحديثة يُعتبر وسيلة مشروعة وضرورية للوصول إلى هذه الأهداف، فإنه يجب أن يكون ذلك في إطار الإيمان بالمبادئ الإسلامية والالتزام بها، وكذلك السعي لتحرير الأمة من الجهل والاستبداد.

لذلك، كان الشهيد الصدر يرى أن الدعوة تتطلب نوعاً من التنظيم السياسي، والذي بدوره يساعد في تحقيق أهداف الإسلام بطريقة منسقة

(١) المصدر نفسه، ص ٣٦٦.

ومنهجية ضمن إطار متغيرات العصر. وقد قالوا في هذا السياق:

... و همومه من هموم الشهيد وآماله، فاسبغ عليه من روحانيته و انفاسه الطاهرة و افاض عليه من حبره و معاناته و صموده فى سبيل الله تعالى^(١).
إحدى الخصائص الأساسية للحزب في بداية تأسيسه هي السرية و كتمان نشاطاته.

الشهيد الصدر وتأسيس حزب الدعوة الإسلامية

في سبيل تحقيق الأهداف السياسية والدينية التي كان يسعى إليها، قام الشهيد الصدر، في يوم السابع عشر من ربيع الأول من عام ١٣٣٧ هـ، الموافق لنهاية عام ١٩٥٧ م، بتأسيس حزب سياسي إسلامي حمل فيما بعد اسم «حزب الدعوة الإسلامية»^(٢). وقد تم تأسيس الحزب في ذكرى ميلاد النبي ﷺ، مع مجموعة من مؤيديه.

بحسب التقارير، تم عقد أول اجتماع من أجل تأسيس هذا الحزب في منزل الشهيد الصدر، حيث تم مناقشة سبل الإصلاح والأعمال التي يجب تنفيذها لتحقيق الأهداف^(٣). كان استدلال الشهيد الصدر على ضرورة تأسيس هذا الحزب قائماً على الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٤).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

(٢) الجهاد، ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٦، ص ١؛ العاملى، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٤٥ - ٢٤٦ و...

(3) joyce w.wiley, the Islamic movement of Iraqi shi'as, p 31.

و كذلك ترجمته الفارسية: جويس ان. ويلي، المصدر نفسه، ص ٥٢.

(٤) الرعد (١٣): ١١.

بالتأكيد، يشير هذا إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يغير حال أمة حتى يغيروا هم أنفسهم، وهذا التغيير الإرادي هو الذي يمكن أن يكون دافعاً لتغييرات جذرية أخرى. لذلك، كان الشهيد الصدر يولي اهتماماً خاصاً بهوية المسلمين الفكرية والثقافية قائلاً:

«إن على الشباب المسلم أن يعيدوا تأكيد هويتهم الفكرية، وأن يكونوا واعين بالخطر الناجم عن النفوذ الأجنبي قبل أن يبدأوا أي إصلاحات اجتماعية».^(١)

كان هدف الشهيد الصدر أيضاً من خلال هذه المبادرة تطبيق الاجتهاد بمعناه الصحيح، بحيث يتم دمج الاجتهاد مع «الوسائل السياسية والاجتماعية الحديثة».^(٢)

كانت أولى الخطوات التي اتخذها الشهيد الصدر بعد تأسيس الحزب إنشاء القوانين والأنظمة الداخلية التي تحكم الأحزاب في العالم، لوضع الأسس التنظيمية لحزب الدعوة.^(٣)

ومن المهم أن نذكر أن الخطوة الثانية المهمة في مسار تأسيس حزب الدعوة حدثت في مدينة كربلاء، حيث تم عقد اجتماع في صيف عام ١٩٥٨م (ذي الحجة ١٣٧٧ / ربيع الأول ١٣٧٨ هـ). قبل هذا الاجتماع، كان قد تم الاتفاق بين السيد مرتضى العسكري، الشهيد الصدر، والشهيد السيد مهدي الحكيم على ضرورة تأسيس حزب الدعوة الإسلامية. في الحوار الذي دار بين السيد مهدي الحكيم والسيد مرتضى العسكري، كان واضحاً أن الحزب الذي

(1) joyce wiley, ibid, p 31, ٥٢، الترجمة الفارسية، ص

(2) ibid, p 31.

(٣) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

كان يفكرون في تأسيسه يهدف إلى إقامة حكومة إسلامية، وهو ما يعكس بعداً سياسياً مهماً في رؤية الشهيد الصدر:

أنا و السيد الصدر نفكر في ضرورة تشكيل حزب اسلامي لتشكيل حكومة اسلامية و ان السيد قال اذا وافق العسكري فَأَنَّا نستطيع السير في ذلك.^(١)

وهنا قال العسكري: «أنا موافق، اذهب وأنا سأأتيكم».

بعد ذلك، تم عقد اجتماع رباعي بحضور الشهيد الصدر، الشهيد السيد مهدي الحكيم، الشهيد السيد محمد باقر الحكيم، والسيد مرتضى العسكري في النجف الأشرف، وبعد ذلك تم عقد اجتماع ثنائي بحضور:

- ١ - السيد محمد باقر الصدر؛
- ٢ - السيد مهدي الحكيم؛
- ٣ - السيد محمد باقر الحكيم؛
- ٤ - السيد مرتضى العسكري؛
- ٥ - الحاج محمد صادق القاموسي؛
- ٦ - الحاج عبدالصاحب الدخيل؛
- ٧ - الحاج محمد صالح الأديب؛
- ٨ - المهندس محمد هادي السيبي في كربلاء.^(٢)

(١) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(٢) محمد الحسيني، محمد باقر الصدر حياة حافلة و فكر خلاق، ص ٧٤؛ ابوزيد العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٤؛ حزب الدعوة الاسلامية، ص ٦٧، وقد قيل عن مشاركة السيد طالب الرفاعي أيضاً، لكنه أنكر حضوره اجتماع كربلاء. محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٧٣.

الإجراءات التي تم اتخاذها في هذا الاجتماع كانت كالتالي:

١ - رسم الخطوط العريضة لتنظيم الحزب وبيان الأساليب الحزبية بناءً على القاعدة «الهدف لا يبرر الوسيلة».^(١)

٢ - تعيين قيادة الحزب أو الهيئة القيادية للحزب المكونة من السيد محمد باقر الصدر، السيد مرتضى العسكري، السيد مهدي الحكيم، ومحمد صادق القاموسي الذين تولوا مسؤولية حزب الدعوة الإسلامية.

٣ - أداء القَسَم من قبل اثنين من الأعضاء الرئيسيين (السيد مرتضى العسكري والسيد محمد باقر الحكيم).^(٢)

٤ - القيادة الفعلية للحزب كانت من نصيب الشهيد الصدر.

قال السيد محمد باقر الحكيم في هذا الصدد:

فقد كان السيد الصدر عليه السلام بمعنى من المعاني هو المؤسس للتنظيم والراعى له، بمعنى انه لولاه لم يكن هذا التنظيم لوجود... فوجوده كان له دوره الكبير في جمع هذا العدد المهم من حيث الكيف و الموقع السياسى و الاجتماعى و اقتناعهم بهذا العمل الاسلامى.^(٣)

طبعاً، ذكر البعض أنَّ السيد الصدر نفى كونه المؤسس.^(٤)

وجهاً النظر والإجراءات الأولية للحزب

كان السعي لتجنيد الأعضاء وتوسيع الحزب - في مدينتي بغداد

(١) العاملی، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٦.

(٢) العاملی، المصدر نفسه.

(٣) صلاح الخرسان، المصدر نفسه، ص ٦٨؛ العاملی، المصدر نفسه.

(٤) العاملی، المصدر نفسه؛ عفيف النابلسی، خفايا و اسرار من سيرة الشهيد محمد باقر صدر، ص

وكرلاء - من أولى خطوات الحزب. كان الشهيد الصدر يركز في عملية التجنيد على القوى الحرة والبارزة في الأوساط الدينية، وكان يحاول توجيه الطلاب المبرزين الذين يتمتعون بحرية الفكر إلى الحزب والحركة الحزبية. وقد أسفرت هذه الجهود في النهاية عن نتائج إيجابية، وخلال فترة قصيرة أصبح ١٨ من كبار العلماء العراقيين، ٦ من العلماء الإيرانيين، ٦ من العلماء اللبنانيين، اثنان من باكستان، وشخص واحد من الحجاز ضمن الأعضاء المؤسسين للحزب. من بين هؤلاء الأعضاء، بالإضافة إلى الشهيد الصدر، كانت هناك شخصيات بارزة مثل السيد مهدي الحكيم، السيد محمد باقر الحكيم، السيد محمد بحر العلوم، الدكتور داود العطار، السيد مرتضى العسكري، السيد محمد كاظم البجنوردى، محمد مهدي الآصفى، محمد مهدي شمس الدين، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ علي توراني، السيد عباس الموسوي، السيد عارف الحسيني، والسيد علي نقوي، وغيرهم.^(١)

من حيث النظرة والرؤية، كان حزب الدعوة الإسلامية يركز على السعي لإقامة حكومة إسلامية، والدعوة إلى الإسلام، وتربية الأفراد وتعليمهم، وتشجيع المسلمين، خاصة الطلبة وعلماء الدين، على الانخراط في السياسة.

في تلك الفترة، قام الشهيد الصدر بتأليف رسالة تناول فيها «دراسة الأدلة والبراهين حول جواز، بل وجوب الثورة من أجل إقامة الحكومة الإسلامية في عصر غيبة إمام العصر عليه السلام»، وقام بدراسة هذا الموضوع من خلال آية الشورى». ^(٢)

(١) على المؤمن، سنوات الجمر، صص ٣٨ - ٣٧.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٩.

كان الشهيد الصدر يرى أن «الحزب» هو أداة ووسيلة لتأسيس الحكومة الإسلامية. وبعبارة أخرى: «كان يرى أن الهدف من وراء تشكيل الحزب هو الحكومة الإسلامية»^(١) حيث اعتبر أن الهدف الأساسي الذي يكمن وراء إنشاء الحزب هو إقامة الحكومة الإسلامية.

ويقال أنه في نفس الفترة قام بمحاولة كتابة عمل حول «شكل الحكومة في الدولة الإسلامية»^(٢) الذي يبدو أنه لم يكتمل ولا يوجد أي أثر له الآن. بالإضافة إلى ذلك، بذل الشهيد الصدر جهده في كتابة المنشورات الحزبية وكتابة المقالات في الجريدة الرسمية لحزب الدعوة، وهي «صوت الدعوة».

وبناءً على ذلك، قام بكتابة كتيب مكون من تسعة وثلاثين صفحة حتى بداية عام ١٩٥٨ م، وكانت هذه الموضوعات تُنشر في الجريدة الرئيسية لحزب الدعوة تحت عنوان «صوت الدعوة» أو «نداء الدعوة»^(٣).

إذن، في الواقع، تأسس حزب الدعوة الإسلامية بواسطة الشهيد الصدر وأتباعه قبل انقلاب ١٤ يوليو ١٩٥٨ م، ولكن بعد هذا الانقلاب، حصل حزب الدعوة على دعم آية الله السيد محسن الحكيم، المرجع الديني الرئيسي في ذلك الوقت في العراق.^(٤) لذلك، ظن البعض أن الحزب تأسس بعد انقلاب ١٩٥٨ م بقيادة عبد الكريم قاسم في العراق. بصفة عامة، كانت خطة تأسيس هذا الحزب قد وضعت في عام ١٩٥٧ م من قبل الشهيد الصدر وأتباعه في منزله.

(١) المصدر نفسه؛ صلاح الخرسان، المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، من فكر الدعوة، ص ٥.

(4) joycew wiley. Ibid, p 32.

كان حزب الدعوة في جوهره منظمة تم تشكيلها لتحقيق الأهداف السياسية والدينية. ومن النقاط المهمة التي ينبغي الإشارة إليها في تشكيل هذا الحزب هي، من وجهة نظر الشهيد الصدر، فإنّ مزيج العقلانية والعواطف والأفعال هو الذي يحرر الفرد والمجتمع من التعصبات الباطلة، والجمود، والخمول. ولهذا السبب، لا تجد في حركة الصدر ومدرسته التعصبات الجامدة الباطلة أو الجمود أو الخمول أو الأشعرية أو الأخبارية. هذه النقطة من الجوانب الإيجابية التي تُظهر أهمية وقيمة دراسة السيرة السياسية لهذا المفكر الكبير.

إنّ انتهاز مدرسة الصدر من الإسلام الحقيقي، وبخاصة من مبادئ التشيع، واعتمادها على الرؤية التوحيدية للعالم، هو من الأمور التي تجعل من الضروري دراسة سيرة هذا القائد السياسي والجهادي، سواء في تشكيل وتأسيس حزب الدعوة الإسلامية، أو في جميع أعماله وحركاته الجهادية.

إنّ الابتكارات والإبداعات التي تمثلها حركة الصدر، وطابعها العالمي والإنساني، وابتناؤها على تفسير صحيح للعالم، وهو التفسير العقلاني والبرهاني، يُظهر جانباً آخر من أهمية هذه القضية.

إحدى السمات الأساسية لحزب الدعوة الإسلامية عند تأسيسه كانت السرية وإخفاء الأنشطة. لذلك، يعدّ من نمط الأحزاب السياسية السرية غير العلنية (المخفية) التي لم يعترف بها من قبل النظام الحاكم في العراق، بل تم التصدي لها أيضاً. لهذا السبب، اعتمد الشهيد الصدر في أساس حركته الحزبية على «السرية» وأكد على ضرورة إخفاء الأنشطة الأساسية، وإبقاء أعضاء الحزب والعناصر المكونة له في حالة خفاء لكي يكون الحزب قادراً على مواجهة الحكام والطغاة.^(١)

وكان موضوع السرية موضع تأكيد أعضاء الحزب، ففي لقاء جماعي لهؤلاء الأعضاء في ٩ حزيران ١٩٦٩ م مع آية الله السيد محسن الحكيم، تم طرح الموضوع، وقد أبدى آية الله الحكيم، بعد أن علم بأنشطة الحزب وجهود أعضائه، دعمه لهذه الأنشطة، ولكنه أضاف قائلاً: «لا نريد أن يكون حزب الدعوة حزباً سرياً».^(١)

وفيما يتعلق بتسمية الحزب بـ «الدعوة الإسلامية»، أوضح السيد محمد باقر الصدر في مقال له نشر في صحيفة «صوت الدعوة» السبب وراء اختيار هذا الاسم. وقد قال بنفسه:

«الدعوة تعبر بدقة عن مهمة هذه المجموعة في «دعوة الناس إلى الإسلام» وإرشاد أكبر عدد ممكن من المسلمين إلى الإسلام (الحق)».^(٢)

كما كان يرى أن تشكيل المجالس البحثية يعد جزءاً من المرحلة الأولى لدعوة الإسلام، وفي هذه المرحلة كان هناك هدفان رئيسيان هما:

١ - إعداد المؤمنين؛

٢ - تعبئة العلماء من الناحيتين الروحية والفكرية.^(٣)

أما الدعوة في نظره فكانت «دعوة إسلامية ثورية» من أجل إيقاظ الأمة الإسلامية والحصول على حقوقها وحرياتها في ميادين السياسة والمجتمع. كان يقول: «ولذلك، فإن دعوتنا إلى الإسلام هي دعوة ثورية لتحرير الأمة من واقعها الفاسد...».^(٤)

(١) مجله الجهاد، العدد ١٢، السنة الأولى، ربيع الاول ١٤٠٤ هـ، ص ٤٣.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، من فكر الدعوة، ص ٩.

(٣) جويس ان ويلي، المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٤) العاملی، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٢.

أما الطرق والوسائل التي كان حزب الدعوة يهدف من خلالها إلى تعبئة العلماء، فكانت تتضمن «نشر الكتيبات، إلزام الأعضاء والمشرفين بحضور جلسات الحزب الأساسية، المطالعة، إقامة الاحتفالات والمناسبات، إنشاء المكتبات والمدارس، والمشاركة في النقاشات العلمية والدروس الفقهية».^(١)

كان آية الله السيد محسن الحكيم يدعم أساليب الحزب المتمثلة في تأسيس المكتبات والمراكز الدينية الجديدة. ومن الأعمال الأساسية لحزب الدعوة السعي للتعاون مع الأحزاب الأخرى لتحقيق أهدافه السياسية وتشكيل حكومة إسلامية. لذلك «تواصل قادة حزب الدعوة مع قادة الإخوان المسلمين في العراق، واتفق الطرفان على وجوب إقامة حكومة إسلامية من خلال التعاون بين الشيعة والسنة وإيجاد وعي إسلامي بين الناس في العراق».^(٢) ويبدو أن حزباً إسلامياً قد نشأ من دمج هذين الحزبين (الإخوان المسلمون في العراق وحزب الدعوة الإسلامية). وقد حصل هذا الحزب في نيسان/أبريل ١٩٦٠ م على إذن لمزاولة النشاط السياسي.^(٣) بعد ذلك، أصبح آية الله السيد محسن الحكيم المسؤول أو الكفيل لهذا الحزب، وكان نعمان عبد الرزاق السامرائي من غير رجال الدين السنة أيضاً زعيماً له. كان الهدف المعلن للحزب هو «محاربة الشرك والمادية». ثم طلب الحزب إصدار صحيفة بعنوان «الجهاد»، ولكن رفضتها حكومة العراق، إلا أن الصحف الأخرى كانت تنشر آراء الحزب التي كانت تنتقد الحكومة بشدة. بعد أن سحب عبد الكريم قاسم في عام ١٩٦٠ م تدريجياً دعمه لحزب الشيوعيين العراقيين بسبب الضغوط

(1) j. wiley, ibid, pp32-33.

(2) ibid, p 36.

(3) ibid, p 36.

العديدة، قُتل أو فُرَّ العديد من الشيوعيين، وقد قيل آنذاك: «يبدو أنَّ المسؤولين عن حوادث القتل هم ضباط الجيش المحافظين الذين كانوا يتعاونون مع الحزب الإسلامي».^(١) هذه الأحداث وغيرها ولدت انطباعاً في المجتمع الشيعي بأنَّه ربما كانت بساطة آية الله الحكيم وراء سماحه باستخدام اسمه في حزب ليست له أيُّ سلطة عليه. وقد أدى هذا إلى حدوث خلافات بين بعض العلماء.

في هذه الأثناء، كان الصدر يرى وجوب استمرار النضال والإصلاح، ويجب أن يكون هناك مزيد من الرقابة على الجماعات السياسية التي كانت تُجند الناس العاديين. وعلى الرغم من ذلك، تعرضت أعمال الشهيد الصدر واستدلالاته الراديكالية والثورية للهجوم، واعتُبرت تحريفاً للإسلام، وهو الاتهام الذي كان مؤلماً له. وقد كتب في هذا الصدد:

«النهضة التي تهدف إلى إعادة بناء المجتمع ستواجه تعصباً ومعارضة شديدة من الآخرين. كل الأنشطة التي تُجرى لتغيير المجتمع ستلقى استياء الجماهير التي تقاوم القيم والمفاهيم الجديدة باستخدام سلاح الدين».^(٢)

في ١٥ أكتوبر ١٩٦٠م، انتقدت صحيفة «الفيحاء» الأسبوعية، التي كانت تصدر في الحلة، حكومة العراق بسبب غفلتها عن «أفكار شركية مثل مساواة حقوق المرأة».^(٣) في ١٩ أكتوبر، تم اعتقال ١١ من أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الإسلامي، وفي نوفمبر تم حل فرع الحزب في الموصل. ومع ذلك، حصل الحزب الإسلامي في انتخابات نقابة المعلمين في فبراير ١٩٦١م

(1) ibid, p 37.

(2) mohammad bagir al-sadr, islamic political system, p 35.

(٣) جويس، ان، ويلي، المصدر نفسه، ص ٦٠.

في محافظة الرمادي السنية على ٤٠٪ من الأصوات، وهي الانتخابات الوحيدة التي تم فيها عرض قائمة المرشحين علناً أمام الشعب. بعد ذلك، تم إعلان جميع الأحزاب السياسية وصحفها غير قانونية.

في عام ١٩٦٢م، تم تشكيل جماعة أنصار الدعوة، المعروفة أيضاً بمجموعة الأنصار، للمساعدة في مهمة دعوة الناس إلى الإسلام.^(١) كان حزب الدعوة يستمر في عمله بسرعة، وكان الدعاة في مختلف المجالس والفعاليات مشغولين في تحقيق أهداف حزب الدعوة. في النجف، كانت الجهود تتركز بشكل رئيسي حول الشهيد، وبالرغم من أن الصدر كان قد ترك قيادة حزب الدعوة ظاهرياً بعد عامين، إلا أنه في الواقع كان لا يزال الزعيم الفعلي للحزب، وكان حزب الدعوة ونشاطاته تحظى بتأييده. كان نشاط حزب الدعوة خارج النجف تحت إشراف عبد الصاحب دخیل المعروف بأبي عصام (١٩٧٢م)، الذي كان مرشداً روحياً لأعضاء الحزب في الجامعات، بينما كان الشيخ عارف البصري (١٩٧٢م) مرشداً روحياً لأعضاء الحزب في مدينة بغداد. كما كانت النساء يشاركن في التنظيمات الجديدة من خلال أخت السيد محمد باقر الصدر، بنت الهدى الصدر، وهي عالمة محترمة وموثوقة، حيث كانت تنظم جلسات دراسية ونقاشات للنساء الشابات والمؤمنات. أما السيد محمد مهدي الحكيم (١٩٨٨م) فقد عمل كحلقة وصل بين رجال الدين في النجف والدعاة في بغداد.^(٢)

في هذه الفترة، ارتفع عدد الأعضاء المنتمين لحزب الدعوة، حيث «كان الأعضاء الجدد يرفضون معايير النخب السياسية والاقتصادية في العراق،

(١) جويس، ان، ويلي، المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٢) صالح الاديب، تغيير اجتماعي، ص ١؛ صوت العراق التحرير، تموز/يوليو ١٩٨٨، ص ١٠.

وكانوا يعتبرون أنفسهم من الناحية الأخلاقية أعلى من النخب السياسية والاقتصادية العراقية، من خلال تبنيهم لمبادئ الإسلام الدقيقة المتعلقة بحظر بعض الأفعال»^(١).

في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣ م، تعرضت «نهضة الشهيد الصدر» للهجوم من قبل أحزاب مثل الحزب الشيوعي العراقي أو القوميين، وخاصة من حسين الصافي الذي كان يهاجم السيد محمد باقر الصدر بشكل مباشر. وقد كتب غالب حسن: «في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٣، تعرّض السيد محمد باقر الصدر لهجوم مباشر من أعضاء الحركة القومية في منطقته، وخاصة من حسين الصافي»^(٢).

في بداية عام ١٩٦٣ م، وقع أول انقلاب بعثي، وانتهت فترة حكم قاسم. مع وصول البعثيين إلى السلطة، تم اعتقال حوالي عشرة آلاف شخص بتهمة الشيوعية، وتم إعدام مئات الأشخاص دون محاكمة.

في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٤ م، قام رجال الدين وأعضاء حزب الدعوة من غير رجال الدين بتكثيف جهودهم لزيادة الوعي الديني بين الناس في مدينة الثورة، وهي منطقة في ضواحي بغداد كانت قد أنشئت في فترة حكم قاسم لتكون مكاناً للفقراء من بغداد. وكان هذا يلفت انتباه حكومة عارف أكثر من ذي قبل. في تلك الفترة، أنشأت حكومة عارف شعبة خاصة في «دائرة الأمن العام» تحت اسم «الشعبة الثانية» لمكافحة الجماعات الشيوعية السرية^(٣). وبالتالي، أدى ذلك إلى زيادة معارضة الحكومة لحزب الدعوة.

(١) جويس. ان، ويلي، النص الإنجليزي ص ٣٩، الترجمة الفارسية، ص ٦٣.

(٢) غالب حسن، الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق، ص ٣٣.

(٣) جويس. ان ويلي، المصدر نفسه، ص ٦٦.

وتم تصعيد هذه الأحداث مع دخول الإمام الخميني إلى العراق في عام ١٩٦٥م، حيث وافقت حكومة عارف على وجوده. في هذه الفترة، كان حزب الدعوة يركز على أسلوب العمل السلمي والمرحلي، مع التركيز على التعليم والتدريب وتجنيد الأعضاء. وقد تم إنشاء خطة لإنشاء جامعة الكوفة بناءً على هذا التوجه.

مع الانقلاب الثاني للبعثيين وصعود أحمد حسن البكر إلى السلطة، طلب البكر من آية الله الحكيم أن يُدين الحكومة الإيرانية، لكن آية الله الحكيم رفض ذلك من أجل الحفاظ على فرصة سفر الزوار الإيرانيين إلى العراق. ردًا على ذلك، قامت حكومة العراق باعتقال طلاب إيرانيين، وإغلاق جامعة الكوفة، ومصادرة أموالهم، وفرض رقابة شديدة على المنشورات الدينية.

بعد هذه الأحداث، تصاعدت التوترات بين العلماء، الثوار، وحزب الدعوة مع الحكومة العراقية بشكل كبير.

الهدف الأساسي لحزب الدعوة هو إقامة حكومة إسلامية ليس فقط في العراق، بل في جميع المجتمعات الإسلامية. ولتحقيق هذا الهدف، وكما أوضح الشهيد الصدر، يجب المرور بمراحل تشمل ما يلي:

١. مرحلة التغيير الفكري: إعداد وتكوين قوى واعية وملتزمة أو ما يمكن تسميته بالمرحلة الثقافية «الثورة الفكرية».

٢. مرحلة المهجوم السياسي والعسكري: «الجهاد السياسي».

٣. مرحلة الوصول إلى السلطة وتشكيل الحكومة الإسلامية.

٤. مرحلة الرقابة، الحفاظ على الثورة، واستمرارها مع التطبيق الدقيق للقوانين الإسلامية.

ولتحقيق هذه المراحل الأربع، هناك وسائل وأدوات أساسية ومهمة كان من الضروري - من وجهة نظر الشهيد الصدر - أن يأخذها الحزب بعين الاعتبار ويجعلها محور نشاطاته وجهوده، وهي:

(أ) ضرورة عرض الدين الإسلامي؛

(ب) ضرورة الفهم الصحيح والدقيق للدين الإسلامي بعيداً عن الخرافات والانحرافات. كتب الشهيد الصدر:

«... وأما طريق الوصول إلى هذا الفهم فإنما يكون بكشف الوجه الحقيقي للإسلام العظيم الذي ظل المسلمون يجهلون به ويتعدون عنه لعقود طويلة، وإيضاح نطاق حكومة تلك الحقيقة وقدرتها على معالجة المشاكل التي نشأت في تاريخ المسلمين.»^(١)

(ج) إصلاح مواقف الأفراد والمجتمع تجاه الإسلام وتعزيز إيمانهم به وبقدرته البناءة؛

(د) تحقيق وعي وشعور وفهم الهوية الثقافية والسياسية المستقلة من خلال تحقيق الانسجام بين العناصر الثلاثة للوجود الذاتي وهي الروح، العقل، والأخلاق؛^(٢)

(هـ) مطابقة الأفعال والسلوكيات ومساومتها مع متطلبات العصر من خلال العقل والاجتهاد واتخاذ مواقف مناسبة تجاه الظروف الزمنية والمتطلبات الحديثة؛

(و) الاهتمام بالإمكانات، والقدرات، والحقائق الموجودة مع مراعاة

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٩١؛ رسالت ما، ص ١٠٥.

(٢) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ١٣٦.

الوعي والهوية الذاتية الحقيقية، إضافة إلى متطلبات المكان والزمان ؛
(ز) دراسة وتحليل الأحداث السياسية العالمية في ضوء حقائق الإسلام ؛
(ح) تحقيق الوحدة والتآلف والتعاون والتواشج الديني والمذهبي (على
أساس الإيمان بالمثال الأعلى المطلق للوجود) ؛
(ط) الثورة والتحول الشامل على المستوى الفردي (الجهاد الأكبر)
والجماعي (الجهاد الأصغر).

ومن وجهة نظر الشهيد الصدر، فإن تحقيق هذه الوسائل والمتطلبات،
والمرور بالمراحل المذكورة، يتطلب «إرادة قوية، والتخلص من عنصر الخوف»،
وأماً واضحاً قائماً على التفاؤل بالمستقبل وطردي اليأس، وكذلك روح
التضحية والإيثارية^(١). وقد أولى الشهيد الصدر أهمية كبيرة لروح التضحية
والإيثارية، واعتبرها «التضحية بالمصالح الشخصية والخاصة من أجل المصالح
العامة»^(٢).

وعموماً، فإن الأسس الفكرية لحزب الدعوة عبارة عن «العقل»
و«الدين الإسلامي»، بالاعتماد على الاجتهاد وفق الأدلة الأربعة ومتطلبات
العصر، ضمن إطار منطقة الفراغ للقوانين. وعليه، فالأسس الفكرية لحزب
الدعوة تقوم على أفكار وآراء الشهيد الصدر. وقد أشار السيد محمود الهاشمي
إلى أن:

«الشهيد الصدر أسس هذا الحزب استناداً إلى القواعد الفقهية ومبدأ
ولاية الفقيه، ويمكن القول بثقة أن هذا الحزب هو أول حزب في تاريخ التشيع

(١) المصدر نفسه، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه.

تأسس بناءً على ولاية الفقيه وعلى نهج الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.^(١)
بناءً على ما تم ذكره سابقاً، يُعتبر الشهيد الصدر «فقيهاً وأباً فكرياً وروحياً
لحزب الدعوة». ^(٢) في الواقع، كان الشهيد الصدر ينظر إلى هذا الحزب كذراع
لتحقيق الإسلام وخط المرجعية الشيعية. كما قيل أن «٩٥٪ من الموقف الفكري
لحزب الدعوة مستوحى من كتابات وأفكار الشهيد الصدر». لا يمكن إنكار تأثير
الشهيد الصدر وحزب الدعوة الإسلامي على الثورة الإسلامية في إيران وحزب
الجمهورية الإسلامية أيضاً. على سبيل المثال، نقل السيد كاظم الحائري عن أحد
طلاب الشهيد الصدر، وهو السيد عبد الغني الأردبيلي، قوله:

في أحد الاجتماعات في إيران، كان آية الله موسوي الأردبيلي حاضراً
أيضاً، ويعود هذا الحدث إلى سنوات طويلة قبل الثورة الإسلامية. في هذا
الاجتماع، تم الحديث عن الشهيد الصدر، وعبر أحد معارضي الشهيد الصدر
الحاضرين في الاجتماع عن انتقاداته للشهيد الصدر قائلاً إنه أسس حزباً وهذا
العمل لا يليق به. فردّ آية الله الموسوي الأردبيلي قائلاً: «كنت على دراية بالكثير
من محامد وفضائل الشهيد الصدر، لكن لم أكن أعلم أنه كان يمتلك هذا الذكاء
الفائق والاهتمام الكبير بالأمور بحيث دفعه ذلك إلى تأسيس حزب إسلامي
يعمل في سبيل الإسلام. إذًا، هذه نقطة قوة، وليست نقطة ضعف». ^(٣)

هناك ثلاثة أعمال للشهيد الصدر تشكّل أهم الأسس الفكرية لحزب
الدعوة، وهي كما يلي:

(١) صحيفة جهورى اسلامى، ١٩/١/١٣٦١، مقابلة مع السيد محمود الهاشمي.

(٢) محمد الحسيني، الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، ص ٢٣١.

(٣) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٣٣؛ الجهاد، العدد ١٨٣، ١ شعبان ١٤٠٥ هـ / ٢٢ نيسان

١٩٨٥ م حوار مع السيد الحائري، ص ٧.

١. الأسس الإسلامية: في هذا الكتاب، تناول الشهيد الصدر قضايا إسلامية مهمة مثل تعريف الإسلام، المسلم، الوطن الإسلامي، الدولة الإسلامية، شكل الحكومة في الإسلام، أهداف الدولة الإسلامية، الشورى، حكومة الشورى، الفرق بين أحكام الشريعة وتعاليمها، والقوى الحكومية.^(١) في الواقع، تمثل «الأسس الإسلامية» مجموعة من القواعد والمفاهيم القانونية والثقافية في الإسلام.^(٢) وأهمية هذا الكتاب تكمن في أنه، أولاً، «أول مجموعة من المبادئ الدستورية الإسلامية».^(٣) ثانياً، تحتوي على نوع من الدقة الابداعية القائمة على الاجتهاد الشرعي، وكذلك على أساس عقلي. ثالثاً، تستند إلى متطلبات العصر واحتياجات الناس في عصر المؤلف.

وهدف الكتاب كان إقامة الحكومة الإسلامية في العراق وغيرها من المجتمعات الإسلامية:

«هو إقامة الحكم الإسلامي في العراق، والحكم لا بدّ له من دستور وأنظمة تنبثق عن الدستور».^(٤)

٢. المقالات والكتابات المتعلقة بحزب الدعوة، مثل: «كيف تكون الدعوة إلى الإسلام»، الذي تناول فيه استراتيجيات وسياسات الدعوة،

(١) مثلاً أنظر: الدكتور عبد الهادي الفضلي، «الأسس الإسلامية»، عرض و بيان لما وضعه الشهيد الصدر من اصول للدستور الاسلامي، الامام الشهيد محمد باقر صدر سمو الذات و خلود العطاء، صص ٣٤٠ - ٣١١.

(٢) عبد الهادي الفضلي، المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مجموعة من المؤلفين، الامام الشهيد محمد باقر صدر سمو الذات و خلود العطاء، صص ٣٤٠ - ٣١١؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٥٩ - ٣٣٦؛ شبلي ملاط، تجريد الفقه الاسلامي: محمد باقر صدر بين النجف و شيعة العالم، صص ٤٨ - ٣٣.

وكذلك مسألة الإصلاح والثورة.^(١) أو «حول الاسم والشكل التنظيمي لحزب الدعوة الإسلامية»، الذي تناول فيه ضرورة التحزب والتنظيم ودور هذا التنظيم في دفع الدعوة، وكذلك الأسس النظرية والفقهية للتحزب والتنظيم.^(٢) أو كتابات مثل «الشخصية الإسلامية»،^(٣) «الأعمال والأهداف»،^(٤) التي تركز على فكر وأيديولوجيا الحزب، و «حول أول مراحل نضال الدعوة»، التي تتناول المراحل الأولى من مسيرة الحزب.^(٥)

٣. المقالات أو الافتتاحيات المنشورة في مجلة «الأضواء»، وهي الصحيفة الرسمية لجماعة علماء النجف الأشرف، والتي كانت تحت عنوان «رسالتنا»، وتتناول رسائل مختلفة للمؤمنين الملتزمين في العصر الحديث، وكذلك بيانات جماعة العلماء، ونشرة «صوت الدعوة» التي كانت تمثل الوسيلة الإعلامية لحزب الدعوة الإسلامي.

بشكل عام، يُعتبر ارتباط هذا الحزب بالشهيد الصدر من أبرز مميزاته الأساسية. على سبيل المثال، كتب عادل أديب يقول:

«من أهم الميزات الأساسية لحزب الدعوة في علاقته مع المرجع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، سواء في الجوانب التنظيمية والنضالية، أو في الأبعاد الفكرية الحزبية والرقابية، يتجسد في إحدى مراحل نشاط حزب الدعوة الإسلامية.»^(٦)

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٤٦ - ٣٦١؛ السيد محمد باقر الصدر، از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، صص ٣٠ - ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، صص ٣٦٧ - ٣٦٥؛ المصدر نفسه، صص ١٠ - ٨.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، صص ١٥ - ١١.

(٤) المصدر نفسه، صص ٢٣ - ١٦.

(٥) المصدر نفسه، صص ٢٦ - ٢٤.

(٦) عادل اديب، حزب الدعوة اسلامي عراق، ص ٢٢.

وأضاف الكاتب:

«لعل أحد أسباب بقاء هذا الحزب وحصانته في مواجهة الضغوط المختلفة هو الرابط المهم والشامل الذي يجمع بين هذا الحزب وفكره وثقافته النضالية المرتبطة باسم الشهيد محمد باقر الصدر، الذي أصبح رمزاً عقائدياً ونضالياً وقيادياً، كما أضفى على الحزب قوة واعتباراً. من الواضح أن الشهيد الصدر كان واحداً من أبرز مؤسسي حزب الدعوة الإسلامية، ومبدعي الفكر والثقافة النضالية التي اعتمد عليها الحزب.»^(١)

في بيان آخر، يُقال إن منزل الشهيد الصدر كان من أهم الأماكن التي تُعقد فيها الاجتماعات والحوارات، وكانت هذه الحوارات سبباً في تأسيس منظمة نضالية فعالة، وقد اقترح الشهيد الصدر أن يكون اسم هذه المنظمة «حركة الدعوة» أو «حزب الدعوة».

وقد نظر الشهيد الصدر لـ «أسس الدولة» ووضع لها النظرية المناسبة، وكان يراقب شخصياً سير عمل هذه التشكيلات الجديدة.^(٢) جاء في الوثائق الأمنية العراقية، ما يلي:

«... انسحب ظاهرياً عام ١٩٦٤ من حزب الدعوة، إلا أنه بقي محتفظاً بزعامة الحزب سراً.»^(٣)

تأسس حزب الدعوة الإسلامية على ركيزتين رئيسيتين: «الإسلام» و «مقتضيات الزمان»، وكان هدفه خدمة الإسلام وتحقيقه، وخاصة في المجال السياسي، وبناءً على ذلك، تم استخدام مصطلح «إسلامي» في تسمية الحزب.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٢) مجله طريق الحق، العدد ٧، ص ١٦.

(٣) العامل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٨.

في هذا السياق، جاء في رؤية الحزب:

«كل حزب يتألف من عناصر تهدف إلى خدمة الإسلام، ويتبنّى مبادئ ولاية الفقيه والشرعية القرآنية في سلوكه وأفعاله، يُعتبر حزباً إسلامياً.»^(١)
وقد قيل أن: «هذا الحزب وُجد استجابةً لواجب شرعي.»^(٢)

علاوة على ذلك، فإنّ الاهتمام بمقتضيات العصر بعد المذهب والدين هو العامل الثاني وراء تأسيس حزب الدعوة الإسلامية.

جاء في الوثائق الخاصة بالحزب: «التنظيم الذي اخترناه هو نموذج مطوّر ومحسّن لتنظيمات الأحزاب القائمة، مع اختلاف رئيسي وهو أننا نضع في أولوياتنا مصلحة تنفيذ الرسالة الإسلامية. السبب الذي يجعلنا نلتزم بهذا التنظيم هو مشروعيته للوهلة الأولى، ومن ثمّ الفائدة التي يمكن أن نحققها من خلاله.»^(٣)

خروج الشهيد الصدر من رئاسة حزب الدعوة

استناداً إلى بعض الأدلة، خرج الشهيد الصدر من رئاسة حزب الدعوة بعد حوالي أربع سنوات ونصف أو خمس سنوات من قيادته للحزب.^(٤) ومنذ ذلك الحين، تبنى منهجاً آخر في علاقته مع الحزب، حيث اشترط الإشراف والمراقبة على الحزب مع الحفاظ على مكانته العلمية والدينية في جامعة النجف

(١) عادل اديب، المصدر نفسه، ص ١٣، مجلة صوت الدعوة، العدد ٣٣، ص ٣٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣؛ حزب الدعوة إسلامي عراق، استشهاد الامام محمد باقر الصدر من منظر حضاري، حزب الدعوة، المكتب الإعلامي ببلبنان، ص ٤٩.

(٤) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

الأشرف.^(١) هذا الموضوع لا جدال فيه. هنا، سنتناول الأسباب التي دفعته للخروج من الحزب والخلافات التي ظهرت في هذا السياق. ذكر بعض أصدقاء الشهيد الصدر أن سبب هذا التحول كان الضغوط والهجمات التي تعرض لها، مما دفعه إلى تقليص ارتباطه المباشر بقيادة الحزب، حيث تحول إلى دور الإشراف عليه فقط لتخفيف الضغوط التي كان يواجهها. في هذا السياق، روى الأستاذ صالح أديب هذه القصة:

ذات يوم، التقى بالسيد مهدي الحكيم ودار الحديث حول زيارة حسين الصافي النجفي - الذي كان في ذلك الوقت يرتدي زي رجال الدين في النجف الأشرف وكانت له علاقات مع البعثيين - للسيد محسن الحكيم في النجف الأشرف وأبلغه بأن هناك حزباً اسمه «حزب الدعوة الإسلامية» بزعامة السيد محمد باقر الصدر، وبمشاركة ولديه السيد محمد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم. وأوضح أن هذا الحزب هو امتداد لحزب الإخوان المسلمين وله توجهات وأفكار سنية تتعارض مع الشيعة وعقيدتهم، واعتبره خطراً على المجتمع الشيعي ومدينة النجف الأشرف.

ورد السيد محسن الحكيم عليه قائلاً:

«هل محبتك واهتمامك بالنجف الأشرف، والمجتمع الشيعي، والحوزة العلمية أكثر من حب السيد الصدر؟»،^(٢) ثم طرده.^(٣)

بعد أن عرف الشهيد الصدر بمجريات هذا اللقاء، أعاد التأكيد على أهمية الدعوة ومكانة الحزب وأهدافه وعلاقته بالإسلام والدعوة الإسلامية.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجهاد، رقم ٢٣٢، ٢٧ رجب ١٤٠٦، ص ١١.

(٣) مصطفى قلى زاده، شهيد صدر بر بلندای اندیشه و جهاد، ص ٥٦.

ومع ذلك، استمرت الضغوط عليه، وزادت بشكل كبير، حتى قيل:

«لطالما حاولت القوى المعادية (الأعداء أو المتشددون الدينيون) التآمر ضده، واتهامه بالانخراط في السياسة، واعتبرت نشاطاته ضد الاستعمار تهديدًا للمرجعية الدينية. لم يأبه الشهيد الصدر لكل هذه الحملات الإعلامية، وظل مخلصًا للحق»^(١).

وكانت الضغوط، خاصة من قبل حزب البعث وأعدائه في السلطة، قد بلغت ذروتها لدرجة أن السيد محسن الحكيم حمل أحد أبنائه رسالة إلى الشهيد الصدر، جاء فيها:

«احمل سلامي إلى السيد محمد باقر الصدر وقل له: إن تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها في كل جوانب الحياة هو من اختصاصك ومن شأنك، ولكن الارتباط والانتماء إلى حزب إسلامي خاص هو بعيد عن مقامك العلمي والاجتماعي الرفيع».

عند استلام الشهيد الصدر لهذه الرسالة، قال:

«سأفكر وأتأمل في هذا الموضوع»^(٢).

في اليوم التالي، كتب الحاج محمد صالح أديب رسالة مفصلة إلى مسؤولي حزب الدعوة. أكد في هذه الرسالة، على ضرورة متابعة الحركة الإسلامية للحزب بجدية ومثابرة، وكتب أيضًا تأكيدًا آخر على هذا الأمر:

«لقد طلب مني سماحة آية الله الحكيم ألا أكون عضوًا رسميًا في هذه التنظيمات. وأنا أستشعر من هذا الطلب ضرورة وإلزامًا. لذلك، لا أعتبر نفسي

(١) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

مرتبطاً أو منتسباً إلى هذه المنظمة السياسية، ولكنني أطلب منكم أن تتابعوا هذه الحركة الإسلامية المباركة بكل جهد واهتمام، وأنا داعم لكم في هذا العمل القيم.^(١)

فيما يتعلق برأي الشهيد السيد محمد باقر الصدر في فترة مرجعيته وقيادته - بعد وفاة آية الله السيد محسن الحكيم - كتب السيد كاظم حائري:

«في تلك الفترة، طرح الشهيد الصدر نظرية «ضرورة فصل جهاز المرجعية الصالحة عن التنظيمات الحزبية». وكان الأستاذ يعتقد أن نظام المرجعية هو المسؤول عن القيادة الصحيحة للأمة الإسلامية، وليس حزباً سياسياً. ومع ذلك، كان يرى أن وجود حزب إسلامي ضروري ليكون ذراعاً للمرجعية يعمل تحت إشرافها. بمعنى آخر، فإن الخلط مفهوم «التنظيم السياسي الإسلامي» و«نظام المرجعية» يؤدي إلى خلط الأمور والتشويش على عمل كل من هذين الكيانين المستقلين.^(٢)»

من المؤكد أن هذا النص يطرح تفسيراً مختلفاً وغير مباشر عن التفسيرات الأخرى، والحال أننا اعتبرناها متشابهة. ذلك لأن آية الله السيد كاظم الحائري تناول هذا الموضوع في مقدمة كتاب «مباحث الأصول» وأشار إلى ما يلي:

«عندما أعلن الأستاذ الشهيد رحمته الله فتواه الشهيرة حول ضرورة الفصل التام بين الحوزات العلمية والأنشطة الحزبية في ١٠ شعبان ١٣١٤ هـ، كتبت له رسالة استفسر فيها عن المعنى المقصود من كلامه هذا، وطرحت معه أربعة احتمالات حول هذا الموضوع:

(١) حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ٨٩؛ زندگی و افکار شهيد صدر، ص ٩٥؛ مصطفى قلى زاده، المصدر نفسه، ص ٥٧.

(٢) مباحث الأصول، ج ١، ص ٨٩؛ زندگی و افکار شهيد صدر، ص ٩٥.

١. أن يكون المقصود من هذا الكلام مراعاة مصلحة معينة كان المقصود بها «التقية» (كما وصفها علماء الأصول بأنها مصلحة مرتبطة بالجعل).
٢. أو أن يكون المقصود بهؤلاء العلماء والطلاب الذين يتواصلون مع مرجعياتهم، حتى وإن كانت المصلحة تقتضي أن تكون هذه المسألة علنية.
٣. أو المقصود فصل طلاب الحوزة العلمية في العراق عن النشاطات الحزبية بهدف حماية هؤلاء من خطر البعثيين الذين كانوا يخططون للقضاء عليهم.
٤. أن يكون المقصود فصل جميع الحوزات العلمية في كل زمان ومكان عن النشاطات الحزبية الإسلامية (بحسب علماء الأصول، كانت هذه المسألة تخص الحقيقة لا الخارج).

ورد آية الله الصدر عليّ قائلاً: «ما قصده ينطبق على البنود الأولى والثانية والثالثة، وليس على البند الرابع»^(١)

وذكر غالب حسن في كتابه «الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق» خمسة أسباب رئيسية لصدور فتوى تحريم الانتماء إلى حزب الدعوة الإسلامية، والتي تدور بشكل رئيسي حول مفهوم «التقية» وضرورة الحفاظ على هذا الحزب من جهة، ومن جهة أخرى الحفاظ على الكيان الديني.^(٢)

في إحدى مقالاتها، ذكرت مجلة «سروش عربي» رأي الشهيد الصدر بشأن الأنشطة الحزبية في العراق، وناقشت حادثة اعتقاله في عام ١٩٧٢م، حيث قال في رده على سؤال رئيس الأمن في بغداد حول موقفه من الأحزاب الإسلامية:

«نحن نؤيد الأحزاب الإسلامية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن

(١) مباحث الأصول، ج ١، ص ١٠٠؛ عادل اديب، المصدر نفسه، صص ٢٩ - ٢٨.

(٢) أنظر: غالب حسن، الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية، ص ٥٧.

المنكر».^(١)

تشير بعض المصادر إلى أن الشهيد الصدر قد شكك في دلالة آية الشورى في القرآن الكريم فيما يتعلق بمشروعية الحكومة الإسلامية من الناحية الفقهية. كان الشهيد الصدر قد طرح أساساً تنظيم الحزب على أساس مشروعية «حكومة الشورى» من وجهة نظر الإسلام، وهو ما أثار التساؤلات حول جواز استمراره في قيادة الحزب كفقيه، وبالتالي ترك القيادة في النهاية.^(٢)

لكن هذا التشكيك لم يكن يتعلق بنفي فكرة وجود الحزب أو التنظيم الحزبي من الأساس، بل يتعلق بالسؤال: هل يمكن لفقيه بصفته الفقهية أن يعمل في تنظيم سياسي حزبي أم لا؟! وبالتالي، ما تزال ضرورة وجود حزب سياسي ودعومه لتحقيق الأهداف السياسية السامية محط اهتمامه. وفي هذا الصدد ينبغي الوقوف عند ملاحظتين:

أ) تجاهل هذا الرأي التمييز بين ضرورة إقامة الحكومة الإسلامية وشكل هذه الحكومة. فالمسألة الأساسية في إقامة الحكومة الإسلامية تتعلق بتحقيق العدالة وتأمين الحقوق الأساسية للبشر، بينما شكل الحكومة هو أمر ثانوي. لذلك، لا ينبغي أن يؤثر التشكيك في شكل الحكومة الإسلامية كما ورد في دلالة آية الشورى على ضرورة إقامة الحكومة الإسلامية.

وقد قيل في هذا السياق:

«من الواضح أن دلالة آية الشورى تتعلق بشكل الحكومة وليس بضرورة إقامتها، لذا إقامة الحكومة أمر ضروري، والتشكيك في دلالة الآية على شكل الحكومة لا يسبب ترديداً في ضرورة وجود الحكومة الإسلامية، لأن

(١) عادل اديب، المصدر نفسه، صص ٣٠-٢٩؛ مجله سروش عربى، العدد ٣، ص ٣٠.

(٢) أنظر: لواء الصدر، العدد ١٤٤، تاريخ ٩ نيسان ١٩٨٤ م، ص ١٢.

وجود الحزب وضرورة وجوده لا يتعلق بتحديد شكل الحكومة، بل يتعلق بإقامة الحكومة الإسلامية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتنفيذ الحدود الإلهية.»

ب) لا علاقة لتأسيس حزب الدعوة الإسلامية بدلالة آية الشورى على نوع أو شكل الحكومة. وبالتالي، لا ينبغي أن يؤدي التشكيك في هذه الآية إلى التشكيك في استمرار قيادة الحزب أو نفي وجوده. إضافة إلى ذلك، لم يكن الشهيد الصدر يشكك في ضرورة بقاء الحزب واستمراره ودعمه. بناءً على ذلك، حتى في حال كان هناك شك في دلالة آية الشورى على الحكومة الشورائية، فإن هذا لا يرتبط برئاسة الحزب أو تركها من قبل الشهيد الصدر. ولذلك قال محمد حسيني في هذا السياق: «إن تأسيس حزب الدعوة على أساس دلالة آية الشورى غير واضح».^(١)

ج) بالإضافة إلى ذلك، فقد أكد الشهيد الصدر نفسه على ضرورة استمرار الحزب وبقاءه، ولم يذكر أي تصريح يشير إلى أنه كان يشكك في دلالة آية الشورى على الحكومة الشورائية أو في مسألة تحزب الأمة. لأنه لو كان فعلاً يشكك في دلالة هذه الآية، لكان قد صرح بذلك بوضوح، إذ من السمات البارزة في شخصيته الشجاعة هي صراحته في التعبير عن معتقداته وآرائه.

لذلك، لا يمكن قبول الافتراض القائل بأن الشكوك التي قد تكون لديه حول دلالة آية الشورى على مشروعية الحكومة الشورائية كانت سبباً لانسحابه من قيادة حزب الدعوة. في الحقيقة، ما دفعه لترك القيادة في الظاهر هو وجود ضغوط كبيرة من جهات عدة، مثل المراجع الدينية الكبرى مثل آية الله الحكيم ولفيف من العلماء والروحانيين، بالإضافة إلى السياسات القمعية التي اتبعها

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٣٦.

حزب البعث والنظام العراقي ضد الشهيد الصدر والتي تمثل الضغط الذي تمارسه الأنظمة الاستبدادية في مثل هذه الحالات، وكما هو موضح في سياق دوره في «جماعة العلماء»، لذا كان الشهيد الصدر يواجه معارضة من القوى السياسية والدينية المحيطة به. ولذلك، كان يعتقد أن أفضل خيار له في تلك المرحلة هو التخلي عن القيادة المباشرة للحزب، مع الإبقاء على إشرافه غير المباشر عليه، وهو ما يُعد خطوة تكتيكية لمواجهة الضغوط التي كانت تُمارس عليه.

حزب الدعوة بعد قيادة الشهيد الصدر

إذن، فقد ترك الشهيد الصدر قيادة حزب الدعوة بعد حوالي أربع أو خمس سنوات، لكنّه استمر في تأكيده الكامل على ضرورة بقاء الحزب وتوسعه، حيث جعل الإشراف والرقابة على الحزب جزءاً من أولوياته. وعلى الرغم من أن الضغوط التي كانت تمارس على الحزب من بعض العلماء والروحانيين قد خفّت، إلا أن الصراع مع النظام العراقي وحزب البعث استمر بل تصاعد بشكل أكبر، حيث تعرض العديد من أعضاء الحزب للسجن والتعذيب. في عام ١٩٧٤م، أصدر النظام العراقي حكم الإعدام بحق خمسة من الأعضاء الرئيسيين في الحزب وهم:

١. الشيخ عارف البصري

٢. السيد عماد الدين الطباطبائي التبريزي

٣. السيد عز الدين القبانجي

٤. الأستاذ حسين جلوخان

٥. الأستاذ نوري طعمة

وفي عام ١٩٧١م، تم اعتقال الشهيد أبو عصام الدخيل، حيث تعرض

للتعذيب حتى استشهد في حوض من حامض النترك.^(١)

حين استشهد هؤلاء الأعضاء الخمسة، قال الشهيد الصدر للشيخ النعماني:

«والله لو عرض علي البعثيون أنني مخير بين إعدام خمسة من أولادي وبين هؤلاء الخمسة من طلابي، لفضلت إعدام أولادي، لأن الإسلام يحتاج لهؤلاء الطلاب أكثر من حاجته لأولادي».^(٢)

في ذات الوقت، كان حزب الدعوة الإسلامية يواصل نضاله لتحقيق أهدافه، حيث ركّز جهوده على نشر الوعي العام والسعي للوصول إلى السلطة السياسية. ولكن ذلك أدى إلى مواجهة شديدة مع النظام الحاكم في العراق، حيث شن النظام هجوماً على جامعة النجف، ما جعل الشهيد الصدر يشعر بتهديد كبير على المدرسة العلمية في النجف، وكانت الخشية أن تتعرض المدرسة العلمية في النجف لتهديدات من النظام الحاكم في العراق، بسبب وجود حزب سياسي داخل صفوف طلاب وعلماء النجف. لهذا السبب، شعر الشهيد الصدر بوجود خطر كبير على المدرسة العلمية في النجف، فأصدر في عام ١٩٧٤م حكماً بفصل الحزب عن الحوزة العلمية وابتعاد طلاب الحوزة عن الحزب.^(٣)

لقد كان إصدار هذا الحكم من الشهيد الصدر خطوة استراتيجية لحماية المدارس العلمية في النجف ومنع هجوم النظام البعثي عليها. كان أيضاً يهدف إلى منع تعطيل الحوزات العلمية التي كانت مهددة من قبل النظام البعثي في

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

(٢) نعماني، سألهاى رنج، ص ٨٣.

(٣) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٣٧.

حال استمرار النشاط الحزبي داخل صفوفها. وبالتالي، كان هذا الحكم بمثابة إجراء مؤقت للتعامل مع الظروف السياسية الخاصة التي كانت تتعرض لها الحوزة.

على الرغم من أن هذا الحكم قد أثار بعض الجدل حول موقف الشهيد الصدر من الحزب السياسي، فقد كان هذا الحكم مؤقتاً ومرتبباً بالظروف الخاصة التي كانت سائدة في ذلك الوقت أي أنه من الأحكام الثانوية. لذلك، لا يمكن تفسير هذا الحكم على أنه رفض كامل لفكرة الحزب أو التنظيم السياسي، بل كان جزءاً من التكتيك الذي اتبعه الشهيد الصدر لإيجاد حلول وسط لحماية الحوزات العلمية من التدمير. من الواضح أن الشهيد الصدر كان يدرك جيداً أهمية وجود حزب سياسي إسلامي، ولكنه كان يحاول إيجاد طريقة لحماية المؤسسات العلمية في ظل الضغوط السياسية.

في عام ١٩٧٣ م، رسم الشهيد الصدر الخطوط الرئيسية المرتبطة بعلاقة طلاب الحوزة بالحزب السياسي.^(١) يمكن تلخيص هذه الخطوط في النقاط التالية:

١. ضرورة الفصل بين جهاز المرجعية الشريفة والنشاط الحزبي: حيث أكد الشهيد الصدر على ضرورة أن يكون هناك فصل بين الهيكل المرجعي والإدارة الدينية من جهة، وبين النشاطات الحزبية من جهة أخرى.
٢. الطلاب غير المرتبطين بالمرجعية: كان يرى أن دخول الطلاب الذين لا يرتبطون بالمرجعية في الحزب ليس محلاً للقلق.
٣. ضرورة التحاق العلماء بالأنشطة الحزبية: شدد على أن التحاق العلماء

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٨.

المرتبطين بالمرجعية بالحزب السياسي أمر ضروري عندما يتطلب الأمر العمل الحزبي لتحقيق أهدافهم، ولكن ذلك يجب أن يكون مدروسًا بحيث لا يؤدي إلى تدميرهم أو تقويض قدرتهم.

كما جاء في النص، بعد هذا الحدث وفي ١٠ شعبان ١٣٩٤ هـ، كتب السيد كاظم الحائري رسالة إلى الأستاذ يستفسر فيها عن المقصود الحقيقي من العبارة المذكورة. وفي رسالته إلى الأستاذ، طرح أربعة احتمالات لتوضيح المقصود:

١. المقصود من العبارة هو مراعاة «المصلحة» في الأصل.
 ٢. المقصود منها الطلاب والعلماء المرتبطون بمرجعيتكم، وإذا اقتضت المصلحة، فإن إظهار ذلك بشكل عام يكون ضروريًا.
 ٣. المقصود هو فصل طلاب وعلماء الحوزة العلمية في العراق عن النشاط الحزبي بسبب خطر تهديد حزب البعث.
 ٤. المقصود هو فصل جميع الحوزات العلمية في كل الأزمنة والأماكن عن النشاط الحزبي.
- فأجاب الشهيد الصدر: «إني قصدتُ المعنى الأول والثاني والثالث دون الرابع»^(١).

بمعنى أن النشاط الحزبي في ذاته غير محرّم على الحوزات العلمية، ولكنه يعتمد على تقدير المصلحة. من هنا، قرار الشهيد الصدر الذي كان يصبّ في حماية الحوزة العلمية في العراق (النجف الأشرف) وكيانها في ظل الظروف الخاصة وقرار النظام البعثي بتدميرها.

(١) حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ١٠٠.

بناءً على هذا، صرّح الشهيد الصدر في رسالة إلى محمد مهدي الآصفي خلال موسم الحج أن هذا الرأي ليس ضد حزب الدعوة، بل هو فقط لحماية ما تبقى منه (من خطر الفناء).^(١)

وفي السياق نفسه، نجد أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وجّه الشهيد الصدر رسالة إلى أحد أعضاء حزب الدعوة الإسلامية، قال فيها:

«إن كلمتي التي أردتها حول انفصال الحوزة عن العمل الحزبي قد انتهى أمرها»،^(٢) مما يعني انتهاء مدة هذا القرار.

وقد أدى هذا إلى انضمام الكثير من العلماء والمفكرين والطلاب إلى حزب الدعوة وممارسة النشاط السياسي. إضافة إلى ذلك، حتى خلال الفترة التي أصدر فيها الشهيد الصدر قرار الانفصال عن الحزب، انضم العديد من الناس في مختلف مناطق العراق إلى حزب الدعوة، بحيث أصبح الحزب يضم ثمانين ممثلاً في مناطق العراق المختلفة، ستة عشر ممثلاً في بغداد وحدها.^(٣) وهذا يؤكد على أن قرار الشهيد الصدر كان مجرد خطوة تكتيكية بهدف حماية الحوزة العلمية وحزب الدعوة من هجمات النظام البعثي العراقي المدمرة.

لقد بلغت أهمية العمل الحزبي والانضمام إلى حزب الدعوة في نظر الشهيد الصدر درجة كبيرة كما نقل السيد عبد الرحيم الشوكي، قائلاً:

... ذات يوم رأيت الشهيد الصدر يزور حرم الإمام علي عليه السلام، فجلست حتى أنهى زيارته، ثم سألته عن التعاون مع الشيخ عارف البصري. فأجاب:

«الشيخ عارف البصري أخونا. الشيخ عارف البصري أخونا. الشيخ

(١) أنظر: الجهاد، العدد ١٢، تاريخ ١ ربيع الاول ١٤٠٤ هـ، ص ٤٦.

(٢) حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ١٠٠.

(٣) الجهاد، ص ٤٠.

عارف بصري أخونا. تعاون معه».^(١)

بشكل عام، بعد ترك الشهيد الصدر قيادة الحزب، كان له إشراف شامل، لكن غير مباشر على الحزب، لدرجة أنهم قالوا: «كان السيد الصدر رحمته الله الأب الذي يرفع حركة الدعوة ومسيرتها الفكرية والسياسية».^(٢) من هنا كان يدعم الحزب ويحث على الانضمام إليه ومساعدته ويؤكد على التعاون معه. قال حسين بشيري:

«كنت في فترة حصار الشهيد الصدر، وتوجهت لزيارته، فحدثني قائلاً: من المستحيل أن يتحمل حزب الدعوة وحده عبء المقاومة المسلحة، لذلك على الناس أن يرافقه، وعلى عاتقكم أن تدعوا الناس للانضمام إليه».^(٣)

كتب علي أكبر محتشمي بور في مذكراته ما يلي:

«كان لهذا الحزب علاقات وثيقة وعضوية مع آية الله السيد محمد باقر الصدر، وكان يستفيد من توجيهاته ويعتبره زعيم الحزب».^(٤)

كان حزب الدعوة محل اهتمام خاص من الشهيد الصدر، وظل يعمل على ازدهاره وتطويره حتى وفاته. كما حرم في فتوى له الانفصال عن حزب الدعوة، في وقت كانت فيه حكومة البعث في العراق تبذل قصارى جهدها لتدميره.^(٥)

كانت أهمية القيادة الروحية والفكرية للشهيد الصدر على حزب الدعوة

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٤٠ نقلاً عن السيد الشوكي بتاريخ ٨ شعبان ١٤٠٧ هـ في طهران.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) صوت العراق، العدد ٧٦، تاريخ ٨ شعبان ١٤٠٨، من كلمة للسيد حسين الصدر.

(٤) علي أكبر محتشمي بور، خاطرات سيد علي أكبر محتشمي، ص ٤٥٧.

(٥) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٤٢.

بحيث كان يُشار إليه كأب روحي أو معنوي للحزب والدعوة. «الأب الروحي للدعوة الإسلامية».^(١)

على سبيل المثال، كتب أحد الباحثين في هذا الصدد:

«الإمام الصدر، هو الأب الروحي للدعوة الإسلامية... ومؤسس الفكر الثوري في النجف الأشرف، ومنشئ الحركة الإسلامية الكبرى في العراق... ومقدم فكرة القيادة المرجعية».^(٢)

بشكل عام، يبيّن هذا النقاش من جهة الاهتمام العميق والتأكيد الذي كان يوليه الشهيد الصدر لتشكيل تنظيم سياسي وإنشاء حزب سياسي من أجل تحقيق الأهداف الإسلامية، ومن جهة أخرى يشير إلى إشرافه ودعمه الكامل لحزب الدعوة الإسلامية.

كما أن مبدأ «الدعوة» كان مسألة أساسية وحاسمة بالنسبة للشهيد الصدر من أجل تحقيق الرسالة الإسلامية والإنسانية، بحيث لا يمكن تحقيق هذه الرسالة بدونه.

ذكر السيد محمود الهاشمي أن الشهيد الصدر قال لنا: «أوصيكم بالدعوة خيرًا فإنها أمل الأمة».^(٣)

حزب الدعوة: الأهداف، الهيكل، الخصائص

بعد مرور أكثر من ٤٠ عامًا، يُعتبر حزب الدعوة اليوم واحدًا من أهم الأحزاب الشيعية المقاتلة في العراق. كتب الدكتور دكمجيان حول هذا الحزب واستمرار نضاله قائلاً:

(١) مثلاً أنظر: حسين علاوي، حزب الدعوة الإسلامية، إشكاليه الصراع، صص ٥٤ - ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٤.

(٣) لواء الصدر، العدد ١٤٤، ٩ نيسان ١٩٨٤.

«أما الجماعة الثورية الأكثر تقدمية فكانت «حزب الدعوة الإسلامية»، الذي كان يُعدّ النواة الأساسية للمقاومة الشيعية... كان الدعوة حزباً كبيراً، يقوده رجال دين متعلمون شباب، وكانوا يستفيدون من القيادة الفكرية لأبرز مجتهد في العراق، محمد باقر الصدر... وعلى الرغم من ذلك، يظل حزب الدعوة أقوى حركة شيعية في العراق»^(١).

أما أهداف حزب الدعوة الإسلامية فهي باختصار كالتالي:

١. إدخال الإسلام في الحياة الاجتماعية بشكل كامل وشامل، ليس فقط في العراق، ولكن على مستوى العالم، وتنفيذ جميع جوانب الإسلام، خاصة في مجال الحكومة والسياسة.

٢. التحرك الفكري والعقائدي والثقافي من أجل إعداد الشعب لتحقيق هذه الأهداف.

٣. وضع خطة الحكومة الإسلامية والسعي لإقامتها، ومقاومة النظام البعثي.

٤. تحرير المجتمع من براثن التقليد والتعصب والخطيرة التي تحدّ من تقدمه وتطور رؤيته.

٥. التعليم والتدريب، وتنظيم وتعليم القوى الشابة والطاقات المهيأة لخدمة الأهداف الإسلامية.

أساليب النضال للحزب

من أجل تحقيق أهدافه، وخاصة إقامة الحكومة الإسلامية، مرّ حزب

(١) هراير د كمجيان، المصدر نفسه، صص ٢٠٤ - ١٩٥؛ مجلة طريق الحق، نيسان/أبريل ١٩٨٢، صص ٣ - ٤.

الدعوة بأربع مراحل رئيسية:

١. مرحلة التغيير الفكري وزيادة وعي الناس، بالإضافة إلى إعداد أفراد متخصصين لقيادة الأمة، أي مرحلة تأسيس وعي فكري يوجّه مسار الحزب والمجتمع.

٢. مرحلة النضال السياسي والمقاومة العسكرية، أو المرحلة السياسية.

٣. مرحلة الوصول إلى السلطة وتأسيس الحكومة الإسلامية.

٤. مرحلة الرقابة والمراقبة: لضمان تنفيذ القوانين الإسلامية بشكل دقيق.^(١)

وفي بيان آخر، تم تصنيف مراحل الحزب الاستراتيجية كما يلي:

١. المرحلة الفكرية.

٢. المرحلة السياسية أو مرحلة النضال والجهاد السياسي.

٣. المرحلة الثورية (الثورية).

٤. المرحلة الحكومية (مرحلة الحكم).

وهذه المرحلة تتحقق من خلال أمرين سياسيين هما:

أ. تنفيذ مطالب الأمة وأحكام القيادة والحكومة.

ب. الاهتمام بتشكيل النظام الحكومي والاهتمام بشكل الحكومة في

الإسلام.^(٢)

تنظيم حزب الدعوة

يَتَّخِذ الهيكل التنظيمي للحزب شكلاً هرمياً، مع الأخذ في الاعتبار مبدأ

(١) حسين هدى و على رضا بهشتي، جنبشهای آزادیبخش، صص ١٤ - ١٢.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٨٥ - ٢٨٦؛ عادل اديب، المصدر نفسه، ص ١٥ و....

«التنظيم الخيطي»^(١) - وذلك من أجل الحفاظ على سرية الأفراد في الحزب، وخاصة المسؤولين رفيعي المستوى. تبدأ إدارة التخطيط داخل الحزب من القاعدة، ثم تتصاعد في الهيكل الهرمي حتى تصل إلى القمة.

كان هيكل الحزب في فترة حياة الشهيد الصدر - وخاصة في بداية نشاطه - يتكون من الأقسام التالية:

١. القيادة الفكرية للحزب: كانت هذه المسؤولية تقع على عاتق الشهيد الصدر أو الأشخاص الذين تم تعيينهم من قبله كتابيًا للقيام بهذا الدور، مثل السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، السيد مرتضى العسكري، الشيخ محمد مهدي الآصفي، والشيخ عبد الهادي الفضلي.

٢. القيادة التنظيمية: كانت القيادة التنظيمية موزعة بين بغداد والنجف. في بغداد محمد هادي السبيتي وعبد الصاحب، وفي النجف السيد مهدي الحكيم والشيخ عارف البصري.

٣. الهيئة التحريرية السرية:

٤. لجنة العلاقات العامة: كانت هذه اللجنة مسؤولة عن التواصل مع المرجعية الدينية والجهاديين، والعلماء، والأشخاص المهمين. كانت تتكون من السيد مرتضى العسكري، والسيد مهدي الحكيم، وعبد الصاحب الدخيل.

٥. لجنة التواصل مع الحركات الأخرى: كانت مهمتها التنسيق والتواصل مع الحركات السياسية أو الاجتماعية الأخرى. وكان أعضاؤها الشيخ عارف البصري والشيخ عبد الهادي الفضلي.

(١) المقصود من «التنظيم الخيطي» ارتباط أفراد المنظمة وفقًا للتشكيلات الإدارية وعدم ارتباط الخلايا فيما بينها.

٦. الهيئة المعنية بإعداد الأفكار: كانت هذه الهيئة مسؤولة عن إعداد الأفكار السياسية والفكرية للحزب. وكان أعضاؤها السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المهندس محمد هادي السيتي، والشيخ عبد الهادي الفضلي.^(١)

كما كان لحزب الدعوة الإسلامي ثلاث هيئات هي على النحو التالي:

١. هيئة الفقهاء: وهي مسؤولة عن مراقبة القضايا الفكرية والسياسية والعملية للحزب. وكانت تعمل وفقاً لإيمان الحزب بولاية الفقيه وأحكام الشريعة الإسلامية.

٢. الهيئة العامة: وهي مسؤولة عن إدارة الحزب بشكل مباشر أو من خلال هيئات حزبية.

٣. الهيئة التنفيذية: وكانت تُشرف على جميع القضايا التنفيذية داخل الحزب، ومسؤولة عن تنفيذ السياسات والقرارات التي يتخذها الحزب. بعد الهيئة التنفيذية توجد لجان في المناطق المختلفة، وفي المستويات الأدنى منها، توجد اللجان الخاصة والفرق الحزبية.^(٢)

بالإضافة إلى ذلك، كانت للحزب مكاتب متعددة في دول المنطقة، وتنظيمات في أوروبا وأمريكا وبعض المجتمعات الأخرى. أما الناطق الرسمي أو الزعيم الحالي للحزب فهو محمد مهدي الآصفي، وأجهزته الإعلامية تشمل مجلة «الجهاد». يشكل الحزب معظم أعضائه من رجال الدين المقاومين، والمثقفين، والشباب المؤمنين، والطلاب، وغيرهم.

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) حسين هدى و على رضا بهشتي، المصدر نفسه، صص ١٤ - ١٢.

يتمتع الحزب أيضًا بعلاقات صداقة وثيقة مع الحركات الإسلامية ومنظمات التحرير الأخرى.

علاقات حزب الدعوة مع جمهورية إيران الإسلامية^(١)

كان حزب الدعوة في دفاعه عن الثورة الإسلامية الإيرانية ومرافقته لها، وكذلك في تعاونه مع مشروعاتها وأنشطتها، صريحًا جدًا. وكان الحزب، استنادًا إلى مواقف وأفكار الشهيد محمد باقر الصدر حول الثورة الإسلامية، يتبنى مواقف مؤيدة وداعمة بشكل كامل. وبناءً على ذلك، كان حزب الدعوة يحرص على نشر العديد من وجهات نظره ومواقفه التي تؤكد تضامنه مع الثورة.

كان «رأي الشهيد الصدر بشأن الثورة الإيرانية» له صدى واسع في صفوف حزب الدعوة، وبشكل عام في صفوف الشيعة العرب. خاصة قوله الشهيرة التي مفادها: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام». كما أن مراسلاته مع الإمام الخميني بعد انتصار الثورة في عام ١٩٧٩م كانت لها انعكاسات واسعة في صفوف الحزب.^(٢)

وفي أحد النصوص الخاصة بحزب الدعوة، ورد ما يلي:

«من نعم الله الكبرى على الثورة الإسلامية، القيادة الحكيمة للإمام، حيث استطاع الإمام في مراحل الثورة الصعبة، وبقيادته الحكيمة، وقوته في الإرادة، وثقته العجيبة بالله، أن يتجاوز الصعوبات. جمع هذه الصفات في شخص واحد كان من خصائص الإمام الخميني، وقد أمد الله بالعون لقيادة

(١) ذكرنا هذا الموضوع نقلاً عن المصدر التالي بتصرّف: عادل اديب و سيد حسين موسى، حزب الدعوة اسلامى عراق، ٧٦ - ٧٠.

(٢) فؤاد ابراهيم، الفقيه والدولة، الفكر السياسى الشيعى، ص ٣٤٥.

هذه الثورة وعبور مراحلها الصعبة».^(١)

بالإضافة إلى هذه المواقف، شارك بعض عناصر حزب الدعوة الدولة الإسلامية في نضالها ضد أعدائها. لكن الاحتمال بوجود تباين أو خلافات في شكل بعض الأزمات بين حزب الدعوة والثورة الإسلامية الإيرانية، لا يعود إلى مواقف عامة أو علنية للحزب تجاه الثورة، بل إلى وجود اختلافات فكرية بشأن قضية القيادة، وبالتحديد في موضوع الحكومة والإيمان النظري والعملي بولاية الفقيه، وكذلك في ما يخص الاستراتيجية التي يتبعها حزب الدعوة.

يرى البعض أنه لو لم يتردد حزب الدعوة في الانصهار في الثورة الإسلامية الإيرانية، لكان بإمكانه أن يظهر كـ «حزب جديد» بتشكيل غير معلن. في حين أن قيادة حزب الدعوة كانت قد صرحت بشأن مشروع المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق - تحت قيادة الثورة الإسلامية الإيرانية - بقولها:

«كان هذا المجلس بوصفه إطار شامل للإسلاميين أحد أهداف حزب الدعوة ومطالباته، وكان أيضًا أحد اقتراحاته. وقد تعامل الحزب بشكل إيجابي مع هذا الصيغة. بل إن مكتب تنفيذ هذا المشروع كان تحت إدارة حزب الدعوة. لكن (لاحقًا)، تم تغيير النظام الداخلي للمجلس الأعلى ليصبح حزبًا يسعى لطرد الأحزاب الأخرى ليحل محلها».^(٢)

قبل أن يكون حزب الدعوة معارضًا لقيادة المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، كان قد عارض السيد مهدي الهاشمي، حيث كان الحزب يعتقد أن الأخير كان يسعى لإبعاد حزب الدعوة عن المشاركة في الساحة السياسية ودعم الثورة الإسلامية الإيرانية، وكان يحاول استبداله

(١) ثقافة الدعوة الإسلامية، حزب الدعوة، بخش سیاسی (٢)، ص ٢٨٨.

(٢) عادل اديب و موسوی، المصدر نفسه، صص ٧٣ - ٧٢.

بتنظيم «المقاومة الإسلامية العراقية»، ومن ثم سحب هذا التنظيم ليصبح واجهة للحركة الإسلامية في العراق، لأنه كان مسؤولاً عن الحركات التحررية. لكن بعد انتهاء فترة السيد مهدي الهاشمي، انتهت بعض الصراعات السلبية بين الطرفين.

على أي حال، يرى حزب الدعوة أن آلية العلاقات مع الدولة الإيرانية وولاية الفقيه في المرحلة الحالية «يجب أن تُمارس من خلال لجنة القيادة التابعة لحزب الدعوة مع ولاية الفقيه، أي مع آية الله الخامني»^(١) لأن هذه الصيغة يمكن أن تجسد العلاقة مع ولاية الفقيه كأساس نظري لمفهوم ولاية الفقيه، وتجسد أيضاً آلية العلاقة الميدانية مع القيادة السياسية، بالإضافة إلى تجنب بعض المشاكل التي نشأت بعد انتصار الثورة الإسلامية، وبعد ذلك في العلاقة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

وبخلاف ما يعتقد البعض، لا يوجد أي دليل أو مسألة تتعلق بـ «ضرورة صمت آية الله الصدر تجاه حركة آية الله الخميني في النجف الأشرف»^(٢)، بل الواقع كان بخلاف ذلك. بعد استشهاد آية الله الصدر، أثرت الصراعات الموجودة بين القوى الإسلامية في العراق على علاقات حزب الدعوة مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية. كانت هذه الصراعات في بعض الأحيان تظهر على شكل معلومات مجهولة المصدر، والتي كانت تنشرها بعض الصحف.^(٣)

مع ذلك، سعى حزب الدعوة من خلال هذه العلاقات إلى الدفاع عن

(١) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(٢) فؤاد إبراهيم، المصدر نفسه، ص ٣٤٥.

(٣) أنظر: مجله الشراع، ٨١٠.

شرعية النشاط الحزبي ضد أولئك الذين شككوا في شرعيته.^(١) كما تجنب حزب الدعوة الصراع مع نظرية «حزب الله»، وعمل على تنظيم علاقاته مع ولاية الفقيه بشكل نظري ومحدد الإطار. كما عارض حزب الدعوة المحاولات التي كانت تهدف إلى إلغاء خصوصيته كحركة مبدعة وواعية في العراق. بالإضافة إلى ذلك، أبدى الحزب حساسية خاصة تجاه السياسات التي تهدف إلى تعزيز موقع الضعفاء على حساب الأطراف القوية.

وأيضاً، كان الحزب يتفاعل مع السياسات التي قد تستخدم لإضعاف جوهره وأهدافه الأساسية. من هنا، يبدو أن حزب الدعوة في النهاية قد تمكن من اجتياز الطريق الصعب لتثبيت نموذج لعلاقاته مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مما مهد له الطريق للحصول على الدعم الكامل من أعلى سلطة إسلامية في إيران، وهو مقام ولي الفقيه، آية الله الخامني.^(٢)

(١) عادل اديب و موسى، المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٥ نقلاً عن: مجله الشراع، العدد ٨١٠، كانون الأول/ديسمبر ١٩٩٧ أن آية الله الخامني قال: «حزب الدعوة أفضل حزب إسلامي عرفته في حياتي».

الفصل الثامن : الشهيد الصدر والأمة الإسلامية

المقدمة

لم يكن الشهيد الصدر يقتصر في جهوده السياسية على العراق والمجتمع الشيعي فقط، بل كان يشعر بانتماء شامل لجميع شعوب العالم، وخاصة المسلمين، لأن تفكيره عالمي وإنساني. ما كان يهيمه بشكل أساسي هو «الإنسان» و«كينونته» في اتجاه الوصول إلى «السعادة» الحقيقية في الدنيا والآخرة. في نظره، لم تكن الحدود الجغرافية عائقاً أمام تحقيق هذا الهدف. ربما كان من الأسباب التي جعلته يبرز على مستوى الأمة الإسلامية، بل وعلى مستوى عالمي، هو امتلاكه هذا النوع من النظرة والسلوك. لذلك، كان مخاطبوه في أغلب الأحيان جميع البشر.

إن دراسة أعماله المكتوبة، مثل فلسفتنا واقتصادنا والمدرسة الإسلامية، تؤكد أن خطابه كان عالمياً وشاملاً. ومع ذلك، كانت تأكيداته على الأمة الإسلامية لأن الأمة الإسلامية تحمل رسالة خاصة بها يمكن أن تحدث تحولاً حقيقياً في عالم اليوم من خلال اليقظة والثورة.

وقد تناول هذا الموضوع بشكل دقيق في كتاب المدرسة الإسلامية وفي مقدمة فلسفتنا. على سبيل المثال، أشار إلى أن العالم اليوم يعاني من أزمة أساسية، وهي أزمة في غياب النظام السياسي-الاجتماعي، الذي ينبع من أزمة فكرية ونظرية في العالم المعاصر. وعلاج هذه الأزمة يكمن في تغيير رؤية وطريقة تفكير الإنسان المعاصر تجاه العالم والإنسان. لكن هذا التغيير بحاجة إلى أسس، أحدها:

«الحاجة الملحة إلى رؤية سياسية صحيحة تنبع من تغيير حقيقي في الحياة، بحيث يمكنها حل أزمة الإنسانية الكبرى، وتستبدل الاستغلال والتسخير بالسلام والرخاء من جديد...»^(١).

بالإضافة إلى ذلك، يجب أن تتماشى هذه الرؤية مع غرائز الإنسان وطاقاته وعواطفه وميوله واحتياجاته، ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار المعايير الأخلاقية والروحية له، وتستطيع أن تخلق علاقة متناغمة ومتوازنة بين الدوافع الفطرية والقيم والمصالح الاجتماعية.^(٢)

في نظر الشهيد الصدر، يتمتع الدين الإسلامي بخصائص فريدة، وهذه هي رسالة الأمة الإسلامية أولاً: أن تسعى نحو معرفة دينها بشكل صحيح، وثانياً: أن تمارس هذه المعرفة لتحقيق أهدافه من خلال «الدعوة» إلى باقي البشر في العالم. لهذا السبب، اعتبر الشهيد الصدر أن «الأمة الإسلامية» هي أهم مخاطب، وبالتالي لم يكن يركز رؤيته وسلوكه على العراق والشيعة فقط. لذلك، سنقدم هنا بإيجاز بعض الأمثلة على رؤيته العالمية وجهوده في ربط الأمة الإسلامية ببعضها البعض، بما في ذلك المسلمين خارج العراق.

الأمة الإسلامية من وجهة نظر الشهيد الصدر

من جانب، بدأ الشهيد الصدر مسعى واسعاً لتحقيق مفهوم الأمة الإسلامية بمعناه الحقيقي، ومن جانب آخر، سعى لإظهار اهتمام خاص بجزء من الأمة الإسلامية وارتباطها الروحي والعاطفي ببعضها البعض، وذلك من أجل تمهيد الطريق لوحدة الأمة وتوحيد أجزائها المتفرقة. كما كان يسعى أيضاً

(١) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية، صص ٨٥ - ٨٤.

(٢) أنظر: محمد حسين جمشيدى، اندیشه سیاسی شهید رابع امام سيد محمد باقر صدر، ص ٩٢.

إلى إيقاظ الأمة وتعريف أفرادها برسالتهم الأساسية، لأن الأمة في نظره تتشكل على أساس «الأهداف والمعتقدات والأفكار المشتركة»،^(١) وما يمنحها الوجود الحقيقي والمعنى هو «العمل الاجتماعي أو وجه الأمة (العمل ثلاثي الأبعاد)»، الذي يتضمن، بالإضافة إلى السبب والهدف، موجات أو أسباب التأثير المحيطي أيضًا.^(٢)

وهذا العمل الاجتماعي أو التواجد في الساحة السياسية هو الذي يشكل «الوجه الاجتماعي للأفراد» ويؤسس الأمة التي تشترك في مصير واحد، بل حتى في الأجل والحساب المشترك (الكتاب المعلوم). وقد كتب الشهيد الصدر في بيان مصير الأمة المشترك ومخططها المشترك قائلاً:

«هذه الرسالة العملية ليست كتاب تاريخ الطبري الذي يسجل جميع الحوادث الطبيعية والفزيائية، بل هذا الكتاب هو مجرد «رسائل وأدوار الأعمال» التي هي نتاج العمل المباشر للأفراد. ما تفعله الأمة هو عمل هادف ذو تأثيرات، بحيث أن (القرآن الكريم) قد نسب العمل إلى الأمة، وتكون الأمة مسؤولة عن سجلات أعمالها.»^(٣)

هذا الموضوع يشير إلى أن المعيار الأساسي لفهم مفهوم الأمة الإسلامية في رؤية الشهيد الصدر وسيرته هو «المصير المشترك» و«السلوك الجمعي المشترك». وهذا مفهوم يمكن أن يجعل الكيان الجماعي يدرك «العمل الجماعي» الخاص به، ويحدد رسالته الجماعية ويوضح مسارها. ولذلك، فإن اهتمامه

(١) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٢) المصدر نفسه، صص ٨٩ - ٨٨.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، صص ٩٥ - ٨٩؛ تفسير موضوعي ستهای تاریخ در قرآن، صص ١٥٧ - ١٥١.

بأجزاء الأمة الإسلامية يأتي في نفس السياق. فهو، من وجهة نظره، يرى أن ما يحدث في إيران والعراق وفلسطين ولبنان وأفغانستان وبقية الأراضي الإسلامية، جميعها أجزاء لظاهرة واحدة، نتيجة لأداء الأمة الإسلامية ككل أو لتفاعل المجتمع الإسلامي بكامله. لذلك، فإن الأمة ككل مسؤولة عن هذه الأحداث. وهذه الرؤية هي التي تدفعه إلى إيلاء اهتمام خاص لكل جزء من الأمة كما يولي اهتمامه «بالكل».

لذلك، كما كان يوجه اهتمامه إلى وطنه العراق، كان يفكر أيضًا في إيران وباكستان وأفغانستان وفي بقية الدول الإسلامية، ويعمل من أجل تحرير شعوب هذه البلدان أيضًا.

لم يكن اقليمى التفكير يومًا ما، بل كان يُروِّض نفسه للتفكير في شعوب البلاد الإسلامية كتفكيره بشعب العراق.^(١)

وقال:

«لكن عندما يكون همي لله سبحانه وتعالى، وعندما يكون همي أن أريد أن يُعبد الله على الأرض وأريد أن لا يخرج الناس من دين الله جماعات جماعات، فإن همي في هذه الحالة يتجاوز حدود العراق وإيران وباكستان. فعندما أعيش من أجل مصالح الإسلام، أتصرف بنفس الطريقة حيال الخطر الذي يهدد الإسلام، دون أن أميز بين العراق وإيران وباكستان وسائر أراضي العالم الإسلامي.»^(٢)

المهم في فكر الشهيد الصدر هو أن مفهوم الأمة في رؤيته لا يقتصر فقط

(١) محمد الحسيني، الامام الشهيد محمد باقر الصدر، دراسة في سيرته و منهجه، ص ٢٥٥.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المحنة، ص ٤٩.

على الجغرافيا أو المحيط. بالرغم من أنَّ معاني الأمة في العصر الراهن تشمل «الوطن» و«الحدود الجغرافية»، إلا أن الشهيد الصدر ذهب إلى أبعد من ذلك ليعطي الأمة الإسلامية طابعاً اعتقادياً، وواقعياً، وسياسياً. بمعنى آخر، اعتبر أن الأمة الإسلامية ليست مجرد تجمع للناس، بل عبارة عن «حضور سياسي للأفراد ذوي العقائد والآمال المشتركة في المجال السياسي المجتمعي». وبالتالي، فإنَّه بالإضافة إلى تجمع عدد من الأفراد يحملون مجموعة من الأفكار والمعتقدات المشتركة^(١) يؤكِّد على عنصر رئيسي وهو القبول بالمسؤولية الإلهية على الأرض.^(٢)

بالنسبة للشهيد الصدر، كان يتحتم على الأمة الإسلامية أن تتحمل المسؤولية على الأرض بما يتناسب مع مفهوم «الخلافة الإلهية» أو «النيابة الإلهية»، أي دور الإنسان في إعمار الأرض وتحقيق العدالة الاجتماعية وفقاً لمبادئ الإسلام.

وفي هذا السياق، يوضح الشهيد الصدر أن الأمة الإسلامية ليست مجرد تجمع عشوائي للعدد الكبير من المسلمين. بل هي مجموعة مسؤولة، ذات هدف ومصير مشترك، تنبثق من إيمانها بالله، واهتمامها بتحقيق القيم الإسلامية على الأرض.^(٣) وهو يوضح أن الأمة الإسلامية الحقيقية هي تلك التي تتحمل مسؤوليتها السياسية والاجتماعية مشيراً إلى مفهوم الأمة الوسطية والعدالة الوارد في الآية ١١٠ من سورة آل عمران ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

(١) المؤلف نفسه، المدرسة القرآنية، صص ٥٧ - ٥٦؛ مقدماتي در تفسير موضوعی قرآن، ج ١، ترجمه شاکر شاهدی، ص ٣٩.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ١٩٣؛ منابع القدرة فی الدولة الاسلامیه، صص ٣٠ - ٢٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٣؛ المصدر نفسه، صص ٣٠ - ٢٩.

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ». ولذا، من لا يشارك في هذا الجهد لتحقيق «الخلافة العامة للبشر على الأرض»، ويغيب عن الإحساس بالمسؤولية تجاه البشرية والعالم الإسلامي، لا يمكن أن يُعد جزءاً من الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة.

بناءً على هذه المعايير، يمكننا أن نستنتج أن الشهيد الصدر كان يرى أن الأمة الإسلامية ليست فقط قضية جغرافية أو بيئية، بل هي قضية روحية ووجودية، تعتمد على تفاعل أفرادها مع بعضهم البعض، وعلى إدراكهم لمسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه العالم.

إذن، العناصر المهمة في هذا السياق عبارة عن: ١. وجود التجمع العددي للمسلمين، ٢. العقائد والأفكار المشتركة، ٣. الآمال والأهداف المشتركة، ٤. القبول بمسؤولية الخلافة على الأرض، أو ولوج ميدان السياسة والسعي للقيام بدور والمشاركة الفعالة في إدارة المصير المشترك بالتعاون مع الآخرين، أو القبول بالمشاركة السياسية والاجتماعية.

على هذا الأساس يمكن القول أنه من وجهة نظر الشهيد:

الذين لا يخطون باتجاه تحقيق الخلافة العامة للإنسان على الأرض ولا يشعرون بالمسؤولية لا يتسنّى في ضوء هذا التعريف دمجهم في دائرة الأمة الإسلامية بالمعنى الحقيقي للكلمة.^(١)

على الرغم من أن هؤلاء الأفراد يُعتبرون جزءاً من المسلمين والأمة الإسلامية حسب مفهوم شهادة التوحيد والنبوة، فإن هذه المسؤولية السياسية المهمة، بحسب الشهيد الصدر، تتضمن بعدين داخلي وخارجي. هذا يعني أن

(١) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ٢٤٦.

الأمة الإسلامية وكل فرد من هذه المجموعة الفكرية - السياسية يحمل مسؤولية داخلية، تتمثل في تحويل العقيدة إلى نشاط سياسي واجتماعي بناءً،^(١) وأيضاً يحملون مسؤولية خارجية تجاه باقي شعوب العالم، أي مسؤولية تجاه الإنسانية والوجود بأسره.

وكتب الشهيد الصدر بهذا الشأن:

«إن الأمة الإسلامية في العالم الخارجي مسؤولة أيضاً تجاه جميع العوالم، لأنها «الأمة الوسط» و «شاهد» على هذا (الوجود).»^(٢)

تحقيق هذين النوعين من المسؤولية يشير إلى أن الأمة الإسلامية يمكن أن تتشكل بمعناها الحقيقي. وإذا لم تتحقق أي من هاتين المسؤوليتين، سواء الداخلية أو الخارجية، من قبل المسلمين أو المجتمعات الإسلامية، فلا يمكن لـ «الأمة الإسلامية» بالمعنى الصحيح أن تتشكل. وعبر الشهيد الصدر عن هذه النقطة بوضوح قائلاً:

«إذا لم يلتفت المسلمون إلى هاتين المسؤوليتين الداخلية والخارجية، فإنهم لن يشكلوا «الأمة الإسلامية» بمعناها الصحيح، وحتى لو لم يجد الإسلام مكاناً في جميع جوانب الحياة ليكون أساساً للقيادة في تحقيق هذين الواجبين، فلن يكون بإمكاننا العثور على رسالته في الحياة بشكل صحيح.»^(٣)

إذن، عناصر تشكيل الأمة الإسلامية من وجهة نظر الشهيد الصدر هي كالتالي:

(١) المصدر نفسه.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ١٩٤؛ منابع القدرة في الدولة الاسلامية، صص ٣١ - ٣٠؛ سرچشمه های قدرت در حكومت اسلامي، صص ٢٨ - ٢٧.

(٣) المؤلف نفسه، الاسلام يقود الحياة، ص ١٩٤.

١. الناس أو مجموعة من الأفراد: إن الأمة تبدأ من تجمع بشري يعبر عن وجود مجموعة متماسكة.
٢. وجود الروابط والصلات: هذا يشمل النظم والمؤسسات، والعادات والتقاليد، والمراسم الخاصة التي تنشأ من هذه الروابط.
٣. الأفكار والعقائد: التي تشكل الأسس الفكرية لهذه الروابط والصلات.
٤. الآمال والأهداف المشتركة.
٥. الطاقات والإمكانات: التي هي العناصر الدافعة والفاعلة لهذه الروابط والعلاقات.
٦. الإحساس بالمسؤولية تجاه المصير العام والجماعي: الشعور بالمسؤولية تجاه الأمة ككل، والعمل من أجل الصالح العام.
٧. السعي لتحقيق المسؤولية المزدوجة الداخلية والخارجية: بما يشمل الدخول في الساحة السياسية والمشاركة في إدارة الحياة العامة، بالإضافة إلى أداء الدور القيادي الإلهي على الأرض.

خصائص الأمة الإسلامية من منظور الشهيد الصدر

أهم خصائص الأمة الإسلامية وفقاً لآراء وأفكار الشهيد الصدر يمكن تلخيصها كما يلي:

١. الخصيصة المعرفية:

يرى الشهيد الصدر أن الأمة الإسلامية تتكون من ثلاثة أبعاد معرفية رئيسية: العلماء (المراجع)، أهل العلم (الطلاب والدعاة)، وتوابع الأمة من

عامة الناس. من هنا، فإن الشهيد الصدر لا يحدد الأمة الإسلامية فقط من خلال عدد أفرادها أو مواقعهم، بل يرتبط هذا التحديد بمستوى معرفتهم ووعيهم. بناءً على هذا التوجه، يقدم الشهيد الصدر مفهوم «المرجعية الرشيدة، الحوزة الرشيدة، والأمة الرشيدة»، حيث يعتبر أن حضور الأفراد في الساحة الإسلامية ودرجة نضجهم الفكري هي مقياس رئيسي لانتمائهم الحقيقي إلى الأمة الإسلامية.

وفقاً للسيد صدر الدين القبانجي، في وصفه لمفهوم «الأمة الرشيدة» عند الشهيد الصدر، فقد كتب:

«الأمة الرشيدة - في رؤية سيدنا الشهيد (قدس سره) هي الأمة الواعية برسالتها من جهة، والمترابطة مع حاملي هذه الرسالة - أي علماء الدين - من جهة أخرى... فكلما كان ارتباط الأمة بعلمائها ومربيها أكبر، اقتربت من النمو والنجاح. أما إذا ابتعدت عنهم، أي عن أصحاب المعرفة والعلم، فإنها تبتعد عن مصدر النور وتقترب من الانحراف»^(١)

٢. الوحدة والانسجام المبني على التوحيد:

في نظر الشهيد الصدر، يحمل التوحيد مفهوماً عميقاً وواسعاً يتجاوز مجرد الاعتقاد بالله. إنه يشمل جميع جوانب حياة الإنسان الاجتماعية، والسياسية، والفردية. وهذا التوحيد هو الذي يحدد ويشكل وحدة الأمة الإسلامية وانسجامها الداخلي. يشمل التوحيد في هذه الحالة، ليس فقط الإيمان بالله، ولكن أيضاً التوحد في الأهداف والمبادئ والعمل الجماعي لتحقيق تلك المبادئ، ما يجعل الأمة الإسلامية قوة واحدة متكاملة.

(١) القبانجي، دور الشهيد الصدر في الحوزة العلمية، ص ٦.

٣. الحرية:

من أهم خصائص الأمة الإسلامية في فكر الشهيد الصدر هو مفهوم الحرية. بالنسبة له، الأمة الإسلامية «لا تقبل أي نوع من السلطة أو العوائق التي تحول دون تقدمها، وهي بعيدة عن الاستغلال سواء في صورة استغلال البشر للبشر أو استغلال القوى السياسية للموارد».^(١)

٤. المساواة والأخوة:

يرى الشهيد الصدر أن جميع البشر متساوون في كرامتهم الإنسانية، وأن هذا المبدأ يجب أن يطبق في جميع أنحاء العالم الإسلامي. بناءً على مبدأ الخلافة العامة للإنسان في الأرض، يعتبر أن «جميع الناس يجب أن يكونوا متساوين في الكرامة الإنسانية»^(٢) مشيرًا إلى أنه لا يمكن للأمة الإسلامية أن تتحقق بشكل كامل إلا إذا تم احترام هذه المساواة في جميع جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية. في هذا السياق، يجب أن تسود الأخوة والمساواة بين أفراد الأمة الإسلامية، ويتحقق التآخي بين المسلمين دون أي تفرقة.

٥- المسؤولية والأمانة وحمل الرسالة:

٦- الاستقلال، وعزة النفس، والاعتماد على الذات:

في نظر الشهيد الصدر، فإن الأمة الإسلامية يجب أن تعتمد على الله الواحد القهار فقط، وأن لا تقبل أي تبعية لأي قوة من القوى البشرية. وهذا

(١) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، خلافة الانسان و شهادة الانبياء، صص ١٢ - ١١؛ الاسلام يقود الحياة، صص ١٣٦ - ١٣٥.

الشعور بالاعتماد على الله وحده يؤدي إلى استقلال الأمة وعزتها وكرامتها وشعورها بالفخر والاعتزاز بنفسها. كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ المهم - الاستقلال وعزة النفس - في قوله تعالى: «وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا»^(١).

٧- الشهادة على المجتمعات الأخرى بمعنى القابلية للاقتداء والاتباع:

بمعنى أن هذه الأمة، في نياتها ومعتقداتها، وفي أقوالها وكلماتها، وفي أفعالها وسلوكياتها، تسلك على نحو يجعلها قدوة ومصدر إلهام للمجتمعات والجماعات والأمم والأحزاب الأخرى، فتكون شاهدة عليهم. وعلى هذا الأساس، فإن الأمة الإسلامية هي «مجتمع يهدي بخطواته وأفعاله ولا يتبع أو يقلد غيره»^(٢).

٨- الوسطية والاعتدال:

الوسطية، التوازن والاعتدال، والسير على الطريق المستقيم وخط العدالة من أهم خصائص الأمة الإسلامية. لذلك فهي في كل الأحوال بعيدة عن الصفات الذميمة كالإفراط والتفريط، وأعمالها تتسم بالحكمة والاعتدال.

٩- النظام والتنظيم في الأمور:

النظام والتنظيم وقابلية الترتيب والانتظام تعد من الخصائص البارزة للأمة الإسلامية

(١) النساء (٤): ١٤١.

(٢) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

١٠- التطور والتنمية:

كما تم الإشارة سابقاً، فإن الأمة الإسلامية بحسب رؤية الشهيد الصدر أمة رشيدة، بمعنى أنها في مسار التنمية والتطور الشامل، وتتمتع بترابط كامل وشامل مع الوعي والمعرفة.

١١- الخير والأفضلية:

استناداً إلى المعايير والخصائص السابقة، فإن هذه الأمة يمكن أن تُوصَف - كما ورد في القرآن الكريم - بأنها «خير أمة» أو الأمة الفضلى.

الوطن الإسلامي

في دراساته حول مفهوم «الوطن الإسلامي»، يرى الشهيد الصدر أن الحدود الجغرافية الحديثة في الأراضي الإسلامية هي حدود فرضها الاستعمار بهدف خلق الانقسامات والخلافات بين المسلمين، وكذلك لحماية مصالحه الخاصة ونهب ثروات المسلمين. هذه الحدود لا قيمة لها سوى في بعض الحالات الاستثنائية في العصر الحديث، وهي قيمة اعتبارية تتوقف على الظروف الحالية، وتُعتبر ضرورية فقط في حالات الاضطراب. ولكن إذا استطاعت الأمة الإسلامية أن تتوحد، فإنها يمكنها أن تدمر هذه الحدود وتُنشئ «وطناً إسلامياً واحداً».

الوطن الإسلامي له حدود، لكن هذه الحدود لا تحددها الجغرافيا أو القومية، بل العقيدة، والإيمان، والقبول بالمسؤولية كخلفاء الله على الأرض والسعي لتحقيق هذه المسؤولية. في تعريفه للوطن الإسلامي، يقول الشهيد الصدر:

«الوطن الإسلامي هو ما يسكنه المسلمون من أقطار العالم»^(١).

وبذلك يكون الوطن الإسلامي هو الأرض التي يسكن فيها المسلمون في مختلف أنحاء العالم.

هذا التعريف للوطن الإسلامي في نظر الشهيد الصدر يتماشى مع تعريف «دار الإسلام». في نظر العلماء المسلمين، يتم تقسيم الأراضي الإسلامية إلى نوعين من الأوطان:

١. دار الإسلام؛

٢. دار الكفر.

دار الإسلام هي المكان الذي يعيش فيه المسلمون، في حين أن دار الكفر هي الأراضي التي يسكنها الكفار والمشركون. ووفقاً للعلامة الحلي، تُقسم دار الإسلام إلى نوعين:

١. الأرض التي أنشأها المسلمون بأنفسهم، مثل الكوفة، والبصرة، وبغداد؛

٢. الأرض التي فرض المسلمون سلطتهم عليها، مثل المدائن والشام.^(٢)

أما دار الكفر، فيراها الشهيد الصدر تشمل نوعين من الأراضي:

١. الأرض التي لم تكن أبداً ملكاً للمسلمين، مثل بلاد الروم (بيزنطة)؛

٢. الأرض التي كانت تحت حكم المسلمين ولكن الكفار استولوا عليها

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسس الإسلامية، اساس رقم ٣؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه؛ ص ٣٤٠.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، ص ٣؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٣٤٠؛
العاملی، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٦٨.

بعد ذلك.^(١)

على الرغم من أن الوطن الإسلامي من الناحية القانونية والفقهية هو المكان الذي يقيم فيه المسلمون، غير أن هناك قضيتان رئيسيتان في السياق السياسي يجب النظر فيهما:

١. بعد توفر الوطن الإسلامي بالإضافة إلى الشعب المسلم وعلى ضوء حق الحاكمية وفقاً لنظرية الخلافة العامة للإنسان على الأرض، يجب أن يكون هناك تحقق لحكومة إسلامية في الوطن الإسلامي. وذلك يعني أن الحاكمية والسيادة في هذا الوطن يجب أن تكون جزءاً طبيعياً وضرورياً من تطور الأمة الإسلامية. لذلك، يُعتبر قيام حكومة إسلامية على هذا الوطن أمراً طبيعياً وضرورياً، ويُستمد هذا من عناصر ثلاثة أساسية: الأمة الإسلامية، الوطن الإسلامي، وحق الخلافة العامة للمؤمنين. وهذه الفكرة لا علاقة لها بالحدود الجغرافية أو السياسية التي قد تكون مفروضة من قبل القوى الخارجية. وبالتالي، يكون الوطن الإسلامي هو المكان الذي يمكن أن يتم فيه تطبيق حكم الله على الأرض عبر تطبيق الشريعة الإسلامية.

٢. الوطن الإسلامي وفقاً لظروف الزمان والمكان: بالنظر إلى متطلبات العصر، يمكن أن تكون للوطن الإسلامي حدوداً جغرافية، وتقتصر على مناطق معينة. ويُحدد إطار هذه الحدود استناداً إلى العرف السليم والعقل السليم، رغم أن ذلك لا ينفي القاعدة العامة التي تم ذكرها سابقاً حول «الوطن الإسلامي». وهذا يشير إلى أن دول العالم الإسلامي يمكن أن تُحدد حسب الحدود الجغرافية ولكن هذا التحديد لا يُلغي القاعدة العامة التي تؤكد أن الوطن الإسلامي هو مجموعة من الأماكن التي يسكنها المسلمون. كما يمكن بناء دولة إسلامية ضمن حدود

(١) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

جغرافية خاصة، ويمكن تصور أن الدولة الإسلامية قد تقتصر في مرحلة معينة على جزء من الوطن الإسلامي، أي دار الإسلام. في هذه الحالة، يمكن قبول الواقع الدولي الحالي والظروف المحيطة به من باب الضرورة حتى تتحقق الظروف المثلى في المستقبل. ومن هذا المنطلق، يُعتبر دفاع المسلم عن كل جزء من الوطن الإسلامي أمراً لازماً وضرورياً، خاصة في وقتنا الحالي الذي تشكل فيه هذه الأراضي تحت مفهوم «الدول-الأمم» التي تمثل تقسيمات جغرافية ودولية معترف بها دولياً. إذ لا يمكن للمسلمين التراجع عن هذه المسؤولية الدفاعية تجاه الأراضي الإسلامية مهما كانت الظروف.

الترعة القومية في فكر الشهيد الصدر

بالنظر إلى ما تم مناقشته، يعارض الشهيد الصدر القومية بالمعنى السلبي للكلمة، حيث يرى أن هذه المفاهيم تتعلق بالتقوقع والانحصار داخل حدود جغرافية معينة، دون النظر إلى رسالة الأمة الإسلامية والوطن الإسلامي. ويعتبر هذا النوع من القومية خطراً على الوحدة الشاملة للعالم الإسلامي وتهديداً لوحدة الأمة الإسلامية، لأنه يتجاهل أبعاد الهوية الإسلامية العامة التي يجب أن تجمع الأمة تحت راية واحدة.

يؤكد الشهيد الصدر على ضرورة إقامة عالم الأمة الإسلامية واستعادة حضورها في الساحة العالمية.^(١) يبرز في هذا السياق أن المسألة الجوهرية لا تكمن في القوميات المختلفة أو العالم الإسلامي بشكل عام، بل تكمن في الأمة التي يجب أن تُبنى هويتها ووجودها على أساس الإسلام. ومن هنا، يشدد على أن الأمة الإسلامية يجب أن تركز هويتها على الإسلام لكي تتمكن من تحقيق السعادة في

(١) السيد محمد باقر الصدر، از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٧.

الدنيا والآخرة، وتفتح أبواب البركات والخيرات للأرض والسماء.^(١)

يرى الشهيد الصدر أن النزعة القومية السلبية هي تهديد خطير للأمة الإسلامية، لأنها تؤدي إلى تفتيت العالم الإسلامي وفتح المجال للغزاة الأجانب للتسلط على المجتمع الإسلامي. في مقابل ذلك، يطرح الشهيد الصدر النزعة القومية الإيجابية، التي يراها دفاعاً عن الحقوق الإنسانية الجمعية ضمن حدود جغرافية معينة، وهي أمر مشروع. ومع ذلك، يشير إلى أن هذه القومية ليست هدفاً أساسياً بحد ذاتها، بل هي أداة لتحقيق الهدف الأكبر وهو إقامة الأمة الإسلامية بمفهومها الحقيقي، المبني على أساس الإسلام.

بناءً على هذا الفهم، يُمكن القول أن فكر الشهيد الصدر لا يحتوي على أي نزعة قومية ضيقة أو طائفية أو قبلية. فكل ما يهيمه هو الفكر العام الذي يخص مصلحة المسلمين جميعاً،^(٢) ويسعى لرفعة الأمة الإسلامية.

وفيما يتعلق بالسياسة الخارجية للدولة الإسلامية، يؤكد الشهيد الصدر على أن الدولة الإسلامية يجب أن تبني مصلحة الإسلام في علاقاتها مع الدول الأخرى. فكتب قائلاً:

«في السياسة الخارجية، يجب على الدولة الإسلامية أن تتعامل مع كل الاتفاقيات والعلاقات الدولية بناءً على المصلحة الإسلامية».^(٣)

الشهيد الصدر وفلسطين

«فلسطين بالنسبة للمسلمين هي أرض تثير في قلوبهم الألم والحزن

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٢) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، الاسس الإسلامية، ص ١٠؛ العامل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٧.

بسبب مصيرها ووضعها الحالي، وهي تمثل علامة على الظلم وغياب العدالة في العالم المعاصر. وقد اهتم الشهيد الصدر بفلسطين من خلال نظراته الفكرية وعمله على حد سواء، حيث اعتبرها قضية حيوية وأساسية. من وجهة نظره، كانت قضية فلسطين قضية إسلامية وإنسانية، تتعلق بالشرف والحرية والعدالة. ذلك أن الوضع في فلسطين لا يتضمن سوى الظلم وغياب الحقوق الإنسانية لشعب من الشعوب. ولذلك، فإن القضية الفلسطينية ليست مسألة خاصة بالشعب الفلسطيني أو العرب فقط، بل هي قضية تتعلق بالإنسان والإسلام. وقد قال الشهيد الصدر في هذا الشأن:

... واليوم، بينما المسلمون يعانون من التفرق والانقسام، وتشتت قلوبهم وعقولهم، في قلب العالم الإسلامي، في فلسطين، هناك مجموعة من الأفراد الذين لا وطن لهم، ولا لغة ولا ثقافة ولا عادات مشتركة، وهم أفراد من مختلف قارات العالم جمعوا هنا، مطالبين بتشكيل أمة مستقلة لهم... هؤلاء هم اليهود. وهم مصممون على تحقيق هدفهم... وتجربة اليهود هذه في مقابل وجهة نظر المسلمين، فهم يسمعون صرخاتهم بأذانهم، وفي أرض من أراضي الإسلام التي احتلها اليهود... إذا لم يركز المسلمون وجودهم على الإسلام، ولم يستلهموا حلول مشاكلهم من الإسلام... فسيكونوا لقمة سائغة لكل طامع، وهدفاً سهل المنال لكل مستعمر ظالم»^(١)

«عندما تعرض المسجد الأقصى لاعتداءات من قبل الصهاينة، حثّ الشهيد الصدر آية الله السيد محسن الحكيم على إصدار بيان يدين هذا العمل الوحشي، ويدعو المسلمين للضغط على حكوماتهم الخائنة لوقف مثل هذه الأعمال الوحشية. وفي وقت لاحق، ذهب الشهيد الصدر إلى لبنان وسعى

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، صص ٦١ - ٦٠؛ رسالت ما، صص ٥١ - ٥٠.

لإيصال رسالته إلى مؤتمر قمة الدول الإسلامية في هذا الشأن. كما كتب إلى أحد أصدقائه قائلاً:

«أكتب هذه الرسالة إليكم وأنا في حالة ألم لا يعادلها شيء بسبب حريق المسجد الأقصى؛ وأنا أفكر في إرسال ممثل لهذه القضية»^(١).

لقد أمضى فترة في لبنان حيث بذل قصارى جهده لتعزيز الوحدة والوعي بين أبناء الشعب المسلم في لبنان، وتحدث عن هيمنة الثقافة الغربية هناك، وأكد مراراً وتكراراً على ظلامه فلسطين.

لبنان وحركة أمل وحزب الله

«كان الشهيد الصدر يعتبر لبنان جزءاً مهماً وحساساً من الأمة الإسلامية ودار الإسلام، حيث كان أبنائه وشبابه المسلم مستعدين لمواجهة النظام الصهيوني، وكان ابن عمه الإمام موسى الصدر قد بدأ جهوده في هذا البلد لإيقاظ الناس وتوعيتهم. كان الشهيد الصدر على دراية بوضع لبنان وجهود الإمام موسى الصدر، الذي كان من مقلدي الشهيد الصدر، لأنه كان من مؤسسي حركة أمل وحزب الله. كتب شريف الحسيني في مقاله بعنوان «حزب الله» في مجلة الشراع:

«في أحد أيام صيف ١٩٦٩، التقى السيد موسى الصدر مع ثلاثة من شيوخ الشيعة في لبنان وهم الشيخ صبحي الطفيلي، الشيخ حسين كوراني، والشيخ حسن ملك، والذين درسوا العلوم الدينية في حوزة النجف، بالسيد محمد باقر الصدر في منزله في النجف بالعراق. كان السيد موسى الصدر يزور ابن عمه السيد باقر الصدر، أحد المراجع البارزين للشيعة في العالم، لكي يطلع

(١) القبانجي، الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر، ص ٣٥.

على الجهود الإسلامية في لبنان والأنشطة التي يقوم بها، لا سيما أنه تم إرساله إلى لبنان بناءً على طلب من السيد محسن الحكيم ومن بعده أبناء المرحوم السيد عبد الحسين شرف الدين للإشراف على شؤون الطائفة الشيعية هناك.^(١)

وتابع المؤلف قائلاً:

«... تم التوصل إلى اتفاق يقضي بأن يعود الإمام موسى الصدر مع الشيوخ الثلاثة المذكورين إلى لبنان لعقد جلسات سياسية وعقائدية للشباب الشيعة الذين كانوا شغوفين بسماع محاضرات الإمام موسى الصدر، ولتدريسهم كتب السيد محمد باقر الصدر «فلسفتنا» و«اقتصادنا»».^(٢)

في تلك الفترة، عاد كل من السيد محمد حسين فضل الله ومحمد مهدي شمس الدين أيضًا من العراق إلى لبنان. أسس السيد محمد حسين فضل الله في لبنان «جمعية الإخاء» وبدأ بتدريس كتب «فلسفتنا» و«اقتصادنا».

«مع تأسيس حزب الدعوة الإسلامية في العراق، تشكّل فرع له في لبنان عام ١٩٥٩ م، وتولى «الدعوة للقاء ستة من فقهاء مدرسة السيد محمد باقر الصدر».^(٣)

لم تمضِ إلا أشهر قليلة على هذا اللقاء وتحقق الاتفاق في منزل الشهيد الصدر حتى ظهرت خلافات في الرأي بين النشطاء السياسيين لحزب الدعوة وأتباع الإمام موسى الصدر، الذين كانوا جميعًا يتبعون توجيّهات الشهيد

(١) مجلة كيهان هوائى، فروردين ١٣٦٦، ص ٢٣، نقلًا عن شريف الحسينى، «حزب الله...» الشراع، ١٧ مارس ١٩٨٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٣. يحتمل أنه يقصد الفقهاء الستة أعلاه (الإمام موسى الصدر، السيد محمد حسين فضل الله، الشيخ محمد مهدي شمس الدين، الشيخ صبحي الطفيلي، الشيخ حسين الكوراني والشيخ حسن ملك).

الصدر. ركز حزب الدعوة على النهج الراديكالي ورفض حكم المسيحيين على المسلمين، في حين أن الإمام موسى الصدر، بناءً على المصلحة والحفاظ على كيان ووحدية لبنان، سعى لإقامة علاقات ودية مع المسيحيين ومنظماتهم بهدف كسب تأييدهم لمطالبه العادلة. وفي هذا السياق - واتباعاً لتعاليم الشهيد السيد محمد باقر الصدر - أسس حركة المحرومين. وبعد ذلك أسس جناحها العسكري باسم «أمل»، الذي اشتقت تسميته من الحروف الأولى لعبارة «أفواج المقاومة اللبنانية»، وهي أيضاً تعني الأمل، وكانت تحت قيادة مصطفى شمران. في عام ١٩٧٥ م، أكد حسين الحسيني في مقابلة صحفية على أهمية التدريب وحمل السلاح للحصول على الحقوق الفردية.

بعد تشكيل حركة أمل في لبنان، ذهب أحد أعضاء حزب الدعوة في ذلك البلد إلى العراق للقاء الشهيد الصدر للتعرف على رأيه تجاه أمل، لكن المفاوضات لم تسفر عن نتيجة حاسمة.^(١)

في هذه الأثناء، كانت نجاحات منظمة أمل بقيادة الإمام موسى الصدر أكبر، لدرجة أن أعضاء حزب الدعوة الذين شعروا بالعزلة في لبنان قرروا الانضمام إلى حركة أمل لنشر المفاهيم الإسلامية بين أعضائها. في الوقت نفسه، انتقل السيد محمد باقر الصدر إلى لبنان بسبب خلافه الشديد مع الحكومة العراقية وأقام في بلدة جباع الجنوبية. وقد تم التوصل إلى اتفاق في هذا الشأن، حيث تمكن أعضاء حزب الدعوة من الدخول إلى حركة أمل. وهذا الأمر يظهر اتباع كلا المجموعتين لتوجيهات الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

«سعت منظمة أمل وحزب الدعوة في جهودهما إلى تطوير الفكر الثوري الشيعي تحت إشراف ورؤية الشهيد الصدر. رغم الانقسام والانفصال بين

(١) المصدر نفسه.

المجموعتين، اعتبر كلاهما نفسه من أتباع الشهيد الصدر بطريقة أو بأخرى. عندما غادر الشهيد الصدر العراق متجهًا إلى لبنان احتجاجًا على سياسات نظام الحكم العراقي ودخل لبنان، أتيحت فرصة مناسبة لتوحيد المجموعتين، مما أدى، على الأرجح، إلى نشوء «حزب الله». ربما كان أحد نقاط الخلاف بين أمل وحزب الدعوة حول كيفية مواجهة نظام الحكم في لبنان، حيث استلهم أتباع حزب الدعوة في هذا البلد من حزب الدعوة في العراق - في مواجهته لنظام الحكم هناك - الذي لجأ إلى أنشطة عنيفة منذ عام ١٩٦٨ واعتبر «سياسات الحكومة غير الدينية معادية للإسلام».^(١)

نعم، سافر الشهيد الصدر إلى لبنان عام ١٩٦٩ م. جاءت هذه الرحلة احتجاجًا على تصرفات النظام إزاء النجف الأشرف والمرجعية الدينية، ودعمًا للمرجعية والحوزات العلمية في النجف الأشرف. خلال وجوده في لبنان، كتب رسالة إلى أحد أصدقائه جاء فيها:

«أكتب هذه الأسطر بعد إقامة كاملة لمدة أسبوعين في لبنان... ولكن بعض الأعمال التي تم إنجازها تشمل:

١ - رفض البيان وإدانة تعامل النظام العراقي من قبل حوالي أربعين من العلماء؛

٢ - السعي للحصول على مواقف العديد من اللبنانيين لدعم النجف وتحريرها من سيطرة نظام بغداد؛

٣ - برقيات الإمام موسى الصدر المرسلة إلى جميع قادة الدول العربية والإسلامية باسم المجلس الأعلى الشيعي، والتي تناولت الأوضاع المأساوية

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ١٩٦.

ومشاكل النجف، وقد استجاب لهذه البرقيات حتى الآن جمال عبد الناصر، فيصل، والإيراني حاكم اليمن.»

«كما أن أبا الأعلى المودودي ومجموعة من السياسيين السنة قد استنكروا إجراءات النظام العراقي وأعلنوا دعمهم الكامل لنجف.^(١)

من الواضح أن جهود الشهيد السيد محمد باقر الصدر في لبنان كانت لإبراز المعارضة الشديدة للنظام الحاكم في العراق، لذلك كانت هناك مجموعة كبيرة من الأشخاص، من بينهم آية الله السيد محسن الحكيم، يعتقدون أنه بمجرد عودته إلى العراق سيتم القبض عليه. ولكن «هذا الاحتمال لم يكن مخفياً عن الشهيد الصدر، إلا أنه لم يكن قلقاً من هذا الإجراء وكان مستعداً تماماً لمواجهة».^(٢)

إضافة إلى ما ذكر، قام الشهيد الصدر خلال هذه الرحلة بمحاولة إنشاء اتحاد بين الحزبين الشيعيين البارزين اللذين كانا يتبعانه في لبنان، وهما حزب الدعوة فرع لبنان ومنظمة أمل وحركة المحرومين (تحت قيادة الإمام موسى الصدر). ومنذ ذلك الحين، كان الشهيد الصدر هو من يقود بشكل غير مباشر نضال حزب الدعوة وحركة المحرومين ومنظمة أمل وحزب الله في لبنان.

فيما يتعلق بدوره في لبنان، قيل:

«عندما دخل الشهيد الصدر لبنان لاحظ أن القدرات والطاقات الإسلامية هناك ضعيفة وأن مستوى الوعي الثقافي لدى الناس منخفضاً، بينما كانت مفاهيم الثقافة الغربية تهيمن على أذهانهم. لذلك، بدأ الشهيد الصدر في

(١) مؤسسه دارالاسلام، محمد باقر الصدر، نخبة من الباحثين، ص ٥٣١؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

(٢) مؤسسه دارالاسلام، المصدر نفسه، ص ٥٣١.

معالجة هذه الحالة، وقام بمناقشات مع علماء لبنان بهدف إيجاد حلول سريعة وفعّالة لهذه المشكلة.^(١)

كتب في إحدى رسائله:

«منذ وصولي إلى لبنان، تمسكت بتكرار مفاهيمي الخاصة عن الإسلام التي كانت تعاني غربة شديدة في هذا المكان، وفي هذا السياق ناقشت هذه المفاهيم مع مجموعة من الأشخاص مثل الشيخ محمد جواد مغنية، وكان هدفي من هذا الأمر أن أستنهض جزءاً من الوعي - بما أستطيع - في العقول.»^(٢)

الشهيد الصدر في أفغانستان

إحدى القضايا التي اهتم بها الشهيد الصدر هي قضية أفغانستان التي كانت تشغل تفكيره مراراً وتكراراً، حيث كانت تهمّه من عدة جوانب: أولاً، لأنها جزء من العالم الإسلامي. ثانياً، لوجود خلافات دينية، قومية ولغوية حادة فيها. ثالثاً، والأهم أنها كانت تحت احتلال النظام الغاشم الروسي (الاتحاد السوفيتي السابق). كان يوصي العلماء ويؤكد عليهم أن يكون لديهم موقف إسلامي واضح بشأن أفغانستان، موقف يدعم ويناصر المجاهدين والمظلومين الأفغان. من هنا، أصدر بياناً موجّهاً إلى الشعب الأفغاني يوصيهم ويدعوهم للقيام بالجهاد في سبيل الله. كما دعا جميع المسلمين لدعم ونصرة هذا الشعب المظلوم. وجاء في هذا البيان، على سبيل المثال:

«و نحن نهيب بكل افراد الشعب الافغانى الكريم ان يحاولوا ما يهديم من طاقة دون وقوع بلدهم المسلم فى قبضة الاحاد و الملحدين، كما نهيب

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(٢) القبانجي، المصدر نفسه، ص ٨٣؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

بالمسلمين جميعاً في مشارق الارض و مغاربها ان يدركوا عمق المحنة التي يواجهها اخوان لهم مسلمون في الافغان...^(١)

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك عدد كبير من العلماء والمفكرين الأفغان من تلاميذ الشهيد الصدر، وقد استطاع أن يحقق تأثيره في الساحة السياسية في أفغانستان من خلال بعض هؤلاء العلماء وأيضاً عبر بعض الأحزاب الشيعية والإسلامية التي كانت تتبنى أفكاره، مثل «حزب الدعوة الإسلامية في أفغانستان» الذي تم الإعلان عن تأسيسه في عام ١٩٧٩ ميلادي، وكان معظم مؤسسيه من تلاميذ الشهيد الصدر، وكان له تأثير كبير على الحركة السياسية والانتفاضة والوعي الشعبي وجهود الشعب الأفغاني من أجل تحرير أفغانستان.»

الشهيد الصدر وأكراد العراق

«بعيداً عن قضية البلاد الإسلامية، كانت الجماعات والمكونات المختلفة، التي كانت تُعتبر من الأقليات في بعض البلدان مثل العراق، تحظى باهتمام خاص من الشهيد الصدر. وإحدى هذه الجماعات والأقليات العرقية هي الأكراد في العراق. عندما تعرض الأكراد لهجمات حزب البعث العراقي (١٩٦٩-١٩٧٠ م)، جمع الشهيد الصدر عدداً من أفضل تلاميذه وطلب منهم دراسة أوضاع كردستان العراق وطرح المشاكل هناك ليتم اتخاذ الخطوات اللازمة لحلها قدر الإمكان. كما هو معروف لقد رفض الشهيد الصدر طلب البعثيين بإصدار فتوى لمقاتلة الأكراد.

لم يكتفِ برفض هذا الطلب، بل حاول أن يجعل الشعب العراقي وسائر

(١) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

المسلمين في العالم يدركون وضع الأكراد في مواجهة النظام العراقي وكذلك يعبر عن رفضه واشمئزازه من مثل هذه الحرب. وفي حديثه عن وضع الأكراد، قال:

... واحدة من المحن التي يعاني منها العراق لسنوات عديدة هي المحنة المتمثلة في الصراع المسلح بين الإخوة المسلمين في شمال العراق، بين بعض الأكراد وبعض العرب. هذه قضية مؤلمة تواجه العراق...^(١)

كان الشهيد الصدر يرى أن السبب الأساسي لهذه الأزمة هو عدم الفهم الصحيح للإسلام ومسألة القومية، ويشير إلى أن المهم هو أن نظام العراق وزعماء الخلاف - من بين الأكراد - لا يولون اهتماماً لموارد الشعب الكردي وحقوقه، وكذلك حقوق الشعب العربي على أرض العراق، وإنما الهدف الأساسي هو تأمين حقوق جميع الجماعات سواء كانت عرقية أو غير عرقية.»

(١) السيد محمد باقر الصدر، المحنة، صص ٢٨ - ٢٦.

الفصل التاسع: **الشهيد الصدر والدستور الإسلامي**

المقدمة

كان الشهيد الصدر يرى أن الدستور يعد من أهم الخطوات في سبيل إقامة الأمة والمجتمع الإسلامي، وتحقيق سيادة الإسلام، بناءً على شعوره بضرورة ذلك في العالم المعاصر. كما يقول أحد أتباعه: «كتابة وصياغة الدستور من أجل إقامة الحكومة الإسلامية كانت من الأهداف الكبرى للمرحوم الصدر».^(١) في الواقع، من وجهة نظره، يُعتبر الدستور الحجر الأساس والمركزي للمجتمع السياسي، وبدونه يعتبر تشكيل المجتمع المدني واستمراريته، وإقامة الحكومة الصالحة فيه، أمراً غير ممكن. لأن أهم ركن في كل مجتمع هو القانون، والمجتمع بدون قانون لا يمكن أن يحقق أهدافه المدنية، فالقانون هو المحور الذي تدور حوله إدارة المجتمع. وفي هذا السياق، يلعب الدستور دوراً حاسماً. كان الشهيد السيد محمد باقر الصدر يرى أن «مشكلة غياب النظام الاجتماعي الصالح» هي الأزمة الأساسية في العالم المعاصر، وي طرح ذلك بوضوح.

أكبر مشكلة في عالم اليوم التي تشغل فكر الإنسان وتؤثر على جوهره الإنساني هي مشكلة النظام الاجتماعي... فطبيعة النظام الاجتماعي لها دور حاسم في حياة الإنسان ووجوده الاجتماعي في الأساس.^(٢)

١. محمد مهدي الآصفى، (مقابلة مع)، صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٦١، ص ١٢.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، تنويرى شناخت و جهان بينى در فلسفه ما، ص ١٧١؛ بينش اجتماعى اسلام، ترجمه كريم جعفرى، صص ١-٢.

هذا في حين أنه لا يمكن تشكيل نظام مدني واجتماعي صالح إلا في ظل قانون محكم، شامل، عام، ومتوافق مع اهتمامات وميول البشر ومتناسق مع احتياجاتهم. لأنه من أجل بناء مثل هذا النظام تقتضي الضرورة تغيير النظرة المادية للإنسان تجاه الحياة ومعاييرها ومؤشراتها، بالإضافة إلى النظرة السياسية الصحيحة... ويحدث هذا من خلال تقنين المجتمع البشري سياسياً في ظل دستور وقانون أساسي. كتب الشهيد الصدر:

علاوة على ذلك، هناك حاجة ملحة إلى رؤية سياسية صحيحة تنبع من التفسير الحقيقي للحياة، لكي تتمكن من حل الأزمة الكبرى للإنسانية، واستبدال الاستغلال والاستفادة بالسلام والطمأنينة... وهذه الرؤية السياسية العميقة هي في الواقع رسالة السلام الحقيقي للعالم...^(١)

بالإضافة إلى ذلك، في نظره، «أهم جزء في هذا النظام هو مسألة السلطة السياسية، الولاية، وكيفية تحقيقها في المجتمع...» التي لا تتشكل إلا من خلال صياغة دستور محدد ومعين، ولا يمكن أن تتمتع بالاستقرار والاستمرارية من دونه.

لكي يتم حل الأزمة الأساسية في المجتمع المعاصر، وهي أزمة النظام السياسي والاجتماعي، يرى أنه من الضروري توافر مجموعة من المقدمات، والتي هي:

١. مبدأ (مدرسة) شامل للرؤية العالمية والإيديولوجية:

المدرسة أو المبدأ الذي يتماشى تماماً مع الخصائص والطبيعة الفطرية للإنسان، بمعنى أنه يتوافق مع مشاعر الإنسان، ورغباته، وميوله، واستعداداته

(١) السيد محمد باقر الصدر، اقتصاد برتر، صص ٨٤-٨٣.

الفطرية، ويعترف بها ويؤيدها. هذا المبدأ يجب أن يساهم في تطوير وتفعيل استعدادات الإنسان في كل الظروف. ويجب أن يكون قابلاً للتطبيق على جميع البشر، بحيث يقدم فرصة للجميع من خلال توافقه مع استعداداتهم لكي يساهم في تطويرهم وازدهارهم.

«العقيدة أو الأيديولوجية تأخذ طابعاً إنسانياً عندما توفر في كل فرصة مجالاً يفتح أبواب النمو والازدهار لجميع البشر وفقاً لقدراتهم واستعداداتهم».^(١)

٢. المعرفة والوعي بالمبدأ:

باعتماد الشهيد الصدر، ليس كافياً فقط وجود المبدأ أو المدرسة، بل الأهم من ذلك وجود الوعي، والفهم، والمعرفة العميقة بالمبدأ، وبرامجه، ومبادئه، ومعايير، ومؤثراته. هذه المعرفة هي التي يمكن أن تساهم بشكل كبير في حل مشكلات البشر وبناء مجتمع صحي وفعال.

٣. الإيمان والاعتقاد الصادق بالمبدأ ومبادئه ومعايير:

بين الشهيد الصدر في كتابه «رسالتنا» الشروط الأساسية والأولية للنهضة وحركة أي أمة في سبيل التقدم:

«الشرط الأساسي للقيام والنهوض - أيًا كانت الأمة - هو وجود مبدأ صالح وشريف يُحدد أهداف ومقاصد الأمة، وتُرسم بناءً عليه نماذج مثالية، ويُعطى الحياة للأمة وجهة واضحة... وعندما نتحدث عن المبدأ الشافي للأمة، فإننا نعني وجود ثلاثة أمور: أولاً، وجود المبدأ الصالح، ثانياً، فهم الأمة لهذا

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالت ما، ص ٦٦.

المبدأ، وثالثاً، الإيمان والاعتقاد بهذا المبدأ^(١).

الدستور

في الواقع، ما يراه الشهيد الصدر بمثابة «مبدأ»، هو ذاته القانون الذي يُعتبر الأساس والبنية التحتية للانتقال نحو الهدف. المجتمع بدون قانون لا معنى له. كما يقول: «المدينة بدون قانون لا وجود لها ولا يمكن أن تستمر في حياتها»^(٢).

إذن، يُعتبر القانون ضمناً لحياة المجتمع واستمراريته، ووحدته وتكامله، وهو العامل الذي يمنع الفوضى والاضطراب. في هذا السياق، لا شك في ضرورة وجود قانون لإدارة الأمور البشرية. كما أشار العلامة محمد تقى جعفرى:

أحد المبادئ المعرفية الأساسية التي لا يشكك فيها أي مفكر ذو رؤية شاملة ولا أي مذهب فلسفي يعتمد على العلم، هو حكومة القانون في هذا العالم. من ينظر إلى هذا المبدأ بعين النفي والإنكار، إما أنه لا يفهم معنى القانون، أو أنه يضع نظارة من الأوهام والخرافات على عينيه، أو أنه يعتمد تحريف الحقائق^(٣).

باعتقاد الشهيد الصدر، «القانون» هو شرط أساسي للمجتمع، المدينة، الحكومة، النهضة، والقيام في سبيل الحق، فهو الذي يحدد الأهداف، ويبين الطريق، ويحفز الأفراد، ويوجههم، ويرسم لهم نماذج أعلى وأمثلة رفيعة للاقتداء

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٢١؛ رسالت ما، ص ١٧.

(٢) بيجن عبد الكريمى، تفكر و سياست، ص ٥٨.

(٣) محمد تقى جعفرى، عدالت وستم، گرد آوری، تنظيم و تلخيص محمدرضا جوادى، ص ٩.

بها. لهذا السبب، يرى البعض أن «الحركة الحقيقية تتمثل في تجسيد القانون»^(١).

وبناءً عليه، فهو يرى وجوب أن يكون للقانون بعد عام وشامل، بحيث يكون ساري المفعول على الجميع بشكل متساوٍ. وبالتالي، يجب أن يكون الجميع سواسية أمام القانون. مثل هذا القانون يمكن أن يشكل أساساً لإنشاء النظام السياسي والاجتماعي المنشود والمناسب. الإسلام في جوهر قوانينه وتشريعاته دين يعترف بهذه الخصيصة. في هذا السياق، يقول الشهيد الصدر: «الشرعية الإسلامية تسود الحاكم والمحكوم بشكل متساوٍ».

استناداً إلى هذا الفهم، ينظر الشهيد الصدر في مناقشته للقوانين اللازمة للمجتمع إلى كليات الدين الإسلامي كقانون شامل وعام، والذي في مجاله الشرعي يتضمن معنيين أساسيين، هما: ١ - أساس ثابت وغير قابل للتغيير من القانون؛ ٢ - الأسس المتحولة والقابلة للتغيير في القانون.

النوع الأول يسميه «أحكام ثابتة للشرعية» أو «الأحكام»، والنوع الثاني يسميه «تعاليم وقوانين»، وفي الفرق بينهما كتب موضعاً:

أحكام الشريعة المقدسة الإسلامية هي أحكام ثابتة تستند إلى دليل من الكتاب والسنة والإجماع والعقل، ولا يجوز فيها أي تغيير أو تعديل، لأنها تُستنبط بشكل يتضمن جميع المتطلبات والأحوال التي تشهد تغيراً وتطوراً، مثل قوانين الشرطة، قوانين الصادرات، وغيرها.^(٢)

أما المجال الذي يتداخل فيه تأثير العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية بين البشر ومع العالم الطبيعي، فهو يشكل الجزء الأكبر

(١) المصدر نفسه.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، الأسس الإسلامية، ص ٨؛ محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٥٦ - ٣٥٥؛ العاملي، المصدر نفسه؛ ج ١، ص ٢٧٤.

من القوانين المتغيرة. ويطلق الشهيد الصدر على هذا المجال مصطلحات مثل «منطقة الفراغ التي تركها التشريع الإسلامي للدولة»^(١) أو «حقل الفراغ من القوانين للدولة» أو «مجال حرية وضع وتشكيل القوانين». هذه القوانين ليست فقط ضرورية، بل عامة، وتشمل أي «عمل يُعد في الشريعة مباحًا بطبيعته» أو «لم يُصرح بحرمة أو وجوب ذلك في الشريعة»^(٢).

أهم جزء في هذه المنطقة هو الدستور أو القانون الأساسي للحكومة وإدارة المجتمع، الذي يحدد المعايير والمؤشرات العامة لإدارة المجتمع من جهة، ومعايير ومؤشرات إصدار القوانين الأخرى من جهة أخرى. عبّر الشهيد الصدر عن ذلك إما بكلمة «الأسس»، وله كتاب تحت هذا العنوان هو «الأسس الإسلامية»، أو يسميه «الدستور»، وله أيضًا عمل بعنوان «لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران» الذي كان مسودة لتدوين القانون الأساسي لجمهورية إيران الإسلامية.

الشهيد الصدر وتدوين الدستور

كان الشهيد الصدر يعتبر أن إعداد دستور أساسي وجوهري لإدارة المجتمع وتحقيق تقدم الأمة نحو الكمال هو شرط استراتيجي وأولي. لكنه كان يركز على قانون وآلية قادرة على إحداث تحول أساسي وجذري في المجتمع، ليتمكن من خلالها تغيير كل شيء، بما في ذلك النظام السياسي. وقد كتب قائلاً: «هذه حقيقة لا شك فيها أن استبدال نظام الحكم والنظام الاجتماعي بنظام آخر، ليس مجرد تغيير قانون بقانون آخر... بل هو تغيير يعكس تحولاً في جميع

(١) السيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا، ص ٧٢١؛ اقتصاد ما، ج ٢، صص ٣١٧-٣١٦.

(٢) المصدر نفسه، ٧٢٦؛ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣١٦.

الأفكار والمفاهيم والتصورات الأساسية والجزئية عن الحياة والوجود.^(١)

وفي هذا السياق يجب تغيير الظروف والمتطلبات، وأيضا يجب صياغة الدستور. لأن القضية الأساسية هنا هي «قضية أمة ينبغي عليها بالضرورة أن تؤسس هويتها ووجودها بناءً على الإسلام لكي تحتضن طائر السعد في الدنيا والآخرة وتتمكن من الحصول على مفتاح يدرّ عليها خيرات وبركات الأرض والسماء».^(٢)

وأهم خطوة في هذا السياق، إلى جانب توعية وتحفيز الشعب، هي صياغة قانون شامل وكامل، خاصة فيما يتعلق بالحكومة وإدارة المجتمع. في ملاحظات كتبها بيده عن جماعة العلماء في النجف الأشرف، روى السيد محمد باقر الحكيم حادثة مثيرة وتاريخية قائلاً:

«بهذا الصدد، أود أن أذكر حادثة مثيرة وتاريخية. فقد كان مجموعة من الرواد في الحكومة الإسلامية وأبناء «جماعة العلماء»، مستلهمين من أفكار آية الله الشهيد محمد باقر الصدر وفي ضوء تعاليمه، قد وضعوا نماذج لدستور إسلامي. في تلك الفترة، جرت محادثات مع بعض الإخوة من أهل السنة حول هذا المشروع، وناقشوه في محاولة للوصول إلى توافق ورأي موحد بشأنه. وكان هذا الدستور مستنداً إلى منهج أهل البيت عليه السلام، وكان يُعد خطوة وحلاً لمشكلة المجتمع الإسلامي في زماننا».^(٣)

وفي موضع آخر من هذه الملاحظات كتب:

(١) السيد محمد باقر الصدر، از مبانی فکری حزب دعوت اسلامی، ص ٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٣) القبانجي، اندیشه های سیاسی آیت الله شهید السيد محمد باقر الصدر، صص ١٧ - ١٦، به نقل از سيد محمد باقر حكيم، یادداشت‌های تاریخی از «جماعة العلماء».

«أذكر أن آية الله الشهيد الصدر كتب رسالة بخطه في استدلاله وتثبيت مشروعية «الحكومة الإسلامية». لقد أخذت هذه الرسالة بنفسى وعرضتها على بعض المجتهدين المعروفين في ذلك الوقت، لكي تكون خطوة في نشر وتعميق هذا الفكر والأيدولوجية»^(١).

ورغم أنه لا توجد أي نسخة من هذين العاملين في الوقت الحالي، إلا أنه هنالك عملان آخران متاحان متعلقان بالدستور، وهما:

١. الأسس الإسلامية، هو عمل كتبه الشهيد الصدر بمثابة مبادئ دستور إسلامي قائم على الإسلام.

٢. لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الدستور الجمهورية الإسلامية في إيران، أو مشروع الدستور الفقهي التمهيدي للجمهورية الإسلامية الإيرانية الذي كتبه في ٤ شباط ١٩٧٩ م «قبل انتصار الثورة الإسلامية»^(٢) وقدمه إلى الشعب الإيراني. وتم إرسال نسخة منه من قبل السيد محمود الهاشمي بعد انتصار الثورة الإسلامية إلى الإمام الخميني والشعب الإيراني للاستفادة منه في صياغة الدستور، وهو أحد المسودات الخطية التي استخدمت في صياغة دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

«الأسس الإسلامية»

هنا نعرض باختصار لبعض الموضوعات الواردة في «الأسس الإسلامية». إنه عبارة عن عمل متقن ويُعتبر نصاً قانونياً يتألف من ثلاثة عشر مبدأً أساسياً، وهي: ١. الإسلام ٢. المسلم ٣. الوطن الإسلامي ٤. الدولة

(١) القبانجي، المصدر نفسه، ص ١٦.

(٢) الفضلي، «الأسس الإسلامية»، الامام الشهيد محمد باقر صدر سمو الذات وخلود العطاء، ص

الإسلامية ٥. الدولة الإسلامية هي دولة فكرية ٦. شكل الحكومة في الإسلام ٧. واجبات الدولة الإسلامية ٨. أبعاد وهيكل الحكومة في الإسلام ٩. تكييف الشورى مع ظروف الأمة في العصر المعاصر ١٠. قوانين الشريعة والقوانين الوضعية والسلطة التشريعية ١١. الدستور الإسلامي ١٢. مسألة القضاء والسلطة القضائية ١٣. السياسة الخارجية، الدعوة، ...^(١)

من المهم أن نذكر أن بعض النصوص تذكر تسعة أسس فقط.^(٢)

وبشكل عام:

يتضمن كتاب «الأسس الإسلامية» في الأصل تعريفات وقوانين إسلامية عامة تشريعية ومعتبرة.^(٣)

تكمن أهمية هذا العمل في أنه من الناحية القانونية والفقهية يُعتبر أول مجموعة من المبادئ الأساسية للدستور الجديد في الإسلام، ويُعتبر بهذا الشكل والمحتوى سابقة لم تكن موجودة من قبل. بالإضافة إلى ذلك، يحتوي العمل على ثلاثة أبعاد رئيسية:

١. مبحث التعريفات والمفاهيم

٢. مبحث الأدلة والاستدلالات

٣. مبحث القوانين والمبادئ

على سبيل المثال، في النقاش حول شكل الحكومة في الإسلام، يتم أولاً

(١) العامل، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٨٠ - ٢٦٧.

(٢) تضمن نص الاسس الاسلاميه ٩ أسس وجاء في الأعمال التالية:

١. محمد الحسيني، المصدر نفسه، صص ٣٥٩ - ٣٣٦، (٢) الملائط، تجديد الفقه الاسلامي، محمد

باقر الصدر بين النجف و الشيعة العالم، صص ٤٨ - ٣٣.

(٣) الفضلي، المصدر نفسه، صص ٣٢٧ - ٣١٢.

تعريف الحكومة، ثم توضيح الأدلة الروائية التي تستند إليها، وبعد ذلك يتم طرح أصليين مهمين يرتبطان بالتعريف.

١. تعريف الحكومة:

«الحكم في الدولة الإسلامية هو رعاية شؤون الأمة طبقاً للشريعة الإسلامية»:

٢. المستند الروائي:

«كما في الحديث الشريف: كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته...».

٣. مبدآن مهمان:

- الأول: «تنفيذ رعاية شؤون الأمة بالفعل وتطبيق أحكام الرعاية في الإسلام عليها»:

- الثاني: «أن تكون الرعاية ذاتها متفقة مع نظام الحكم وشكل الرعاية في الإسلام...»^(١).

الهدف الأساسي من تدوين الأسس، مع الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي تم فيها تأليفها، أي تدوين الأسس الفكرية والسياسية لحزب الدعوة الإسلامية، كان إنشاء حكومة إسلامية في أرض العراق وفي سائر البلدان الإسلامية. لذلك، يمكن القول إن الأسس الإسلامية «تعرف بأنها بيان للأصول والقواعد التي يُبنى عليها الدستور»^(٢).

كما ذكرنا سابقاً، فإن حزب الدعوة الإسلامية الذي تأسس في أواخر العقد الخامس من القرن العشرين الميلادي على يد الشهيد محمد باقر الصدر في

(١) المصدر نفسه، صص ٣٢٠ - ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٠.

العراق، كان هدفه الرئيسي إقامة حكومة إسلامية في العراق وسائر البلدان الإسلامية، عبر استراتيجية وطرق الدعوة. لتحقيق هذا الهدف، وضع الحزب مراحل محددة، تم دراستها في بُعدين: نظري وعملي.

في البُعد النظري، كان أحد أهم الإجراءات هو تدوين القوانين والمبادئ التي يتبناها الحزب بهدف إنشاء الحكومة وإدارة المجتمع. ووفقاً لرأي الشهيد الصدر وبعض أعضاء الحزب، كان هذا يتضمن ثلاث مراحل رئيسية:

١. وضع الأسس والأصول لتدوين الدستور:
٢. وضع الدستور الإسلامي بناءً على الأصول والأسس المطروحة في المرحلة الأولى؛

٣. وضع القوانين والقواعد الإسلامية بناءً على الدستور والقواعد التي تم تحديدها فيه؛^(١)

كما أن الأسس الإسلامية تتمتع بطابع ثلاثي الأبعاد، إذ تشمل التعريفات والمبررات والأصول التي يتم البناء عليها.

كما أشار النص، فإنه يوجد اختلاف في عدد الأسس التي يتم تبنيها في الدستور الإسلامي. بعض النسخ تشير إلى أن عدد الأسس قد يصل إلى ٣٠ أساساً،^(٢) بينما تم العثور في مصادر أخرى على ثلاثة نصوص تحتوي على ٩ أسس، ونص آخر يحتوي على ١٣ أساساً. يمكن أن يعكس هذا التعدد اختلافات في الفهم أو التفسير بين المؤرخين أو الدارسين لهذه الأسس أو الأصول، ويعكس أيضاً الديناميكية التي قد تكون موجودة في تطبيق هذه المبادئ.

(١) المصدر نفسه، ص ٣٣١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٢.

المضمون العام لهذه الأصول هو:

الأصل الأول: تعريف مفهوم الإسلام، العقيدة الإسلامية والتشريع الإسلامي والربط بينهما؛

الأصل الثاني: تعريف المسلم وتقسيمه إلى ظاهري وواقعي والحقوق والمكانة المتساوية لكل منهما.

الأصل الثالث: تعريف الوطن (الأرض) وأبعاده وأنواعه واستحقاق الدولة الإسلامية تجاهها.

الأصل الرابع: الدولة الإسلامية وأنواعها وتعريفها وأسسها النظرية.

الأصل الخامس: الدولة الإسلامية، هي دولة فكرية تتناول هذا السؤال: كيف تكون الدولة الإسلامية وما هي أسسها؟

الأصل السادس: تعريف الحكومة في الإسلام، شكلها، والواجبات الأساسية للدولة الإسلامية والحكومة الشورائية في عصر الغيبة وأركان أو السلطات الأربع للدولة الإسلامية (١ - التشريع؛ ٢ - تنفيذ القوانين؛ ٣ - القضاء والتحكيم؛ ٤ - بيان الأحكام).

الأصل السابع: كيفية انطباق الحكومة الشورائية على وضع الأمة في العصر المعاصر.

الأصل الثامن: تعريف أحكام الشريعة، التعاليم والقوانين والفرق بينها، الدستور الإسلامي والقوانين الموضوعية الأخرى وكيفية وضعها. (مبحث القانون والتشريع).

الأصل التاسع: دراسة الركنين الآخرين (بيان الأحكام والقضاء)، مبحث الاجتهاد والمجتهدين، تعريف القضاء والتحكيم، كيفية حكم القضاة

والمراجع القضائية وتحديدهم والدولة...

الأصل العاشر: المعايير الرئيسي للسياسة الخارجية للدولة الإسلامية وعلاقتها مع الدول الأخرى (علاقة المصلحة الإسلامية بالسياسة الخارجية وما إلى ذلك).

الأصل الحادي عشر: وضعية الدعوة والدولة في مواجهة نفوذ الكافرين والأجانب.

الأصل الثاني عشر: كيفية دعوتنا إلى الإسلام، أنواع الدعوة، مبحث الإصلاح والثورة وما إلى ذلك.

الأصل الثالث عشر: مبحث الثورة والدعوة للثورة من أين وكيف تبدأ...^(١)

من الناحية التاريخية، يُعتبر كتاب «الأسس الإسلامية» أول المبادئ المدونة لصياغة الدستور أو «علم أصول القانون الشرعي».^(٢)

قال بعضهم أنّ الشهيد الصدر كان قد أخفى في حياته هذه «الأصول الإسلامية» أو «الأسس الإسلامية». وكان حزب الدعوة الإسلامية قد أخذ بعين الاعتبار هذه الأصول في مرحلة النشاط السري، وبعد شهادة الشهيد الصدر فإنّ جهود بعض أصدقائه في الحصول على هذه الأعمال ونشرها، أدت إلى خروجها من مرحلة السرية وانتشارها.

مخطط موقع الدستور في المنظومة المعرفية للشهيد الصدر

بشكل عام، يعتبر الدستور وكيفية صياغة القوانين اللازمة لإدارة

(١) جاءت هذه الأسس الأربعة في ابوزيد العاملي، المصدر نفسه، ج ١، صص ٢٨٠ - ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٣٦.

المجتمع الإسلامي من وجهة نظر الشهيد الصدر مبنياً على العقيدة والأيدولوجية الإسلامية، التي بدورها تعتمد على الرؤية الإسلامية للعالم. ويمكن تمثيل ذلك وعرضه على النحو التالي:

معرفة الوجود

رؤية العالم الإسلامية (التوحيد محور الوجود)

العقيدة والأيدولوجية الإسلامية

الأسس الإسلامية (أصول الدستور الإسلامي)

الدستور الإسلامي

الأنظمة الإسلامية لإدارة المجتمع

النظام الفكري والثقافي / النظام السياسي / النظام الاقتصادي / النظام

الاجتماعي

القوانين الوضعية

يبين هذا المخطط أن معرفة الوجود هي أساس قرارات الإنسان في حياته، وبالتالي هي أساس جميع تحركاته وأفكاره. وطبيعة النظرة التي يمتلكها الإنسان تجاه الوجود (أو «المعرفة بالوجود») هي التي تحدد عقيدته وأيدولوجيته. هذا الموضوع ورد في أعمال مثل «فلسفتنا»، و«الأسس المنطقية للاستقراء»، وغيرها.

بعد ذلك، يأتي الحديث عن الأسس أو المبادئ، أي أسس الدستور وأركان الفكر والثقافة الخاصة به، والتي تهتم بكيفية إدارة المجتمع بشكل عام. (الأمة، المجتمع الإسلامي، الدولة، عناصر الدولة، نوع وشكل الحكومة، أبعادها وأركانها الأولى، مهامها الأساسية، السياسة الخارجية... إلخ). هذه

الموضوعات تناولتها أعمال مثل «الإسلام يقود الحياة»، و«الأسس الإسلامية»، و«المدرسة الإسلامية»، و«المدرسة القرآنية»، وغيرها.

كما أن بعض مواد الدستور والأنظمة الأربعة المعروضة (الثقافية، السياسية، الاقتصادية والاجتماعية) قد تم تناولها في أعمال مثل «الإسلام يقود الحياة»، و«اقتصادنا»، و«المدرسة الإسلامية»، وغيرها. هذه الأعمال تشكل معاً منظومة متكاملة لرؤية الشهيد الصدر للإنسان، التي تتضمن ثلاثة أركان أساسية هي:

١. المدرسة والمبدأ؛

٢. مبادئ القانون وأسس وبناءه الرئيسية؛

٣. الدستور والقوانين الوضعية.

هذه الأركان تعتبر الركائز النظرية لإدارة المجتمع ومصير البشر بشكل عام.

بالإضافة إلى ما تم ذكره، فإنّ تدوين الشهيد الصدر لكتابه «الإسلام يقود الحياة» ومشاركته في كتابة مسودة الدستور الإيراني للجمهورية الإسلامية فقد قدّم نصّاً قانونياً يتضمن الأسس والمبادئ اللازمة لإدارة المجتمع. هذا النص يتضمن جميع المبادئ الأساسية التي يجب أن يتضمنها أي دستور.

لمحة فقهية تمهيدية (مسودة دستور جمهورية إيران الإسلامية)

هذا العمل في الأصل تم إعداده كـ «مسودة» لتدوين دستور نظام جمهورية إيران الإسلامية والمصادقة عليه، وقد تم إرساله إلى الإمام الخميني. نسخة أخرى من هذا العمل تم إرسالها إلى لبنان ردّاً على استفتاء بعض العلماء

البنانيين من العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر حول طبيعة وكيفية نظام الجمهورية الإسلامية. بعد كتابة النسخة الأولى من قبل السيد محمود الهاشمي الشاهرودي، أحد أبرز تلاميذ السيد محمد باقر الصدر ووكيله وسفيره في إيران، تم إحضارها إلى إيران وتقديمها إلى الإمام الخميني، ومن ثم تقديمها إلى «مجلس خبراء الدستور» للاستفادة منها. يبدو أن هذه النسخة لم تُنشر حتى الآن.

قدم الإمام الشهيد الصدر نسخة من جوابه على سؤال وجهه مجموعة من العلماء الكبار في لبنان، وهم السيد محمد غروي، الشيخ علي طحيني، الشيخ حسن حريري، الشيخ محمد جعفر شمس الدين، الشيخ راغب حرب، الشيخ حسن عواد، الشيخ علي ضياء، والشيخ عبد الأمير شمس الدين، والذي طرح في تاريخ ٢٨ صفر من سنة ١٣٩٩ هـ. نص رسالة هؤلاء العلماء هو كما يلي:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر (دام ظله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد:

لا يخفى عليكم أن مشروع الجمهورية الإسلامية، الذي رفع رايته الثورية بيد حضرة آية الله العظمى الإمام الخميني - دام ظله - قد هزَّ العالم، وأثر تأثيراً إيجابياً وعميقاً في البلاد الإسلامية، بل في جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، فإن قبول هذه الفكرة من منظور مادي يُعتبر موضع شك وإنكار، وفي نظرهم فإن دمج الدولة بالإسلام ورفع مسألة الحكم إلى مستوى السماوات هو أمر غير ذي معنى.

إنهم يزعمون أن الحكومة هي ظاهرة أرضية ولا علاقة لها بالسماء، وأن أي محاولة في هذا السياق هي شعارات فارغة. وبالنظر إلى أنكم معروفون في جميع أنحاء العالم الإسلامي ببراعتكم وتمكنكم في الفقه وإمامكم العميق بمختلف فروع المعارف الإسلامية، ولقدرة قيادتكم والسيطرة الكاملة على أفكار عصر الوعي، نأمل أن تُثيروا هذا الموضوع لنا وتوضحوا لنا ما هي الأسس الفكرية والتصورات الأساسية للشعب المسلم في إيران بشأن مشروع الجمهورية الإسلامية؟^(١)

في رده على هذه الرسالة، طرح الشهيد الصدر مقدمة مفصلة إلى حد ما تضمّنت القضايا التالية:

١. قابلية تنفيذ وتطبيق المشروع السياسي المقترح (مشروع إقامة النظام السياسي للجمهورية الإسلامية)؛

٢. التذكير بمساعي الإمام الخميني في حمل راية نهضة الإسلام في إيران حتى النصر، وأنه صاحب المشروع السياسي المراد تحقيقه، وأنه في هذا الشأن صاحب الكلمة العليا وسيد الموقف الفصل بشأنها...»^(٢)؛

٣. الحكومة هي ظاهرة اجتماعية وأساسية في حياة الإنسان، برزت في البداية على يد الأنبياء برسالات سماوية. في هذا السياق، يستند العلامة الشهيد إلى الآية ٢١٣ من سورة البقرة التي تقول: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا

(١) السيد محمد باقر الصدر، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران،

صص ٨ - ٧؛ جمهوري إسلامي، ترجمه سيد جعفر حجت، صص ٧ - ٦.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المصدر نفسه، صص ١٠ - ٩؛ الاسلام يقود الحياة، ص ٣.

بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٠﴾
ثم أضاف:

«نستنتج من هذه الآية أنّ الناس كانوا في البداية متحدين، في ذلك الزمان الذي كانت فيه الفطرة الإنسانية النقية هي السائدة، كانت رؤيتهم للحياة بدائية، محدودة في أغلبها واحتياجاتهم بسيطة. ثم أن النشاطات الاجتماعية أطلقت العنان للمواهب والقدرات، وظهرت إمكانيات جديدة، واتسعت آفاق البشر، وتزايدت المعارف، وتعمقت الاحتياجات. وبذلك بدأ الاختلاف يظهر، وظهرت التناقضات بين القوي والضعيف، وأصبح المجتمع بحاجة إلى قانون يحدد الحق، ويقيم العدالة، ويضمن وحدة المجتمع ضمن إطار صحي، حيث يتم توجيه جميع القدرات التي نمت من خلال اختبار الحياة إلى محور يحقق الخير والسلام والاستقرار للجميع».

في هذه المرحلة الحساسة اجتماعياً، تم إنشاء الحكومة على يد الأنبياء، وقد قاموا بالثورة من أجل إقامة حكومة صالحة، وقد ثبت الله دعائم دولة الحق كما قرأنا في الآية السابقة. ومن استنتاجه من هذه الآية، كتب:

«لقد بذل الأنبياء الإلهيون كل واحد منهم جهداً في مهمتهم العظيمة لبناء دولة صالحة، فبعضهم، مثل داود وسليمان النبيين عليهما السلام، تولوا الحكم بأنفسهم، بينما قضى موسى النبي عليه السلام حياته كلها في إقامة هذه الدولة».^(١)

٤ - الدولة الإسلامية، نقطة تحول بارزة في تاريخ البشرية ونموذج متكامل للحكومة الصالحة. يقول الشهيد الكبير في هذا الموضوع:

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، صص ٥ - ٤؛ لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، صص ١٢ - ١١؛ جهورى اسلامى، صص ٩ - ٨.

«لقد جمع رسول الله ﷺ جهود الأنبياء السابقين بشكل مثالي في إطار أسمى وأظهر حكومة في تاريخ البشرية، فالدولة الإسلامية هي نقطة تحول في تاريخ البشرية حيث تتجلى فيها جميع خصائص الحكومة الصالحة بشكل كامل...»^(١)

٥ - الإمامة هي استمرار لرسالة النبوة التي وُجدت لإعادة الحكومة والسلطة إلى الإسلام بعد انحرافها، وللمضي قدماً في سبيل إقامة حكومة صالحة. تحدث الشهيد الصدر عن الإمامة ومكانتها ودورها قائلاً:

«... أما الإمامة، فهي استمرار للنبوة، فقد بدأت جهدها المستمر لإعادة الحكومات الإسلامية المنحرفة إلى مسارها الصحيح. وقدّم الأئمة عليهم السلام تضحيات كبيرة في هذا الطريق، وشهادة الحسين بن علي (عليه السلام) وأصحابه الطاهرين والمختارين، هي مثال بارز لهذا الجهاد الكبير...»^(٢)

٦ - المرجعية هي استمرار للرسالة وتجسيد للمسؤولية السياسية للإمامة في عصر الغيبة الكبرى. كتب الشهيد الصدر عن المرجعية وعلاقتها بالإمامة والرسالة:

«بعد الغيبة الكبرى انتهت الإمامة إلى المرجعية، كما أن الإمامة الأصلية هي استمرار للنبوة والرسالة. حملت المرجعية عبء هذه الرسالة العظيمة، وسعت على مدار الزمن بطرق مختلفة لتحقيقها أو تمهيد الطريق لها.»^(٣)

٧ - بيان خصائص نضال الشعب الإيراني ضد النظام الاستبدادي واتباعه مرجعية صالحة هي مرجعية الإمام الخميني.

(١) المصدر نفسه، ص ٥؛ المصدر نفسه، ص ١٣؛ المصدر نفسه، ص ٩.

(٢) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ٦ - ٥؛ لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ص ١٩.

٨ - كانت خطوة الشعب الإيراني المسلم خطوة إسلامية، وإلى حدّ ما، عودة إلى حقيقة الإسلام.

٩ - إن مشروع الجمهورية الإسلامية الذي طرحه الإمام الخميني من حيث الهدف والشعار هو فعلاً تعبير حي ينبثق من أعماق الفطرة وأعماق الأمة (الإيرانية).

١٠ - تأسيس الحكومة الإسلامية بواسطة الشعب الإيراني لأول مرة في القرون الأخيرة.

١١ - إشارة عامة وعابرة إلى الخصائص السياسية للإسلام كدين محرر...

١٢ - بعد هذه المقدمة التي تمتد لعدة صفحات، عرض الشهيد الصدر مشروعه الذي يحمل عنوان «عددًا من الأفكار الأساسية في مجال التمهيد لمشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران مستبطنين الحالة المعنوية للشعب الإيراني على ضوء تعاليم الإسلام».

الشهيد الصدر في هذا العمل، وبذكره لثلاث خصائص معنوية بارزة للشعب الإيراني، تطرق إلى بيان مبادئ الدستور للجمهورية الإسلامية الإيرانية. وهذه الخصائص هي:

١ - وعي الشعب الإيراني وإيمانه بالإسلام كـ «دستور للحياة» أو «بالإسلام بوصفه الشريعة التي يجب أن تُقام الحياة بناءً عليها».^(١)

٢ - إيمان الشعب الإيراني «بالمرجعية المجاهدة بوصفها الزعامة الرشيدة».^(٢)

(١) السيد محمد باقر الصدر، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ص ١٩؛ الإسلام يقود الحياة؛ ص ١٨.

(٢) لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الدستور للجمهورية الإسلامية في إيران، ص ١٩، تراث الشهيد الصدر، ج ٥، ص ١٨.

٣. إيمان الشعب الإيراني «بالإنسان الإيراني وكرامته وحقه...»^(١)
- ثم أكد على الحقوق الثلاثة الأساسية للشعب، وهي: ١ - الحرية؛ ٢ - المساواة (العدالة)؛ ٣ - المشاركة في بناء المجتمع وإدارته.
- ثم بناءً على ما تقدم، تناول القضايا التالية:
- ١ - مبدأ السيادة المطلقة الإلهية وعلاقتها بحرية الإنسان؛
- ٢ - الشريعة الإسلامية هي المصدر والمبدأ للتشريع ووضع القوانين وشرح أنواع القوانين وكيفية التشريع؛
- ٣ - إسناد السلطة التشريعية والتنفيذية إلى الشعب وكيفية تحقق ذلك وتنفيذه من قبل الشعب. «قد أسندت بممارستها إلى الأمة...»^(٢) لذا فإن السلطين التشريعية والتنفيذية مرتبطتان بالشعب ومنتخبتان من قبله؛
- ٤ - مكانة ودور المرجعية الرشيدة كوسيلة للتعبير الشرعي عن الإسلام. «هي المعبر الشرعي عن الإسلام...»^(٣)؛
- ٥ - مبدأ حق الشعب في الإبداع وحمل الأمانة الإلهية وتساوي جميع الناس في هذا الحق...؛
- ٦ - بيان أهداف ومسؤوليات نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛
- ٧ - بيان هيكلية النظام الشورائي في الجمهورية الإسلامية؛
- ٨ - المقارنة بين القوانين الأساسية والأنظمة السياسية الموجودة مع

(١) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

(٢) تراث الشهيد صدر، ج ٥، ص ٩؛ لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ص ٢٣.

(٣) الإسلام يقود الحياة، ص ١٢، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، ص ٢٥؛ تراث الشهيد صدر، ج ٥، صص ٢٦ - ١٨.

الإسلام - بشكل عام - وبيان رأي الإسلام.

تأثير هذا المشروع في صياغة الدستور الإيراني واضح بشكل جلي، وقد تم تضمين موضوعات مثل حق السيادة، أركان الحكومة، القيادة والمرجعية (ولاية الفقيه)، الهيكل السياسي للسلطات الثلاث، مكانة ودور الشعب، مجلس الشورى الإسلامي (مجلس صيانة الدستور)، مرجع تحديد مصلحة النظام، وغير ذلك، دون أن يكون هذا المشروع بعيداً عن تأثير هذه القضايا. خاصة المواد ٥، ٧، ٥٤، ٥٩، ١٠، ١٠٧، ٦٢، ١٠٩، ١١٣، وغيرها.^(١)

(١) تناولنا هذا الموضوع في آخر فصل من هذا الكتاب بصورة موجزة. أيضاً أنظر: المؤلف، «ارتباط متقابل انقلاب إسلامي إيران و جنبش شيعيان عراق» انقلاب إسلامي و ريشه های آن، مجموعه مقالات همایش انقلاب اسلامی ایران، ج ٢، صص ٣٩٨ - ٣٥٩؛ محمد حسين روزي طلب، «بازتاب آراء شهيد صدر در قانون اساسي» في:

الفصل العاشر: **الشهيد الصدر والثورة الإسلامية**

المقدمة

الهدف الأسمى الذي سعى الشهيد السيد محمد باقر الصدر إلى تحقيقه هو القيام بثورة شاملة سياسية-اجتماعية، على أن تكون هذه الثورة أولاً، قائمة على قوانين وأسس نظرية من الدين الإسلامي، ولا تتعارض مع العقل السليم للبشر. أي أن تكون في الواقع ثورة قائمة على الأسس العقلية والشرعية معاً. لأنه من وجهة نظره، لا يوجد تعارض أو تناقض بين العقل والشرع، بمعنى أنه لا يوجد تعارض جوهري بين دين الله والفطرة السليمة الإنسانية. بمعنى أن العقل والشرع ينبعان من خالق واحد ومبدع واحد، مع هدف ورؤية واحدة، وهو أن يحقق كل منهما للإنسان السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، ولا خلاف في ذلك. لهذا السبب، رفض الشهيد الصدر الأخبارية والأشعرية والأقوال المبنية عليهما، وسار على نهج الفلاسفة العظام مثل الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، الشيخ الإشراق، والملا صدرا، متأسيًا بأفكارهم. وبالتالي، كان يسعى لتحقيق ثورة شرعية-عقلية أو ثورة دينية-سياسية قائمة على مقتضيات العقل والزمان. ثورة يكون للشعب فيها الدور الأساسي والمحوري في تحقيقها واستمرارها، تماماً كما أن للدين والمذهب دوراً مهماً في تلك الثورة.

قال هرائر كمجيان في هذا الصدد:

«لقد رَوَّج باقر الصدر بوضوح لنظرية شاملة للثورة الاجتماعية والسياسية التي تهدف إلى إقامة مجتمع إسلامي، والتي تجسدت في حكومة آية

الله الخميني».^(١)

أو كما كتب السيد علي خان:

قدم الشهيد السيد الصدر نظرية واضحة وصريحة لتحقيق الجهاد والثورة الإسلامية في هذه الحقبة.^(٢)

لذا نلاحظ أن الشهيد السيد الصدر، في إطار هذا الهدف السامي المتمثل في تحقيق الأمة الإسلامية والمجتمع الإسلامي، الذي كان يرى أنه مجتمع يعتمد العقل والدين معاً (ويعتبرهما وجهين لعملة واحدة)، قد طرح هذا المشروع. وفي دراسته للدين ناقش مسألة أن الدين هو بعد من الوجود الفطري والتركيب الذاتي للإنسان، وتم تدوينه كقانون مدوّن، والذي أُعطي للبشر عبر الوحي. يستخدم الشهيد الصدر مصطلحين عامين عند التحدث عن الدين.

١ - الدين باعتباره بعداً من فطرة الإنسان الإلهية، وفي هذا الصدد يشير إلى الآية ٣٠ من سورة الروم فيقول:

«... الدين هو طبيعة الناس، هو الفطرة الإلهية التي خلق الله الناس عليها، ولا يمكن أبداً تغيير الخلق. هذا القول هو في حد ذاته قول عن الحقيقة. إنه جملة إخبارية. ليست قاعدة إنشائية (هذا الكلام كلام خبري موضوعي وليس تشريعي إنشائي)... وكما لا يمكنك فصل أي جزء من أجزاء الإنسان عن ذاته، لا يمكنك إزالة دينه منه. الدين ليس مسألة تتعلق بالحضارة التي اكتسبها الإنسان عبر التاريخ، أو يمكن أن تُعطى لشخص آخر، أو أن يُعبر شخص عن تبرؤة منها. لأنه في هذه الحالة، لن يكون الدين فطرة إلهية بعد...»^(٣)

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٢) مجلة الشهادة، ٢١ شوال إلى ١٤١، العدد ٤٩٧، ص ٤.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، ص ١١٦؛ ستهای تاریخ در قرآن، ترجمه سيد جمال موسوی، ص ١٧٦.

٢ - الدين باعتباره مجموعة من القوانين واللوائح السماوية التي أنزلها الله سبحانه وتعالى لهداية البشر. وأشار إلى الآية السابعة عشرة من سورة الشورى ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ... ﴾. وقال في هذا الصدد:

هنا يُنظر إلى الدين باعتباره تشريعاً وقانوناً، وهو أمر جاء من عند الله سبحانه وتعالى...^(١)

في هذا التفسير والفهم للدين وعلاقته بالإنسان كجزء من وجوده، تُطرح أهم قضية تخص الإنسان في علاقته بإدارة مصيره، وهي: العلاقة بين العقل والإدراك والتفكير العقلاني من جهة، والدين وبيان الشريعة من جهة أخرى. يمكن القول أنه وفقاً لرؤية الشهيد الصدر، فإن العقل والدين هما في الواقع حقيقة واحدة بوجهين، وجه مدون ومعروف تحت اسم الدين أو الشرع والشريعة، ووجه غير مدون وغير معروف، بل محفوظ ومحمّر في وجود الإنسان الداخلي وجوهره. هذان الوجهان (المحمّر والمضبوط) و(الفطري والمدون) ليسا إلا وجهين لحقيقة واحدة، وكلاهما يُسمى «الدين»، الأول هو الدين التشريعي، والثاني هو الدين الفطري. إذن، ما يشعر به البشر من خلال وعيهم العقلي والفطري ويتفهمونه، لا يتعارض مع ما جاء به الأنبياء، وبهذا الشكل يمكن للبشرية أن تكون لها قاعدة واحدة ولكن بوجهين، عقلاني وديني.

ضرورة الثورة

في رؤية الشهيد الصدر، يُعتبر تحول المجتمع وتطويره نحو العدالة والكمال والسعادة وتوفير الحياة المادية والمعنوية للأفراد أمراً مسلماً وقاطعاً، وهو من ضرورات المجتمع الديني والإسلامي. وذلك لأن الركود والجمود

(١) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه، ص ٨٢.

والارتداد والتراجع بكل أشكاله يُعتبر من الميتات، ولا يمكن قبوله بأي حال من الأحوال، وكان يرى المجتمع دائماً بحاجة إلى التحول، وكان يطرح هذا التحول في بعدين أساسيين: «الإصلاح» أو «الدعوة الإسلامية» و«الثورة» أو «الدعوة الثورية». على سبيل المثال، في المناقشات المتعلقة بحزب الدعوة، كان يصرح بوضوح أن هذين الأمرين يمكن النظر إليهما بناءً على مقتضيات وخصائص الزمان، والقدرات والموارد المتاحة. ومن هنا، لا يمكن اعتباره راديكالياً محضاً أو إصلاحياً محضاً، حيث لا يربط تحقيق الإصلاح أو الثورة بالزمان والموارد والظروف السياسية والاجتماعية. في حالة حدوث ضعف أو خلل في الحكومة والمجتمع، كان يوصي بالإصلاح. أما في الحالات الخاصة الحرجة للمجتمع، حيث لا يمكن الوصول إلى نتيجة عبر الإصلاح والترميم في مختلف المجالات، كان يؤكد على ضرورة الثورة أو النهضة الثورية. على سبيل المثال، كان يطرح ذلك بشكل واضح:

عندما يفقد الإسلام مركزيته كأساس إسلامي للمجتمع، ويُستبدل بالأسس المعادية (واللاإنسانية)، أو عندما يفقد جوهره الأساسي داخل المجتمع، في مثل هذه الظروف يصبح من الضروري أن تتخذ الدعوة الإسلامية طابعاً ثورياً...^(١)

كما يطرح العلامة الشهيد من خلال دراسة تاريخية أنه منذ الحرب العالمية الأولى فما بعد، ظهرت حالة، وخاصة في العالم الإسلامي، لا يوجد فيها سبيل لإصلاح وإحياء حياة المجتمع إلا من خلال الثورة. «إن قضية الإسلام في مثل هذه الظروف ليست قضية إصلاح بل قضية ثورة...»^(٢).

(١) المصدر نفسه؛ المصدر نفسه.

(٢) محمد الحسيني، المصدر نفسه، ص ٣٦٢.

والسبب في ذلك واضح، لأن تحول المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث كان بطريقة جعلت الإسلام يفقد موقعه في المجتمع ويخسر دوره كقاعدة أساسية للنظام السياسي والاجتماعي.

منذ ذلك الحين، وبعدما فقد الإسلام مكانته ومركزيته، أصبح من الواضح ضرورة نهضة ثورية.^(١)

بعد دراسته لأوضاع العالم المعاصر وخاصة في المجتمعات الإسلامية، أكد أنه لا يوجد سبيل آخر للتحرر والنصر النهائي للأمة الإسلامية سوى الثورة.

في الوقت الحاضر، يعيش الإنسان المسلم في صراع واسع ضد تحلفه الاجتماعي... ولكن، بعد جميع الجهود الطيبة وغير الطيبة التي يبذلها، لن يجد إلا طريقاً واحداً للنصر النهائي: الثورة في ضوء الإسلام.^(٢)

الثورة التي يقصدها الشهيد الصدر

ذكرنا فيما سبق أن الشهيد الصدر اعتبر التحول الاجتماعي أمراً حيوياً، وطرح هذا التحول في إطار التقدم العلمي والفني، والإصلاحات، والثورات. وبالتالي، لا يمكن القول أنه كان يركز فقط على طريقة واحدة لتطوير المجتمع. فهو يعتبر أن الظروف الزمانية والمكانية، بالإضافة إلى الظروف السياسية والاجتماعية، تلعب دوراً أساسياً في تحديد الآليات المناسبة للتحول الاجتماعي. وبناءً على هذه الظروف، ومع مراعاة الإمكانيات والقدرات

(١) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الإسلامية، ص ١٨٠؛ اسلام و مكتبهائ اقتصادى، صص

المتاحة، كان يمكنه اختيار الطريق الذي يراه مناسباً.

على أي حال، لقد اعتبر الشهيد الصدر الثورة ضرورة للعالم المعاصر. لكن يبقى السؤال: عن أي ثورة يتحدث؟ ما خصائصها وسماتها؟

في شرح الثورة، ركّز الشهيد الصدر على التحول الجذري والعميق الذي يهدف إلى خلق حياة جديدة ومستقبل مختلف. في هذا السياق، كان يُعبّر عن الثورة أو الحركة الثورية بهذه الطريقة:

في الوقت الذي تمتلك فيه الحركة الثورية فهماً دقيقاً وعميقاً للواقع الذي يعيشه المجتمع، فإنها لا تستسلم مطلقاً للأجواء السائدة في الظروف الحالية. وبما أن هذه الأجواء تتناقض مع المبادئ الفكرية والمذهبية التي تقوم عليها، فإنه يصّر على التغيير العميق والتحول الجذري. في هذا السياق، ومن خلال الاستفادة من الثراء الرسالي الذي تتحمل مسؤوليته، تقدم النهضة الثورية بشائر حياة جديدة تستند إلى أسس مبدئية ومبنية على غنى إيديولوجي. إنها حياة تضع معايير الماضي في قبور التاريخ وتؤسس لحياة جديدة، حيث تعيد تنظيم الحياة الفردية والاجتماعية، وكذلك الأنشطة الحكومية في إطار جديد وثورى.^(١)

بشكل عام، من خلال دراسة وجهة نظر الشهيد الصدر وعباراته المتعلقة بالثورة، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

الثورة هي حركة مقاومة عنيدة، تستند إلى مبادئ فكرية محددة، وتسعى، بناءً على فهم دقيق للواقع، إلى التغيير الجذري والعميق في جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية والسياسية. هذه الثورة تتصدى لتغيير المعايير والقيم الأساسية السائدة في المجتمع.^(٢)

(١) از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٧.

(٢) محمد حسين جمشيدى، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

عناصر الثورة

بناءً على التعريف الذي قدّمه الشهيد العلامة السيد محمد باقر الصدر للثورة أو النهضة الثورية، يمكن القول إن من أبرز الخصائص والعناصر التي تميز الثورة في نظره هي:

الوعي والمعرفة

في رؤية الشهيد الصدر، تتطلب الثورة الوعي والمعرفة، وكذلك «الفهم الدقيق» و«الاستيعاب العميق». لأنه بدون الوعي والمعرفة لا يمكن حدوث مثل هذه الحركة. هذا الوعي له بعدان أو جانبان:

١- الجانب الذي يتوافق مع الواقع الموجود، أي معرفة ما هو موجود بالفعل. «لديه فهم دقيق واستيعاب عميق للواقع الذي تعاني منه الأمة».^(١)

٢- الجانب الإيجابي للمعرفة، أي الوعي بالهدف الذي تسعى الأمة لتحقيقه وما يتم العمل به للوصول إلى هذا الهدف. هذه المعرفة نوع من الوعي التوافقي، أي تكييف الشروط والموارد مع المبادئ الفكرية والنظرية.

في نظر الشهيد الصدر أنّ هذين النوعين من المعرفة والوعي، أي الوعي بالمشهد أو معرفة المذهب والوعي بالمقتضيات والظروف والأوضاع الاجتماعية، تترتب عليهما ضرورة وجود نوع ثالث من الوعي، وهو الدراسة المقارنة بين هاتين المعرفتين (معرفة المذهب ومعرفة المقتضيات أو معرفة الزمان). بناءً على ذلك، فإن الوعي والمعرفة هنا لهما أبعاد شاملة وواسعة من جميع الجوانب.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الوعي الثوري يتضمن الوعي بالمقتضيات

(١) المصدر نفسه.

والوضع الراهن، وأيضاً الوعي بالوضع المطلوب وما يجب تحقيقه. ومن دون هذين النوعين من المعرفة والوعي، لا معنى للوعي الثوري. لأن الثورة من وجهة نظره هي في الواقع «من أبرز مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يظهر السلوك الجماعي والشامل للناس في انتفاضتهم ضد المنكرات السائدة لدى الحكام الذين يتخطون ويصرون على المعاصي».^(١)

ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الواجبات الدينية والشرعية الأساسية التي تؤدي إلى تحقيق العدالة، وإقامة الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحليل المكاسب، ومنع المظالم، وإعمار الأراضي، وأخذ حق المظلوم من الظالم، وغيرها من النتائج الهامة:

من أعظم الواجبات الدينية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... تقام الفرائض، وتأمين المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتمنع المظالم، وتعمّر الأرض، ويتنصف المظلوم من الظالم...^(٢)

إذا كانت الثورة من المظاهر والمصاديق البارزة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أحد أهم شروط تحققها هو معرفة المعروف والمنكر وكيفية تحقق ذلك.

في تحقيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هناك عدة شروط، أولها معرفة المعروف والمنكر حتى وإن كانت هذه المعرفة إجمالية. وبناءً على ذلك، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يجب على الجاهل بهما:

«... معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجبان على الجاهل بالمعروف

(١) محمد رضا حاتمي، نظريه انقلاب در اسلام، ص ١٦.

(٢) محمد باقر الصدر، منهاج الصالحين (تعليقات)، ج ١، ص ٤٨٧.

والمنكر»^(١).

«وبناءً على ذلك، فإن الثورة بحاجة إلى المعرفة والفهم والوعي. فالشهاد الصدر في حديثه عن تحقيق الثورة والانتفاضة والحركة كان يركز على أهمية الفهم والوعي. فقد كتب في كتابه «رسالتنا» ... :

وأكبر سبب لهذه الكارثة (ضعف وعجز المجتمعات الإسلامية) هو أن الأمة الإسلامية عموماً أو غالباً، لم تدرك الأصل الثالث (الانتفاضة والثورة) الذي هو فهم المذهب ومعرفته... لذا فمعرفة المذهب وأصول الإسلام للأمة أمر ضروري وعاجل، لأنه يكمل الشروط الأساسية للحركة»^(٢).

رفض الوضع الموجود

الركن الثاني من تعريف الثورة في رؤية الشهيد الصدر هو رفض الوضع الموجود. وهذا الرفض يكون كاملاً ومئة بالمئة، أي أنه يشمل جميع الرؤى، والأسس، والمبادئ، والمرتكزات الفكرية، والثقافية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية للمجتمع. ولذلك قال:

«لا يتم التسليم بأي حال من الأحوال بالوضع القائم والظروف الجارية، ولأنه يجد هذا الوضع في تضاد وصراع مع المبادئ والأفكار المبدئية الخاصة به، فإنه يسعى بجدية إلى إيجاد تحول عميق وجوهري في هذا الوضع»^(٣).

كما يتضح من هذا القول، هناك ارتباط وثيق وعميق بين العنصر الأول، المعرفة والوعي، والعنصر الثاني، رفض الوضع القائم. دون المعرفة، لا يكون

(١) المصدر نفسه، ص ٤٨٨.

(٢) رسالتنا، صص ٢٤ - ٢٢؛ رسالت ما، صص ٢٠ - ١٨.

(٣) از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٧.

رفض الوضع الموجود ذا معنى، ودون معرفة الوضع القائم والأيديولوجية المذهبية التي يتم بناء الثورة على أساسها، لا يمكن الوقوف بوجه الوضع القائم. كما قال الإمام علي عليه السلام: «يَا كُمْيْلُ مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةٍ»^(١).

القرآن الكريم أيضًا أكد مرارًا على ضرورة الحركة والعمل مع الوعي، وحذر من العمل غير الواعي أو بدون معرفة وعلم. على سبيل المثال يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

بشكل عام، من وجهة نظر الشهيد الصدر، الثورة تعني: «... تغيير وتحول عميق وجذري في جميع جوانب الحياة الفردية، الاجتماعية، والسياسية، وكذلك في المعايير، والمبادئ، والقيم الجذرية السائدة»^(٣). وهذا البيان يعكس رفضًا شاملاً للوضع القائم.

بشارة الحياة الجديدة

الركن الثالث في تعريف الثورة ووقوعها في فكر وسيرة الشهيد الصدر هو بشارة الحياة الجديدة، والاستقرار، وإنشاء «تصور جديد» وثوري. بمعنى أنه مع رفض الوضع القائم، يطمح إلى خلق وضع مثالي ومطلوب. وضع تتغير فيه كل الأشياء، ولا يبقى فيه شيء من الماضي أو الوضع القائم. وبناءً عليه، في فكر وسيرة الشهيد الصدر، الثورة هي تحول كامل وشامل. تحول يؤثر من

(١) المجلسي، المصدر نفسه، ج ٧٧، ص ٢٦٧.

(٢) الإسراء (١٧): ٣٦.

(٣) الصدر، المصدر نفسه، صص ٢٩ - ٢٧؛ الحسيني، الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، صص ٣٦٢ - ٣٦١؛ جمشیدی، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

جميع النواحي على القيم، والعقائد، والثقافة، والعادات والتقاليد، والسياسات القديمة، ويعرض للمجتمع تصوّرًا جديدًا تمامًا.

من هنا، يختلف مفهوم الثورة عن الإصلاح، والتمرد، والانقلابات الأخرى أو الحركات السياسية والاجتماعية. إذا كان هدف الإصلاح هو:

إصلاح وترميم بعض جوانب الواقع الاجتماعي، مع الحفاظ على الإطار العام للواقع القائم، فهو يتجنب التطرق إلى جوانب أخرى فاسدة في الواقع الاجتماعي أو الأسس التي تشكل القاعدة والركيزة للوضع الحالي.^(١)

أما الثورة، فهدفها تغيير الهوية الموجودة وإنشاء هوية جديدة، وهو ما يعكس في حقيقة الأمر ضرورة التغيير والتحول في القيم، والأفكار، والمبادئ، والهياكل، والمؤسسات.

القضية هي ضرورة بناء هوية الأمة ووجودها على أساس الإسلام، بحيث تتمكن من تحقيق سعادة حقيقية في هذا العالم.^(٢)

وبالتالي، في الثورة، يتضمن التحول في الهوية والتغيير الجذري للأفكار، والنظريات، والمبادئ، والمؤسسات، وهو ما يتطلب تحولاً عميقاً في القيم والأيدولوجيات التي كانت سائدة.

المذهب والأيدولوجيا

هل يمكن للثورة أن تقع دون وجود مجموعة من المعتقدات والفرضيات المستندة إليها، أو دون وجود أفكار وآراء و«يجب» و«لا يجب»؟ بالطبع لا. المذهب والأيدولوجيا الناتجة عنه أو المبنية عليه هما الأم والأصل للثورة.

(١) از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠.

الأيديولوجيا المذهبية والإنسانية هي بمثابة تيار فكري وعقائدي يوجه الثوار، ويخلق لهم مثلاً وأيديولوجيا مثالية، ويهاجم الوضع القائم والأيديولوجيا والمذهب السائد، ويعد بحياة وقيم جديدة. من هنا، فإن أي ثورة لم تتحقق دون نظرة أو رؤية للعالم وأيديولوجيا مبنية على تلك الرؤية. يكتب ألكسي دو توكفيل عن الثورة الفرنسية:

وبهذه الطريقة، على الرغم من أن الثورة الفرنسية كانت في الظاهر ذات مصدر سياسي، إلا أنها في نفس الوقت عملت كثورة دينية، وأخذت العديد من جوانبها هذا الطابع... كما هو الحال مع جميع الحركات الدينية الكبرى، سعت إلى التبشير بإنجيل جديد والترويج له...^(١)

أكد الشهيد الصدر على أهمية عنصري المذهب والأيديولوجيا للثورة. فقد طرح في كتابه «رسالتنا» ما يلي:

الشرط الأساسي لنهضة الأمة، أي أمة كانت، هو وجود مذهب شريف وغني يحدد أهدافها وغاياتها، ويضع لها مُثُل وقدوات عليا وأيديولوجية مثالية، ويحدد اتجاه الأمة في مسار حياتها، وتحت ظلاله تسير الأمة بكل ثقة نحو الرسالة التي تحملها، وبناءً على الأهداف والغايات المستلزمة من هذا المذهب، والشخصية الروحية والمعنوية المبنية عليه، وباطمئنان كامل تسير في الطريق الواعي...^(٢)

في الواقع، من وجهة نظر الشهيد الصدر، لا يمكن إحداث ثورة أو إجراء تغيير في النظام الحاكم بدون الاعتماد على مذهب غني وصالح والإيمان به، ومعرفة أبعاده وجوانبه والقيم التي يطرحها. لكن من وجهة نظره، فإن «الإسلام»

(١) ألكسي دو توكفيل، انقلاب فرانسه و رُثيم پيش از آن، ترجمه محمد حسين ثلاثي، ص ٣٩.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٢١؛ رسالت ما، ص ١٧.

كدين قيم وشامل، وفي الوقت نفسه قادر على حل القضايا والمشكلات الجديدة، يمتلك الإمكانية الكامنة لتحقيق ثورة اجتماعية - سياسية شاملة. طبعاً البعد الثاني في المسألة أعني الإيمان به متوفر إلى حد ما بين المسلمين، وإن كان ضعيفاً للغاية، ولكن الأهم من ذلك هو معرفة الدين وقيمه، وهو الأمر الذي بدأ يُنسى بشكل كبير في القرون الأخيرة. لذا فضرورة معرفة الإسلام كمذهب ثوري أصبح أمراً بارزاً وواضحاً. ومن هنا، اعتقد الشهيد الصدر أن أكبر مشكلة تواجه المجتمعات الإسلامية هي عدم معرفة الإسلام أو المعرفة الخاطئة والمشوهة عنه، ويؤكد على ضرورة الوعي بتعاليمه الحقيقية.

«لذلك، فإن معرفة دين الإسلام وأصوله تعدّ ضرورة ملحة للأمة، وهي تكمل الشروط الأساسية للنهضة»^(١).

الصلابة والحزم والمحق

من وجهة نظر الشهيد الصدر، من العناصر التي تميّز الثورة عن الحركات الإصلاحية والانقلابات وغيرها هو وجود الصلابة، أو الحزم، أو القدرة على المحق عند الثوار. على الرغم من أنه لا يتحدث بشكل صريح عن العنف، إلا أنه يتحدث عن صلابة الثوار، وإصرارهم وحزمهم في الوصول إلى أهدافهم. نعم، الثورة بلا صمود، وإصرار وصلابة ليست ممكنة. لذلك، يعد عنصر الإصرار، والصلابة والقدرة على الهجوم من خصائص أي ثورة، لأن الثورة تهدف إلى تغيير ما هو قائم، وهذا التغيير لا يمكن أن يحدث إلا بالإصرار والصلابة.

ومع ذلك، فإن العنف، الذي يعتبره البعض أحد خصائص الثورات، لا

(١) المصدر نفسه، ص ١٧؛ المصدر نفسه، ص ٢٠.

يوليه الشهيد الصدر اهتمامًا كبيرًا، لأنه من وجهة نظره، يمكن أن تحدث الثورة من خلال الإصرار والصلابة بطريقة سلمية، دون الحاجة إلى إراقة الدماء أو استخدام العنف المفرط. بناءً على ذلك، إذا اعتبرنا العنف وسيلة من وسائل الثورة، فقد نعتبره شرطًا غير ضروري. لكن هذا الأمر يعتمد على مقتضيات وظروف وتطورات الثورة نفسها. على الرغم من أن ثورات كثيرة لجأت إلى استخدام العنف كوسيلة للقضاء على المعارضين، خاصة بعد انتصار الثورة، إلا أن الشهيد الصدر لا يناقش هذا الموضوع بشكل دقيق في كتاباته.

الثوار أم الناس؟

الثوار عنصر أساسي في الثورة وأحد أركانها. ولما كانت الثورة تستهدف جميع أركان المجتمع وأبعاده، وتحاول التأثير على جميع جوانبه، فلا يمكن أن تكون محدودة أو خاصة بفئة معينة. إذن، من الخصائص المهمة للثورة، خلافًا للإصلاح أو الانقلاب أو غيرهما، هو شموليتها وعموميتها. هذه الشمولية للثورة تفرض ضرورة أخرى، وهي شمولية الثوار أو الذين يقومون بالثورة. وإلا، فإن الثورة ستتحول إلى حركة فئوية، حزبية، جماعية أو طبقية، وما إلى ذلك. بينما الثورة هي حركة جماهيرية وعامة، تشمل جميع الناس. من هنا، يعدّ الشعب العنصر الثاني في الثورة إلى جانب المذهب، والمتمثل في المجتمع الإسلامي بحسب رأي الشهيد الصدر.

تتجسد أفكار الناس في إطار سياسي - قانوني، ولذا اعتبر الشهيد الصدر أن العامل الأساسي للثورة هو «الشعب» أو «الأمة» أو «المجتمع»، ولا يمكن للثورة أن تتحقق إلا من خلالها. الشعب هو العنصر الفاعل في الثورة، وبدونه، لن تتحقق الثورة من الأساس. الوعي والاستعداد والاختيار الشعبي

أيضًا من البرامج المهمة في هذا السياق.

... حول شروط انتصار الحركة التي تتمثل في استعداد المجتمع، يقول برنامج الإسلام أنه يجب أن تتحقق هذه الشروط بطريقة طبيعية وعادية، أي أن كل أمة يجب أن تجد نفسها مستعدة للتغيير والتطور...^(١)

وفي موضع آخر:

بالطبع، إذا شاء الله، يمكنه أن يخلق الظروف المناسبة والاستعداد الاجتماعي بطريقة إعجازية. ولكن هذا يتناقض مع سنة الخلق الإلهية، لأن أساس الخلق البشري هو الامتحان والابتلاء. فالتطور الإنساني يرتبط بهذا الامتحان، ومن مقتضيات تنفيذ برنامج الامتحان أن تكون استعدادات الناس للتغيير والتطور اختيارية، وليس بقوة الجبر الإلهي...^(٢)

العوامل والمتطلبات والإمكانات

كما أكد الشهيد الصدر على العوامل المتعددة، والمتطلبات، والأدوات، والظروف والإمكانات اللازمة للثورة. وكذلك عند مناقشته في بعض الأحيان ظروف واحتياجات الثورة استخدم مفاهيم مثل «الظلم والاضطهاد»، «التناقض بين المستكبر والمستضعف، القوي والضعيف»، أو «التناقض بين الإنسان والإنسان»، التي تعتبر أمورًا إنسانية وإرادية، وفي الوقت ذاته غير طبقية.^(٣) بالطبع، يشمل هذا أيضًا إمكانات وقدرات الثوار وظروف النظام الحاكم الذي يواجهونه.

(١) السيد محمد باقر الصدر، انقلاب مهدي وپندارها، ترجمه سيد احمد علم الهدى، صص ٩٦ - ٩٥.

(٢) المؤلف نفسه، امام مهدي حماسه اى از نور، ترجمه كتابخانه بزرگ اسلامى، صص ٧٧ - ٧٦.

(٣) انظر: السيد محمد باقر الصدر، المدرسة الاسلامية، المحاضر تان ١٢ و ١٣.

قيادة الثورة

يشدد على دور القيادة كإحدى العوامل الأساسية للثورة، ويشير إلى أن إحداث التحول الجذري في المجتمع يتطلب بطلاً وقائداً وفكرًا إيديولوجيًا. القائد الذي يجب أن يكون ثوريًا، متفانيًا، وأن يمتلك «فكرًا وتخطيطًا» وكذلك قوة فكرية وقدرة روحية وإدارية عالية، بحيث يستطيع أن يحقق سيطرة روحية ومعنوية على المجتمع الذي يمكنه تغييره. كما يناقش أدوات وإمكانات الثورة مثل «العقل»، «التجربة»، «استخدام العواطف بشكل صحيح»، «الأمل»، «الأخلاق والمعنوية»، «الوحدة والتضامن»، «النمو الفكري»، «الوعي الاجتماعي»، «التنظيم»، و«التحزب»، وغيرها من الأدوات التي تلعب دورًا مهمًا في النجاح الثوري.^(١)

الشهيد الصدر وقيام الثورة

منذ بداية حياته العلمية والسياسية، ثم في مراحل اجتهاده، كان الشهيد الصدر يسعى لتحقيق الثورة التي طرحها في رؤيته السياسية والاجتماعية. كان هذا الهدف الأساسي بالنسبة له، ولم يتوقف عن السعي لتحقيقه حتى نهاية حياته. استند في ذلك إلى الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، مؤكدًا أن التغيير الداخلي للإنسان هو الأساس للتحول الاجتماعي.^(٣)

(١) انظر: محمد حسين جمشيدى، اندیشه سياسی شهيد رابع امام السيد محمد باقر الصدر، صص ١٣٠ - ١٢٣.

(٢) رعد (١٣): ١١.

(٣) مجلة الشهادة، ش ١٣٧، ٢٢ مهر ١٣٧١، ص ٤.

مما ركز عليه الشهيد الصدر:

١- البعد الذاتي الروحية والمعنوية أو (الجهاد الأكبر)

لقد اتخذ خطوات هامة وأساسية في هذا البعد. طيلة حياته وكذلك في أعماله، كان يظهر سعيه المتواصل في طريق الجهاد الأكبر والتزكية الذاتية. كما قال آية الله إمامي كاشاني:

إن محاضرة الشهيد الصدر حول التعلق بالدنيا تُظهر مدى التزامه في الله، ودرجة تقواه وورعه.^(١)

وفيما يخص الزهد والإخلاص، قال السيد فاضل النوري:

كان الشهيد الصدر (رضوان الله عليه) يتجنب جميع مظاهر الدنيا بناءً على معرفته بحقيقتها وفضل الفضائل عليها، وكان يطلب الأمور الثابتة من عند الله سبحانه وتعالى، وهذا هو نفس شأن آبائه الكرام. وعندما كان يكتب كتابه القيم والفريد «فلسفتنا»، لم يكن لديه دافع للشهرة الدنيوية... ولذلك قرر أن يُنشر الكتاب باسم «جماعة العلماء»، وبالتالي كان بعيداً عن السعي وراء الشهرة، وفضل الآخرين على نفسه، وقدّم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.^(٢)

٢- السعي البياني من أجل تحفيز الجماهير وإيقاظهم

كما كان يؤكد في العديد من خطبه وبياناته وكتاباتهِ على ضرورة الثورة وإيقاظ الناس لتحقيقها في المجتمعات الإسلامية. إلى حد أن جُلَّهم كان

(١) المصدر نفسه.

(٢) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، صص ٤٤.

تحفيز الأمة من خلال التنبيه والإيقاظ، ودفعها نحو تحقيق الثورة. إن بياناته وكتابات مليئة بالعديد من الأمثلة التي طرحها في هذا السياق. وفيما يلي بعض من هذه الأمثلة:

في كتابه «رسالتنا»، بالإضافة إلى تأكيده على ضرورة الحركة والقيام، تناول قضية المذهب وضرورة فهمه الصحيح كأحد الأسس الرئيسية للثورة. وقال:

«إن القضية المهمة اليوم للأمة - التي تدين بمذهب صالح وتؤمن به - هي أن تتجه نحو فهم الإسلام ومعرفة حقائقه، واكتشاف الكنوز الخفية والأبدية فيه، لكي يصبح الإسلام وطريقة تفكيره جزءاً أساسياً في وجود الأمة ويكون المحرك الحقيقي لها، وتكون هناك قيادة أمينة نحو تحقيق ثورة عامة حقيقية. وبالتالي، فإن الفهم العام لمدرسة الإسلام أصبح ضرورة فعلية للأمة التي تكمل الشروط الأساسية لنجاح النهضة».^(١)

في هذا البيان، يُطرح الموضوعان الأساسيان للثورة والنهضة كهدف رئيسي، واللذان يرتكزان على ثلاثة أركان أساسية، هي:

١ - الدين الحقيقي والصالح والمناسب (البعد الوجودي).

٢ - العلاقة التصورية والعاطفية مع المذهب أو الإيمان به (البعد العاطفي والتصوري)؛

٣ - العلاقة المعرفية مع المذهب (البعد المعرفي) أو معرفة المذهب (البعد المعرفي - الاستمولوجي).

بحسب الشهيد الصدر، فإن شعبنا يمتلك الركن الأول، لأن الإسلام

(١) السيد محمد باقر الصدر، رسالتنا، ص ٢٤؛ رسالت ما، ص ٢٠.

كامن فيه بالقوة وبشكل غير معروف أو كأيدولوجية ونظرية موجودة. أما الركن الثاني، أي العلاقة التصورية والعاطفية للشعب مع الدين، فهي موجودة ولكن بشكل ضعيف في كيان الأمة، رغم أن هذا البعد يحتاج إلى تعزيز. ومع ذلك، فإن تقوية هذا البعد يرتبط إلى حد كبير بالركن التالي، أي الركن المعرفي. الشعب يفتقر إلى هذا الركن الذي يعتبر أهم ركن أيديولوجي في أي ثورة، ولا يمكن تحقيق الثورة من دون المعرفة والوعي بالركن الأيديولوجي الثوري.

ومع ذلك، عندما فقد الإسلام مكانته المركزية في قاعدة (الأمة)... كان لا بد من أن تتحول الدعوة الإسلامية إلى طابع ثوري. للأسف، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، عندما دمر الاستعماريون الحكومة الإسلامية... واجهت الأمة الإسلامية هذه الحقيقة والظروف المرة...^(١)

هنا، يبدأ الشهيد الصدر بمناقشة الثورة والإصلاح والفرق بينهما، ثم يصل إلى استنتاج تاريخي-سياسي مفاده أنه منذ الحرب العالمية الأولى، لا يمكن تحسين وتطوير المجتمعات الإسلامية إلا من خلال الثورة والحركة الثورية، وأن الإصلاحات لا يمكنها أن تخرج الأمة الإسلامية من الوضع الحرج والصعب الذي كانت تمر به، والذي جعل العالم ينظر إلى الإسلام بطريقة مختلفة تمامًا عن ما كان يعترض عليه الإسلام. ولكن منذ الحرب العالمية الأولى، أصبحت هذه الظروف تشكّل حالة أزمة، وأصبح من المستحيل الخروج منها بالإصلاحات، رغم أنه قبل الحرب العالمية الأولى كان من الممكن تحسين وضع المجتمع الإسلامي من خلال الإصلاحات.

كما يذهب الشهيد الصدر في كتابه «فلسفتنا» و«المدرسة الإسلامية» إلى أبعد من الأمة الإسلامية نفسها، حيث يطرح ضرورة التحول والتغيير في

(١) از مباني فكري حزب دعوت اسلامي، ص ٢٨.

المجتمع العالمي بناءً على مبدأين: أولاً، أن العالم اليوم يواجه أزمة أساسية وشاملة؛ وثانياً، أن هذه الأزمة هي أزمة النظام الاجتماعي-السياسي. ثم يقوم بدراسة طبيعة هذه الأزمة وحلولها وفقاً للمفكرين والأيدولوجيات السياسية الكبرى في القرن العشرين، ويعكف على تحليل المدارس الفكرية الموجودة. وبالنهاية، يركز على ضرورة فهم المذهب الحقيقي الذي يتوافق مع فلسفة حياة الإنسان واحتياجاته وخصائصه الفطرية، ومن هنا تبرز الحاجة إلى الثورة أو التغيير الجذري، وهو ما يراه الشهيد الصدر يتجسد أولاً في الكتابات والرؤى والمفاهيم، ثم في المؤسسات والتفاعلات الاجتماعية.^(١)

على سبيل المثال، كتب الشهيد الصدر:

المبدأ الأساسي في هذا الطريق هو أنه في المرحلة الأولى يجب توضيح مفهوم الحياة المادية للبشر ومن ثمّ تغييرها.^(٢)

وبناءً عليه، اعتقد العلامة الصدر أن أول خطوة للخروج من الأزمة وتغيير النظرة المادية والجشعة للبشر في العصر الحديث هي التحول نحو النظرة الروحية والإنسانية التي تتوافق مع الفطرة والذات والبنية الداخلية للإنسان. من خلال هذا التغيير يمكن للبشر التخلص من الأنانية، والتسلط، والمصلحة المادية الخالصة، والفردية، والعودة إلى فطرتهم المعتدلة والعادلة، وتحقيق مقياس ومعياري يمكن من خلاله النظر إلى الخلق وهدف الحياة بشكل منطقي وصحيح. المعيار الذي يحل محل المعايير المادية والنفعية هو «رضا الله تعالى».^(٣)

(١) انظر: السيد محمد باقر الصدر، فلسفتنا، مقدمه؛ المدرسة الإسلامية، صص ٩٨ - ١١؛ مدرسه اسلامي، ص ١١٣ - ٩.

(٢) المدرسة الإسلامية، ص ٨٧؛ مدرسه اسلامي، ص ٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٨٩؛ المصدر نفسه، ص ٩٨.

على ضوء هذا المعيار، يصبح الإنسان قادرًا على استبدال «أولوية الربح» بـ «أولوية المصلحة العامة»، دون أن يهمل مصلحته الشخصية أيضًا. في الواقع، أن هذا الإنسان، حين يولي اهتمامًا للآخرين، لا يهمل نفسه، ويحقق المصالح العامة والشخصية معًا دون تعارض، ولا يضحي بأحدهما لصالح الآخر. بناءً على ذلك، يحقق الإنسان «الذات السياسية» الجديدة التي تمكنه:

«من تحليل قضايا الكون من منظور غير مادي. هذا العقل السياسي العميق هو نفسه الرسالة التي تضمن سلامة الإنسان وسعادته في العالم. وبالتأكيد، فإن هذه الرسالة المخلصة هي الرسالة الأبدية للإسلام».^(١)

في ظل هذا التحول الثوري في المعرفة والإيمان، يصبح السلوك الإنساني والكلام والعمل عرضة للثورة والتغيير الجذري:

«عندما يصبح الإنسان معتقدًا بهذا المعيار، يحدث ثورة في سلوكه وكلامه ونواياه».^(٢)

وتعدّ هذه الثورة الداخلية أرضية خصبة للثورة الظافرة، أي الثورة السياسية والاجتماعية. ثورة قادرة على مواجهة الأزمة الحالية للبشرية وتجاوزها، وتحقيق السعادة والرفاهية لجميع البشر، لا لبعضهم فقط.

كما تحدث أيضًا عن ضرورة إحداث روح ثورية في الناس، بالنظر إلى الظروف المعاصرة للمجتمع، مقارنةً بالمجتمع في زمن الإمام الحسين عليه السلام:

«... أعتقد أن الناس اليوم يعانون من نفس المرض الذي كان يعاني منه الناس في زمن الإمام الحسين عليه السلام، وهو مرض فقدان الإرادة. يعرف الناس حزب البعث وحكام هذه الأرض جيدًا، ولا شك لديهم في فسقهم وجورهم وكفرهم

(١) المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٨٨؛ المصدر نفسه، ص ٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٩؛ المصدر نفسه، ص ٩٨.

وظلمهم، لكنهم يفتقرون إلى الإرادة التي تمكنهم من الجهاد في سبيل الله، وإسقاط هؤلاء الحكام الكافرين عن عروشهم، ورفع كابوس الظلم والطغيان عن أسس المجتمع. يجب علينا أن نفكر في علاج لهذا المرض، وأن نعمل على إحياء روح الإرادة في جسد هذه الأمة الميتة؛ أي ما فعله الإمام حسين عليه السلام لعلاج مرض فقدان الإرادة في الناس في زمانه، وهي تضحياته العظيمة...»^(١).

وفي رسالته التاريخية إلى الشعب الإيراني قبيل انتصار الثورة الإسلامية في إيران عندما كان الإمام الخميني في فرنسا، كتب عن أهمية واستمرار الثورة وحركة الشعب الإيراني قائلاً:

«... الحق يقال أن هذه الحركة هي أروع وأعلى تجسيد لهوية المقاومة الإسلامية لهذه الأمة التي ما زالت مستمرة. هذه الحركة الإلهية وهذه المقاومة الموحدة في الدفاع عن القيم الدينية الأساسية، هي من أعظم المكاسب الإسلامية ومن أكبر الطاقات التي تحققت لهذه الأمة في تاريخها المعاصر...»^(٢).

وفي مكان آخر من نفس الرسالة، ذكر ضرورة ومفهوم الثورة الحقيقية للشعب الإيراني قائلاً:

«... أليس من الواضح أن بناء إيران إسلامية لا يتم فقط بتغيير شكل الحكومة أو اسمها؟ بل يجب، بالإضافة إلى ذلك، أن يتم تطهير محتوى النظام، وتخفيف جذور الفساد، واستبدال القيم السلبية بالقيم الإسلامية، حتى تتجلى

(١) النعماني، الشهيد الصدر، السنوات المحنة و أيام الحصار، ص ١٣٤؛ ساهلای رنج، صص ١١٩ - ١١٨.

(٢) حائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ١٤٣؛ زندگي و افكار شهيد صدر، ص ١٥١، العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١.

المعارف القرآنية والإسلامية في جميع مجالات الحياة البشرية...»^(١).

في هذا البيان، لا يوضح فقط ماهية وأهداف الثورة الأساسية، بل يضع تعريفاً عاماً للثورة، موضحاً أنها تغيير ليس فقط في الشكل أو الاسم أو غيرها من مظاهر النظام الحاكم الظاهرية، بل هو تغيير يتطلب تحقيق ثلاثة مبادئ أساسية في النظام:

١- تطهير محتوى النظام بما يتماشى مع القيم الإسلامية الحقيقية.

تطبيق عبارة «التطهير» بدلاً من «التغيير» يوضح دقة استخدام الكلمات في هذا السياق، لأن «التطهير» يشمل التغيير بالإضافة إلى التطهير والصفاء ويعكس معنى إيجابياً في ذاته. يعني ذلك أن العملية الثورية لا تقتصر فقط على التغيير، بل تعبر أيضاً عن عملية تطهير النظام وتوجيهه نحو الأهداف السامية. ومن ثم، هذه العبارة تشير إلى فعل الثورة وكذلك إلى الغاية المنشودة منها.

٢- تجفيف منابع الفساد

من خصائص هذه الثورة أنها تركز على القضاء على جذور الفساد، ومن ثم استبدال الشرور بالأفعال الطيبة والصالحات (وما ليس فساداً). هنا، يتم التركيز على «جذور» و«أسس» الفساد، وليس فقط على «الفساد» ذاته.

٣- استبدال القيم التي تعتبر الركيزة الأساسية في هذا التعريف

يُقصد بذلك أن كل ما يعتبره النظام الحالي قيمة يجب أن يُستبدل بالقيم التي تعتبرها المدرسة أو النظرة الجديدة هي القيم الحقيقية. وهذا يرمز إلى التغيير الجذري الذي سيؤدي إلى تحول ثقافي عميق في المجتمع.

(١) المؤلف نفسه، مباحث الأصول، ص ١٤٥؛ زندگي و افكار شهيد صدر، ص ١٥٣.

كما أنه في رسالته التاريخية الثانية التي أرسلها إلى الشعب العراقي، أكد على ضرورة تحقيق الثورة. على سبيل المثال، قال:

«... الجماهير أقوى من أن تُساق تحت وطأة الاستبداد والطغاة، وهم صابرون ولكنهم لا يرضخون أبداً، وهذه هي هواجس الطغاة عبر التاريخ... لذا، فإنه من واجب كل مسلم في العراق وكل عراقي في الخارج أن يبذل قصارى جهده - حتى وإن كان حياته مهددة بالخطر - في سبيل مواصلة الجهاد والدفاع، والعمل على تدمير هؤلاء الطغاة الذين يحكمون العراق، وتحرير البلاد من برائتهم، وإقامة نظام حكم عادل وشريف وجدير يستند إلى القيم الإسلامية.»^(١)

وفي كتابه القيم «المحنة»، الذي خصصه لدراسة معاناة الإنسان المعاصر، خاصة معاناة المسلمين في العصر الحالي، شدّد على أهمية البحث عن حلول لتلك المعاناة. وركز على مسألة تقديم المصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وأكد على ضرورة «العمل الاجتماعي» الذي يعتمد على التفاعل مع الناس، والوعي بأوضاع العالم المعاصر وقضاياه، والاستفادة من تجارب الآخرين للخروج من الوضع الراهن.^(٢) ولفت الانتباه إلى ضرورة التحلي بروح التطهير والإيثار العام والاجتماعي: «روح التضحية والإيثار بالمصلحة الشخصية في سبيل المصالح العامة»^(٣) بوصفها حركة ثورية أساسية.

الفتاوى الثورية للشهيد الصدر

من وجهة نظر الشهيد الصدر: «الاجتهاد هو التخصص في علوم

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٠، صص ١٦٠ - ١٥٩.

(٢) انظر: السيد محمد باقر الصدر، المحنة، صص ٨٩ - ٥.

(٣) المصدر نفسه، صص ٧٤ - ٧٢.

الشريعة ...»^(١) بناءً على ذلك، فإن العلاقة بين المجتهد والمقلد هي علاقة بين متخصص وفرد غير مطلع أو غير متعلم يحتاج إلى رأي متخصص. ورغم أن الاجتهاد في أساسه هو القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة التفصيلية، إلا أن هذا بحد ذاته نوع من التخصص والتمرس. العلاقة بين المتخصص والمقلد هي علاقة تدور حول محتوى «الفتوى»، والفتوى هي إعلان رأي اجتهادي وتخصصي من المجتهد. الرأي الاجتهادي من هذا المنطلق هو ناتج الاجتهاد، وهو مستدل ومنطقي وشرعي، ويعتبر مقبولاً من المقلدين أو أتباع المجتهد كأمر شرعي، لأنه ناتج عن جهد واع ومتخصص من المجتهد، ويعتمد على علمه وتخصصه وعدالته. إذن، الفتوى هي رأي اجتهادي قاطع من مرجع ديني للمقلدين، أي أتباعه الشرعيين.

من هذه الزاوية، تتمتع الفتوى بمكانة هامة في العلاقة بين المرجع والمقلد، وهي علاقة تقوم أساساً على لغة وبيان رأي المجتهد القاطع والمسلم به. الفتوى، بالنسبة للمقلد وأتباع المرجع، هي نوع من الحجية، ومسؤوليتها الرئيسية تقع على عاتق المتخصص والمجتهد. لهذا السبب، قد تكتسب الفتاوى، خصوصاً في ظروف تاريخية هامة، أهمية حاسمة ربما أدت إلى تحولات عميقة في المجتمع. من أبرز الأمثلة على ذلك فتوى الإمام المجدد السيد حسن الشيرازي بشأن تحريم التبغ. الفتاوى، وخاصة تلك التي تحمل طابعاً سياسياً واجتماعياً، وتكون موجهة إلى المجتمع أو الجماعات السياسية والاجتماعية، يمكن أن تؤدي إلى تغييرات أساسية في المجتمع وتكون مصدراً للخير والتغييرات الجوهرية.

وحيث أن الشهيد الصدر كان يسعى لتحقيق تحول جذري في المجتمع،

(١) السيد محمد باقر الصدر، الفتاوى الواضحة، ج ١، ص ٨٩.

أي ثورة شاملة، كانت له أيضًا مواقف متميزة ومنفردة في مجال الفتاوى. ومن بين الفتاوى المهمة له في هذا السياق، نجد بعض المواقف التي لها دور كبير في هذا الاتجاه.

فتوى تحريم الانتماء إلى حزب البعث: استنادًا إلى هذه الفتوى، حرّم الشهيد الصدر على مقلّديه وأتباعه الانضمام إلى حزب البعث. وقد أصدر هذه الفتوى في وقت كان فيه العديد من المراجع يتجنبون إبداء آرائهم حول موضوع الانضمام إلى حزب البعث أو عدمه، حيث كانوا يتخذون موقف الصمت حيال هذا الموضوع.

على الرغم من أن الشهيد الصدر كان يدرك أن العديد من الأفراد - خاصة في العراق في تلك الفترة - لن يخرجوا من حزب البعث بناءً على هذه الفتوى، إلا أنه اتخذ هذا الموقف من أجل إنشاء نوع من الثقافة السياسية التي تقوم على المشروعية، في مقابل الثقافة السياسية اليومية أو المعتادة. وقد أوضح الشهيد ذلك بقوله:

«يجب أن نميز بين العذر وعدم الإثم بالنسبة للشخص الذي أُجبر على الانضمام إلى حزب البعث في مواجهة الله سبحانه وتعالى، وبين النتيجة العملية لهذا الفعل (العضوية) وتأثيراته الخطيرة التي قد تنجم عنه في الواقع. في الحالة الثانية، إذا أُجبر المؤمنون وغير المؤمنين على الانضمام إلى حزب البعث بسبب الضغوط المهنية أو الدراسية أو غيرها، فمع مرور الوقت، سيرى الأجيال القادمة أن الانضمام إلى حزب البعث يصبح أمرًا طبيعيًا، ولن يكون هناك من الناحية الشرعية ما يعيب ذلك.»^(١)

(١) النعماني، الشهيد الصدر، سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ١٩٤؛ ساهل رنج، صص ١٧٨ - ١٧٧؛ العاملي، محمد باقر الصدر، السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، ج ٤، ص ٦٥.

فتوى بتفكيك حزب البعث من الداخل: الشهيد الصدر في هذا السياق، وفي جوابه على بعض الذين كانوا يرغبون في معرفة تكليفهم العملي تجاه عضويتهم في الحزب، قال: «يجب عليكم أن تسعوا بكل طريقة ترونها مناسبة لتفكيك حزب (البعث) من الداخل».^(١)

وهنا يتضح أنه قد أفتى بصراحة ووضوح بتفكيك الحزب من قبل الأعضاء والمناصرين له. حتى عندما أراد المسؤولون البعثيون مع الجواسيس أن يسمعوا نص الفتوى من لسان الشهيد الصدر، وطلب منه أحد العلماء أن يراعي جانب الحذر في إجابته، رد قائلاً:

«لا بأس، لأنني أريد أن يعلم الجميع أن عضوية حزب البعث محرمة، وأن النظام أيضاً يجب أن يعرف من موقع المرجعية معارضته للحزب وأفكاره».^(٢)

هاتان الفتويان، الأولى تعبر عن حرمة الانتماء إلى حزب البعث، والثانية تعبر عن ضرورة السعي لتفكيك هذا الحزب من الداخل، صدرتا في وقت كان فيه بعض المراجع يخشى من إبداء الرأي في هذا الموضوع. وكان هذا الإجراء بمثابة موقف تحدٍ ومواجهة علنية وصريحة مع حزب البعث وقادته، وكان الشهيد الصدر يدرك جيداً أن إبداء مثل هذه المواقف سيؤدي إلى عواقب خطيرة. بالإضافة إلى ذلك، كان يعلم أنه يعيش في الحوزة العلمية ومحيط المراجع والعلماء الذين، باستثناء القليل منهم، لا يبدون استعداداً لدعمه والوقوف إلى جانبه.

(١) العامل، محمد باقر الصدر، السيرة و المسيرة فى حقائق و وثائق، ج ٤، ص ٦٦؛ النعماني، الشهيد الصدر، سنوات المحنة و ايام الحصار، ص ١٥؛ ساهل رنج، ص ١٧٨.

(٢) العامل، المصدر نفسه، النعماني، المصدر نفسه، ص ١٩٥؛ المصدر نفسه، النعماني، شهيد الامة و شاهدها، ج ٢، ص ٦١.

«لقد كان لديه دليل أو تبرير كاف لمثل هذا الموقف، وقد توصل إلى أن فوائد ونتائج هذا الإجراء لمصلحة وجود الإسلام في العراق - على المدى الطويل - تفوق الأضرار التي ستنتج عنه، وأن عدم اتخاذ مثل هذا الموقف سيؤدي إلى نتائج عكسية».^(١)

وبناءً على ذلك، عندما دخل أحد أساتذة اللغة العربية إلى مجلسه وسأله بصوت منخفض عن هذا الموضوع، أجابه الشهيد الصدر بصوت عالٍ: «حرام الانتماء إلى حزب البعث».^(٢)

إفتاؤه بالكفاح المسلح ضدّ حزب البعث الكافر:^(٣) في هذه الفتوى أجاز الشهيد الصدر الكفاح المسلح ضدّ حزب البعث وقياداته الحاكمة في العراق، وأمر مقلديه وأتباعه أن يأمّنهم حمل السلاح بوجه حزب البعث الكافر وحكام العراق. كان الهدف من الفتوى الإطاحة بنظام صدام حسين العفلقى في العراق. وفي كلامه إلى الشيخ محمد رضا النعماني قال:

«الهدف الأساسي لي هو الإطاحة بنظام صدام التكريتي، لأنه يمثل الخطر الحقيقي على الإسلام في العراق».^(٤)

فتوى حول شهداء الثورة الإسلامية الإيرانية: في وقت كان الكثير من العلماء والمراجع يعتبرون النضال ضد نظام الشاه عملاً عبثياً وغير منطقي، وحتى بعضهم امتنع عن استخدام لقب شهيد بالنسبة للقتلى الإيرانيين الذين قاوموا نظام الشاه، أصدر الشهيد الصدر فتواه التاريخية بشأن قتلى الثورة الإسلامية في إيران، حيث

(١) النعماني، الشهيد الصدر، سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ١٩٤؛ ساهلای رنج، ص ١٧٧.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٦.

(٣) محمد حسين جمشيدى، اندیشه سياسی شهيد رابع، امام السيد محمد باقر الصدر، ص ٣٢٤.

(٤) النعماني، المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٨؛ ساهلای رنج، ص ١٨٢؛ العاملي، المصدر نفسه،

قال: «الذين يقاتلون في إيران دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ويستشهدون هم شهداء، وسوف يحشرهم الله مع الإمام الحسين عليه السلام في الجنة».^(١)

يقال أنّ هذه الفتوى أثارت غضب حكام نظام البعث، حيث اعتبروها تهديداً ضمنياً لحكمهم الظالم، ولهذا السبب عقد مجلس قيادة الثورة البعثي اجتماعاً تحت عنوان «الوقاية من خطر خميني العراق»،^(٢) حيث تم وضع خطط لمواجهة شهيد الإسلام الكبير آية الله العظمى الصدر والقضاء عليه.^(٣) ولكن قبل تنفيذ هذه الخطط، انتصرت الثورة الإسلامية في إيران.

فتوى تحريم صلاة الجماعة للبعثيين: حرّم الشهيد الصدر صلاة الجماعة بإمامة من لم يكن لديه وكالة من المراجع وتم تعيينه من قبل الحكومة العراقية. يقول السيد عبد العزيز الحكيم:

«كانت هذه المسألة مهمة جداً بالنسبة للدولة، إذ تمكنت الحكومة البعثية بعد سنوات من الجهد من زرع عملائها في بعض المساجد وجذب الناس بالحيل. وبالتالي، فإن مثل هذه الفتوى تسببت بإحراج ومشاكل كبيرة لحكومة البعث».^(٤)

فتوى الإعدام الثوري لقادة حزب البعث: واحدة من أكثر الفتاوى ثورية للشهيد الصدر تلك التي أتاح لأتباعه اغتيال القادة الرئيسيين في حزب البعث حيثما وجدوا.

فتوى دعم حزب الدعوة الإسلامية

(١) الهه كولائي وآخرون، المصدر نفسه، ص ١٧.

(٢) خميني العراق، هو اللقب الذي يبدو أنّ البعثيين أطلقوه على الشهيد الصدر في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية.

(٣) الهه كولايي وآخرون، المصدر نفسه،

(٤) صحيفة إطلاعات، عدد خاص في ذكرى الشهيد آية اللهال صدر، مقابلة مع السيد عبدالعزيز الحكيم، ص ١٣.

نظرة على الإجراءات العملية للشهيد الصدر لتحقيق الثورة

بالإضافة إلى الأعمال الثقافية والفكرية والبحثية تمهيداً لتفجير الثورة، اعتبر الشهيد الصدر أن العمل والجهد العملي هو أحد أهم أركان تحول المجتمع، وكان هو نفسه رجلاً عملياً. ولذلك، قام باتخاذ عدّة إجراءات عملية لتحقيق الثورة، ومن أبرزها:

١. التعاون والسعي لتشكيل جماعة العلماء في النجف الأشرف واستمرارها: كما ذكرنا سابقاً، على الرغم من أن عمره في بداية تشكيل هذه المجموعة كان أقل من أعمار الأعضاء المؤسسين، إلا أنه لم يكن يخل في بذل الجهود لتشكيل الجماعة، بل وكان له دور كبير في إدارة المنظمة المركزية ووكالتها الإعلامية. من بين أهم أعماله كتابة المناشير والمقالات الافتتاحية لجريدة «الأضواء»، التي كتبت لشرح الرسالة الثورية للمجتمع الإسلامي ولل فرد المسلم. وقد ذكر السيد محمد حسين فضل الله في مقدمته على كتاب «رسالتنا»، الذي هو مجموعة من هذه المقالات الافتتاحية: «... كان جهد الشهيد الصدر خلال هذه الفترة (فترة التحول من النظام الملكي إلى الجمهوري)، له أثر كبير في تحرير وتقديم الخط الإسلامي الجديد في إطار نشاط «جماعة العلماء».^(١)

٢. تأسيس حزب الدعوة الإسلامية: كان هذا بمثابة جهد لتحقيق الثورة المبنية على الوعي والإدراك في المجتمع الإسلامي. كتب هرايرد كمجيان: «لكن الجماعة الأكثر تقدمية في النضال الثوري كانت «حزب الدعوة الإسلامية»، الذي يعتبر النواة المركزية لمقاومة الشيعة... يبدو أن الحزب تم

(١) رسالتنا، المصدر نفسه، ص ١٦.

تأسيسه في ٩ - ١٩٥٨ بواسطة آية الله السيد محمد باقر الصدر. كان حزب الدعوة حزبًا كبيرًا يقوده رجال دين متعلمون من أكثر المجتهدين تقدمية في العراق، أي محمد باقر الصدر.^(١)

بالإضافة إلى ذلك، كتب العلامة الشهيد العديد من المقالات حول حزب الدعوة، والأنظمة واللوائح والقوانين الأخرى المتعلقة به. كما ألف مقالات لجريدة «صوت الدعوة»، التي تعتبر من المنشورات المهمة للحزب. من بين كتاباته ومقالاته المهمة في هذا السياق: «من فكر الدعوة»، «الشخصية الإسلامية»، «الأعمال والآمال»، و«دعوتنا إلى الإسلام يجب أن تكون ثورية»، وغيرها.

٣. تأسيس أنصار جماعة العلماء: التي كانت في الواقع الجزء الشبابي والسياسي من «جماعة العلماء»، وتكونت من ثلة من الشباب المؤمنين والمفكرين، خاصة من طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات.

٤. الاستعانة برجال الدين والمسلمين من غير رجال الدين المثقفين كدعاة دينيين بين المسلمين في العراق: كانت هذه المبادرة من أهم الجهود لتشكيل النهضة الإسلامية المعاصرة في العراق، حيث أسهمت في إيجاد الحركة الإسلامية المعاصرة من خلال استخدام غير رجال الدين المتعلمين كمبلغين دينيين بين المسلمين.^(٢)

٥. إرسال مندوبين بارزين إلى دول أخرى واستخدامهم لإنشاء قواعد للنضال في بعض البلدان: على سبيل المثال، في عام ١٩٧١ م، كلّف آية الله الصدر السيد محمد مهدي الحكيم ليكون مرشدًا روحيًا للجمالية الشيعية في دبي

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ١٩٥؛ أنظر: فؤاد كاظم، أرقام وآراء حول نظام البعث في العراق، صص ٢٦٤ - ٢٦٢.

(٢) جويس ان. ويلي، المصدر نفسه، (ترجمة فارسي)، ص ١٠٧.

- من دول الخليج العربي. بقي مهدي حتى عام ١٩٨٠ في دبي، وفي تلك الفترة تم تكليفه بمهمة في لندن حيث أسس جمعية «أهل البيت» الخيرية، التي كانت أيضًا مركزًا للمؤتمرات الشيعية.^(١)

٦. تنشئة وتعليم طلاب بارزين في القضايا السياسية والاجتماعية والدينية: مثل السيد محمد حسن فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد مهدي الحكيم، والسيد محمد باقر الحكيم، والسيد كاظم الحائري، والسيد محمود الشاهرودي، وغيرهم.

٧. نشر كتبه ومقالاته ورسائله وبياناته ومكاتيبه الأخرى: على سبيل المثال، خلال فترة حصاره وقطع اتصاله بالناس، قدم ثلاث بيانات مهمة تهدف إلى إيقاظ وتوحيد الشعب العراقي من أجل إحداث ثورة في هذا البلد، وتم تسليم هذه البيانات على أشرطة التسجيل لمثليه. كانت هذه البيانات في الأصل ثلاث رسائل أساسية من زعيم ثوري خاضع للحصار إلى أتباعه وإلى جميع المسلمين لإحداث الثورة. جاء في إحدى هذه الرسائل:

«أما ما يتعلق بالعوامل القادرة على إسقاط النظام، فإنني أفكر في النضال المسلح، فالنضال المسلح وحده لا يشكل قاعدة كاملة للحفاظ على النظام وللنصر في الثورة، ما لم تتحقق جميع الأمور الأخرى».^(٢)

وفيما يتعلق بالإجراءات المسلحة لإسقاط النظام الحاكم في العراق، عرض بعض الاقتراحات والآليات، مثل:

- أ) توعية الناس وتعبئتهم بشكل علني كما حدث في إيران؛
- ب) الاستعداد لتنفيذ عمليات عسكرية داخل الجيش؛

(١) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧١.

ج) اعتقال (أو قتل) قادة النظام.^(١)

٨. إرسال الدعاة والوكلاء إلى مختلف المدن والقرى في العراق لتحقيق أهدافه الثورية.

٩. إنشاء لجنة تتكون من كل من السيد محمود الهاشمي، الشيخ عبد الحليم الزهيري، السيد صدر الدين القبانجي، والسيد محمد الحيدري لدراسة أوضاع المناطق التي تحتاج إلى دعاة وممثلين.^(٢)

١٠. إحداث تحوّل في الدروس الحوزوية: لم يتوقف عند إعطاء الدروس في التفسير الموضوعي والأخلاق والفلسفة والاقتصاد... بهدف توعية طلبة العلوم الدينية وطلبة الجامعات لدفعهم نحو الميدان السياسي والحياة العامة والنضال من أجل تغيير الأوضاع، بل دعا أيضًا طلابه إلى إقامة دروس العلوم الإسلامية بهدف خلق أفكار ثورية.^(٣)

١١. إصدار أوامر لممثليه ووكلائه بأن يعلنوا بصوت عالٍ الدعوة في تقليده (بالدعوة إلى الجهر في تقليده)^(٤) لتحقيق الثورة، وأن يتجنبوا التقية، ويبدأوا النضال ومواجهة النظام بشكل علني. وقد أعلن ذلك مخاطبًا وكلائه:

«قولوا الحقيقة، يجب أن نرهب حكومة البعث في امتدادنا في الأمة، وفي هذه المرحلة يجب إشعارهم بأننا أقوياء، كما أننا في هذه المرحلة عازمون على المواجهة، فلا داعي للتقية».^(٥)

(١) المصدر نفسه، صص ٧٢ - ٧١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٣) المصدر نفسه،

(٤) السيد محمد الحيدري، الامام محمد باقر الصدر، معاشه من قريب، ص ١٣١.

(٥) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و ايام الحصار، ص ١٩٨؛ سألهاى رنج، ص ١٨١؛

العامل، المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٨.

١٢. إجازة قتل صدام والنضال المسلح ضدّ النظام الحاكم في العراق: (١)
على سبيل المثال، عندما سأله النعماني عن رأيه بشأن قتل صدام على يد عدنان حسين، قال:

«الهدف الأساسي لي هو سقوط نظام صدام التكريتي، لأنه يشكل خطراً حقيقياً على الإسلام في العراق، ولكن عدنان حسين إذا تولى الحكم، فإنه في أسوأ الأحوال لن يكون أسوأ من صدام التكريتي». (٢)

كما أنه أشار إلى أن دعمه لعدنان حسين فيما يتعلق بقتل صدام وتولي هذه المهمة مشروط بـ«الظروف»، حيث قال: «لذا قلنا للمبعوث إن تأييدي رهين بمدى التزام عدنان حسين بهذه الشروط بعد توليه السلطة، لكنني قبل ذلك لن أعبر عن أي موقف معارض أو سلبي حتى يتضح الأمر». (٣)

كما أكد الشهيد الصدر في رسالة له حول النضال المسلح، على ضرورة توعية الناس وتنبيههم، والاستعداد لتنفيذ عمليات عسكرية داخل القوات العسكرية، وقتل قادة النظام البعثي. صرح بشكل واضح:
«لكن فكرتي في العوامل الحاسمة لإسقاط النظام هي النضال المسلح...». (٤)

١٣. كما أشار إلى ضرورة وضع سياسة وتحرك ثوري للدفاع عن الشعب العراقي من جهة، وتوسيع هذا التحرك إلى المجتمعات الإسلامية الأخرى من

(١) المصدر نفسه، السيد محمد الحيدري، المصدر نفسه، ص ١٣١. لقد طرح هذه المسألة بالنسبة للعراق ونهى عن الدعوة إلى تقليده في إيران. أنظر: هذا المصدر، ص ١٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

(٣) النعماني، المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٨؛ ساهاي رنج، ص ١٨٢.

(٤) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧١.

جهة أخرى، مؤكداً على النقاط التالية:

- (أ) استخدام المناسبات العامة مثل الحج وغيرها ؛
- (ب) إرسال نشرات لأشخاص معينين ؛
- (ج) استخدام الصحف والمجلات العالمية والعربية ؛
- (د) الاستفادة من المؤتمرات العلمية العالمية ؛
- (هـ) القيام بأعمال وإجراءات لتهيئة الشعب للقيام والثورة ؛
- (و) استخدام البريد والهاتف والتلغراف ؛
- (ز) إصدار نشرات وكتيبات توضح تصرفات النظام تجاه الشعب وعمليات الإعدام.^(١)

١٤ . تنشيط حزب الدعوة الإسلامية ودعمه مادياً ومعنوياً ؛

١٥ . الإعلان عن استعداداته للشهادة في سبيل الحق .

أهم آثار الشهيد الصدر في سياق تحقيق الثورة

هي:

١ . رسالتنا (مجموعة مقالات منشورة في «الأضواء»، organ جماعة

العلماء)؛

٢ . الإسلام يقود الحياة ؛

٣ . المنشورات الستة لجماعة العلماء ؛

٤ . منشورات حزب الدعوة الإسلامية ؛

(١) أنظر: المصدر نفسه، صص ٧٨ - ٧٧ .

٥. الأسس الإسلامية ؛
٦. التفسير الموضوعي لسُنن التاريخ في القرآن (المدرسة القرآنية) ؛
٧. الفتاوى الثورية ؛
٨. الرسائل الثلاث خلال فترة الحصار ؛
٩. رسالة حول النضال المسلح ضد النظام الحاكم في العراق؛^(١)
١٠. رسائل ومكاتيب ثورية، إصلاحية وتغييرية؛
١١. خطابات وكلمات مثل «المحنة» وغيرها ؛
١٢. رسائل ومكاتيب متعلقة بإيران والثورة الإسلامية الإيرانية ؛
١٣. حوارات ومقابلات، خاصة في السنة الأخيرة من حياته ؛
١٤. رسائل مثل «فدك في التاريخ»، حول الإمام المهدي عليه السلام، تحول الاجتهاد وغيرها.

(١) أنظر: المصدر نفسه، صص ٧٨ - ٧١.

الفصل الحادي عشر؛ الشهيد الصدر والمرجعية

مقدمة

الشهيد العلامة السيد محمد باقر الصدر مجتهد حكيم ومناضل ضحى بنفسه، وكان يؤكّد على ضرورة تشكيل حكومة إسلامية قادرة. ولهذا، كان يولى قيادة المجتمع اهتماماً في بُعدين هما:

الأول: البُعد الثقافي والمعنوي، الذي كان يتحقق من خلال التدريس، البحث والتحقيق، الخطابة، الوعظ، تأليف الكتب والمقالات، وما إلى ذلك، وهي من مستلزمات ووسائل المرجعية الضرورية.

الثاني: البُعد السياسي والنضالي، الذي يتعلق بقيادة النشاطات، الجهود، والمقاومات السياسية. من وجهة نظر الشهيد الصدر، كل مسلم بموجب إسلامه يتحمل المسؤولية السياسية والقتالية، وأن هذه المقاومة ليست فردية فحسب، بل جماعية أيضاً. كما يوضح في رسالته إلى العرب المقيمين في إيران:

«الاجتماع الإسلامي هو اجتماع يتجاوز الحدود الأرضية، ويتقدم استناداً إلى الرسالة السماوية. يجب الآن أن تتوحد جميع القلوب وتُستثمر جميع القوى تحت قيادة الإمام الخميني الحكيمة، في سبيل بناء المجتمع الإسلامي الكبير، على أمل أن تكون هذه الثورة مشعل القرآن الكريم لهداية العالم بأسره.»^(١)

هذا الأمر يعد من أهم واجبات المرجعية في نظره، حيث يجب أن «تكون

(١) حائري، زندگى و افكار شهيد صدر، صص ١٥٦ - ١٥٥.

قيادة النشاطات الإسلامية في يد مرجع قوي، واعٍ، يُدرك الظروف والأوضاع، ويعرف مشاكل وآمال الشعب.»^(١)

من المعلوم أنّه قد امتنع بتواضع عن إعلان مرجعيته. تشير هذه الخطوة إلى التزامه بهذه الفكرة الأساسية وهي أنّ مأسسة المرجعية هي مسألة إنسانية ومحدّدة، ولتحقيق ذلك، يجب أن تتجه الحركة نحو تحقيق رؤية موحدة ومقبولة من جميع المسلمين تجاه المرجعية العامة. كانت هذه الحركة تعتبر نوعاً من المقاومة ضد نظام البعث، إذ كان النظام حينها يسعى لتفكيك مؤسسة المرجعية والدفاع عن تعدد المراجع.

وقد عبّر كاظم الحائري عن ذلك بالقول:

«الشهيد الصدر منذ اليوم الأول لحكم البعثيين، عندما أدرك نواياهم الخبيثة، كان لديه قلق بشأن مسألة المرجعية.»^(٢)

لذلك، في الظروف التي تلت وفاة آية الله الحكيم، نظراً لاقتران اسم آية الله سيد أبو القاسم الخوئي بالشهرة والسمعة الأكبر مقارنة ببقية المجتهدين في زمانه، جعل الدعم لمرجعيته محط اهتمامه. وبالتوافق مع آية الله الخوئي، أحال مقلديّه إلى تقليده^(٣) وإصدار الفتاوى من قبله، ودعم مرجعيته.

المرجعية في نظر الشهيد الصدر

في رؤية الشهيد الصدر، المرجعية ليست مجرد وظيفة بيان الأحكام الفرعية للشريعة، بل إنّها تحمل المسؤوليات التالية:

(١) النعماني، الشهيد الصدر، سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ١٤٤ - ١٤٣؛ ساهلای رنج، ص ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١؛ المصدر نفسه، ص ١٤٢.

(٣) المصدر نفسه، المصدر نفسه،

١. الإشراف على الأنشطة الإسلامية والأفكار والمفاهيم التي يقدمها المجاهدون في طريق الإسلام في أي مكان من العالم الإسلامي؛^(١)
٢. تأييد ودعم الأفكار والمفاهيم الصحيحة؛
٣. إصلاح التعاليم والأفكار الخاطئة وغير الصحيحة؛
٤. قيادة الأمة على أساس مصالحها ومصالح الإسلام؛
٥. الاهتمام بقضايا الناس وشؤونهم؛
٦. منع الانحرافات والضلالات؛
٧. بيان الأحكام الفرعية للشريعة؛
٨. توجيه البرامج والإجراءات في الحوزات العلمية والأمة.

على سبيل المثال، في رسالته إلى الشعب الإيراني، قال:

«من الحقائق الثابتة أن نجاح وانتصار الشعب الإيراني في صراعه يرتبط بمدى ارتباطه بالقيادة والمرجعية الدينية القوية. نتيجة لهذا الارتباط، تمكن من تحويل شعاراته إلى حقائق... كلما غفل هذا الشعب المجاهد عن هذه الحقيقة، أوقام الآخرون باستغفاله، سوف يقع في الضلال والانحراف. لذا، فالمرجعية الدينية القوية والقيادة الروحية تعد حصناً يحمي الأمة من العديد من الانحرافات والضلالات...»^(٢).

من الضروري أن نعلم أن المرجعية التي تتحمل هذه المسؤوليات ينبغي أن تتوفر فيها الكفاءة والرشد المناسب. لذا، كان تأكيد على «المرجعية

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٤؛ ص ١٢٦.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، حائري، مباحث الأصول، ج ١، ص ١٤٤؛ العامل، المصدر نفسه، ج ٤، صص ١٢-١١.

الصالحة» و«المرجعية الرشيدة» ضرورة. وبالتالي، كانت إحدى الخطوات الأساسية للشهيد الصدر هي رفع هذه المؤسسة الدينية إلى مكانة مرموقة في المجتمع، لكي تتمكن من مواكبة احتياجات العصر وضروراته وإمكاناته، والسير جنباً إلى جنب مع الزمن.

يشير الشهيد الصدر في سياق حديثه عن المرجعية وضرورة إعادة اكتشاف أهميتها ومكانتها إلى عدة خصائص أساسية هي:

١. التمتع بصفات المرجع الديني، أي الاجتهاد المطلق والعدالة.
٢. الخط الفكري الذي يظهر من خلال مؤلفاته وبحوثه، ويجب أن يكون واضحاً أنه يؤمن بالحكومة الإسلامية وضرورة دعمها.
٣. ضرورة ممارسة المرجعية داخل الأمة بأسلوب تاريخي طبيعي متعارف عليه.

٤. يجب أن تؤكد أغلبية أعضاء مجلس المرجعية صلاحية المرجع، ويشدد على أن هذه الموافقة تأتي من عدد كبير من العاملين في مجال المعارف الدينية - يحدّد الدستور عددهم - مثل العلماء، وطلاب الحوزات، والمحامين، وأئمة المساجد، والخطباء، والكتاب، والمفكرين المسلمين.^(١)

وفي مجال العمل كان الشهيد الصدر يعتقد بوجوب أن يعمل المرجع بشكل منتظم ونظامي وأن يتجنب الأداء الشخصي في مجالات السياسة والشؤون العامة ما أمكن ذلك، لأنه بهذه الطريقة يمكن للمرجعية أن تحافظ على تواصلها مع الناس وأن تسير نحو الهدف السياسي والثقافي الإسلامي.

(١) السيد محمد باقر الصدر، المجموعة الكاملة، تراث الشهيد الصدر، ج ٥، ص ٢٢؛ لمحة فقهية تمهيديه...، ص ٢٨؛ جهورى اسلامى، صص ٢٠ - ١٩.

من جهة أخرى، كان الشهيد الصدر يرى أنه يجب على كل مرجع يسير في طريق التحول التاريخي للمرجعية أن تكون أعماله وأفكاره مكتملة للمرجع السابق ومؤسسة لحركة المرجع التالي. لذا، لا ينبغي للمرجع في كل عصر أن يبدأ عمله من الصفر، بل أن يكون في مسار تطور الاجتهاد وإدارة المجتمع. بناءً عليه، طرح نظرية المرجعية المنتظمة والنظامية.

إنّ تحديث الاحتياجات لتواكب متطلبات العصر كانت من الخصائص والمبادئ الأخرى التي طرحها الشهيد الصدر لما يجب أن يكون عليه المرجع الصالح. من وجهة نظره، تحتاج المرجعية إلى هيكل أساسي وثابت يمكن أن يتقدم جنباً إلى جنب مع تحولات الزمن، وأن تكون قادرة على تلبية احتياجات العصر والاستجابة للتحولات والقضايا الجديدة والأحداث الواقعة.

الإجراءات العملية للشهيد الصدر

بينما كان الشهيد الصدر يسعى إلى تحقيق هذه الخصائص في نفسه، عمل أيضاً على تأسيس الأطر النظرية والعملية بشكل فعلي لإيجاد مثل هذه المؤسسة التاريخية والمستدامة. لذا، لم يصبح فقط مرجعاً صالحاً وناصباً، وحقق ما كان يؤمن به في ذاته، بل أيضاً سعى لتأسيس هكذا برنامج. وكانت جهوده في جمعية العلماء ودعمه الكامل لهذه المؤسسة وتطويرها، والتي عبّر عنها أحد تلاميذه بأنّه «قد بذل كل جهوده وامكانياته...»^(١) أقول هذه الجهود كانت خطوة في هذا الاتجاه.

كما أن قيادته لحزب الدعوة في البداية وإشرافه عليه بعد مغادرته، ودعمه وتأييده وتوجيهه وقيادته الروحية والفعلية، كانت جميعها تتم في هذا السياق.

(١) النعماني، المصدر نفسه، ص ١٥٤؛ المصدر نفسه، ص ١٣٥.

أضف إلى ذلك مشاركته في تأسيس «مدرسة العلوم الإسلامية» تحت إشراف آية الله السيد محسن الحكيم، التي وصفها بـ «أول جهد لتنظيم الوضع التعليمي للحوزة و الخطوة الأولى في الاستفادة من الطريقة المرحلية في التعليم الحوزوي...»^(١) كانت خطوة أخرى نحو مؤسسة المرجعية، وتجديد المؤسسات العلمية، وعملية تعلم الطلاب، وتدريب علماء الدين.

وقد كشفت أخلاقه المتواضعة والشعبية عن اهتمامه ورعايته الخاصة لأمن المرجعية وموقعها في المجتمع. لذا، حتى عندما أصبحت الظروف مؤاتية لبدء مرجعيته بعد وفاة السيد محسن الحكيم، لم يُظهر أي ميل نحو ذلك.

كان يعتقد أن المرجعية تحتاج إلى «مركزية»، ولذلك يجب تركيز جميع الإمكانيات والقدرات المرتبطة بالمرجعية في كل عصر نحو مرجعية واحدة - المرجعية المتفوقة الرشيدة والصالحة - والتناغم معها. كانت هذه المسألة أساسية لتنظيم المرجعية وتحويلها إلى مؤسسة ديناميكية وقوية. كما قال أحد طلابه: «كان ينظر إلى هذه الفكرة كقاعدة أساسية ومبدأ عام»^(٢).

بناءً على هذا، وبعد وفاة آية الله السيد محسن الحكيم - الذي كان يُعتبر المرجع الأعلى في ذلك الوقت - وتهيئة الظروف لمرجعيته، وأيضاً تلقي بعض العلماء والمفكرين تأكيداً لمرجعيته، لكنه لم يُظهر أي ميل لذلك، بل رفض وقام بالتأكيد على عدم قبولها. على سبيل المثال، في رده على سؤال عبد الأمير قبلان الذي طلب منه قبول المرجعية وإعلانها، كتب:

«ورأيي بشأن التقليد على أساس خبرتي بحال المراجع، متعنا الله بدوام ظلهم جميعاً، إن الأعلم هو ساحة الإمام الخوئي، أدام الله ظله الوارف.»

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٠؛ المصدر نفسه، ص ١٤١.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١؛ المصدر نفسه، ص ١٤٢.

هذا في الوقت الذي بدأ فيه الكثيرون بتقليده، وكان أشخاص مثل الشيخ علي كوراني، والسيد مير محمد القزويني، والإمام موسى الصدر... يطالبون بشدة إعلان مرجعيته.

مرجعية الشهيد الصدر

كما ذكرنا، على الرغم من أن الشهيد الصدر كان مشهوراً في الفتوى وإصدار أحكام الدين، وبشكل عام في علم الفقه والعدل، وكانت لديه الكفاءة والشهادة للمرجعية قبل سنوات من وفاة آية الله محسن الحكيم، إلا أنه لم يتخذ خطوات في هذا الطريق. بعد وفاة الحكيم، وتوفّر الظروف لبداية مرجعيته، ورغبة العديد من طلابه ومتابعيه في الإعلان عن ذلك، إلا أنه امتنع عن قبول هذا المنصب ولم يُظهر أي اهتمام به. وبالتالي، بدأ في التأكيد على دعم مرجعية الخوئي (١٣٩٠ هـ) ومن ثم أعلن بوضوح دعمه الشامل لمرجعية الإمام خميني (١٣٩٢ هـ وما بعدها).

«من جهة أخرى، كان يؤكد على عناصر مثل «الجهاد والتغيير في الأمة»، المرجعية الصالحة، المرجعية الرشيدة ووجود «المرجع في سياق السياسة والنضال» بجوار العلم والعدل، وفي ظروف المجتمع آنذاك، كان يعتبر أصل التقية قابلاً للتطبيق. كان يرى هذه الظروف في الإمام خميني، ولهذا أيد مرجعيته. ومن جهة أخرى، على الرغم من أنه نفسه كان يُعتبر من المراجع العظام، إلا أنه لم يُظهر رغبة في إعلان مرجعيته، بينما كان أتباعه وأعوانه لا يجلسون مكتوفي الأيدي؛ سعوا لدعم مرجعيته. وبالنظر إلى حالته، لم تذهب هذه الجهود سدى، وفي النهاية، انصرف إليه العديد من الشيعة.

ومن ناحية أخرى، كانت شجاعته في مواجهة نظام العراق وطرح

مسائل جديدة في الفقه، وجهوده لإحياء المرجعية والحوزة العلمية وقضايا أخرى، من العوامل التي أدت إلى زيادة إقبال الناس عليه، خصوصاً رجال الدين، عليه.

ومع مرور الوقت، تزايدت شهرته وشجاعته في مجالات السياسة والمرجعية ومقاومة النظام العراقي، ويمكن رؤية مثال لهذه الشجاعة والابتكار في إصدار فتواه بشأن «تحریم الانتفاء إلى حزب البعث - حتى بشكل ظاهري ورمزي». وفي هذا الصدد، أعلن صراحة: «... حرام الانتفاء إلى حزب البعث»^(١) أو «يجب عليكم العمل من داخل الحزب لتفتيته بأي شكل ترونه مناسباً»^(٢).

من الجدير بالذكر أنه في ذلك الوقت لم يكن العديد من المراجع يقابلون هذه القضايا. بينما كان الصدر يعتقد أن المرجع المقبول من قبل الناس يجب أن يكون مستجيباً لاحتياجات العصر ومتطلبات المراجعين، وألا يجعل دائماً التقية مظهر عمله. على سبيل المثال، كتب أحد طلابه بشأن إصدار الفتاوى المشار إليها: أتذكر أن إحدى القضايا التي كانت تسبب حزن الشهيد الصدر وتأثره كانت كالتالي:

«طلب أحد المؤمنين من مرجع كبير رأياً (فتوى) بشأن جواز العضوية في حزب البعث. كان المرجع المذكور قلقاً من احتمال أن يكون السائل أحد جواسيس النظام، أو أنه في حالة إصدار فتوى تحرم العضوية، قد يتعرف النظام على ذلك، مما سيؤدي إلى عواقب عليه. على الرغم من أنه كان يعلم حقيقةً وصدقاً أن العضوية في حزب البعث العميل حرام.

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه،

في رأي السيد الشهيد بشأن هذه المسألة وقضايا من هذا القبيل، كان يرى أنه إذا استمر الوضع على هذا المنوال، فإن الأجيال اللاحقة ستعتبر عضوية حزب البعث أمراً طبيعياً وبدون إشكال. لذلك، قام بإصدار فتوى تحرم عضوية حزب البعث، حتى الانضمام الظاهري والرمزي، وأعلن ذلك بشكل علني ومكشوف.

كان المرجع الوحيد الذي أصدر مثل هذه الفتوى في أوج قوة حزب البعث، وكان هذا الأمر أحد الأسباب التي أدت إلى استشهاده. هذه المسائل والأحداث كانت تدفع السيد الشهيد فعلياً إلى تحمل مسؤوليته في المرجعية - رغم أنها كانت على نطاق محدود جداً - في حين أنه كان يميل من قلبه إلى تأجيل هذا العمل إلى وقت آخر. هنا أستطيع أن أؤكد أن بالإضافة إلى السبب السابق الذي تم الإشارة إليه، كانت هذه المرجعية هي التي انصرفت إليه، وكان الناس هم الذين وضعوه في مثل هذه الظروف وفرضوا عليه قبول مقام المرجعية، في حين أنه لم يكن يرغب في ذلك.^(١)

على أي حال، وضعت الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع تدريجياً عليه مسؤولية المرجعية، لكنه في ذات الوقت كان يؤكد على مرجعية الإمام الخميني على المستوى العالمي.

من جهة أخرى، لم تكن عملية الإصلاح التي قام بها الشهيد الصدر في الحوزة والمرجعية محل تأييد العديد من رجال الدين والعلماء، وكان نظام العراق يقاوم بشدة إجراءاته ويدعم التيارات المعارضة له. على سبيل المثال، الدعم الذي قدمه الصدر لحزب الدعوة أو تأسيسه، كتابة الافتتاحيات في جريدة الأضواء، فتاواه الجديدة، الضغط على آية الله الحكيم وآية الله الخوئي في

(١) النعماني، المصدر نفسه، ص ١٦٢، ساهل رنج، ص ١٤٣.

بعض الفتاوى والآراء، كل ذلك كان عرضة لهجوم شديد من قبل النظام وبعض رجال الدين والجماعات غير الإسلامية.

كتب أحد طلابه:

«أهم عامل كان يؤلم الشهيد هو أن الحوزات لم تكن تحتل أفكاره، والمجتمع لم يكن لديه فهم كافٍ له، لذا في مثل هذه الظروف، كان يشعر أحياناً برغبة قاتلة في الموت. عندما كانت المشاكل الناتجة عن هذا الوضع تثقل عليه، كان يقول: «لقد عُمِّرتُ بقدر عمري أبي وأخي، فلماذا لا يأتيني الموت لأرتاح؟»^(١)

«وعندما كان يعلم باتهامات بعض رجال الدين، كان يقول:

«إن النظام قد استهدفني فقط بين المراجع الآخرين بسبب الظروف والوضع الخاص الذي أعيش فيه، ولكن هدفهم أكبر وأشمل. إنهم يستهدفون كل وجود المؤسسات الدينية وجميع المراجع وجميع الحوزات - بغض النظر عن الاتهامات الحزبية - كما أنهم يتخذون من تأسيس الحزب ذريعةً فقط لخداع الناس وتضليلهم.»^(٢)

تحدّث محمد رضا النعماني عن واقعة غريبة تتعلق بالتصدي العلني للمرجعية المشار إليها، ويقول:

«أتذكر أن أحد العلماء (الذي كان قريباً جداً من أحد المراجع في العراق) جاء إلى بيت الشهيد الصدر وتحدّث معه بحدّة واعترض على قبوله المرجعية وطباعة رسالة الفتاوى الواضحة.

كما أن نظام البعث كان يقوم بالعديد من الإجراءات في مواجهة الشهيد

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٥؛ المصدر نفسه، ص ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ١٥٧.

الصدر، وأهمها بإيجاز هي:

١ - الاعتقالات المتكررة للشهيد الصدر وأصدقائه وطلابه ومؤيديه، مع الاعتقاد أنه لو لم يدخل في مسائل خطيرة، لم يكن ليتعرض للاعتقال أو المواجهة؛

٢ - الحرب النفسية ضد الشهيد الصدر وحركته الجهادية لفصل الناس عنه، وبالتالي عدم فعالية مخططاته؛

٣ - منع نشر أعماله؛

٤ - تحريض رجال الدين والطلاب المعارضين لصدر للتعبير عن معارضتهم علناً، وحتى التصدي له؛

٥ - فرض حظر على مرجعية الشهيد الصدر.

«في هذا السياق، كانت هناك دعايات تفيد بأن النظام لا يعترف بمرجعية السيد محمد باقر الصدر ويعتبره عدواً له، والدليل على ذلك مثلاً أن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة قد زار مرجعاً معيناً لكن لم يذهب لرؤية السيد الصدر...»^(١).

٦ - محاولات النظام لتفريق أتباع الشهيد الصدر؛

٧ - التعذيب الانتقامي ومحاولات لإعدام الشهيد الصدر. وكتب أحد طلابه أنه (فيما يتعلق باعتقال ٢١ صفر ١٣٩٧ هـ) قال لي:

«لقد حاولت كثيراً أن أخفي التعذيب الذي تعرضت له عن بقية السجناء، حتى لا يؤدي ذلك إلى تحطيم معنوياتهم أو إثارة خوف الأشخاص الذين لا طاقة لهم»^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٧٩؛ المصدر نفسه، صص ١٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١٢؛ المصدر نفسه، صص ١٩٢.

كما قال في ما يتعلق بالأحداث التي وقعت في المديرية العامة للأمن:

«لم يسألني أحد هناك عن شيء، ولكن مدير الأمن العام قال لي: نحن نعلم أنك متورط في كل هذه الأفعال العدائية وأنت أرسلت السيد محمد باقر الحكيم لتحريض الناس ضدنا، وسنتقم منك في الوقت المناسب.» ثم هددني بالإعدام.^(١)

الصدر وتنظيم المرجعية

قام الشهيد الصدر بتحويل «المرجعية الشيعية» إلى كيان ومؤسسة منظمة، متسقة، صالحة وجديرة، يمكن أن يكون لها حضور فعال في ساحة النضال وتستطيع عملياً قيادة المجتمع في جميع الظروف. وفي هذا السياق قدم خطة شاملة، متكاملة وواسعة، وفي الوقت نفسه علمية ومنطقية، تغطي جميع جوانب هذا الكيان مع الخصائص والسمات الخاصة به.

١ - تحويل المرجعية إلى كيان ومؤسسة تنظيمية وليس فردية (مرجعية موضوعية أو منظّمة)؛

٢ - بيان عناصر الجهاد، والمبارزة، والحضور في الساحة السياسية والأمة؛

٣ - الكفاءة، والصلاحية، والرشد (مرجعية صالحة، رشيدة)؛

٤ - جعل المرجعية هدفية وموجهة لتحقيق أهداف الإسلام وخدمته.

في هذا السياق، نعرض باختصار لهذا الطرح بعنوان «المرجعية الموضوعية» استناداً إلى كتاب «الشهيد الصدر: سنوات المحنة وأيام الحصار» للمؤلف محمد رضا النعماني.^(٢)

(١) المصدر نفسه، المصدر نفسه،

(٢) المصدر نفسه، صص ١٧٤ - ١٦٥؛ المصدر نفسه، صص ١٥٥ - ١٤٦.

المرجعية المنظمة

أهم مؤشر للمرجعية الصالحة هو وجود أهداف حقيقية؛ أهداف يجب أن تكون لدى المرجعية رؤية واضحة ومحددة بشأنها، وتسعى لتحقيقها لخدمة الإسلام. هذه المرجعية الصالحة ستكون مرجعية هادفة وواعية، تتحرك بناءً على تلك الأهداف، بدلاً من القيام بتصرفات عمياء ومحدودة النظر ناتجة عن ضغط الاحتياجات الجزئية المؤقتة. بناءً على ذلك، سيكون المرجع الكفو قادراً على تقديم خدمات جديدة للإسلام، وتحويل الحالات التي تؤثر فيها إلى الأفضل لصالح الدين.

أهداف المرجعية الصالحة

استناداً إلى أفكار الشهيد الصدر، يمكن تلخيص أهداف المرجعية الصالحة - رغم أنها ترتبط بروح عامة وارتباط كامل - في خمسة محاور:

١. ترويج أحكام وتوجيهات الإسلام بين المسلمين بأوسع شكل ممكن، والسعي لتربية كل فرد مسلم دينياً، بحيث يكون كل منهم ملتزماً بهذه التوجيهات في سلوكه الشخصي.

٢. إنشاء حركة فكرية واسعة في الأمة تتضمن مفاهيم وتعاليم الإسلام، ومن ضمنها المفهوم الأساسي الذي يؤكد أن الإسلام نظام كامل وشامل لكافة مجالات الحياة، بالإضافة إلى اختيار أساليب لتحقيق هذه المفاهيم.

٣- تلبية الاحتياجات الفكرية الدينية المتعلقة بالنشاطات الإسلامية من خلال طرح نقاشات إسلامية في مجالات مختلفة اقتصادية واجتماعية بشكل كافٍ، وإجراء دراسات مقارنة فكرية بين الإسلام وبقية المذاهب الاجتماعية، وتوسيع نطاق الفقه الإسلامي بحيث يكون قادراً على التشريع لكافة جوانب

الحياة، ورفع مستوى الحوزات العلمية لتحقيق هذه الأهداف الكبيرة.

٤ - الإشراف ومراقبة الأنشطة الإسلامية والأفكار والآراء التي يقدمها العاملون في سبيل الإسلام في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وتأييد ودعم الآراء الصحيحة وإصلاح الآراء الخاطئة.

٥ - تسليم دور قيادة الأمة إلى المراكز والمناصب الروحية - من المرجع إلى أدنى مستويات العلماء - بناءً على مصالح الأمة واهتمامهم بقضايا الناس وتغطية جميع الذين يسعون في سبيل الدين.

هذه الأهداف الواضحة، رغم أنها تحدد كفاءة المرجعية وتكون عامل تغيير واسع في السياسات العامة للمرجعية ونظرتها إلى القضايا وجودة تفاعلها مع الناس، إلا أن وجود هذه الأهداف وفهمها السهل، وحده لا يمكن أن يحقق تطلعات المرجعية الصالحة. بل إن تحقيق ذلك يعتمد، بالإضافة إلى كفاءة الشخص المرجع ووعي وهدفه، على عاملين آخرين:

١. إجراء خطوات أولية وتوفير الأساس لظهور المرجعية الصالحة؛
٢. التغيير والتحول في أسلوب المرجعية ووضعها العيني والملموس.

التمهيد لإنشاء «مرجعية صالحة»

المراد من إجراء الخطوات الأولية وتوفير الأساس لظهور المرجعية الصالحة هو أن إنشاء مرجعية صالحة بأهدافها المذكورة يتطلب وجود قاعدة في داخل الحوزة وفي أوساط الناس، لا تكتفي بالإيمان بهذه الأهداف، بل يجب أن تكون على مستوى من الاستعداد والقدرة الروحية والفكرية لتكون قادرة على تقديم الخدمات للإسلام والمساهمة في تشكيل نظام المرجعية الصالحة. في حال فقدان هذه القاعدة القادرة على التعليم وتربية الفرد المناسب لتولي المرجعية

الصالحة، فإن وجود شخص المرجع وحده لن يكون كافياً لإنشاء نظام المرجعية الصالحة وتحقيق أهدافه على نحو واسع.

بناءً على ذلك، الشخص الذي كان يفكر في الماضي في فكرة إصلاح أسلوب المرجعية وتحويلها إلى نظام مرجعية صالحة، كان يجب عليه أن يقوم إلى حد ما بتوفير الأساس وإجراء خطوات أولية. لذلك، عندما كان عدد من العلماء الشرفاء يصلون إلى المرجعية - على الرغم من كفاءتهم - كانوا يشعرون أنهم لا يمكنهم إحداث إصلاح وتغيير في نظام المرجعية؛ لأنهم لم يفكروا مسبقاً في خطوات أولية وتوفير الأساس لذلك، ولم يحددوا الأهداف المتقدمة للمرجعية والقاعدة التي تؤمن بهذه الأهداف.

التغيير في أسلوب المرجعية

في الفكرة الثانية، أي التغيير في أسلوب المرجعية وواقعها الملحوظ، فإن الأهداف الثلاثة التالية هي المحور الأساسي:

أ) إنشاء هيئة أو مؤسسة تخطيطية تنفيذية قوية تعتمد على الكفاءة والتخصص وتقسيم العمل، تشمل جميع مجالات نشاط المرجعية بناءً على أهداف محددة. هذه المؤسسة ستحل محل مجموعة من الأفراد الذين تجمعهم معاً أحداث طبيعية وعشوائية لتلبية الاحتياجات المؤقتة بعقليات جزئية، دون وجود أهداف واضحة ومحددة.

سوف تمتلك هذه المؤسسة لجاناً متعددة تنمو وتتطور تدريجياً لتغطي جميع مجالات نشاط المرجعية.

يمكن أن تُعتبر اللجان التالية كهيئة مثالية وهدف نبيل لمؤسسة تنفيذية للمرجعية الصالحة، حيث يجب أن تتضمنها وهي في مسار التطور والتحول:

١. لجنة أو لجان متابعة الوضع الدراسي في الحوزات العلمية:

وظيفة هذه اللجنة هي تنظيم الدروس قبل مرحلة الخارج (المقدمات والسطح)، ومراقبة دروس مرحلة الخارج وتحديد نوع المواد والكتب الدراسية. ستعمل هذه اللجنة تدريجيًا على رفع المستوى الدراسي في الحوزات بحيث يمكن للحوزات أن تلعب دورًا في تحقيق أهداف المرجعية الصالحة. كما ستقوم اللجنة المذكورة بتوفير معلومات حول توزيع الطلاب جغرافيًا، والعمل على تلبية احتياجات المناطق التي تفتقر إلى الروحانيين وزيادة عددهم.

٢- لجنة البحوث العلمية:

تشمل مهامها: إنشاء مراكز علمية للنقاش والبحث حول القضايا الإسلامية ومتابعة كيفية عمل هذه المراكز، مراقبة البحوث الحوزوية الجيدة وتشجيعها، متابعة الأفكار العالمية بالقدر الذي يتعلق بالإسلام، توفير الظروف لإصدار شيء مثل مجلة وما شابه ذلك، والتخطيط لجذب العناصر الكفؤة إلى الحوزة أو التعاون مع هؤلاء الأفراد الذين يعملون خارج الحوزة أو في الخارج.

٣- لجنة أو لجان مسؤولة عن شؤون رجال الدين في المناطق المرتبطة

بالمركز:

تشمل مهامها تسجيل أسماءهم وأسماء المناطق التي يعملون فيها ونوع تمثيلهم (ترويج، قضاء، تدريس، إمامة جماعة، إمامة جمعة وغيرها)، مراقبة أنشطتهم وتصرفاتهم واتصالاتهم، التعرف على النواقص والاحتياجات والفجوات الموجودة وتقديم تقارير شاملة في فترات زمنية محددة أو عند طلب المرجع.

٤- لجنة الاتصالات:

تعمل على التجسير بين المرجعية والمناطق التي لا تزال غير مرتبطة بالمركز، جمع إحصائيات عن المناطق ودراسة مجالات الاتصال بها، إجراء زيارات إلى المناطق على مستوى ممثل المرجع أو على مستويات أخرى، التعريف بمناطق متعددة لاستقبال رجال الدين ومتابعة سير الأعمال بعد ذلك، وتأسيس اتصالات سليمة مع المفكرين وعلماء مختلف مناطق العالم الإسلامي وإرسال الكتب إليهم والاستفادة من المناسبات مثل موسم الحج.

٥- لجنة متابعة ومراقبة الأنشطة الإسلامية:

(وكان المقصود منها الأنشطة الحزبية وفقاً للشهيد صدر) تشمل التعرف على أمثلة هذه الأنشطة في العالم الإسلامي وتوضيح كل منها وتقديم أي إرشادات أو مساعدات عند الحاجة.

٦- لجنة المالية:

تتولى مسؤولية تسجيل وصيانة وتوزيع الأموال والإيرادات الناتجة. تشمل مهامها تحديد الممثلين الماليين، والسعي لتطوير الإيرادات الطبيعية لبيت المال، ودفع النفقات اللازمة للهيئة التنفيذية المخططة، مع تسجيل ومراقبة هذه النفقات. من المؤكد أن الهيئة التنفيذية المخططة تحتاج إلى تحول وتطور طويل الأمد للوصول إلى هذا المستوى من التوسع والتخصص. ومن الطبيعي أن هذه الهيئة، بسبب القيود الحالية للمرجعية وافتقارها إلى الخبرة والتعليم الكافي، يجب أن تبدأ عملها على مستوى محدود وبدون تخصصات دقيقة، مما سيسهم في تنمية المهارات خلال العمل والأنشطة ويوفر الظروف اللازمة للتوسع والتخصص.

من «مرجعية فردية» إلى «مرجعية موضوعية»

ب) الهدف الثاني من التحول في أسلوب المرجعية هو توسيع نطاق تأثير المرجعية، بحيث تتجمع جميع القوّات والإمكانات والممثلين المنتسبين إلى المرجعية في جميع أنحاء العالم حول هذا المحور القوي؛ لأنه عندما تضع المرجعية أهدافاً كبيرة أمامها وتقوم فعلياً بتحويلات واعية في الأمة، فإنها تحتاج حتماً إلى أكبر قدر من النفوذ لاستغلاله لدفع ممثليها في جميع أنحاء العالم تدريجياً وبطرق مختلفة نحو تحقيق هذه الأهداف الكبيرة.

على الرغم من أن جميع العلماء والمفكرين الشيعة تقريباً مرتبطون فعلياً بمرجع تقليدي، إلا أن هذه التبعية في كثير من الأحيان تكون نظرية وشكلية، ولا يمكن أن تعمل بشكل مثالي. الحل لهذه المشكلة هو إنشاء تحول وإصلاح في أسلوب عمل المرجع.

على مدار التاريخ، كانت أنشطة المرجع وأفعاله كلها ذات طابع فردي؛ لذلك لم تشعر القوى والأفراد المرتبطون به بالشاركة والمشاركة في مسؤولياتهم، ولم يكن هناك تضامن جاد معهم في مواقفهم. ولكن إذا أدار المرجع الأمور من خلال مجلس يتكون من علماء الشيعة وممثلين ينتسبون إليه، فإن أنشطة المرجعية ستأخذ شكلاً منظماً.

على الرغم من أن المرجعية كنيابة عن الإمام المعصوم تتجسد في شخص المرجع، إلا أن هذه النيابة لم تحدد طريقة عمل معينة، وإنما الأهداف والمصالح العامة للمسلمين هي التي تحدد أسلوب عمل نائب الإمام. من خلال هذه الطريقة المنظمة، يمكن للمرجع أن يحافظ على الأنشطة المتعلقة بحقل المرجعية بعيداً عن التمازج مع ميولاته واعتبارات الشخصية ويجعلها تتمتع بنطاق

واسع. في هذه الحالة، سوف يشعر جميع ممثلي المرجع بالتضامن والتعاون في تنفيذ المسؤوليات المتعلقة بحقل المرجعية وتنفيذ البرامج المحددة من قبل المجلس المذكور.

على الرغم من أن الطريقة الفردية في نظام المرجعية تستفيد من بعض المزايا مثل سرعة الحركة والإجراء، وإمكانية أقصى مراقبة، ومنع دخول الأشخاص المجهولين إلى مستوى التخطيط لأنشطة المرجعية، إلا أن مزايا الطريقة الأخرى أكبر وأكثر أهمية. نحن على غرار الشهيد الصدر نشير إلى المرجعية المبنية على الطريقة الفردية بمصطلح «المرجعية الذاتية»، ومن المرجعية المعتمدة على التعاون والمشاركة في التخطيط واتخاذ القرارات بلقب «المرجعية الموضوعية» (المرجعية المنظمة). وبالتالي، يتضح لنا أن الفارق بين المرجعية الفردية والمرجعية المنظمة يتعلق بتحديد شخص المرجع الشرعي الحقيقي؛ لأن المرجع شخصياً دائماً ما يكون نائب الإمام المعصوم وهو المجتهد المطلق، العادل، الأعلم، والمدرّك لمستلزمات الحاجة. هذا يعني أن المرجعية كنيابة عن الإمام الحجة ستكون دائماً فردية، لكن الفارق الوحيد بين النظامين المعنيين يتعلق بأسلوب العمل.

ج) الهدف الثالث من التحول في أسلوب المرجعية هو استمرار المرجعية الصالحة زمنياً وعدم كونها محصورة في حياة فرد معين. يجب أن توجد ضمانات نسبية لضمان أن المرجعية تقع على عاتق فرد مؤهل يؤمن بأهداف المرجعية الصالحة، وإلا فإن نقل المرجعية إلى شخص لا يقبل هذه الأهداف التقدمية سيؤدي إلى الفشل.

من الضروري أيضاً توفير البيئة المناسبة للمرجع المؤهل بحيث يمكنه بدء مسؤولياته من نقطة انتهاء الأنشطة المرجعية السابقة، وليس أن يبدأ من

الصفير بعد توليه المرجعية، مما يجعله يواجه صعوبات البداية ويستهلك الكثير من الجهد والطاقة في هذا الطريق. في هذه الحالة، يستطيع المرجع الجديد استثمار هذه القدرات والموارد لتحقيق الأهداف المنشودة للمرجعية الصالحة وتنفيذ خطط متنوعة على المدى الطويل. يمكن تحقيق هذا البرنامج من خلال نظرية المرجعية الموضوعية.

في إطار هذا المخطط، لا يبرز فقط شخص المرجع، بل هناك جانب آخر يتمثل في تنظيم المرجعية كطريقة وهي مجلس العلماء جنباً إلى جنب مع الهيئة التنفيذية، اللذان يقومان بتنفيذ الأنشطة المتعلقة بحقل المرجعية القوية.

في هذا التصميم، يمثل شخص المرجع العنصر المتغير، بينما تظل تنظيمية المرجعية ونسقتها ثابتين ومستمرين، مما يوفر ضماناً منطقياً نسبياً لتسمية مرجع مؤهل في حالة فقدان مثل هذا الشخص. إن المجلس والهيئة التنفيذية كما تم الإشارة إليهما، بسبب أدائهما للأنشطة المتعلقة بالمرجعية، وما لديهما من نفوذ وارتباط وثقة شعبية، دائماً ما يمتلكان القدرة على الحصول على دعم وثقة وقبول الناس للمرجع المقترح. وبالتالي، مع هذا الهدف وأيضاً مع الهدف السابق، يمكن الوصول إلى حل جذري.

مراحل تحقيق المرجعية الصالحة

تتكون من ثلاث مراحل:

١. مرحلة ما قبل القبول الرسمي للمرجعية وطباعة الرسالة العملية: تشمل هذه المرحلة الفترة كلها التي تسبق المرجعية.
٢. مرحلة قبول المرجعية مع طباعة الرسالة العملية.
٣. مرحلة المرجعية العليا التي تتولى الإشراف والسيطرة على جميع

المسائل والأموال الدينية.

أهداف المرجعية الصالحة في كل من هذه المراحل الثلاث ثابتة وغير قابلة للتغيير. في المرحلة الأولى (ما قبل القبول الرسمي للمرجعية وطباعة الرسالة العملية)، يتم إجراء الترتيبات الأولية وإيجاد الأسس اللازمة لتشكيل المرجعية الصالحة، التي تم الحديث سابقاً عن ضرورة تنفيذها.

تتطلب طبيعة هذه المرحلة أن تكون المرجعية تقريباً فردية، نظراً لأن وضع المرجع غير رسمي بعد، ولديه قدرة محدودة. كما أن الأشخاص الذين هم في طريقهم للمرجعية لا يزالون في بداية تنفيذ واجباتهم ومسؤولياتهم المتعلقة بالمرجعية. لذا، فإن المرجعية في هذه المرحلة تأخذ طابعاً فردياً، لكنها في الوقت نفسه تهيئ الأرضية للتحويل إلى مرجعية موضوعية أو منظمة من خلال إنشاء هياكل استشارية محدودة واكتساب تخصصات تتعلق ببعض مسؤوليات المرجعية.

في المرحلة الثانية (قبول المرجعية أو طباعة الرسالة العملية)، يبدأ فعلياً تحول المرجعية الفردية إلى مرجعية موضوعية أو منظمة. لكن ينبغي ألا يتم هذا التحرك على شكل إعلان رسمي حول نظرية المرجعية المنظمة أو جميع أبعادها، وتنفيذ ذلك في نطاق المقلّدين. لأن هذا الإجراء، على الرغم من أنه قد يؤدي إلى دعم واسع من مجموعة من المفكرين، فإنه من ناحية، يفصل جزءاً كبيراً من القوى والأشخاص الذين لا يعتزمون القبول والمشاركة مع هذه النظرية عن المرجعية الصالحة، ومن ناحية أخرى، يفرض على المرجع استخدام الإمكانيات المتاحة لتطبيق هذا النظام، في حين أن مجموعة الإمكانيات المتاحة من حيث الكمية لن تلبي احتياجات المرجعية المنظمة.

بناءً على ذلك، فإن الطريق الطبيعي لتفعيل نظرية المرجعية المنظمة هو أن تقوم المرجعية الصالحة [أو المرجع شخصياً] بتنفيذ برامجها وواجباتها من خلال

تشكيل لجان وهيئات متنوعة حسب الاحتياجات الحقيقية والقدرات والإمكانات البشرية والاجتماعية المتاحة، وأن تقيم تدريجياً روابط وتواصل بين تلك اللجان والهيئات وتعزز هذه العلاقات، مما يؤدي في النهاية إلى تنظيم شامل وفعال لمؤسسة المرجعية.

يتوقف مسار تطور وتحول أسلوب المرجعية إلى مرجعية منظمة على عدة عوامل، منها الرشد الفكري والسياسي لدى الناس، وطبيعة القوى الموجودة في الحوزة للتعاون مع هذه الأسلوب، ومدى حضور هذه القوى في المجتمع وانسجامها وتوافقها الشامل مع أفكار المرجعية الصالحة. يجب أن تؤخذ جميع هذه العوامل بعين الاعتبار بشكل جدي.

كما يجب الحرص أثناء عملية تحويل أسلوب المرجعية على عدم تعرض أصل المرجعية لأي ضرر أو ضربة قد تؤدي إلى تدميرها، إلا إذا كانت هذه الحركة تحمل في طياتها إنجازات ونتائج كبيرة، أو أن تكون هي نفسها مقدمة لخطوة ناجحة تتجاوز الأضرار الناتجة عن انهيار المرجعية الصالحة.

وقد أضاف السيد الشهيد كذلك ملحقات واقتراحات إلى نظرية المرجعية المنظمة، وقام آية الله السيد كاظم الحائري في كتابه «مباحث الأصول» بتلخيصها على النحو التالي:

١ - إنشاء حوزات علمية فرعية في المناطق التي تحتمل هذا الإجراء، ودعمها من قبل الحوزة العلمية الأم.

٢ - يجب أن يتم تدريب علماء الفقه والأصول والمعارف الإسلامية الأخرى بين مختلف فئات المجتمع، بمعنى أنه ينبغي أن يكون هناك في صفوف الأطباء والمهندسين وغيرهم من الفئات والمهن من هم، بالإضافة إلى تخصصهم، على دراية كاملة بالعلوم الإسلامية، ولكن ليس من الضروري أن

يصل هؤلاء الأشخاص إلى درجة الاجتهاد والتخصص في الفقه والأصول. في مثل هذه الظروف، سيكون كل واحد من هؤلاء المتخصصين في الدين مصدراً للاستفادة والترويج للعلم والمعرفة وفهم الأحكام الشرعية وتعاليم الإسلام بين أفراد مجاله.^(١)

٣ - إنشاء علاقة مالية بين العلماء وممثلي المرجعية في نقاط مختلفة مع المرجعية الصالحة، بحيث لا يعيش الممثل من الأموال الشرعية التي يجمعها من المنطقة، بل يقوم بتسليم كل تلك الأموال إلى المرجع، والمرجع بدوره يقوم بتلبية احتياجاته المالية. لا ينبغي أن تكون هذه العلاقة بالشكل الذي هو متداول حالياً في بعض الأوساط، حيث يتم إعطاء نسبة من الأموال، مثل الثلث أو الربع، للممثل، وتصبح علاقة الوكيل بالمرجع كعلاقة عامل مضاربة مع صاحب المال.

في الأسلوب المقترح، يلبي المرجع الاحتياجات المالية للوكيل وممثله بطريقتين:

(١) في مقدمه كتاب مباحث الاصول، وتوضيحاً للاقتراح الثاني للشهيد الصدر، نقلاً عن «الشيخ محمد رضا النعماني»: «مع انتشار نطاق مرجعية الأستاذ، كانت خطواته الأولى في هذه الفكرة بسيطة وتمهيدية. فقد حث عدد من الأطباء والمهندسين وسائر طلاب العلوم الحديثة على تعلم الفقه والأصول والمنطق وسائر دروس الحوزة. كما شجع بعضهم على ترك اختصاصاتهم السابقة والالتحاق بالعلوم الدينية بصورة جادة، وهدف الأستاذ من هذا العمل كان أولاً إعداد علماء يعكفون على تحصيل للعلوم الحديثة، وثانياً في نفس الوقت يعكفون على تحصيل العلوم الحوزوية. وثالثاً، العمل على الارتقاء بالمستوى الاجتماعي للحوزة؛ ذلك أن وجود أطباء ومهندسين في الحوزات العلمية سوف يغيّر من نظرة الجامعيين التي غالباً ما تكون سلبية إزاء الحوزات العلمية».

نقلاً عن الحائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ٩٩ الهامش وكذلك ترجمته في كتاب حياة وأفكار الشهيد الصدر، ترجمه حسن طارمی، ص ١٠٧، الهامش، (بتصرف).

- تحديد راتب ثابت شهري يكون كافياً لتلبية احتياجاته الضرورية.
- مساعدة من حين لآخر وبشكل غير محدد، قد يختلف مقدارها من شهر لآخر. قد لا تُعطى أي مساعدة في بعض الأشهر، وقد تُدفع عدة أضعاف في أشهر أخرى. تعتمد كثرة أو قلة هذه المساعدة على عدة عوامل:
- (أ) احتياجات الممثل كإنسان أو كرجل دين في المنطقة، والتي قد تختلف من شهر لآخر.

(ب) مقدار الأموال الشرعية التي يقدمها للمرجع.

(ج) مقدار الجهد الذي يبذله في المنطقة.

(د) مدى نشاطه في خدمة الدين.

قد تؤثر هذه العوامل أيضاً في مقدار الراتب الثابت للممثل المرجعي.^(١)

- ٤- دعم المرجعية الصالحة لمركز أو كيان حسن السمعة، بحيث يعبر أي نشاط يحدث في ذلك الكيان عن رؤية المرجعية إلى حد ما. فائدة هذا الإجراء تكمن في أنه عندما ترغب المرجعية الصالحة في طرح وجهة نظر أو فكرة سياسية أو اجتماعية لأسباب تتعلق بالمصالح، أو حول إحدى القضايا والمشاكل، دون الدخول في مفاوضات مباشرة مع النظام، سيتولى الكيان المذكور القيام بذلك.^(٢)

(١) كذلك جاء في كتاب مباحث الاصول، في شرح الاقتراح الثالث، نقلاً عن «الشيخ محمد رضا النعماني»: «أراد الشهيد الصدر أن ينفذ هذه الفكرة في نطاق نشاطاته. لذا عندما تعززت البنية المالية لمرجعته، أقدم على إرسال رواتب لوكلائه - وإن بصورة محدودة - وكان لهذا العمل نتائج إيجابية.

(٢) الحائري، مباحث الاصول، ج ١، ص ٩٩.

الفصل الثاني عشر: **الشهيد الصدر والقيادة والمقاومة حتى الاستشهاد**

المقدمة

العلامة الشهيد السيد محمد باقر الصدر، منذ أن وصل إلى مقام الاجتهاد، تحمل مسؤولية قيادة النضال الديني والسياسي بهدف إسقاط نظام البعث وإقامة حكومة إسلامية وتحقيق أساس دعوته ورسائلته الإسلامية - الإنسانية. ومنذ ذلك الحين، تحمل بشكل غير مباشر قيادة معظم الحركات والنضالات التي شهدتها العراق خلال الثلاثة عقود الأخيرة من حياته، رغم أنه لم يكن يرغب عملاً في أن يُعتبر قائداً لهذه الحركات أو النضالات، وبالتالي قائداً للشعب. كان يمارس دور الموجه والخطيب في جماعة العلماء، حيث قاد الأيديولوجية بشكل سري وغير رسمي. كما قام بتأسيس حزب الدعوة الإسلامية مع مجموعة من رفاق العقيدة، وتولى قيادته لفترة، ومع أنه تنحى عن قيادة حزب الدعوة فيما بعد، إلا أنه استمر في قيادة الحزب وحركته بشكل غير رسمي وسري.

إن الطلبات والضغوط التي مارسها على آية الله محسن الحكيم وآية الله الخوئي للتعبير عن بعض الفتاوى المهمة أو الجديدة وأحياناً السياسية، تشير أيضاً إلى نوع من التأثير غير المعلن وغير الرسمي على أفكار المراجع في ذلك الوقت لتحقيق رسالته.

ومع ذلك، يمكن رؤية أهم أبعاد القيادة السياسية والدينية للشهيد الصدر بعد وفاة السيد محسن الحكيم وزيادة شهرته ومكانته في بعدين خاصين. هذان البعدان هما:

١ - قيادة النضال السياسي - الديني ضد نظام البعث لإسقاط هذا

النظام وتحقيق الثورة، الثورة التي بدأ التخطيط لها منذ سنوات ١٩٥٧ - ١٩٥٨، وقد تأسس حزب الدعوة الإسلامية لتحقيق هذا الهدف، وأدت [الثورة] إلى إقامة حكومة إسلامية في المجتمع.

٢- قيادة الإصلاحات والتحويلات الشاملة في الحوزة العلمية، مؤسسة المرجعية والأبعاد المرتبطة بها، مثل التحول في الدروس، والتغيير في الاجتهاد، وإعادة بناء الحوزة، وإدخال الحوزة والمرجعية في مجال السياسة والمجتمع، وطرح فتاوى جديدة سياسية وصادمة...

قيادة الشهيد الصدر

خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته - أي من عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٨٠ عندما نال درجة الشهادة - يمكن أن نرى الشهيد الصدر كقائد سياسي - ديني وثوري. فبالرغم من توليه القيادة الحزبية والسياسية والدينية في كل مراحل حياته قبل ذلك، إلا أنه في تلك الفترة برزت مكانته كمحور للحركة والثورة والتحول في المجتمع العراقي. وقد ركز كل اهتمامه في هذا الاتجاه على استثمار الموجة الثورية الجديدة التي ظهرت بين الناس، خاصة بين بعض طلبة العلوم الدينية والجامعات، ليقوم بتوجيههم نحو ما يحقق مصالح الإسلام والأمة بأفضل طريقة ممكنة.

لذلك، كانت شخصيته تجسيدا للقائد الذي لم يكن فقط في قلوب الناس، بل كان جزءاً من قلوبهم، يشعر بعمق احتياجاتهم ومشاعرهم، كان بينهم، يفهمهم غير منفصل عنهم. كما يشير أحد الباحثين:

اعلموا أن شخصية هذا القائد الجديد بدأت في أواخر الستينات واستمرت، وتجسدت في المجتمع، وزاد نفوذه تدريجياً وأصبح له عمق داخل

قلوب المسلمين.^(١)

قيادته لم تكن جسدية - على عكس قادة نظام البعث - بل كانت تستقر في القلوب، وهذا كان له تأثير كبير على نجاحه في مسار تحقيق رسالته الإلهية. كما يُقال: «كانت كتاباته تكتسح وتتقدم، وهي أن تكسب العقول فإنما تكسب القلوب معها...»^(٢).

أبعاد قيادته باختصار

هي:

١. قيادة الفكر الإسلامي الأصيل في جميع أبعاده

وبحسب السيد فاضل النوري:

«وترى أن الإسلام النقي قد أشرقت أفكاره في عهد الشهيد الصدر بطريقة أثارت دهشة الآخرين... وأدخلت الطمأنينة والرضا في العقول والقلوب...»^(٣).

في هذا البعد، كان يعتمد على البرهان والمنطق لشرح الفكر الإسلامي الأصيل.

٢. قيادة الثورة في العراق

تحمل الشهيد الصدر بوعي وتخطيط قيادة حركة النهضة لتحقيق الثورة،

(١) القبانجي، الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر، ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه،

(٣) السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، ص ١٠١.

وفي هذا السياق قدّم أكثر من أي شخص آخر، وظل وفياً لهدفه حتى النهاية. كما قال أحد تلاميذه:

«تميزت القيادة الثورية للشهيد الصدر بكونها قيادة واعية، بصيرة وعارفة، تدرك كل جوانب القضية وهدفها وطرق الوصول العلمي إليها. هذه القيادة هي قيادة مطلعة على قضايا الزمن، مدركة لشؤون الواقع، بصيرة بما يجري وقضاياها وما يتولد من أحداث، مصاحبة لمواقف وخطوط تدبير محكمة وثابتة».^(١)

في مجال قيادة الثورة، بذل كل جهده في مسار القيادة التي تقتضي الشهادة والإيثار والتضحية من أجل الشعب والهدف والمصير، وهذا هو أعلى نصيب يمكن أن يتحصل عليه قائد في ساحات النضال والثورة: «وكان أعلى السجيا في ريادته التصميم القاطع على الشهادة».^(٢)

٣. القيادة والإصلاح في الحوزات العلمية

تحمل الشهيد الصدر أيضاً رسالة خطيرة بجانب إحياء الفكر الإسلامي وتحقيق الثورة في العراق، وهي التحول الشامل في الحوزات العلمية باتجاه إصلاحها. لقد وضع أساليب مبتكرة لتحقيق الإصلاحات في الحوزات العلمية، وظل يسعى لتحقيق ذلك حتى نهاية عمره. وفي هذا الإطار، بالإضافة إلى تقديم خطة جديدة، قام بإحداث ثورة في نظام التعليم والمناهج والبحوث القديمة، بحيث كان في نظره:

الحوزة ليست سوى مدرسة للنبوّة والإمامة، حيث يختار خلفاء الأنبياء

(١) المصدر نفسه، صص ١٠٧ - ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

والأولياء الذين هم قادة البشرية وساسة الناس وولي أمر الأمة، لذا من الضروري أن تكون الحوزة الصرح البارز للإسلام، وأن تسعى لطرد السيئات والشرور عنها، وتحفظها من الأذى والمخاطر، وتظل ترفع رايتها عالياً...^(١)

خصائص قيادة الشهيد الصدر باختصار

هي:

١. التواضع أمام الناس ومداراتهم، على سبيل المثال، كان يعتبر نفسه خادماً للناس ويقول: «أنا بخدمتكم وخدمة جميع المسلمين».^(٢)
٢. الشجاعة والبسالة؛
٣. الإيثار والتضحية؛
٤. الوفاء والإخلاص؛
٥. الحلم والصبر؛
٦. التدبير والسياسة والاستشراف؛
٧. العدالة؛
٨. العلم؛
٩. العبادة؛
١٠. التقوى ونقاء النفس.^(٣)

(١) المصدر نفسه، صص ١١١ - ١١٠.

(٢) العامل، المصدر نفسه، ج ٢، صص ٣١٩ - ٣١٥.

(٣) أنظر: المصدر نفسه، ج ٢، صص ٣٣٤ - ٢٧٧؛ السيد فاضل النوري، المصدر نفسه، محمد الحسيني، محمد باقر الصدر، حياة حافلة وفكر خلاق، صص ٢٣١ - ٢٣٠ و....

مواجهة الشهيد الصدر لنظام البعث

حظي الشهيد الصدر في كل حياته بالنضال والجهاد من أجل الحق كأهم مسؤولية في حياته. لذا كانت مقاومة الظلم والجهاد في سبيل الحق في صلب برامجهِ وإجراءاتهِ. ولهذا، كانت مواجهته لنظام البعث تجري في إطار تحقيق رسالته في قيادة المجتمع نحو الحكومة الإنسانية والإسلامية المنشودة. لم يتوافق الشهيد الصدر أبداً مع نظام البعث العراقي، ومنذ بداية قيام هذا النظام بدأ نضاله الواسع لإسقاطه. على الرغم من أن تاريخ نضالات الشهيد الصدر ضد البعثيين يعود إلى فترة انقلاب عام ١٩٥٨، إلا أن البعض يعتبر بداية المواجهة العلنية مع نظام البعث «فتوى التحريم» التي أصدرها لإسقاط نظام البعث ومن جهة أخرى لإزالة حزب البعث وإعلان عدم شرعيته. قال الشهيد الصدر مراراً:

«طالما كان هذا الشخص (صدام) على رأس السلطة، لا يمكن القيام بأي عمل. ولكن إذا صمتنا تجاهه، فسندمر هوية الإسلام في العراق في المستقبل.»^(١)

بعض من أهم إجراءاته في هذا المجال:

أ) فتوى الشهيد الصدر لمقاومة الحزب والنظام

كما ذكرنا سابقاً، كانت إحدى الفتاوى المهمة للشهيد الصدر هي فتوى مواجهة الحزب البعث والنضال ضده وتحريم الانتماء له. كان لدى الشهيد الصدر

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ١٩٣؛ سألهاى رنج، ص ١٧٦. ملاحظات هذا الفصل وردت في كتب عديدة، وقد استندنا في الغالب إلى هذا المصدر وذلك نظراً لدقة هذا الكتاب ووثاقته لكون مؤلفه رافق الشهيد الصدر طوال هذه الفترة.

مبررات كافية لهذا الأمر، حيث توصل إلى أن فوائد ونتائج مثل هذه الخطوة لوجود الإسلام في العراق - على المدى الطويل - أكثر من المضار الناتجة عنها، وأن عدم اتخاذ هذا الموقف سيؤدي إلى نتائج عكسية. في هذا السياق قال:

«أعلم أن هذه الفتوى في الوقت الراهن لن تؤثر كما هو متوقع؛ لأن النظام قد استحوذ على جميع مجالات الحياة للمواطنين العراقيين، وخاصة المجال الاقتصادي، من خلال إجبارهم على الانضمام إلى الحزب البعث. سواء أصدرنا فتوى بتحريم العضوية أم لم نصدرها، فإنهم سينضمون إلى الحزب، ولكن هناك فرق بين أن ينضموا مع وعيهم بحرمة هذا الفعل وبين أن يتصوروا أن الانتماء إلى الحزب هو أمر عادي وليس به أي إشكال شرعي. هذه القضية مهمة جداً ويجب أن نأخذها بعين الاعتبار.»^(١)

كما كان يقول:

«يجب أن نميز بين عذر الإنسان المكروه على الانضمام إلى حزب البعث أمام الله، وبين النتائج العملية لهذا الإجراء (العضوية) وتأثيراته الخطيرة الناتجة عنه على مستوى الواقع. في الحالة الثانية، إذا كان المؤمنون وغيرهم من الأشخاص مجبرين على الانضمام إلى حزب البعث نتيجة الضغوط المهنية أو الدراسية أو غيرها، فإن الأجيال القادمة ستدرك مع مرور الوقت أن الانتماء إلى حزب البعث هو أمر طبيعي، ولا يوجد أي إشكال شرعي في ذلك.»^(٢)

عندما وصل خبر صدور هذه الفتوى إلى مسامع المسؤولين البعثيين، أرسلوا عملاءهم لتسجيل نص هذه الفتوى من لسان الشهيد الصدر، ليكون لديهم وثيقة لمحاكمته في المستقبل، لكن الشهيد لم يكن لديه أي تردد في هذا الشأن.

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٤؛ المصدر نفسه، ص ١٧٧.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، صص ١٧٨ - ١٧٧.

كتب النعماني:

«أذكر أن أحد العلماء طلب من السيد الشهيد أن يراعي جانب الاحتياط في الإجابة على هذه الأسئلة، وألا يجيب إلا للأشخاص الذين يتمتعون بثقة كاملة. لكنه أجاب قائلاً: «لا بأس، لأنني أريد أن يعرف الجميع أن العضوية في حزب البعث محرمة، وأن النظام يجب أن يعلم بموقف المرجعية المعارض للحزب وأفكاره.»^(١)

صدور هذه الفتوى لقي صدى واسعاً وإيجابياً، حتى أن النظام، الذي كان في ذروة قوته، بدأ يشعر بالقلق، إلا أنه لم يتمكن من اتخاذ رد فعل مناسب في ذلك الوقت. الحقيقة هي أن هذا الموقف كان من أجراً وأشرف المواقف التي اتخذها الشهيد الصدر في تلك الظروف السياسية والأمنية في العراق. أي شخص عاش في تلك الفترة السوداء ورأى كيف أن نظام البعث كان يرسل حتى الأطفال والنساء والمسنين إلى حبل المشنقة، ليس بسبب ارتكابهم جريمة أو فعل إجرامي، ولكن فقط بناءً على الشكوك والاتهامات، يمكنه أن يدرك مدى شجاعة وغيره الشهيد الكبير على الإسلام.

ب) السعي للتأثير على الجيش من أجل إسقاط النظام

الظروف السياسية والاجتماعية في تلك الفترة من تاريخ العراق كانت تستدعي من العلماء أن يتخذوا مواقف حاسمة بشأن الانضمام إلى الجيش العراقي. فإصدار فتوى تحرم الانضمام إلى الجيش كان يعني اعتباره تعاوناً مع الظالمين أو مشاركة في ظلمهم. من الطبيعي أن يمتنع الأفراد الصالحون والذين يتمتعون بالنقاء عن الانضمام إلى الجيش، لكن الشخص الذي لا يملك التزاماً دينياً أو لا يهتم

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٥؛ المصدر نفسه، ص ١٧٨.

بالواجبات الأخلاقية قد يرى في الانضمام فرصة للحصول على عمل وتوفير معيشته، خاصة وأن الأوضاع الاقتصادية كانت سيئة للغاية في ذلك الوقت.

أما الشهيد الصدر، الذي كان يستعد لمواجهة شاملة مع حزب البعث والنظام الحاكم، فقد بدأ في التفكير في كيفية السيطرة على المؤسسات الحساسة ومراكز اتخاذ القرار داخل الجيش. وفي المرحلة الأولى، فكر في استقطاب مجموعة من الشباب المختارين للانضمام إلى الجيش والقوات المسلحة من أجل بناء قاعدة صلبة داخل الجيش تتيح له التحكم في العمليات العسكرية بشكل تدريجي. ووفقاً لبعض الروايات، فقد سمح الشهيد الصدر لمجموعة مختارة من الشباب المؤمن بالالتحاق بالجيش بهدف تكوين خلايا قادرة على التأثير داخل الجيش، على أن تقوم هذه الخلايا في المستقبل بأداء دور هام في عملية إسقاط النظام.

«استطاع ذلك الشهيد في مدة قصيرة أن يوسع نفوذه على بعض قواعد القوة الجوية أو المراكز الحساسة للجيش حتى أن أحد الطيارين الذي كان يشارك في بعض الأحيان في قيادة طائرة نائب الرئيس قد وعد السيد الشهيد في الوقت المناسب أن يستهدف طائرة صدام ويقضي عليها. وكان المرحوم الصدر يظهر اهتماماً ومتابعة لهذا الوعد من ذلك الطيار.

ونظراً لأهمية هذا الشخص ومكانته الخاصة في العراق، كان نظام البعث العميل يسعى إلى أن يسيطر عليه تماماً ويعزز سلطته عليه بكل الوسائل الممكنة. كان هذا النظام يمنع كل مواطن عراقي غير عضو في حزب البعث من الانضمام إلى الجيش، وكان يأخذ تعهدات خطية من جميع العسكريين بأنهم في حال انتمائهم إلى حزب آخر غير حزب البعث، سيتم إعدامهم.^(١)

(١) المصدر نفسه، صص ١٩٧ - ١٩٦؛ المصدر نفسه، صص ١٨٠ - ١٧٩.

ج) تشكيل الخلايا الفدائية

من الإجراءات الأخرى لذلك الشهيد تشكيل الخلايا الفدائية ذات التوجه الاستشهادي بهدف اغتيال صدام حسين طاغية العراق. كانت مسؤولية إنشاء هذه الخلايا التي كانت على تواصل غير مباشر مع ذلك الشهيد، تقع على عاتق المرحوم الشيخ عبد الأمير محسن الساعدي، المرحوم الشيخ جليل مال الله، المرحوم الشيخ قاسم ضيف وبعض الإخوة الآخرين. كان عليهم اختيار الشبان المخلصين المستعدين للشهادة، وتحديد أماكن وجودهم في المناطق التي كان صدام يتردد عليها، ليتمكنوا في الوقت المناسب من تنفيذ خطة محكمة لاغتياله.^(١)

د) الاغتيال والانقلاب

قيل إنه:

في أواخر عمره الشريف، تمكن السيد الشهيد من تكليف أحد الأطباء بالعمل على اختراق مجموعة الطاقم الطبي الخاص برئاسة الجمهورية العراقية وتنفيذ خطة اغتيال صدام، لكن في الوقت الذي كان فيه الطبيب المذكور يستعد لتنفيذ المهمة، تم التعرف عليه وتم إعدامه، وهربت عائلته إلى دولة مجاورة للعراق. وعلى الرغم من تعرضه لتعذيب شديد، لم يعترف أو يكشف عن أي تفاصيل تتعلق بالشهيد الصدر أو العلاقة بينهما. رحم الله ذلك الشهيد وأسكنه فسيح جناته.^(٢)

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٧؛ المصدر نفسه، ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه،

«هـ) خطة عدنان حسين

من الإجراءات الأخرى التي قام بها الشهيد الصدر لمواجهة نظام البعث هي تأييده واهتمامه بخطة عدنان حسين، عضو مجلس قيادة الثورة العراقي، للإطاحة بنظام صدام حسين، التي كان على دراية تامة بها. قال النعماني:

في فترة الحصار، عندما وصلنا خبر فشل خطة عدنان حسين في الإطاحة بصدام، رأيت السيد الشهيد يُظهر أسفه. فقلت له شيئاً مشابهاً لهذا: «هذه المسألة لا علاقة لنا بها، بل هي في مصلحتنا أن يُقضي على أتباع صدام، وكما يقول المثل المعروف: «النار تحرق من يوقدها»، ولكن نظر إليّ طويلاً ولم يقل شيئاً.

في الأيام الأخيرة من فترة الحصار، عندما شعر السيد الشهيد باقتراب أجله، سألتني: «هل تذكر ذلك الشخص الذي كان يأتي إلى بيتنا؟» فقلت له: «نعم.» فقال:

«كان له قصة سأرويها لك لكي تكون من الأمور التي تكتب عني. ذلك الرجل كان يُرسل من قبل عدنان حسين في مهمة خاصة. وكان عدنان قد أخبرني أنه يخطط لإسقاط صدام حسين، ولذلك كان يطلب مني أن أؤكد له تأييدي لتحركه الانقلابي وفقاً لشروط أنا سأحددها بنفسني.»

وتابع المرحوم:

«في البداية، كنت أشك في الأمر، وكنت أظن أن هذا التحرك مشابه لمحاولات أخرى من قبل النظام للحصول على ذريعة أو حجة ضدي، لكن عدنان ذكر لي عدة أسباب أقنعتني وأزالت شكوكي. لذلك أخبرت المبعوث أن تأييدي سيكون مشروطاً بشروط كنت قد وضعتها، وكانت تلك الشروط قد أبلغني بها عدنان، وأنه يجب عليه الالتزام بها بعد أن يصل إلى السلطة.

ولكن قبل ذلك، لن أظهر أي موقف معارض أو سلبي حتى تتضح الأمور.»

«قال السيد الشهيد لي:

الهدف الأساسي من الإطاحة بنظام صدام حسين هو لأنه شخص يشكل تهديداً حقيقياً للإسلام في العراق، لكن إذا جاء عدنان حسين إلى السلطة، في أسوأ الأحوال، فلن يكون أسوأ من صدام حسين».^(١)

الاعتقالات، محاولات الاغتيال والمراقبة الأمنية للسيد الشهيد

الاعتقالات

الاعتقال الأول

في ظل موجة الاعتقالات التي أطلقها نظام البعث تحت إشراف مدير الأمن العام وقتها، المجرم المعروف ناظم كزار، تم اعتقال الشهيد آية الله الصدر في عام ١٣٩٢ هـ وفي مقدمة كتابه *مباحث الأصول*، ذكر آية الله السيد كاظم الحائري تفاصيل هذا الاعتقال وظروفه:

«في عام ١٣٩٢ هـ (١٩٧٢م)، وعلى الأرجح في شهر رجب أو أواخر جمادى الآخرة من نفس العام، تم اعتقال الأستاذ الشهيد. بدأت القصة عندما قال لنا في أحد الأيام: «لقد تلقيت خبراً بأن البعثيين سيعتقلوني الليلة». لكن في صباح اليوم التالي، اكتشفنا أن شيئاً من هذا القبيل لم يحدث.

في الليلة الثانية، تعرض المرحوم فجأة للتسمم أو شيء مشابه، وكان من المتوقع أن يؤدي ذلك إلى وفاته، ولذلك طلب منا أن نأخذه إلى المستشفى. كنت أنا والمرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي في حضوره، ولا أدري إن كان شخص آخر معنا أم لا. أخذناه إلى مستشفى النجف، وبعد فترة، جاءت

(١) المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٧؛ المصدر نفسه، صص ١٨٢ - ١٨٠.

زوجته أم جعفر وأخته بنت الهدى لزيارته في المستشفى، ثم عادتا إلى المنزل. أما أنا فقد عدت إلى منزلي، بينما بقي المرحوم الأردبيلي عنده.»

«بعد ذلك علمنا أن رجال الأمن قد حاصروا منزل الأستاذ في تلك الليلة وداهموه بهدف اعتقاله، لكن خادمه - الذي كان آنذاك محمد علي محقق - أخبرهم بأن السيد الصدر ليس في المنزل ولا يعلم أين ذهب. فقاموا بضربه بشدة ليخبرهم بمكان السيد الشهيد، لكنه رفض وأصر على عدم إفشاء مكانه. وفي تلك الأثناء، وصلت زوجته أم جعفر وأخبرتهم أن السيد كان مريضاً وتم نقله إلى مستشفى النجف. فتوجه رجال الأمن إلى المستشفى وبعد محاصرته، طلبوا من مسؤولي المستشفى أن يسلموهم السيد، لكنهم أخبروهم أنه مريض جداً وأن حالته حرجية، وإذا أخذوه منهم ومات في أيديهم، فلن يتحملوا المسؤولية عن ذلك.

وفي النهاية، تم الاتفاق على أن يتم نقل السيد الشهيد تحت إشراف رجال الأمن إلى مستشفى الكوفة، الذي كان يحتوي على قسم خاص للمعتقلين، وبقي المرحوم السيد عبد الغني الأردبيلي برفقته. وهكذا تم نقل الأستاذ إلى مستشفى الكوفة وأدخل إلى قسم المعتقلين.

في صباح اليوم التالي، توجه السيد محمد غروي للاطمئنان على حال الأستاذ، وذهب إلى مستشفى الكوفة حيث التقى بالمرحوم السيد عبد الغني، وسمع منه أن رجال الأمن قد وضعوا الأصفاد في يد السيد. فأبلغ السيد غروي هذا الخبر لي، فذهبت إلى منزل الإمام الخميني الذي كان في ذلك الوقت في النجف، وأخبرته بما حدث.

في صباح نفس اليوم، توجه العديد من الناس، وخاصة طلاب العلوم الدينية والعلماء الأجلاء مثل المرحوم آية الله الشيخ مرتضى آل ياسين والمرحوم

السيد محمد صادق (الصدر) لزيارة السيد الشهيد في مستشفى الكوفة، لكنهم واجهوا معارضة من رجال الأمن. ومع ذلك، تمكن بعضهم من زيارة السيد الشهيد رغم هذه المعوقات.»

«كان الوضع ينذر بحدوث اضطرابات في صفوف الناس، لكن النظام خوفاً من العواقب، قام بفك الأصفاد من يدي الشهيد، وبعد فترة قصيرة تم نقله من قسم المعتقلين إلى القسم العادي في نفس المستشفى. ثم تم نقله إلى مستشفى النجف، وبعد تحسن حالته الصحية عاد إلى منزله، حيث قام العديد من الناس والمجموعات بزيارته. استمر الوضع على هذا النحو حتى جاء يوم شهادة الإمام الكاظم عليه السلام، حيث أقام المرحوم كما في كل عام مجلس عزاء في منزله بهذه المناسبة حضره جمع كبير من الناس وألقى السيد جواد شبر في الجمع خطاباً. كان الأستاذ الشهيد يقول: «إن هذا الاعتقال قد زاد من إقبال الناس علينا، وأدى إلى زيادة الروابط العاطفية بينهم وبيننا». في تلك اللحظة، أدركنا أن مرض السيد الشهيد كان رحمة من الله، وذريعة لتأجيل خطة البعثين باعتقاله ونقله تحت الحراسة إلى بغداد، حتى انكشفت القضية، وأظهر الناس ردة فعل قوية مما اضطر النظام معها للإفراج عن الأستاذ قبل أن يتم نقله إلى بغداد»^(١).

الاعتقال الثاني

منذ القدم والشيعة في العراق يقيمون مراسيم يُظهرون خلالها شدة محبتهم للإمام الحسين عليه السلام وتكريم تضحياته في سبيل الإسلام ودفاعه عن

(١) الحائري، مباحث الاصول، ج ١، صص ١٠٧ - ١٠٥؛ زندگی و افکار شهید صدر، صص

كرامة المسلمين، حيث كانوا في كل عام يشكلون مواكب عزاء تجوب الشوارع بشكل سلمي وهادئ، خاصة في شهر صفر، وبالذات في اليوم العشرين من هذا الشهر الذي يصادف الأربعين من شهادة الإمام الحسين عليه السلام، حيث كانوا يتوجهون إلى كربلاء. وكان يُتوقع من نظام البعث ألا يظهر موقفًا سلبيًا تجاه هذا التقليد الشعبي، خاصة وأنه كان يرفع شعار الحرية كأحد الشعارات الرئيسية، ويزعم أنه يعمل من أجل تحقيق هذه الشعار، بل وكان يدعي احترام مشاعر المسلمين وأنه يترك للناس حرية إقامة شعائرهم الدينية والمذهبية.

على أي حال، في ذلك العام (١٣٩٧ هـ)، انطلقت مسيرة المواكب الكبيرة في التاريخ المحدد، أي يوم الجمعة من صفر (٤ كانون الثاني/يناير)، باتجاه كربلاء. وكان المشاركون في المسيرة يرددون هتافات عديدة من قبيل:

«لو قطعوا أرجلنا واليدين نأتيك زحفاً سيدي يا حسين

بسبب المشاركة الحماسية والثابتة من قبل الناس والشعار الذي رفعه المشاركون، تحولت الشعارات الدينية في المسيرة إلى شعارات ضد النظام وأعداء الحسين عليه السلام، مما جعل البعثيين في حالة من الذعر والقلق وأظهر ذلك أن خططهم كانت قد فشلت مسبقاً.

في اليوم الثاني من تحرك المسيرة، وقع اشتباك في منطقة خان النص بين حشود المعززين وعناصر الأمن البعثي، أسفر عن استشهاد عدد من المشاركين في المسيرة. هذا الحادث دفع العشائر العربية إلى الاستعداد لمواجهة قوات الأمن.

وبهدف تصحيح خطأه، قرر النظام البعثي إلغاء قراره بمنع حركة المسيرة. ولكن هذه الخطوة لم تنجح أيضًا في حل الأزمة، خاصة أن المتظاهرين الثوار كانوا قد قطعوا أكثر من ربع المسافة المتجهة إلى كربلاء.»

«كان السيد الشهيد يتابع الأحداث بدقة، وقد شعر بسعادة كبيرة عندما سمع أن أنصار الحسين عليه السلام قد بدأوا في مواجهة هيمنة أعدائه، وأن الناس يظهرون مقاومة أمام دبابات وطائرات العدو، وأن عددًا كبيرًا من الجنود من الجيش وبعض أعضاء حزب البعث قد انضموا إلى صفوف الثوار. كان الشهيد الصدر يرى أن هذه التحولات هي دليل على استيقاظ الوعي الإسلامي لدى الناس وفهمهم لطبيعة النظام الحاكم الذي كان يركب على ظهورهم لفترة طويلة. وفي هذا السياق، كان يقول:

«هذه المواقب هي شوكة في عين الحكام الظالمين. هذه المواقب وهذه الطقوس والعادات هي التي زرعت شجرة حب الحسين عليه السلام وحب الإسلام في قلوب الأجيال. ولذلك، يجب عدم التراجع عن أي جهد للحفاظ على هذه الشعائر والمواقب، حتى وإن كان بعضها بحاجة إلى إصلاح وتهذيب.^(١)»

«كان السيد الشهيد يتابع الأحداث بدقة، وعندما سمع بأن أنصار الحسين عليه السلام قد انطلقوا لملاقاة قوى الأعداء، وأن الناس يقاومون دبابات وطائرات العدو، وأن العديد من الجنود العسكريين وبعض أعضاء حزب البعث قد انضموا إلى صفوف الثوار، كان يشعر بفرح كبير. كان الشهيد الصدر يرى في هذه التحولات علامة على يقظة الأمة الإسلامية ووعيها بطبيعة النظام الحاكم الذي كان قد استمر لفترة طويلة في استبداده. وكان يقول في هذا الصدد:

«هذه المواقب شوكة في عين حكام الجور. إن هذه المواقب وهذه الشعائر والتقاليد هي التي زرعت في قلوب الأجيال شجرة حب الحسين عليه السلام»

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٢٠٩؛ ساهلای رنج، صص ١٩٠ -

وحب الإسلام، ولذلك يجب ألا يتم التهاون في الحفاظ على هذه الشعائر والمواكب؛ حتى وإن كان بعضها يحتاج إلى إصلاح وتنقية»^(١)

«كان المرحوم قد أمرني أن أقدم المساعدة المالية لجميع المواكب التي كانت بحاجة للدعم والمساعدة. حتى أنه كان يرسل مساعدات مالية كبيرة للمواكب التي عادةً لا تطلب المساعدة»^(٢).

على أي حال، تحولت حركة المعزّين، خاصة بعد فشل التدخل العسكري للنظام وعجز قوات الأمن عن منعهم، إلى انتفاضة تاريخية أثارت رعب النظام. ولذلك، حاول النظام الحفاظ على ماء وجهه من خلال محاولة إقناع الثوار أن يتجنبوا إطلاق الهتافات ضد البكر وصادم، وألا يرددوا سوى الشعارات الحسينية عند دخولهم كربلاء. ومع استخدامه لكافة الوسائل لم ينجح النظام في إيقاف هذا العمل، ولذلك لجأ إلى العلماء ليقترحوا على الثوار أن يقتصروا على الهتافات الحسينية فقط لتخفيف الوضع المتأزم.

وصل جاسم الركابي، محافظ النجف، إلى الشهيد وطلب منه إرسال وفد إلى الثوار في المسيرة ليوصل لهم رسالة إلغاء قرار الحكومة بمنع الحركة، وأنه لن يتم اعتقال أي منهم بعد الآن. كما طلب منه أن يطالبهم بالحفاظ على الهدوء، وأن يمتنعوا عن إطلاق الهتافات ضد النظام، ويقتصروا فقط على الشعارات الحسينية.

سأل الشهيد الصدر: «من سيضمن سلامة الوفد الذي سأرسله؟»

الركابي أجاب: «أنا أتحمّل مسؤولية سلامته، وإذا حدث شيء سأستقيل

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٠٩؛ سألهاى رنج، صص ١٩٠ - ١٨٩.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ١٩٠.

وأحلق شاربى. هذا الالتزام من جانبي ومن جانب عزت الدوري وزير الداخلية».

لم يكن الشهيد الصدر يثق أبداً بعود النظام، لكنه في الوقت نفسه كان يرى أنه بهذه المسيرة قد حقق أهدافه، وكان يعلم أن البعثيين بمجرد انتهاء زيارة الأربعين الحسيني سوف يتخذون أشد الإجراءات ضد المتظاهرين الثوريين. لذلك كان يهدف إلى أن يكون انتقام البعثيين بأقل الخسائر الممكنة. بالإضافة إلى ذلك، كان قد وافق على هذه الخطوة لتهدئة الثوار، وكان رفض الشهيد الصدر، يُعتبر بمثابة اعتراض على النظام، وتأييد للثوار. فبعد طلب الركابي، استشار تلاميذه البارزين، بما في ذلك السيد محمد باقر الحكيم، ثم قرر إرسال وفد برئاسة محمد باقر الحكيم إلى المتظاهرين.

كان رأي الحكيم أن الامتناع عن تلبية مطالب النظام أفضل لأنه لن يفي أبداً بتعهداته، لكنه مع ذلك استجاب لطلب السيد الشهيد وذهب إلى الثوار المتظاهرين وتحديث إليهم إلى الحد الذي كان ضرورياً، وبالتدبير الذي اتبعه استطاع أن يهدئ روعهم. فكان من الجدير تقدير خطوة الحكيم لأنه بحكمته حال دون إراقة الدماء. ومع ذلك، قام محافظ النجف الذي طلب المساعدة من السيد الشهيد قبل ساعات، باعتقال السيد الحكيم وتسليمه إلى الأجهزة الأمنية.

دخل حجة الإسلام الحكيم سجن جهاز الأمن والاستخبارات دون أي استجواب أو محاكمة، وهناك تم إبلاغه بأنه قد حُكم عليه بالسجن المؤبد. وبعد فترة تم نقله إلى سجن أبو غريب. أما محافظ النجف فقد تجاهل وعوده ولم يقدم استقالته، ولم يخلق شاربى، علاوة على ذلك، أظهر النظام سلوكاً مليئاً بالكراهية والغضب تجاه الشهيد الصدر، وسعى للانتقام منه كرمز حقيقي لمدينة النجف.

نتيجة لذلك، رغم أن النظام لم يكن لديه دليل على دور الشهيد الصدر

في تلك الأحداث أو في تحريض الناس ضد الحكومة، أصدر أمرًا باعتقاله ونقله إلى بغداد. وفي الساعة التاسعة صباحًا من يوم ١٠ يناير ١٩٧٧ م / ٢١ صفر ١٣٩٧ هـ، توجه مدير دائرة الأمن في النجف إلى منزل الشهيد الصدر ليخبره أن عزت الدوري، وزير الداخلية، يرغب في لقائه.

وكتب النعماني:

«تم نقل السيد الشهيد إلى بغداد، ولكن ليس لاستجوابه، بل لتلقي رسالة شديدة اللهجة تزخر بالكراهية، من وزير الداخلية، وكانت مفعمة بأنواع التهديدات بالانتقام. بعد تسليمه هذه الرسالة، نُقل إلى دائرة الأمن وتعرض لتعذيب وحشي ينم عن كراهية شديدة. وقد كان رحمه الله يقول لي لاحقًا: «كنت أحاول جاهدًا أن أخفي التعذيب الذي تعرضت له عن باقي السجناء، حتى لا يؤدي ذلك إلى تحطيم معنوياتهم أو إثارة خوف الأشخاص الذين لا يتحملون الضغوط ولا يملكون الصبر.»»

عندما سألته عن الأحداث التي جرت له في دائرة الأمن العامة، قال:

«لم يسألني أحد هناك عن شيء، لكن مدير دائرة الأمن قال لي: نحن نعلم أنك متورط في جميع هذه الأعمال العدائية، وأنت أرسلت السيد محمد باقر الحكيم لتحريض الناس ضدنا، وسنتقم منك في الوقت المناسب.» ثم هددني بالإعدام.^(١)

ويقال: إن السيد الشهيد بعد خروجه من السجن كان يتوقع أن يتم اعتقاله في أي لحظة من قبل النظام، ولذلك كان مستعدًا لهذا الأمر وكان ينتظره ليلاً ونهارًا.

(١) المصدر نفسه، ص ٢١٢؛ المصدر نفسه، ص ١٩٢.

الاعتقال الثالث

قبل غروب شمس يوم الاثنين ١٦ رجب ١٣٩٩ هـ، قامت قوات الأمن وقوات حزب البعث بمحاصرة منزل الشهيد الصدر والشوارع والأزقة المحيطة به، ومنعت الحركة في تلك المنطقة. في تلك الليلة، كانت المدينة بأسرها تحت هدوء وسكون عميق، باستثناء الزقاق الذي يقع فيه منزل الشهيد، حيث كانت خطوات الجنود بأحذيتهم الثقيلة تزعج الصمت الثقيل الذي كان يحيط بالمنطقة.

قال محمد رضا النعماني عن عملية الاعتقال:

كنت أراقب الوضع من خلال الشق الصغير في نافذة تطل على الشارع، وكنت على يقين أن النظام يستعد لاعتقال الشهيد الصدر. لذلك ذهبت إلى السيد الشهيد وأخبرته عن نية القوات المنتشرة حول منزله، لكن ردّ علي قائلاً: «لا توجد مشكلة، سأذهب للنوم لأنني متعب جداً».

ثم أعطاني خاتمه الذي كان في الواقع بمثابة ختم وتوقيع فتاواه ورسائله، لكي لا يقع في يد النظام أثناء الاعتقال أو في حال استشهاده، حتى لا يتمكنوا من استخدامه في أغراضهم الشيطانية، مثل تزوير فتاوى باسمه واستغلالها. وكانت شقيقة الشهيد، المرحومة بنت الهدى، قد علمت هي الأخرى بوجود القوات الأمنية المتجمعة حول المنزل.

كان السيد الشهيد قد قرر أنه في حال جاء رئيس دائرة الأمن لاعتقاله، سيواجهه ويكشف عن موقفه بوضوح تجاه النظام وسياسته وتصرفاته الوحشية. فقلت له: «نحن قادرون على تجاوز هذه الأزمة بسلام، فما الفائدة من هذا التصرف؟» فقال رحمه الله:

يريد أن يُجبر النظام على قتله لعل هذا يدفع الناس إلى التحرك لإسقاط النظام وإقامة حكومة القرآن في العراق.

قال محمد رضا نعماني:

في صباح اليوم التالي، أي ١٧ من رجب ١٣٩٩ هـ، بينما كان الناس لا يزالون نائمين، فتح الباب دون أن ننتبه، وجاء أبو سعد المجرم، رئيس جهاز الأمن في النجف، طالباً لقاء السيد الشهيد. لم يكن هذا اللقاء مفاجئاً أو غير متوقع، لأن جميع الأدلة كانت تشير إلى أن الشهيد الصدر سيتم اعتقاله في ذلك اليوم. على أي حال، عندما التقى المجرم بالسيد الشهيد، قال له: «سيدنا، ترغب قيادة الحكومة في لقاءكم».

فأجابه السيد الشهيد قائلاً: «أنا لا أرغب في لقاءهم».

قال أبو سعد: «لا بد من ذلك».

أجاب السيد الشهيد: «لن أذهب معك إلا إذا كان لديك أمر باعتقالي».

قال أبو سعد: «نعم، لدي أمر باعتقالك».

وهنا بدأ السيد الشهيد بالكلام وقال:

ما هذا النظام؟ ما هذا الحكم؟ أنتم قد خنقتم الأفواه، واستوليتم على الحرية، وبالقوة من خلال النار والحديد خنقتم الأمة. أنتم تريدون أمة ميتة بلا إرادة. أنتم تريدون أمة بلا عزّة وكرامة. عندما تظهر أمتنا إرادتها وتُظهر موقفها في قضية ما، وعندما يتحرك عشرات الآلاف من أبناء هذه الأمة للتعبير عن ولائهم واهتمامهم بالإسلام والمرجعية، تبدأون بالهلع. لا تحترمون الأمة ولا تضعون لها قيمة ولا تحترمون مبادئها. تتوسلون بالقوة لتغلقوا الأفواه، وتستولوا على الحريات، وتدوسوا على عزّة الأمة.

أين هي الحرية التي تدعونها والتي جعلتموها من شعاراتكم؟! أين هي تلك الأمة التي تدعون الدفاع عنها وحماية مصالحها؟! أليس هؤلاء الآلاف الذين جاءوا ليعلموا ولاءهم ووفاءهم للمرجعية من أبناء العراق؟! إذا كان يومًا ما الشعب يريد أن يظهر إرادته ورغبته، فلماذا الرعب والهلع يتملّكان قلوبكم؟...

أضاف النعماني:

وهكذا، عبّر السيد الشهيد عن اعتراضه بعبارات نارية تجاه رئيس جهاز الأمن، الذي كان مرتبكًا وقلقًا نتيجة لهذا الموقف غير المتوقع، فظل صامتًا ومندهشًا دون أن يقول شيئًا. بعد أن انتهى السيد الشهيد من حديثه، قال لأبي سعد: «إلى حيثما تريد أن نذهب».

خرج الشهيد آية الله الصدر بحرية وبشجاعة علوية، وهو يستعد للشهادة، وكان يلهج بذكر الله (سبحان الله، الحمد لله، الله أكبر) على لسانه. رافقناه أنا وأخواني: الشيخ طالب السنجري، السيد محمود الخطيب، والحاج عباس (خادم المنزل)، من المنزل إلى قرب السيارة. وفي تلك اللحظة، صادفنا والدته العجوز - التي كانت عاجزة عن الحركة وتكاد أن تتنفس بصعوبة - واقفة في الزقاق، وقامت بتوجيه حديثها لأحد الجلادين البعثيين الذين كانوا في المنطقة، قائلة له:

قالت: «خذوني معكم مع ابني أيضًا.» ثم وقع نظرنا على الفتاة العلوية الشهيدة، بنت الهدى، التي كانت واقفة بجانب سيارة رئيس جهاز الأمن التي كانت ستنقل السيد الشهيد إلى بغداد.

ركب السيد الشهيد السيارة، وفجأة قفز الشيخ طالب سنجري إلى داخل السيارة وجلس بجانب السيد. رغم محاولات رجال الأمن لمنعه، أصر

الشيخ طالب على أنه يجب أن يذهب مع السيد الشهيد إلى الإدارة العامة للأمن في بغداد. كما رافقهم السيد محمود الخطيب أيضًا.^(١)

في هذه الأثناء، أُلقيت كلمات جهادية من قبل السيدة بنت الهدى الصدر حول اعتقال السيد الصدر، مما أدى إلى اندلاع مظاهرات واسعة. حاولت القوات الأمنية استخدام أساليب مختلفة لتفريق المتظاهرين بعد خروجهم من الحرم المطهر، لكنهم فشلوا. بل قامت القوات الأمنية بشن هجوم على صفوف المحتجين في شارع الإمام الصادق عليه السلام باستخدام سيارة جهاز الأمن، ولكنهم واجهوا ضربات قوية من المتظاهرين على نوافذ السيارة.

استمر المتظاهرون في تحركهم في شارع الإمام الصادق عليه السلام، ولكنهم واجهوا حشودًا ضخمة من القوات الأمنية القادمة من جهة الحرم الشريف، مما اضطرهم لتغيير مسارهم باتجاه السوق الكبير عبر أحد الأزقة المؤدية إليه. وعندما دخلنا السوق، كانت جميع المحلات التجارية مغلقة، فواصلنا مسيرتنا حتى نهاية السوق. هناك، نشبت اشتباكات بين المتظاهرين العزل والقوات الأمنية، وودّت أصوات إطلاق النار من قبل القوات الأمنية في أرجاء المنطقة. عاد المتظاهرون إلى داخل السوق باتجاه الحرم، إلا أن القوات الأمنية كانت قد أغلقت مدخل السوق. وبسبب ذلك، اضطررنا للعودة إلى شارع الإمام الصادق عليه السلام عبر أحد الأزقة، حيث تفرقت الحشود؛ بعضهم نجح في الهروب، بينما تم اعتقال البعض الآخر.

قامت القوات الأمنية في معظم شوارع النجف بحملات اعتقال عشوائية، مما يعكس حالة الرعب والخوف التي سيطرت عليهم نتيجة

(١) المصدر نفسه، صص ٢١٦-٢١٣؛ المصدر نفسه، صص ١٩٦-١٩٤؛ العامل، المصدر نفسه،

المظاهرات.

رغم أن هذه المظاهرات كانت عفوية وغير منظمة من حيث التخطيط والتنفيذ، إلا أنها كانت ذات تأثير بالغ في إجبار النظام على الإفراج عن السيد الشهيد وتأجيل حكم الإعدام الصادر بحقه.

رحم الله السيد علي بدر الدين، كان يحدثنا أن مسؤولين في مدينة النجف قد أرسلوا برقية إلى أحمد حسن البكر، رئيس الجمهورية، يُعلمونه فيها بأن هناك مظاهرات واسعة احتجاجاً على اعتقال السيد الشهيد في النجف، وأن الأوضاع أصبحت قاب قوسين أو أدنى من الانفجار. كان السيد الشهيد يقول لي:

«طريقة وأسلوب التحقيقات التي كان يجريها فاضل البراك، رئيس جهاز الأمن العام، كانت قاسية وعنيفة. في أثناء التحقيق معي، دخل شخص وأعطاه ورقة صغيرة، وبعد قراءته لها تغير أسلوبه في التحقيق. بعد دقائق رن الهاتف. بدا لي أن الشخص الذي كان على الطرف الآخر من الخط كان ذا أهمية كبيرة، لأن البراك كان يرد عليه بكلمات مثل: نعم يا سيدي! طاعتي يا سيدي! وما إلى ذلك».

ثم تبين لاحقاً أن الشخص الذي كان يتحدث مع البراك هو أحمد حسن البكر، رئيس الجمهورية الراحل. كان السيد الشهيد يقول:

شعرتُ أن شيئاً حدث أدى إلى تغيير أسلوب التحقيق معي، لكنني لم أكن أعرف ما هو حتى قال لي فاضل البراك: «ماذا فعلنا حتى يقال إن هناك مظاهرات في النجف والكاظمية احتجاجاً على اعتقالك؟ مجيئك إلى هنا زيارة لا اعتقال!»^(١) أبو أسماء، المجرم، نائب فاضل البراك والذي كان من التركمان

(١) النعماني، الشهيد صدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٢٢٣ - ٢٢١؛ ساهل رنج، صص

العراقيين وعضوًا في حزب البعث، كان أول شخص يرحب بالسيد الشهيد في دائرة الأمن العامة ببغداد. وقال له بأسلوب ساخر: «سيدنا، لقد ضعفت وأصبحت هزيلًا!»، فرد عليه الشهيد الصدر بلغة حادة قائلاً: «أبدًا! لست هكذا. أنا في حالٍ طبيعي.»

كانت ردود الفعل الشعبية على اعتقال السيد الشهيد سريعة وشديدة، لدرجة أننا تمكنا من إبلاغ أحد تلاميذ السيد الشهيد في إيران عن خبر اعتقاله، ومن ثم قامت وكالات الأنباء الدولية، بما في ذلك وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بنقل الخبر. ولم يمض وقت طويل حتى تم نشر الخبر من خلال هذه الوكالات، وكذلك عبر القسمين الفارسي والعربي في إذاعة طهران. بهذه الطريقة، استطعنا نشر الخبر على نطاق واسع. كانت اتصالاتنا تتم عبر هاتف حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر مهري. هو الذي كان قد هاجر من العراق، وفتح لنا منزله لاستخدام هاتفه الذي لم يكن مراقبًا.^(١)

نتيجة لهذا الإعلام المبكر والواسع عبر وسائل الإعلام الجماهيرية، تصاعدت ردود الفعل الشعبية تجاه هذا الاعتقال في عدة مدن بشكل شبه متزامن، من بينها مدن النجف، السماوة، ديالى، الثورة، جديدة الشط، الكاظمية، الفهود وغيرها، مما أثار الرعب والخوف في صفوف النظام.

٢٠٣ - ٢٠١. قال النعماني: قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران كان السيد الشهيد يعتزم شراء وقت محدود - مثلاً نصف ساعة - من الإذاعات الأجنبية ليبت من خلالها الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الإسلام. وعلى ما أذكر كلّف أحد الطلبة اللبنانيين أن يتحرّى حيثيات تنفيذ هذه الفكرة، ذلك أنّه كان يولي اهتماماً بالإعلام ودوره في خدمة القضايا الإسلامية، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٢٢٤ الهامش، ساهل رنج، ص ٢٠٣ الهامش.

(١) المصدر نفسه، صص ٢٢٥ - ٢٢٣؛ المصدر نفسه، صص ٢٠٣ - ٢٠٢.

على أي حال، قام فاضل البراك بتغيير أسلوبه في التحقيق وقال للسيد الشهيد: «لم يكن هدفنا اعتقالك، بل كنا نرغب في التعرف على الأحداث مباشرة من خلالك». فرد عليه السيد الشهيد قائلاً: «هل كان من الضروري أن تُطرح كل هذه الأسئلة وبهذا الأسلوب؟ وتتم محاصرة منزلي من بعد الظهر حتى صباح اليوم التالي بعدد كبير من القوات؟»

قال البراك: «هذه خطأ ارتكبه رئيس جهاز الأمن في النجف، وقد أخبرناه أننا نريد الاستفسار عن بعض الأمور من السيد الصدر، وطلبنا منه أن يحضرنا إلى بغداد بكل احترام. ثم أضاف قائلاً: «إذا رغبت في العودة إلى النجف، فأنت حر في ذلك ويمكنك العودة.»

نقل النعماني عن السيد الشهيد قوله: «لقد عارضتُ العودة إلى النجف بعد إطلاق سراحني، وشرطت ذلك بإطلاق سراح اثنين من رفاقي وجميع المعتقلين في هذه الحوادث.»^(١)

أجاب فاضل البراك قائلاً: «سيتم الإفراج عن هذين الرفيقين في القريب العاجل، لكن إطلاق سراح الآخرين مرهون بقرار من السلطات العليا». ثم وعد السيد الشهيد بأنه سيتدخل شخصياً لدى أحمد حسن البكر، رئيس الجمهورية، من أجل الإفراج عن بقية المعتقلين. كما أوضح أن مجموعة من المعتقلين قد قتلت وأصابت بعض عناصر الأمن، وأن جهاز الأمن لا يستطيع الإفراج عنهم لأن هذا لا يدخل ضمن صلاحياته. لكن السيد الشهيد لم يقتنع بكلامه ولم يقبل وعده، لذلك رفض العودة إلى النجف إلا إذا تم تنفيذ الشرط الذي وضعه.

في هذه المرة، حاول البراك مرة أخرى أن يتوسط من أجل الإفراج عن

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٥؛ المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

البقية في حضور السيد الشهيد، لكنه لم يتمكن من تحقيق أي تقدم. لذلك، أقسم أمام السيد الشهيد أنه سيعمل على الإفراج عنهم في أقرب وقت ممكن. وعندما عاد السيد الشهيد إلى النجف الأشرف، أخبرته أنه تم اعتقال ممثليه وعدد كبير من الإخوة المؤمنين، وخاصة من كانوا ضمن وفود البيعة له. فقال:

«عندما كنت في إدارة الأمن العام، كنت أظن أن شيئاً من هذا القبيل قد يحدث. لأنني كنت أعلم أن النظام لن يقتصر على اعتقاله فقط، بل سيعتقل العديد من المؤمنين الآخرين أيضاً.»^(١)

ثم طلب الشهيد الصدر من السيد محمود الخطيب أن يتصل بفاضل البراك ويطلب منه، نيابةً عن السيد، الإفراج عن جميع المعتقلين. وبعد وقت قصير، تم الإفراج عن مجموعة كبيرة منهم، بينما ظل البعض الآخر قيد الاعتقال.

من بين المعتقلين خلال انتفاضة رجب، كان هناك عدد من العلماء الأفاضل الذين كانوا في الغالب من تلاميذ ومثلي الشهيد الصدر. وقد استشهد بعضهم أثناء حصار السيد الشهيد على يد النظام. من بين الذين استشهدوا أو تم اعتقالهم:

١ - آية الله المجاهد الشهيد السيد قاسم شبر، الذي كان معروفًا بلقب «شيخ الشهداء»، وقد تجاوز التسعين سنة عندما استشهد.

٢ - الشهيد حجة الإسلام السيد قاسم المبرقع.

٣ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ عبد الجبار البصري.

٤ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ سامي طاهر العلي.

٥ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد علي الجابري.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٥؛ المصدر نفسه،

- ٦ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ عبد الجليل مال الله؛
- ٧ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد حسين المبرقع؛
- ٨ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ السيد عبد الرحيم الياسري؛
- ٩ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ عبد الأمير الساعدي؛
- ١٠ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ الخزعلي السوداني؛
- ١١ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ مهدي السماوي؛
- ١٢ - الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد يونس الأسدي؛
- ١٣ - الشهيد حجة الإسلام السيد عز الدين الخطيب؛
- ١٤ - حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن عبد الستار؛
- ١٥ - حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عفيف النابلسي؛
- ١٦ - حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الصدر؛
- ١٧ - حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين السيد هادي الصدر؛
- ١٨ - حجة الإسلام علي أكبر الحائري؛
- ١٩ - الشهيد حجت الإسلام الشيخ عبد الكريم فرج الله.^(١)

استجواب الشهيد الصدر في فترة الاعتقال

كتب النعماني في هذا الشأن أن السيد الشهيد قال:

«كل الشواهد كانت تشير إلى أن النظام ينوي إعدامي، وكان فاضل البراك يتصرف بوجه محمّر وعصبي وسلوك عنيف».

(١) المصدر نفسه، صص ٢٢٧ - ٢٢٦؛ ص ٢٠٥.

وأضاف:

أشير هنا إلى جانب من التحقيق الذي أجري مع السيد الشهيد في يوم ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ، والذي سمعته من الشهيد نفسه:

فاضل البرّاك: كيف كانت علاقتك مع السيد الخميني؟

السيد الشهيد: «علاقة عالم بعالم».

البرّاك: الخميني رجل سياسي وليس عالماً.

السيد الشهيد: «ولكنني ما زلت أعتقد أنه رجل دين وأحد مراجع المسلمين».

البرّاك: الخميني رئيس حكومة، ونحن نعتبر أي علاقة معه خارج القنوات الدبلوماسية للدولة العراقية شكلاً من أشكال العمالة.

السيد الشهيد: «افهموها كما تريدون، لكن السيد الخميني في نظري مرجع من مراجع المسلمين».

البرّاك: لماذا نشرت بيانات تأييد للثورة الإسلامية في إيران؟

السيد الشهيد: «واجبي الشرعي ألزمني بهذا الفعل. لم يكن في هذا البيان شيئاً ضدكم».

البرّاك: هذه المسألة تتعلق بالحكومة وليس بالمواطنين.

السيد الشهيد: «ما نشرته لا يتعارض مع سياسات الدولة. أنتم أنفسكم تقولون إننا نؤيد الثورة الإسلامية، وبالتالي هذا الموقف يتفق مع موقفكم».

البرّاك: نحن نعتبر هذا الإجراء تجاهلاً للدولة والقانون ما لم يتم تحت إشرافنا وموافقتنا وعبر القنوات الدبلوماسية.

السيد الشهيد: «لقد تصرف وفق واجبي الشرعي والأخلاقي، ولم تكن

هناك أي أهداف سياسية وراء ذلك.»

البرّاك: في اليوم الذي غادر فيه السيد الخميني العراق، وذهبت لرؤيته في منزله، ماذا كان هدفك؟

السيد الشهيد: «العلاقات بين العلماء هكذا. لقد ذهبت لتوديعه، وهذا يؤكد قولي السابق بأن علاقتي مع السيد الخميني ليست قائمة على أسس سياسية. زيارتي له كانت قبل انتصار الثورة.»

البرّاك: ماذا كان يقصد السيد الخميني بالبرقية التي أرسلها لك؟
السيد الشهيد لا يجيب.

البرّاك: أين السيد محمود الهاشمي؟ لقد علمنا أنه ذهب إلى إيران ليكون ممثلك هناك؟

السيد الشهيد لا يجيب مرة أخرى.

البرّاك: ألا يعتبر إرسال السيد محمود الهاشمي إلى إيران عملاً استفزازياً ضدنا؟

السيد الشهيد: «فسروها كما تشاءون.»

البرّاك: من نظم الوفود التي جاءت إلى النجف لمبايعتك، ومن كان يقف وراء هذا الأمر وما الهدف من قدومهم؟

السيد الشهيد: «الشعب العراقي هو الذي كان وراء هذا الأمر وهم الذين نظموا هذه الوفود، وقد جاءوا ليطالبوا مني أن أكون بينهم.»

البرّاك: هل كنت تنوي مغادرة العراق؟

السيد الشهيد: «أبداً.»

البرّاك: إذن، هل كان هذا الإجراء خطة استفزازية محسوبة واتفاقاً مسبقاً

بينك وبين السيد الخميني قام السيد محمود الهاشمي بتنسيقه من أجل تحريض الشعب ضدنا والإطاحة بالنظام؟

السيد الشهيد: «لم يحدث أي اتفاق بيننا.»

البرّاك: فلماذا طلب منك (الإمام الخميني) البقاء في العراق؟ هل كان لأجل أن تتولى قيادة انتفاضة ضدنا بمساعدة إيران؟

السيد الشهيد: «لا إيران ولا أي دولة أخرى لها يد في هذا الأمر. كل الذين جاءوا لرؤيتي كانوا من أبناء هذه الأرض وأنتم تعلمون ذلك أيضاً.»

البرّاك: نحن نعتبر هذا العمل تحريضاً للشعب لإسقاط الحزب والثورة (البعثية).

السيد الشهيد: «أنتم تقولون إننا أقوياء بما يكفي. هل يمكن هؤلاء الأشخاص بإقامة مظاهرات سلمية وغير مسلحة في النجف إسقاط ثورة (البعثيين)؟»

البرّاك: لقد تأكد لنا أنك قد حرّمت الانضمام إلى حزب البعث؟

السيد الشهيد: أنا في قبضتكم، افعلوا ما تشاءون.^(١)

الاعتقال الرابع

كان الاعتقال الرابع للسيد الشهيد في الساعة ٢ / ٥ بعد الظهر من يوم السبت التاسع عشر من جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ، والذي أدى إلى استشهاديه هو وأخته بنت الهدى. تم هذا الاعتقال على يد رئيس دائرة الأمن في النجف الأشرف ومعاونيه، وكان طلبهم فقط «رغبة المسؤولين في بغداد بلقاء السيد

(١) المصدر نفسه، صص ٢٢٩ - ٢٢٧؛ المصدر نفسه، صص ٢٠٨ - ٢٠٧.

محمد باقر الصدر». وفي إجابته وجه السيد الصدر إلى رئيس دائرة الأمن في النجف قائلاً:

إذا كُلفت باعتقالي، حسناً، سأتبعك إلى أي مكان تريد.^(١)

وأكد المسؤول عن الاعتقال ذلك. بعد ذلك ودّع الشهيد الصدر عائلته متوجّهاً إلى بغداد، حيث تعرض هناك للاستجواب والسجن والتعذيب الشديد حتى نال درجة الشهادة الرفيعة في ٢٣ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ.

محاولات فاشلة لاغتيال الشهيد الصدر

إحدى الجوانب غير المعروفة في حياة الشهيد الصدر - رضوان الله عليه - هي المكائد التي دُبرت من قبل البعثيين لاغتياله، لكن تلك المكائد إما فشلت في مرحلة التنفيذ أو بقيت في مرحلة التصميم ولم يتمكن النظام من تنفيذها، وهنا أذكر أهمها:^(٢)

محاولة الاغتيال الأولى

كان من المقرر تنفيذ هذه المؤامرة بعد فترة وجيزة من إطلاق سراح الشهيد من الاعتقال الثالث. عندما عاد الشهيد من بغداد إلى النجف، اتصل به فاضل البراك ونائبه المجرم أبو أسماء، وطلبوا منه أن يستأنف نشاطاته السابقة في التدريس واللقاء مع الناس. وأصروا على طلبهم هذا بشدة لدرجة أننا بدأنا نشك في نواياهم الحقيقية.

خلال فترة الحصار، علمنا من المرحوم السيد علي بدر الدين أن النظام

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٤؛ المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه، صص ٢٣٥ - ٢٢٩؛ المصدر نفسه، صص ٢١٤ - ٢٠٩.

البعثي خطط لاغتيال السيد الشهيد بعد إطلاق سراحه من الاعتقال في ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ. كانت الخطة تقضي بإحداث شجار مفتعل بين رجال الأمن في سوق العمارة في النجف أو على طريق مرور السيد الشهيد، وفي أثناء هذا الشجار يطلق أحد العناصر النار عليه في لحظة مناسبة والزعم بأنه قُتل بالخطأ، ثم يقوم النظام بإعدام القاتل وبهذه الطريقة يتخلص من أحد أشد معارضيه.

في (الأشهر الأخيرة) من فترة الحصار، حيث خفف النظام قليلاً من القيود (ليراقب الزوار والمتواصلين مع الشهيد الصدر بشكل أكبر)، طلب المجرم أبو سعد، رئيس دائرة الأمن في النجف، من السيد الشهيد أن يستأنف نشاطه الاعتيادي السابق. كان هدفه من هذا الطلب تنفيذ نفس الخطة السابقة (الاغتيال). في هذا الوقت، سأل أحد العناصر الأمنية المتمركزين حول بيت السيد الشهيد الحاج عباس - خادم المنزل - متى يخرج السيد الشهيد لزيارة الإمام علي عليه السلام؟ وقال آخر لحاج عباس: لماذا لا يخرج السيد الصدر من المنزل؟ لقد أنهت الدولة الحصار، فأخبره بالخروج. بسبب هذا الإلحاح، أدرك حاج عباس رغم بساطته أن النظام البعثي يسعى إلى التخلص جسدياً من السيد الشهيد. لم يكن يعلم أن السيد علي بدر الدين قد أبلغنا بذلك مسبقاً.

المحاولة الثانية

نفذ النظام هذه المؤامرة من خلال أحد عملائه الذي كان يملك محل عطارة في سوق العمارة بمدينة النجف وكان يتظاهر بالتدين والالتزام الكبير بالشعائر الحسينية. بادر النظام بتنفيذ هذه المؤامرة عندما أصيب السيد الشهيد بألم في مفصل ساقه اليسرى وطلب من الحاج عباس أن يشتري له مرهم «فيكس». ذهب الحاج عباس لشراء المرهم من العطار المذكور وسأله العطار:

لمن هذا الدواء؟ فأجابه الحاج عباس: السيد يعاني من ألم في ساقه اليسرى وأنا آخذ الدواء له.

في اليوم التالي، عندما كان الحاج عباس يمر أمام محل العطار، ناداه العطار وأعطاه جهازًا صغيرًا بينما كان ينظر يمينًا ويسارًا ليدو وكأنه يتأكد من عدم وجود رجال الأمن حولهم. وقال له: أخي طيب وقد أعطاني هذا الجهاز المتخصص في أمراض الساق، أعطه للسيد الصدر وقل له أن يضعه في جيب قميصه الأيسر (حيث كان الألم في ساقه اليسرى)، وإذا فعل ذلك، سيزول كل الألم في أقل من يوم وليلة.

أخذ الحاج عباس الجهاز وذهب به إلى المنزل. كنت قد أخبرته سابقًا عن وجود أجهزة إرسال وتنصت وطلبت منه أن يتحدث معي فقط في الأماكن التي حددها، ومن بين تلك الأماكن كانت مكتبة السيد الشهيد. عندما عاد الحاج عباس إلى المنزل، كنت جالسًا في المكتبة. حكى لي القصة، وكان قد ترك الجهاز في إحدى الغرف السفلية. طلبت منه أن يذهب ويحضره دون أن يتكلم أو حتى يُلقي التحية، ووضعه أمامي.

كنت أتوقع أن هذا الجهاز هو وسيلة للتنصت. وضعت السيد وأخته بنت الهدى في صورة الأمر ورأوا الجهاز. في ذلك الوقت، لم نتحدث مع بعضنا شفويًا، بل كنا نتبادل الكلام كتابة. كان هذا الجهاز أسطوانتي الشكل بطول حوالي ١٠ سنتيمترات، وكانت في طرفيه عدستان مثل عدسة الكاميرا، حيث إذا نظرت من طرف لن ترى الطرف الآخر. بصعوبة كبيرة قمت بفتح الجهاز. ووجدت بداخله عداد زمن متصل بعلبة معدنية تحتوي على مادة متفجرة. كان العداد يتحرك بشكل دائري نحو نقطة معينة. لم أجد في هذا الجهاز أي قطع إلكترونية تدل على أنه مخصص للتنصت. بعد أن شاهد السيد الشهيد محتويات

الجهاز وتأكدنا أنه كان قبيلة موقوتة، توجه إلى ذلك العطار قائلاً:

«لعنك الله يا...! إذا كنت تريد قتلي، فما ذنب هؤلاء الأطفال الأبرياء الذين أرهقتهم محاصرة المنزل وحرمتهم من أبسط حقوقهم؟»

كان المرحوم خلال فترة الحصار التي امتدت لعشرة أشهر يسلي أطفاله وكانوا يجدون فيه الطمأنينة، والنظام البعثي الذي حرّمهم من جميع حقوقهم في الحياة خلال هذه الفترة، كان يحاول أن ينهي وجودهم في هذا الظلم بإرسال المواد المتفجرة.

قلت للسيد الشهيد: ماذا أفعل بهذا الجهاز، هل أدمره؟ فقال: لا، أرجعه إلى صاحبه. فقلت: إذاً نقتل به صاحبه، فأجاب: ما شأنك بهذا الأمر؟ كنت أراقب العداد الذي كان يتحرك نحو نقطة معدنية معينة ليتم الانفجار عند ملامستها، وقدّرت أن ربع ساعة فقط كانت متبقية للانفجار. أعدت الجهاز إلى حالته الأصلية. أعطى السيد الشهيد الجهاز إلى الحاج عباس وقال: قل لفلان إنه لا يحتاج إلى مثل هذه العلاجات.

حمل الحاج عباس الجهاز وتوجه إلى العطار دون أن يدرك أنه كان متفجراً. عندما رأى العطار الجهاز في يد الحاج عباس، ارتعد فجأة وخرج مسرعاً من المتجر مذعوراً.

عندما عاد الحاج عباس إلى المنزل قال لي: عندما أعطيت الجهاز لفلان، جن جنونه وفعل ما فعل؛ لم يكن هناك أحد من رجال الأمن في السوق يجعله يخاف إلى هذا الحد. كان الحاج عباس يعتقد أنه فعل ذلك خوفاً من رجال الأمن.^(١)

(١) المصدر نفسه، صص ٢٣٢ - ٢٣١؛ المصدر نفسه، صص ٢١٢ - ٢١٠.

محاولة الاغتيال الثالثة

بعد فشل محاولة الاغتيال الثانية، قرر النظام العراقي القيام بمجزرة جماعية لقتل السيد الشهيد وأفراد عائلته، ولولا رحمة الله وعنايته لكانت هذه المؤامرة قد نجحت.

تفاصيل محاولة الاغتيال كالتالي:

خلال فترة الحصار، أمرت الأجهزة الأمنية للنظام دائرة مياه النجف بفتح الأنبوب الرئيسي للمياه في المنطقة التي يسكنها الشهيد الصدر من أقرب نقطة لبيته، وتوجيه المياه تحت المنزل؛ بحيث استمرت المياه تتدفق تحت المنزل لمدة ٢٠ ساعة متواصلة وبضغط شديد، مما أدى إلى قطع الماء عن تلك المنطقة. من المفترض أن تكون هذه الكمية من الماء كافية لهدم البيت على رؤوس ساكنيه. في ذلك الحين، كنا غير مدركين للمؤامرة إلى أن لاحظنا تحركات غير عادية من قبل القوات الأمنية الموجودة حول المنزل وانسحابهم من الموقع، مما أدهشنا لأن الشارع أصبح خالياً تماماً. اعتقد المارة أيضاً أن الحصار قد انتهى.

في اليوم الثاني، لاحظنا أن الطابق السفلي قد انهار بالكامل حتى عمق لا يقل عن خمسة أمتار، وأصبح المنزل قائماً على عدة أعمدة، وكأنه معلق في الهواء. كان المشهد مرعباً، ولم نكن نعرف متى سينهار البيت وأهله سيهلكون. بعد مرور بعض الوقت وعدم انهيار البيت، اضطرت السلطات إلى حفر عدة نقاط في الشارع الذي كانت تتواجد فيه القوات الأمنية للتأكد من عدم وجود خطر يهدد باطن الأرض تحت الإسفلت، وبعد التأكد من عدم وجود خطر، أصدرت الأوامر للقوات بالعودة إلى مواقعهم.

في نفس فترة الحصار، كانت هناك إشاعة أن النظام كان يوجه شعاعاً

قاتلاً نحو بيت السيد الشهيد من نقطة قريبة لاغتياله، لكننا لم نستطع التحقق من صحة هذه الإشاعة.^(١)

محاولة الاغتيال الرابعة

كان من المقرر أن يقوم أحد ضباط الجيش أو الاستخبارات العسكرية، الذي كان منزله مجاوراً لمنزل السيد الشهيد، بتنفيذ محاولة الاغتيال هذه. كان النظام قد اتفق معه على التفاوض مع السيد الشهيد بشأن إنهاء الحصار، ثم اغتياله في منزله. ذلك الرجل، الذي هداه الله فيما بعد ونال درجة الشهادة، لم يكن يعرف السيد الشهيد على الرغم من مجاورته له، لأن وجوده في النجف كان نادراً، وكان يعتقد أن كاظم الكفائي^(٢) هو السيد الشهيد، وكان يعلم أن الكفائي من السهل قتله؛ لذلك أعلن استعداده لتنفيذ عملية الاغتيال.

في أحد الأيام، جاء إلى منزل السيد الشهيد وقدم نفسه كمبعوث من النظام، طالباً تحديد موعد للقاء السيد الشهيد. لم نكن نعرف طبيعة هذا الشخص ولم نكن نعرف أنه يسكن بجوار منزل السيد الشهيد.

على أي حال، جاء موعد اللقاء وحضر الضابط في الموعد المحدد، ولكن عندما التقى بالسيد الشهيد بدأ جسده يرتجف بالكامل، لدرجة أنه كان يرتعش كأنه ورقة شجر في الرياح. تساءل السيد الشهيد عن سبب ارتجافه، فأجاب: سيدي، أرسلني النظام لاغتيالك، وهذا المسدس هو لأداء هذه المهمة. لكن الآن من المستحيل أن أقدم على ذلك. إنني أرتجف من الداخل ولا أعلم

(١) المصدر نفسه، صص ٢٣٤ - ٢٣٣؛ صص ٢١٣ - ٢١٢.

(٢) كفائي، هو أحد المتلبسين بزي رجال الدين وكانت له صلات بالنظام البعثي العراقي، ومعظم أهالي النجف كانوا على اطلاع بأمره.

السبب. أعتذر منك، كنت أظن أن الهدف هو كاظم الكفائي. وسأله السيد الشهيد عن كيفية وقوع هذا الأمر وكيف تم اختياره لتنفيذ هذه المحاولة. فقال: جاء ضابط رفيع المستوى من الاستخبارات وجمع الضباط الشيعة من أهل النجف وأخبرنا: هناك شخص في النجف هو عميل لإيران وعدو للثورة (البعث)، من منكم مستعد لاغتياله في منزله؟ فأعلنت استعدادي وكلفوني بهذه المهمة ووعدوني بمنصب رفيع بعد إنجازها. لكن الآن، أتوب بين يديك إلى الله تعالى وأقرر أن أنتقم منهم بأي وسيلة ممكنة.

المراقبات الأمنية

منذ أن ألقي كابوس الحزب والنظام البعثي بظلاله على العراق، بدأت عناصر ومرتزة هذا النظام بالانتشار في شوارع العراق وأزقته للنيل من الإنسان النقي والشريف من أبناء هذا البلد. لا أعتقد أن هناك دولة في العالم مثل العراق حيث يوجد هذا العدد الكبير من التنظيمات الإرهابية والاستخباراتية ضد الشعب والمواطنين، وخاصة الشرفاء وأصحاب القيم.^(١)

أنشأ النظام البعثي الحاكم في العراق منظمة إرهابية باسم «مديرية الأمن العامة» لقمع الشعب، ومنظمة أخرى باسم «الاستخبارات العسكرية» لقمع الجيش والقوات المسلحة. وأنشأ هذا النظام أيضاً تنظيمات أخرى هدفها مراقبة التنظيمات المذكورة. هذه التنظيمات، التي عرفت باسم «العلاقات العامة لمجلس قيادة الثورة»، تحولت فيما بعد إلى «جهاز المخابرات» وأصبحت تحت الإشراف المباشر لصدّام حسين. بالإضافة إلى ذلك، حول النظام حزب البعث إلى منظمة أمنية للتجسس وقمع الشعب. كما أن الهدف من إنشاء تنظيم الجيش

(١) المصدر نفسه، المصدر نفسه، صص ٢٢٢ - ٢١٤. (بتصرف)

الشعبي كان أيضاً لمراقبة موظفي الدولة واستخدام قدراته في التجسس والقمع. اتخذ النظام أيضاً خطوات لتنوع أنشطة هذه التنظيمات ووسائل قمعها للشعب.

البعثيون، بانتهاكهم القانون، نقلوا جميع الصلاحيات المتعلقة بالسلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية إلى ما يسمى بمجلس قيادة الثورة، الذي كان غالباً يتكون من أعضاء القيادة القطرية لحزب البعث. في الأساس، كان القانون عبارته عن قرارات مجلس قيادة الثورة ورئيسه (صدام) والمؤسسات التابعة له. وبهذه الطريقة، أزيلت من أمام البعثيين كل العراقيل أمام الهجوم على المنازل والاعتقالات والسجون والإعدامات ومصادرة الممتلكات وتطبيق أي نوع من الظلم والاضطهاد.

لإضفاء الشرعية على جميع هذه الإجراءات، كان النظام يروج لخطر الصهيونية والإمبريالية والرجعية ضد ثورة تموز لحزب البعث، ويؤكد أن هذا الخطر لا يزال قائماً طالما كان النظام البعثي يحكم العراق، فإن هذا الخطر سيستمر. بناءً على ذلك، كان من الطبيعي أن يستخدم النظام كل إمكانياته ضد السيد الشهيد، الذي كان من أشد أعداء الفكر المادي الصليبي الحاكم في العراق. كانت مراقبة البعثيين الأمنية للشهيد الصدر تتخذ أشكالاً وأبعاداً متعددة تبعاً للظروف والأوضاع، منها:

الرقابة البشرية: عمد النظام إلى استخدام عدد من مرتزقة المعروفين، مثل أمين ساري وثمين بصري وغيرهم من المنحرفين، وكذلك مجموعة من المرتزقة الذين يتظاهرون بملابس رجال الدين، لمراقبة السيد الشهيد عليه السلام والزوّار والطلاب والعلماء. لكن مهما كتبنا في هذا الموضوع، فإنه لن يعكس كل الحقائق الموجودة حول هذه المسألة؛ لأن هذه الرقابة كانت مستمرة على

مدى حياة الشهيد ولم تنتهِ إلا بشهادته. طوال الفترة التي كان فيها تحت الرقابة، كنت أشهد عون الله ومساندته له، وكيف أنه كان يبقيه ثابتاً ومستقيماً في الطريق الذي اختاره، ويمده برعايته ويحميه من أعدائه.

من المعلوم أن ارتداء زي رجال الدين وحده لا يحقق الأهداف المرجوة. لذلك لجأ النظام إلى أسلوب التجسس باستخدام المعدات الإلكترونية. أدرك النظام عدم جدوى أسلوب المراقبة البشرية وضرورة استخدام المعدات الإلكترونية عندما أصدر الشهيد الصدر فتواه الشهيرة بشأن حرمة الانتماء إلى حزب البعث الكافر، ولم تنجح وسائل المراقبة البشرية في اكتشاف وإعلام هذا الإجراء من قبل السيد الشهيد في الوقت المناسب. لو لم نكتشف وجود هذه المعدات في الوقت المناسب ونتخذ الاحتياطات اللازمة لتعطيلها، لكانوا قد استخدموها بأقصى قدر من الفعالية في مهام التجسس.

استخدم النظام وسيلتين للتجسس الإلكتروني:

(أ) تركيب أدوات التنصت داخل جهاز الهاتف.

(ب) وضع أجهزة التنصت اللاسلكية في مواقع تتوافر فيها الكهرباء في المنزل لتمكين إرسال الصوت عبر الترددات الصوتية باستخدام الطاقة الكهربائية.

بالنسبة للطريقة الأولى، قام النظام بتثبيت جهاز إلكتروني حساس داخل سماعة الهاتف في المنزل، والذي كانت وظيفته استقبال الصوت بحساسية عالية جداً حتى عندما لا يُستخدم الهاتف. كان الجهاز بمثابة مستقبل يعمل بلا توقف، ليلاً ونهاراً. انكشفت هذه المؤامرة عندما اكتشفنا صباح أحد الأيام أن الهاتف لا يعمل. اعتقدنا أن العطل نشأ بسبب خلل بسيط - كما يحدث عادة لأي هاتف - فاتصلنا بإدارة الاتصالات وطلبنا إصلاح الخلل. حاول موظف الاتصالات، الذي كان بلا

شك يعمل لدى إدارة أمن النجف، تأخيرنا، وطلب منا الانتظار قليلاً لفحص خط الهاتف. بعد بضع دقائق أخبرنا أن الخط سليم وليس به أي عيب، وأن المشكلة تكمن في جهاز الهاتف وطلب أن نحضر الهاتف إليه للإصلاح.

طريقة أخرى للتنصت والتجسس: اكتشف النظام البعثي عن طريق عميله أمين ساري، الذي كان رجل دين مُزَيَّف يتظاهر بزي العلماء، أننا ننقل سماعة الهاتف إلى غرفة أخرى خلال الجلسات الخاصة بالسيد الشهيد. كنا نفعل هذا بشكل طبيعي وعادي حتى لا نثير الانتباه، ولم يكن لدينا بديل آخر، ولكن تكرار هذا الفعل أدى إلى إثارة بعض الشكوك وجذب الانتباه، خاصة وأن أمين ساري، الجاسوس المجرم، لم يكن يتوقف عن متابعة السيد الشهيد؛ حيث كان باب البيت مفتوحاً دائماً للزوار، وهو كان يبلغ إدارة أمن النجف بكل ما يلاحظه في بيت السيد الشهيد. من بين هذه الملاحظات كانت الاجتماعات واللقاءات التي تحدث في غرفة خاصة خالية من هاتف التنصت.

بناءً على ذلك، سعى النظام إلى تثبيت جهاز ثابت للتنصت في إحدى مواقع الكهرباء (المقبس) في المنزل لالتقاط الأصوات الموجودة داخل الغرفة وإرسالها عبر الترددات الصوتية اللاسلكية إلى نقطة قريبة من بيت الشهيد الصدر، حيث تستقبلها أجهزة استقبال خاصة.

بدأت القصة عندما قام النظام بقطع التيار الكهربائي عن بيت السيد الشهيد والبيوت المجاورة. السيد الشهيد، قبيل الساعة العاشرة صباحاً من نفس اليوم، غادر لتدريس درس الخارج في مسجد الطوسي. كان يجب علي أن أرافقه إلى المسجد. ولكن عند خروجه من المنزل، كنت مشغولاً بالوضوء، لذا لم أتمكن من مرافقته. بعد لحظات من خروج السيد الشهيد، زار بعض رجال الأمن متنكرين في زي فنيي كهرباء البيت وقالوا للحاج عباس الخادم: هناك

عطل في نظام الكهرباء في منزل السيد تسبب في انقطاع التيار عن المنطقة،
اسمحوا لنا بمحاولة العثور على هذا العطل وإصلاحه.

ثم دخل أحدهم إلى الغرفة الخاصة، وفتح صندوق توزيع الكهرباء
ووضع جهازًا صغيرًا بداخله ووصله بالكهرباء، ثم أغلق الصندوق. كنت
داخل الحمام، حيث كنت أتوضأ وأراقبه دون أن يدرك ذلك. ذهب بقية
العملاء إلى أجزاء أخرى من المنزل للتمويه، لكنهم لم يثبتوا أي شيء هناك.
قمنا فيما بعد بتفتيش هذه الأماكن ولم نعثر على شيء. غادروا بعد أن ادعوا أن
المشكلة قد حُلّت، لكنني خشيةً من عمل الجهاز المجهول أطفأت الفيوز حتى
لا يكون الكهرباء في المنزل متصلًا بعد إعادة الكهرباء للمنطقة.

مبايعة الناس للشهيد الصدر

خلال فترة حصار منزل الشهيد الصدر من قبل النظام الحاكم في
العراق، ترددت إشاعات عن احتمال هجرته إلى إيران، مما دفع مجموعات
شعبية متنوعة للتوافد للقائه ومبايعته. على الرغم من الإرهاق والتعب
الجسدي، كان الشهيد من الفجر حتى وقت متأخر من الليل يستقبل الوفود
بأسلوبه الأخلاقي الرفيع وروحه المليئة بالتعاطف والصدق. لشرح نتائج هذه
المبايعات سنتناول بعض الخصائص لهذه الوفود:

١- التنوع: كانت المجموعات الشعبية تتوافد من نقاط ومدن مختلفة في
العراق إلى النجف. وكانت تتّصف بالتنوع وتشمل جميع طبقات المجتمع
وفئاته ومختلف الأعمار، كان بينهم الشيوخ والشباب والنساء والأطباء
والمهندسون وأساتذة الجامعات والطلاب والتجار، وكلهم في صف واحد
متجهين إلى النجف للقائه الشهيد ومبايعته. ممّا يعكس اتساع وشمولية مرجعية

الشهيد الصدر بين جميع شرائح الشعب، وهو الأمر الذي أثار قلق النظام.

٢- كثرة الجماهير الزائرة، حيث لم يكن سوق العمارة والأزقة القريبة من منزل الشهيد الصدر تتسع لاستيعاب تلك الأعداد الغفيرة من الزوار. امتلأت شوارع النجف الأشرف بالوفود والجماعات الشعبية التي كانت تتدفق على المدينة من كل حذب وصوب، لدرجة أن هذا الأمر أثار دهشة الجميع. كتب النعماني:

في هذا السياق، أستطيع القول بثقة إن مدينة النجف في الفترات الأخيرة لم تشهد حركة شعبية بهذا الحجم وهذه الخصائص، باستثناء مراسم تشييع جثمان المرحوم آية الله الحكيم. هذه الكثافة الكبيرة للجماهير دفعت النظام إلى التروي في استخدام القوة والسلاح لقمعهم، واكتفى بتصويرهم وتسجيل أسمائهم.^(١)

٣- لم يطل الأمر حتى تحولت الوفود والجماعات الشعبية التي كانت تتجه في البداية إلى النجف لطلب بقاء الشهيد الصدر في العراق إلى مجموعات مبايعة له. أصبحت معظم شعارات هؤلاء المبايعين تتضمن مثل هذه الشعارات:

باسم الخميني والصدر إسلام دومه منتصر
عاش عاش الصدر والدين دومه منتصر^(٢)

٤- مشاركة عدد من الإخوة من أهل السنة في هذه الهيئات، التي كانت ظاهرة فريدة من نوعها تثبت أنه في ظل الظروف المناسبة والقيادة الواعية، يتم إزالة العقبات النفسية والنظرات التي تحول دون حدوث انتفاضات وثورات. هذا النوع من الوحدة والتضامن والتآزر بين الشيعة وأهل السنة في الكفاح والانتفاضة يلعب دوراً أساسياً في تعزيز الحركة الإسلامية للشعب، بحيث يصعب على النظام مواجهتها بسهولة.

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٩؛ المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه،

٥- النساء العراقيات شاركن بفاعلية في هذه الهيئات. كما أشار النعماني: كانت معظم اللقاءات لمجموعات النساء تتم في القسم الداخلي للبيت، الذي هو مكان إقامة العائلة. فقط كان هناك وفد نسائي برئاسة السيدة المجاهدة الشهيدة سلوى البحراني^(١) التقى بالشهيد الصدر في القسم الخارجي الخاص بالرجال، وطلب أن يبايعه على طريقة زمن النبي. ولذلك ملأنا وعاءً كبيراً بالماء، ووضع الشهيد الصدر يده فيه، ثم وضعت كل امرأة من أعضاء الهيئة يدها في الوعاء، وبهذه الطريقة عاهدن الشهيد على الشهادة.^(٢)

في هذا اللقاء ألقى الشهيد الصدر - رضوان الله عليه - كلمات قيمة جاء فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

المشاعر التي أشعر بها في قلبي تجاهكن وتجاه النساء أمثالكن لا حصر لها. إن إحساسكن بالمسؤولية في هذا العصر مرتفع للغاية. يا بنات فاطمة الزهراء! أنتن نموذج رائع للنساء اليوم، لقد أظهرتن اليوم نموذج المرأة المثالية التي في يدها الإسلام والدين والقيم... وفي اليد الأخرى العلم والثقافة....^(٣)

كتب النعماني:

كان الشهيد السيد مسروراً لرؤيته الهيئات والمجموعات المبايعة تتحدى وتواجه نظام البعث. كان يعتقد أن الحدث الأخير أثبت للنظام أن الإسلام

(١) الشهيدة سلوى البحراني من الشخصيات الأكاديمية البارزة في العراق التي عُرفت بالتقوى والجهاد والتضحية في سبيل الإسلام. وقد بذلت جهوداً حثيثة لترويج ونشر المعرفة والثقافة الإسلامية في جامعة بغداد. تم اعتقالها في عام ١٩٧٩م بسبب نضالها ضد البعثيين، واستشهدت في دائرة الأمن العامة بسبب حقنها بمادة مسمومة.

(٢) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٧٠؛ ساهلای رنج، ص ٢٤٧.

(٣) المؤلف نفسه، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٢٧١ - ٢٧٠.

حي وقائم، وأن المرجعية الدينية، رغم الحصار الشديد، لا تزال كعبة آمال شعب العراق وأن نبض الحركات الشعبية في يديها.^(١)

كان المرحوم الصدر يرى أن الجماهير، رغم جهود النظام الواسعة لتغيير طبيعتها وإرادتها وتشويه كرامتها، لا تزال حية وأنها تستجيب لنداء الحق إذا توفرت قيادة واعية وقادرة. كانت هذه الحقيقة تبعث الأمل في قلبه. سمعت منه قوله في هذا الصدد:

من كان يظن أن ردّة فعل الجماهير ستكون إلى هذا الحد في ظل ظروف أمنية صعبة، وأنها ستسير جماعات إلى النجف لتطلب مني البقاء بجانبهم أو تعلن البيعة للموت في سبيل الله؟ جميعهم يعلمون أن ثمن قدومهم إلى النجف هو الإعدام أو في أفضل الأحوال السجن، لكنهم تجاهلوا الموت وجاءوا. هذا الحدث نصر واضح.^(٢)

في هذا السياق، أعرب السيد علي بدر الدين للشهيد الصدر بأن أحد أعضاء مجلس قيادة ثورة البعث في العراق قال له:

«السيد محمد باقر الصدر قاد ووجه ثورة ضدنا، ومن الآن فصاعداً سنعامله على أساس ما فعل».

أضاف النعماني:

وفقاً لبدر الدين، كان المسؤولون السياسيون والعسكريون للبعث خلال تلك الأيام، عندما كانت الهيئات الشعبية تتوجه جماعات إلى النجف، يعقدون اجتماعات متعددة وكانوا في حالة تأهب كامل.

كان نظام البعث قد أرسل معظم قواته الأمنية والحزبية من مدن مختلفة

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٠؛ سألهاى رنج، ص ٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه، صص ٢٧٣ - ٢٧٢؛ المصدر نفسه،

إلى النجف ليتمكنوا من السيطرة على المدينة في حال تدهور الأوضاع إلى حد المواجهة المسلحة.^(١)

أول رسالة للصدر إلى الشعب العراقي ونتائجها

في هذا الجو الثوري الذي شهدت فيه النجف حضوراً واسعاً للمجموعات الشعبية، أطلق الشهيد الصدر أول رسالة له إلى الشعب العراقي. جاء في جانب من الرسالة ما يلي:

«... أنا أتحدث إليكم أيها الشعب الحر وكلي إيمان بكم وبروحكم العظيمة وتاريخكم المشرف، وأفتخر أكثر من أي شيء بروح الحب والمودة والتقدير للمرجعية التي يتمتع بها أبناؤكم البواسل. لقد جاؤوا إلى والدهم بقلوب مليئة بالحمية الدينية والتقوى ليعلموا حبهم للإسلام ويطلبوا مني أن أبقى بجانبهم وأشاركهم في معاناتهم وآلامهم، لأن معاناتهم هي معاناتي. أود أن أؤكد لكم، أيها الشعب في أرض آبائي، أنني معكم وفي أعماق وجودكم ولن أترككم أبداً في محنكم وآلامكم، وسأقدم دمي حتى آخر قطرة في سبيل الله ومن أجلكم».

كما أود أن أؤكد للمسؤولين أن هذا الوضع القمعي الذي فرض بالقوة والنار على شعب العراق، والذي حرّمهم من أبسط حقوقهم وحرّياتهم في ممارسة واجباتهم الدينية، هو وضع غير قابل للاستمرار ولا يمكن الاعتماد على القوة والقمع إلى الأبد. لو كانت القوة والحكم حلاً حاسماً، لكان الطغاة والجبابرة باقين حتى الآن.^(٢)

(١) النعماني، سألهاى رنج، ص ٢٥٠؛ الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٢٧٣.
(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، صص ١٩٤ - ١٩٣؛ حائري، مباحث الاصول، ج ١، صص

جاء نشر هذه الرسالة لأسباب ودوافع معينة. فقد كان المرحوم يعتقد أن احتمالات استشهاده كبيرة، وأن النظام لن يترك هذا التحدي العلني دون انتقام، لذا كان من الضروري أن تتخذ مواقف وإجراءات مناسبة لتقديم رؤية واضحة للشعب ليتمكنوا من الاستفادة من استشهاده بشكل مثالي.

تضمن هذا البيان التاريخي مطالب عديدة، بدءاً من إعادة بث صوت الأذان ومراسم صلاة الجمعة عبر الراديو، وصولاً إلى توفير ظروف لمشاركة الشعب الفاعلة في إدارة شؤون البلاد. لذلك، لو كان السيد الشهيد قد استشهد في تلك الفترة، لظلّ الشعب العراقي يطالب بهذه المطالب ويصر على تحقيقها. ومن هنا، فقد قدم المرحوم سبباً كافياً لاستمرار الجهاد ومتابعة الهدف الذي كان ينبغي أن تتبناه هذه الحركة. كما أنه في هذه الرسالة، أكد على ضرورة استمرار هذا الطريق وطلب من جماهير الشعب أن يصمدوا من أجل تحقيق هذه المطالب حتى الموت.

لقد توصّل الشهيد الصدر إلى أن هذا المقدار من التحركات الشعبية كان كافياً لتحقيق الهدف المنشود في تلك الفترة الزمنية. لذلك، طلب من بعض ممثليه ومؤيديه إبلاغ الناس بأن قدوم الوفود والجماعات المؤيدة إلى النجف كافٍ، ولا يوجد ضرورة للاستمرار في هذا العمل.

اتُّخذ هذا القرار لعدة أسباب، منها:

١- لقد أخضع النظام البعثي معظم هذه الوفود لرقابة شديدة، بالإضافة إلى تصوير أعضاء هذه الوفود وتسجيل أسمائهم بدقة في نقاط التفتيش والأمن المنتشرة على الطرق المؤدية إلى النجف، وكان كل هذا تمهيداً لاعتقالهم في المستقبل.

٢- أكد الشهيد الصدر على ضرورة عدم كشف مجموعات أخرى من

المؤمنين الذين كانوا يعتزمون الذهاب إلى النجف، وقال في هذا الشأن: «إنهم ذخيرة للإجراءات التالية في المستقبل، وإذا أتيحت لنا الفرصة لتصعيد مواجهتنا مع النظام، يمكننا بواسطة هذه المجموعة من المؤمنين مفاجأة النظام في المستقبل.»

٣- كان السيد الشهيد يرى مواكبة ومرافقة الشعب العراقي لأحداث انتفاضة شهر رجب فرصة مناسبة للتحرك الجاد نحو إقامة حكومة إسلامية في العراق. وكانت جهوده الواسعة مركزة على إيجاد السبل لاستخدام القوى الشعبية لتحقيق هذا الهدف.

كتب النعماني:

في بداية فترة الحصار، قال لي: «سيمنحنا حصار المنزل فرصة مناسبة لنبحث في هذا الموضوع.» لكن مع مرور الوقت، بدأت آمال الفقيه في تنفيذ فكرة إقامة الحكومة الإسلامية في التلاشي، ليس لأن الشعب العراقي لم يكن مستعداً أو متوافقاً مع هذا العمل، بل بسبب عدم اهتمام أو عدم تعاون أولئك الذين كان الشهيد يعتمد عليهم في هذا المجال.^(١)

فترة الحصار

سعى النظام البعثي العراقي إلى إعدام الشهيد الصدر بعد اعتقاله في يوم ١٧ رجب ١٣٩٩ هـ (الموافق ٢٢/٣/١٩٧٩ م)، ولكن عندما فشل في تحقيق هذا الهدف، قرر وضعه تحت الإقامة الجبرية في منزله. ولم تمضِ ساعات على عودة الشهيد الصدر من النجف حتى قام فاضل البراك، رئيس دائرة الأمن

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٢٨٨ - ٢٧٧؛ ساهل رنج، ص

العامة، بالاتصال برئيس الشعبة الخامسة في دائرة الأمن، المدعو زهير (أبو أسماء)، لإبلاغه بالقرار المتخذ بحبس الشهيد الصدر في منزله. كما أكد على أن «السيد الصدر ليس له الحق في مغادرة المنزل، ولا يجوز لأحد الدخول إليه.»^(١)

وهكذا قامت قوات الأمن بمحاصرة منزل الشهيد الصدر ومنعت مرور الناس في الأزقة المؤدية إلى المنزل، وفرضت سيطرتها على المنطقة. كما قاموا بنصب كاميرات على أسطح المباني المطلة على منزل السيد الشهيد لتصوير التحركات على مدار الساعة، وهكذا بدأت فترة حصار الشهيد الصدر التي استمرت تسعة أشهر وانتهت باستشهاد هذا المرجع الكبير.

استمر النظام العراقي في جهوده بعد حصار منزل الشهيد الصدر بقطع الماء والكهرباء والهاتف عن منزله واستمرت هذه الحالة حوالي ١٥ يوماً، ولو لم يكن هناك مصدر للماء في المنزل لأهلك العطش أهل البيت، ويبدو أن هدف النظام كان هذا. ومن ناحية أخرى، منع البعثيون الحاج عباس، خادم الشهيد الصدر، من دخول المنزل لكي يعاني الشهيد الصدر وعائلته من الجوع، حيث كان قبل حصار المنزل يتولى شراء وتوفير الاحتياجات الغذائية للعائلة.

كتب النعماني:

نظراً لهذا الحصار الظالم وقطع المواد الغذائية عنه، اضطررنا لاستخدام الخبز اليابس والقديم غير الصالح للأكل. وذات يوم كنت مع الشهيد نتناول الغداء بهذه الخبزات، إذ لاحظت على وجهي علامات الاستياء. في تلك اللحظة كنت أقول لنفسي: سبحان الله، إن نائب الإمام المعصوم يأكل مثل هذه الفتات من الخبز اليابس، بينما الطغاة والمستبدون يأكلون كل ما هو لذيق وشهي. فما أن رأيته الفقيد على هذه الحال قال لي: «هذا أشهى غذاء أكلته في حياتي لأنه في

(١) المصدر نفسه، ص ٢٧٨؛ المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

سبيل الله ومن أجل الله».

مرت الأيام وكان ألم الشهيد الصدر ومعاناته تزداد يوماً بعد يوم، وخاصة من الناحية العاطفية؛ إذ كان يشاهد جوع أطفاله ومعاناة أمه المريضة والمستنة نتيجة نقص الأدوية، فكان يشعر بمزيد من الضيق والشدة. وكان يقول لي: هؤلاء سيموتون جوعاً بسببي، ولكن طالما أن وجود هذا الوضع هو من أجل الإسلام فأنا سعيد وراضٍ ومستعد لظروف أصعب من ذلك.^(١) وأضاف:

أول من استطاع كسر حصار منع دخول المواد الغذائية إلى المنزل كان حجة الإسلام والمسلمين السيد مير حسن أبو طيخ - حفظه الله - وكان ذلك عملاً جريئاً ومحسناً في نوعه. فبعد فترة من سماح النظام للناس بالمرور من الزقاق الذي يقع فيه منزل الشهيد الصدر، جاء كعابر سبيل يريد المرور من الزقاق إلى الشارع المؤدي إلى الإمام زين العابدين، فدخل الزقاق وعندما وصل أمام المنزل طرق الباب. أسرعت الشهيدة بنت الهدى إلى الباب لترى ما الذي حدث. في تلك اللحظة سمعت صوت مير حسين أبو طيخ يقول لقوات الأمن - التي أوقفته -: «سأذهب معكم الآن إلى أي مكان تريدونه. هل تريدون أن يموت الأطفال في المنزل من الجوع والعطش؟». بنت الهدى التي كانت تعرف صوته فتحت الباب، فألقى أبو طيخ سلاتي غذاء داخل المنزل وأغلق الباب.

بعد انتشار خبر الحصار الغذائي على منزل الشهيد الصدر بين الناس، تعرض نظام البعث لضغوط، لكن ليس من المرجعية والحوزة، بل من الشباب والمؤمنين عموماً، الذين أدانوا حصار المرجع الشيعي بكتابة الشعارات على

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٠؛ المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

الجدران وتوزيع المنشورات سرًا. نتيجة لهذه الضغوط، اضطر النظام إلى رفع الحصار الغذائي عن المنزل وسمح للحاج عباس بإدخال الطعام والمواد الغذائية يوميًا تحت إشراف عناصر الأمن. كان الضابط يرافق الحاج عباس في السوق، ولا يسمح له بالتحدث مع عائلة السيد الشهيد. بل كان يجب على الحاج عباس استلام ورقة صغيرة من العائلة تحتوي على قائمة المواد الغذائية المطلوبة، وبإشراف السلطة الأمنية يقوم بشراء وتسليم هذه المواد إلى المنزل. استمر هذا الوضع لوقت طويل.^(١)

كتب النعماني:

منذ اليوم الثامن عشر من رجب وحتى آخر يوم من شهر شعبان، انقطعت صلتنا تمامًا بالعالم الخارجي. لم تصلنا أخبار الناس، ولم يتمكنوا هم من معرفة حالنا؛ كنا نعيش وكأننا مدفونين في قبر كبير. كان الراديو هو الوحيد الذي يؤنسنا، وكنا نسمع الأخبار من خلاله. كنا نفرح عندما نسمع صوت أبواق السيارات، لأنها تجعلنا نشعر بأننا ما زلنا قريبين من العالم الحي. كانت أصوات الأمهات المنادية لأبنائهن أو بكاء الأطفال التي تصلنا من الجوار تمنحنا بعض الراحة. لكن الضجيج الصادر من المخبز المتصل بالمنزل كان أحلى صوت. لحظة خروج الشخص من قفص ضيق خانق، لا بد أنه يعاني من مثل هذه المشاعر. أول اتصال لنا مع الخارج كان في آخر يوم من شعبان. حيث صعدت إلى سطح المنزل بحثًا عن هلال رمضان في مكان لا تراه الكاميرات أو رجال الأمن، ورأيت حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد العزيز الحكيم (شقيق الشهيد آية الله السيد محمد باقر الحكيم)، الذي صعد أيضًا لرؤية الهلال. ورغم المسافة بين منزلي السيد الشهيد وبيته، استطعنا التواصل

(١) المصدر نفسه، صص ٢٨١ - ٢٧٨؛ المصدر نفسه، صص ٢٥٨ - ٢٥٦.

بالإشارات اليدوية. استوعبنا بعض هذه الإشارات، لكن البعض الآخر بقي غير مفهوم. في النهاية، اتفقنا بلغة الإشارات على أن نلتقي في اليوم التالي بنفس المكان، وبذلك تمكنا من كسر العزلة التي دامت قرابة خمسين يومًا.

في اليوم الثاني صعدت إلى السطح ورأيت أنه يشير إلي بيديه. حاولت أنا أيضًا التواصل معه بالإشارات، لكن هذا لم يكن فعالاً كثيرًا، لأننا لم نتمكن من فهم قصد بعضنا البعض عبر الإشارات، فتواعدنا ليوم آخر.

في اليوم التالي، كان قد كتب بعض العبارات على قطعة من الكرتون، وتمكنت من قراءة بعض منها بينما عجزت عن قراءة البعض الآخر. هذه المحاولة كانت نقطة البداية لاكتشاف طريقة مناسبة للتواصل والتحاور بيننا.

منذ ذلك الحين، كنت أكتب كل ما يريده الشهيد الصدر بخط واضح على ظهر صينية الطعام. كنت أفعل ذلك مع عدة صوانٍ؛ أي كتبت كل كلمة أو عبارة بخط كبير على صينية، ثم أريها له الواحدة تلو الأخرى بترتيب الكلمات في الجملة حتى تكتمل. كان يقرأ الكلمات والجمل باستخدام منظار ويتعرف على مقصودنا، وكنا نحن أيضًا نقرأ ما كان يكتبه، وبذلك نتبادل المعلومات والرسائل حول مطالبنا وأهدافنا. في الأيام التالية، اتفقنا بعض الأحيان على الالتقاء أكثر من مرة في اليوم، وأحيانًا كنا نتلاقى دون موعد مسبق. بهذه الطريقة، تمكن الشهيد الصدر من معرفة ما يحدث في الخارج بالكامل ونقل توجيهاته ورسائله إلى المجاهدين والمؤمنين.

أرسل نظام البعث الدكتور ضياء العبيدي إلى منزل الشهيد الصدر بزعم إجراء الفحوصات الطبية والاطلاع على حالته الصحية دون طلب مسبق، لكن الشهيذة بنت الهدى قالت له: «السيد بصحة جيدة ولا يحتاج إلى طبيب». أصر الطبيب قائلًا: الحكومة منحنتني هذه الإذن. لكن بنت الهدى أكدت مجددًا

أنه لا توجد ضرورة لهذه الزيارة، ومنعته من الدخول.

لم نكن نعرف ما هو الهدف الحقيقي من هذا التصرف، لكن إذا سمحنا لأنفسنا بالتشكك بسبب ما نعرفه من خبائثه وحقد النظام، يمكننا القول إن هذا كان محاولة لاغتيال الشهيد الصدر. بالرغم من نصب أجهزة إلكترونية للتجسس داخل المنزل، كان النظام لا يزال قلقاً بشأن الأوضاع الداخلية لمنزل الشهيد الصدر. لذلك كلف امرأة جاسوسة بجمع المعلومات عن الوضع داخل المنزل. عندما جاءت المرأة إلى الباب، فتحت لها الشهيذة بنت الهدى، ودخلت المرأة دون استئذان وقالت: أرغب في لقائكم. سألت بنت الهدى: كيف تمكنت من الحصول على إذن اللقاء منا من النظام؟

المرأة قالت: لم يكن هناك حاجة للحصول على إذن لهذا.

سألتها بنت الهدى: ألم يمنعك رجال الأمن حول البيت؟

قالت المرأة: أبداً!

كان الانطباع الأول أن هذه المرأة، مثل غيرها من الرجال والنساء الذين جاؤوا، دون معرفة تامة بالوضع، لزيارة السيد الشهيد أو عائلته المحاصرة وتم اعتقالهم. لكن الأمر كان مدهشاً لبنت الهدى. حتى أن المرأة، لعدم معرفتها، لم تكن تعرف ما إذا كان ينبغي عليها التحدث مع بنت الهدى أو مع أم جعفر زوجة الشهيد الصدر. كانت مثل هذه الزيارة الواضحة في ظروف صعبة كهذه، حيث لم يكن لأقرب الناس للسيد الشهيد أو بنت الهدى الجرأة للقيام بها، مثيرة للدهشة والتساؤل. لكن بعد دقائق، فضحت هذه المرأة المجرمة حقيقتها بأسئلتها. استمرت هذه المرأة في زيارة منزل الشهيد الصدر من وقت لآخر حتى نهاية فترة الحصار.^(١)

(١) المصدر نفسه، صص ٢٨٥ - ٢٨٢؛ المصدر نفسه، صص ٢٦٢ - ٢٥٩.

أصدر المرحوم آية الله الصدر، في ظل حصار أمني كامل من قبل النظام البعثي في منزله، رسالته الثانية للشعب العراقي، جاء في هذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين.

أيها الشعب العراقي العزيز!

يا جماهير العراق المسلمة التي انتفضت من أجل الدين والكرامة والحرية والعزة وجميع القيم والمثل العليا التي تؤمنون بها. إنني، بينما أشعر بعمق هذه المحنة ومعاناتكم - أيها الشعب في وطني - أعتقد أن استشهاد العلماء وأفضل شبابكم الأوفياء وأبنائكم الغيارى تحت سياط العفالة لن يؤدي إلا إلى زيادة ثباتكم وعزيمتكم القوية لمواصلة هذا الطريق، إما الشهادة أو النصر.

أبنائي! أعلن أنني قد اتخذت قراراً بالشهادة، ولعلها تكون رسالتي الأخيرة التي تسمعونها مني. لقد فتحت أبواب الجنة لاستقبال قافلة الشهداء، عسى أن يقرّر الله لكم النصر.

ما أحلى الشهادة وألذها! يقول رسول الله عنها: «إنها حسنة لا تضر معها سيئة، والشهيد بشهادته يغسل كل ذنوبه مهما بلغت». على كل مسلم في العراق وكل مواطن عراقي خارجه أن يبذل قصارى جهده لاستمرار الجهاد والنضال، حتى يخرج هذا الكابوس من صدر العراق الحبيب، ويتحرر من قبضة هذه العصابة المتجردة من الإنسانية، وتقام حكومة صالحة وجديرة مبنية على الإسلام - حتى لو كان الثمن التضحية بحياته.^(١)

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٠١؛ ساهل رنج، صص ٢٦٤ - ٢٦٣ و...

اللقاءات ومهام ممثلي النظام

رئيس إدارة أمن النجف

في تلك الأيام حيث كان الشهيد الصدر تحت الحصار، سيطر صدام حسين على الأمور بعد إزاحة أحمد حسن البكر. وفي تلك الفترة، دعا مجموعة من العلماء إلى إفطار، كانوا في الغالب من الأخوة السنة وكان بينهم بعض علماء الشيعة. من بين المدعوين، كان حجة الإسلام السيد حسين السيد إسماعيل الصدر - حفظه الله.^(١)

رفض السيد حسين قبول هذه الدعوة، فتم اعتقاله ونقله إلى إدارة الأمن، حيث هُدد بأنه سوف يعدم بالمقصلة إن لم يقبل الدعوة، فقبلها مضطراً. خلال هذه الدعوة، ألقى صدام التحيّة على السيد حسين الصدر وسأل باختصار عن آية الله الصدر، لكن تحية وعزّت الدوري كانت أكثر تفصيلاً في هذا الأمر.^(٢) في تلك الجلسة، طلب الدوري ومن معه من السيد حسين أن يتوسط لإنهاء الحصار وحلّ هذه المشكلة، ولم يكن أمامه خيار سوى قبول هذا الطلب. في نفس الفترة، قام النظام البعثي بخطوة مرائية ليظهر حسن نواياه بتحرير أكثر من مائتي سجين سياسي. بعد عيد الفطر، اتصل رئيس إدارة أمن النجف هاتفياً وطلب لقاء مع الشهيذة بنت الهدى لمقابلة الشهيد الصدر. قالت المرحومة: السيد نائم ولا أستطيع التحدث معه الآن. فقال: سوف أتصل مرة أخرى بعد ساعة.

خلال هذه الساعة، تم النقاش والتداول حول اتخاذ القرار المناسب بشأن هذا الطلب. رأى السيد الشهيد كان عدم قبوله، لأنه قد يقلل من اهتمام

(١) سيد حسين صدر، برادرزاده شهيد صدر است.

(٢) عزت الدوري نائب صدام ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة.

وغضب الناس الذين كانوا يتحسسون بشأن مسألة الحصار، حيث كان يهدف إلى تحويل مسألة الحصار إلى قضية كبيرة ونفخ الروح الثورية في الشعب وتشجيعهم على مواصلة الجهاد. لكنه كان بحاجة إلى معرفة التغيرات والتطورات في موقف النظام لاتخاذ القرار والإجراء المناسب بناءً عليه؛ لذا اضطر لقبول هذا الطلب.

نظراً لأن اللقاء مع رئيس إدارة الأمن كان يتم بشكل شبه سري ولم يكن يعلم بشأنه إلا عدد قليل من الناس، وافق الشهيد على أن يتم اللقاء بعد الظهر حينما يخفّ تردد الناس في الزقاق إلى حدّ كبير. بعد ساعة، اتصل أبو سعد، رئيس إدارة أمن مدينة النجف،^(١) وأبلغته الشهيدة بنت الهدى بأنه لا مانع من اللقاء ولكن يكون في فترة بعد الظهر. ووفقاً للاتفاق، جاء بعد الظهر إلى المنزل والتقى بالشهيد الصدر.

هنا بعض النقاط من الحوار كما رواها نعماني:

رئيس إدارة الأمن: أنا آسف لمقابلتك في هذه الظروف. لم أكن أرغب بحدوث هذا الوضع.

السيد الشهيد: أي وضع؟

- الحصار.

- أنا راضٍ عن هذا الوضع ولا أشعر بالضيق منه.

- نحن لسنا سعداء بهذا الوضع ونتمنى أن ينتهي سريعاً وتعود الأمور

(١) ابوسعد أحد ضباط الأمن من أهالي الموصل من أبناء العامة اضطلع بمسؤولية رئاسة دائرة أمن في محافظة النجف (مركز الشيعة)، ويعدّ هذا أمراً غير مألوفاً، لأنّ النظام البعثي كان في العادة يختار ضباط شيعة (اسمياً على الأقل) لرئاسة دوائر الأمن في المناطق الشيعية. سألهاى رنج، ص ٢٦٦.

إلى طبيعتها.

- إذا كان هذا الوضع غير طبيعي، فإنتم المسببون له.

- جناب السيد! لا تعلم ما حدث في شهر رجب. كانت هناك ثورة حقيقية على وشك الحدوث، والتي لولا رؤية القيادة المستقبلية، لكان قد تحقق النصر. منذ ثورة ١٧ يوليو (١٩٦٨ / ١٣٤٧ هجري حيث تولى البعثيون السلطة) حتى اليوم، لم نشهد مثل هذا الحدث، الأوضاع كانت خطيرة جداً وحالياً يتم توزيع المناشير والبيانات وكتابة الشعارات على الجدران لتحريض الناس ضدنا.

وأضاف: نحن نعلم أن وضعك غير طبيعي وربما تحتاج إلى المال. نحن في خدمتك لأي مبلغ تحتاجه.

- لست بحاجة إلى المال.

- هل يمكنني تقديم أي خدمة لك؟

- أطلقوا سراح المعتقلين. فهم لم يرتكبوا أي ذنب.

- سأقوم بنقل طلبك إلى الجهات المعنية.^(١)

الشيخ شبير الخاقاني

بعد مرور حوالي شهر من لقاء رئيس إدارة أمن النجف مع الشهيد الصدر، أرسل النظام الشيخ عيسى شبير الخاقاني (من علماء السلطة) إلى الشهيد الصدر بمهمة خاصة. ومن المفيد أن نعرف أن هذا الشخص كان من أعداء الثورة الإسلامية ولعب دوراً كبيراً في إثارة الفتنة والقلاقل وإثارة

(١) النعماني، ساهاي رنج، صص ٢٦٧ - ٢٦٦.

المشاعر القومية بين الناس الناطقين بالعربية في خوزستان.

كتب النعماني:

عندما اتصل الشيخ خاقاني هاتفياً بالشهيد الصدر لطلب الإذن للقاء، أصيب السيد الشهيد بدهشة كبيرة. أقرب احتمال كان يتبادر إلى ذهننا هو أن شيعة دول الخليج قد ضغطوا على النظام البعثي لجعلهم يرسلون ممثلهم للقاء السيد الشهيد والتأكد من سلامته. لكن لم يخطر ببالنا أن يكون مُرسلاً من قبل النظام. عندما جاء الشيخ الخاقاني إلى السيد الشهيد، كان يصحبه شخص آخر لم نكن نعرفه بالضبط، وربما كان من أقاربه.

خاطب الخاقاني، بخجل مصطنع، المرحوم الصدر قائلاً: لقد أتيت لخدمتكم لحل المشكلة القائمة وعودة الأمور إلى طبيعتها.

- السيد الشهيد: من الذي كلفك بهذه المهمة؟

- القيادة.

- ماذا تقصد بالقيادة؟

- رئيس الجمهورية والمسؤولون.

- الحكومة هي نفسها السبب في هذه الأزمة. هذه الحكومة لم تتحمل حتى مجيء الوفود إلى التي لم تطلق شعارات ضدها ولم تعتبر تهديداً لأمن البلاد؛ كل وفد كان يأتي ويجلس معي لعشر دقائق ويطلب مني عدم مغادرة العراق، ثم يعود إلى مدينته بسلام. هل يُعتبر هذا الأمر جريمة أو تهديداً للنظام؟

- أبداً! الحكومة لا تعتبره جريمة وأود إبلاغكم أن المسؤولين قالوا لي أن أخبر السيد الصدر بأنه يمكنه فتح باب منزله واستقبال من يشاء أو أن

يذهب حيث يريد ويستأنف حياته الطبيعية.

- حياتي طبيعية وأنا سعيد بالوضع الذي أعيشه ولا حاجة لي بهذه الأمور.

بعد ذلك، كشف الشيخ عيسى شير الخاقاني عن مهمته الحقيقية التي أرسل من أجلها وقال: جناب السيد! أنت تعلم أن الحوزة العلمية بحاجة إلى تغيير وتجديد ودعم.

السيد الشهيد: نعم، إنها بحاجة.

- وخصوصاً الحوزة العلمية العربية تحتاج إلى مراجعة ولا أحد غيرك يستطيع القيام بهذا العمل وأنا مستعد لتنفيذ كل أوامرك بهذا الخصوص.

- الحوزة العلمية في النجف الأشرف كيان واحد وغير قابل للتجزئة، ولا نملك حوزة عربية وحوزة فارسية أو حوزة أفغانية؛ بل لدينا حوزة واحدة يدرس فيها العرب والفرس والأفغان والباكستانيون وغيرهم من الجنسيات.

- لكن جناب السيد! الأعاجم (غير العرب) قد تسلطوا على الحوزة ومعظم المراجع منهم.

- أجواء الحوزة العلمية أجواء حرة ومن يثبت جدارته وكفاءته، هو الأحق ولا يمنعه أحد.

- جناب السيد! هل تعلم ماذا فعل العجم (الإيرانيون) بأهالي خوزستان العرب؟ لقد قتلوا شبابهم، وانتهكوا حرمتهم، وسلبوا أموالهم. (الإمام) الخميني قام ضد العرب وأهان كرامتهم وعزتهم.

- لا أسمح لك أن تتكلم بهذا الشكل. السيد الخميني مرجع عادل لا يفرق بين العرب والعجم. عندما كان في النجف، كان يصرف الرواتب

الشهرية لكل من العرب والعجم دون تمييز بينهم. إذا كان هذا هو هدف زيارتك، فأنا لست مستعداً لمواصلة الحديث.

- أعتذر، لم يكن هذا هو الهدف، بل الهدف كان تقدم الحوزة وخلال الحديث أردت إبلاغك بأن أحداثاً مؤسفة تعرض لها أهل خوزستان العرب.

- أهل خوزستان العرب يعيشون في ظل حكومة إسلامية وهم يحصلون على نفس الفوائد التي يحصل عليها الآخرون، وما ينفع الآخرين ينفعهم أيضاً ولا أحب أن أسمع هذه الكلمات مرة أخرى.^(١)

اللقاء الثاني لشبير الخاقاني

كتب النعماني:

بعد فترة، جاء الشيخ عيسى شبير الخاقاني مرة أخرى للقاء الشهيد الصدر وقال له: هذه هي الفرصة الوحيدة التي يمكنكم استغلالها لحل الأزمة الحالية. نحن بحاجة إلى حوزة ومرجعية عربية، والدولة مستعدة لتقديم كل أنواع الخدمات والتسهيلات مثل دفع الرواتب للطلاب وإعفائهم من الخدمة العسكرية. لقد ناقشت تفاصيل هذا الموضوع مع المسؤولين.

فأجاب الشهيد الصدر: الحوزة والمرجعية لا تحتاجان لمساعدة من أحد. الحوزة مستقلة بنفسها وإمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه) هو الذي يرعاها. لست مستعداً لقبول أي طلب مما اقترحته.

وبذلك أجهض ثبات ووعي وإدراك الشهيد الصدر وتفانيه في سبيل أهدافه ومبادئه مخطط النظام الذي كان من المقرر تنفيذه بواسطة الشيخ عيسى

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، صص ٢٩٢ - ٢٩٠؛ سألهاى رنج، صص ٢٦٩ - ٢٦٧.

الخاقاني.^(١)

وساطة السيد علي بدر الدين

من بين الجهود المبذولة خلال فترة الحصار، كانت وساطة المرحوم السيد علي بدر الدين. نظراً لعلاقاته الواسعة مع مسؤولي النظام، وخاصة مع أعضاء القيادة، طلب التوسط لحل الأزمة القائمة. كان يعتقد أنه بإمكانه النجاح في هذه المهمة.

عندما علم الشهيد الصدر بأن السيد علي بدر الدين سيأتي لرؤيته لهذا الغرض، شعر بالفرح لأنه كان يعلم أن لديه معلومات كثيرة عن خفايا النظام وبلا شك سيقوم بكشف وتحديد خطط النظام حيال هذا الموضوع، وكل خطوة يقوم بها في هذا الاتجاه ستكون دعماً كبيراً لتخطيط الشهيد. لذلك، بعد الاتصال الهاتفي والحصول على إذن اللقاء، جاء السيد علي بدر الدين إلى الشهيد وانتظر في غرفة الاستقبال مجيء الشهيد الصدر. كنت في مكان بالمنزل أستطيع فيه سماع المحادثات الدائرة في الغرفة. قال الضيف القادم وهو منتظر الشهيد الصدر لأداء اللقاء: «يا الله! بحق محمد وآل محمد، وفقني لحل هذه المشكلة وأنقذ السيد الصدر من القتل.»

لم يطل الانتظار حتى دخل الشهيد الصدر الغرفة وسأل السيد علي بدر الدين عن موقف النظام وخطته. قال: سمعت كلاماً مهماً منهم أثار قلقي الشديد. ما أثارهم وغضبهم هو تأييدك ودعمك للثورة الإسلامية في إيران، ويجب إيجاد حل لهذه المسألة.

السيد الشهيد: ماذا يريدون؟

(١) المؤلف نفسه، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٢٩٣ - ٢٩٢.

علي بدر الدين: يريدون منك أن تدعمهم أو تراجع عن موقفك تجاه تأييد الثورة الإسلامية في إيران بطريقة مناسبة.

- وماذا إذا لم أفعل ذلك؟

سيدنا! والله إنهم يفكرون في إعدامك والتخلص منك. لا يتحدثون عن شيء آخر ولا يفكرون إلا في كيفية تنفيذ ذلك. هؤلاء قساة القلوب، لا يوجد في قلوبهم رحمة أو شفقة؛ أرجوك يا سيدي أن تتنازل قليلاً ولو لإنقاذ حياتك، فإن شهادتك ستكون خسارة كبيرة.

- كيف ينظرون إلى أحداث شهر رجب وما تبعها من أحداث؟

- هم دائماً يعيشون في قلق وخوف من توسع تلك الأحداث ويخافون من تكرارها، ويعتقدون أن ما حدث في شهر رجب كان ثورة لم تنجح.

- لن أتنازل أبداً. موقفني ثابت، وإذا كانوا يفكرون في إعدامي، فأنا مستعد لذلك.

- سيدنا! ألا يوجد أي أمل ولو ضعيف؟

- أبداً.

عندها بكى السيد علي بدر الدين بشدة، وقال: سأغادر العراق قريباً وأتوجه إلى لبنان. لا أريد أن أبقى هنا وأشهد جنازتك.

كانت تلك آخر زيارة له للشهيد الصدر، وبعدها توجه إلى لبنان، لكنه اغتيل هناك على يد عملاء منظمة الأمن العراقية.

استناداً إلى المعلومات التي قدمها السيد علي بدر الدين والانطباعات التي حصلنا عليها بعد لقاء مدير أمن النجف بالشهيد الصدر، تأكد لنا أن الحصار، رغم الصعوبات والمعاناة المرتبطة به، أصبح مشكلة كبيرة للنظام

البعثي وفي الوقت نفسه حافزاً كبيراً لتشجيع الجماهير على مواصلة الجهاد.^(١)
عندما كان الشهيد الصدر يذكر حصار النبي ﷺ وأهل بني هاشم في
شعب أبي طالب حيث لم يكن لديهم ماء أو طعام أو ظل يحميهم من حر
الشمس، كان يقول:

تلك المعاناة كانت من أجل الإسلام؛ علينا أن نكون في نفس الخط
والهدف.^(٢)

رغم أن أفراد الأسرة لم يشتكوا أبداً من حالتهم الصعبة، إلا أن الشهيد
الصدر كان يظهر عواطفه الجياشة باهتمام أبوي عميق لأسرته وأولاده، وقلقاً
من المخاطر التي تهددهم، وارتباطاً بين معاناته وفرحهم.

ومع ذلك كان مصمماً على الصمود مع عائلته، وتحويل هذا التحدي إلى
إنجاز كبير للإسلام والأنشطة الإسلامية. سمعته مراراً يقول: «أنا مستعد
للبقاء محاصراً مع الأسرة حتى النهاية أو التضحية بنفسي وبهم كي ينتصر
الإسلام في العراق.»^(٣)

و كان يقول أيضاً:

إذا قرر النظام إنهاء الحصار عن منزلي دون أي شرط، وعدتُ إلى حياتي
الطبيعية، سأعتمد في نشاطاتي على الشباب المتفانين. هؤلاء الشباب مستعدون
لبذل دمائهم بسخاء في سبيل الله من أجل الإسلام والقيادة الإسلامية.
سأخصص أكبر قدر من الأموال لتربيتهم. الإسلام اليوم بحاجة إلى أشخاص
متفانين ومضحيين. شخص واحد من هؤلاء الشباب قادر بإشارته أن يغير

(١) المصدر نفسه، صص ٢٩٤ - ٢٩٣؛ ساهاي رنج، صص ٢٧٢ - ٢٧١.

(٢) النعماني، ساهاي رنج، ص ٢٧٤.

(٣) المصدر نفسه،

الظروف التي يبدو تغييرها مستحيلاً. أما الذين بذلنا من أجلهم الكثير، فلا يبدو استعداداً للقيام ولو بجزء بسيط من تلك التضحيات.^(١)

لقاء رئيس دائرة أمن النجف مرة أخرى

زار رئيس دائرة أمن النجف آية الله الصدر مرة ثانية. كما يروي النعماني، كانت مهمته تتلخص في هدفين رئيسيين:

١. السعي للحصول على أي تنازل، مهما كان بسيطاً، فقال مخاطباً الشهيد الصدر: الحكومة تشعر أن سمعتها قد تضررت، وأي تعاون بسيط من جانبكم سينهي هذه الأزمة. لكن الشهيد الصدر رفض هذا الاقتراح قائلاً: «لم يصدر عني شيء من هذا القبيل. هذه افتراضات أنتم من اخترعها، وأنا في كل الأحوال لا أشعر بالضيق من هذا الوضع.»

٢. إبلاغه بأن أفراد عائلة الشهيد الصدر وأطفاله يُسمح لهم بمغادرة المنزل أو الذهاب إلى المدرسة، ولا يوجد مانع لزيارة بعض الأقارب لهم. وكان السماح بالخروج من المنزل فرصة جيدة للشهيدة بنت الهدى لتقوم ببعض النشاطات، على الرغم من أن قوات الأمن كانت تراقبها من لحظة خروجها حتى عودتها إلى المنزل.

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات وإيام الحصار، ص، ٢٩٨؛ ساهل رنج، ص ٢٧٥. كتب النعماني: من المؤسف أن أحد هؤلاء الأفراد قد زعم في خطاب له في أحد المحافل الدينية في النجف بما يلي: «جاء إلي السيد الصدر باكياً وكان يقول: كيف لي أن أخرج من هذه الورطة (ورطة نزاعه مع الحكومة)؟ فقلت له: جناب السيد إنك تناطح الجبل (يقصد نظام البعث) لذلك لا يمكنك أن تضره. كان عليك من البداية ألا تجرّ على نفسك هذه المتاعب» هذا، في حين أنّ السيد الصدر كان تحت الإقامة الجبرية في منزله، ولا يستطيع الخروج، فكيف التقى بذلك الرجل الجبان المرتهب من النظام؟!

تعامل آية الله الصدر مع قرار النظام برفع الحصار (الذي كان خطوة صورية لتقدير مدى استجابة الرأي العام) بحذر وذكاء شديد، وقال في ذلك الوقت: «علينا أن نحول الحصار إلى مسألة ملموسة وحقيقية بحيث لا يستطيع النظام التغلب عليها، وأن تعود حركة الناس إلى طبيعتها حتى نتمكن من استخدام الفرص لتنظيم النضال في العراق. استمرار النضال والجهاد لا يمكن دون قيادة ميدانية، قيادة ذات رؤية واضحة لكل جوانب النضال وتفاصيله وكيفية تطويره وتقويته لتحويله إلى هيكل قوي وصلب مع حركة ديناميكية دائمة.»

الهدف الحقيقي للشهيد الصدر من قبول الرفع المحدود للحصار كان كما أشرت سابقاً. لهذا السبب، كان في ذلك الوقت يمنع الشباب من القدوم إليه قائلاً: «هؤلاء الشباب طاقة حقيقية وقوة جبارة لا ينبغي أن نعرضهم للخطر في الوقت الراهن.»

على الرغم من أن الحصار قد رُفِعَ ظاهرياً، إلا أن الشهيد الصدر كان فعلياً محاصراً. لم يغادر منزله أبداً كي يفشل مخطط النظام الخادع الذي رفع الحصار شكلياً لتهدة غضب الشعب، وأيضاً لضمان بقاء التركيز الشعبي والمقاومين على الوضع غير العادي السائد. ومع ذلك، انتشر خبر رفع الحصار بين الناس، واستعدت مجموعات كبيرة منهم للذهاب لزيارة الشهيد الصدر كما حدث في شهر رجب. لكنه لم يكن يؤيد هذه الخطوة الجماهيرية في البداية، حيث فضل أن يأتي إليه كبار السن والعلماء والطلاب أولاً لاتخاذ القرارات المناسبة لاحقاً.

لو أن المرجعية والحوزة العلمية في النجف وقفت بجانب الشهيد الصدر بما تمليه المسؤولية الشرعية والدينية، لكان من الممكن أن يتحول رفع الحصار

من حالة مؤقتة وهمية ترضي النظام إلى حالة حقيقية تُفرض على النظام وتجبره إما على التراجع أو المواجهة مع واقع مفروض. إلا أن رفض المرجع الديني في النجف لطلب عدد كبير من العلماء والشعب للقاء الشهيد الصدر، واقتصاره على إرسال ممثل فقط، حوّل العديد من الآمال إلى يأس. كان لهذا الموقف أهمية خاصة لدى النظام الحاكم، إذ أوضح أن رد فعل المرجعية على أي عمل انتقامي ضد الشهيد الصدر لن يكون كبيراً لدرجة تزعج النظام.

وتابع النعماني:

«كان المرجع الوحيد الذي بادر بزيارة السيد الشهيد هو المرحوم آية الله العظمى السيد عبدالاعلى السبزواري رحمته الله. دون الالتفات إلى تصرفات النظام، جاء لزيارة الشهيد وأثنى على شجاعته وثباته وتفانيه. لقد أظهر بعمله هذا وجه عالم رباني لا يخشى في الله لومة لائم.»

بعد انتهاء اللقاء، وعند خروجه من المنزل، تم اعتقال آية الله السبزواري من قبل قوات الأمن. وعندما حاولوا اقتياده إلى دائرة الأمن في النجف، قال لهم: «واجبي أن آتي لزيارة السيد الصدر، وأنا أتحمل مسؤولية هذا العمل. خذوني إلى أي مكان تريدون.»^(١)

أضاف النعماني:

«مع ذلك، قال لي الشهيد الصدر: «النظام سيعيد فرض الحصار على منزلنا مرة أخرى.» وهكذا كان. لم تمض سوى بضعة أيام على رفع الحصار السوري، حتى استأنف البعثيون جميع إجراءاتهم القمعية بوحشية وبشدة غير مسبوقة، إلى الحد الذي اضطر فيه الحاج عباس، خادم المنزل، إلى ترك عمله

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٣٠٢؛ ساهل رنج، ص ٢٧٩.

والانفصال عنا. عادت الصعوبة والفقر الشديدين إلينا، ولولا جهود بعض الإخوة في إقناع الحاج عباس بالعودة إلى المنزل للقيام بالأعمال وشراء الاحتياجات، لكنا على وشك الجوع. ولكن مع عودته، عادت الأمور إلى وضعها الطبيعي.^(١)

وقال المرحوم الصدر في هذا السياق: «ليس من حقنا أن نثقل على الحاج عباس أكثر من طاقته. هو المسؤول عن استقبال الضيوف وشراء الاحتياجات، ولكن مشاركته محتتنا بهذا القدر هي فوق طاقته وخارج نطاق عمله، ونحن لا نتوقع منه ذلك.»^(٢)

بحسب النعماني:

النظام البعثي، من خلال إعادة فرض الحصار، كان يسعى لتحقيق أحد الهدفين التاليين:

١. أن يخضع آية الله الصدر للنظام بشكل كامل.

٢. التمهيد لإعدامه أو اغتياله، حسب الظروف المستقبلية.^(٣)

مسألة الخروج من البلاد

كتب النعماني:

«في هذا السياق، تحدثت مع الشهيد الصدر عن مغادرته البلاد والبحث عن طرق لتحقيق ذلك، وكان حجة الإسلام السيد عبدالعزيز الحكيم يفكر في التخطيط لتحقيق هذا الهدف. كنا مهتمين بشدة بأن يتحقق هذا الهدف،

(١) المصدر نفسه، ص ٣٠٣؛ المصدر نفسه،

(٢) المصدر نفسه، المصدر نفسه،

(٣) المصدر نفسه، المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

خصوصاً مع توفر تجربة سابقة لي في الخروج من المنزل لتنفيذ مهام مهمة مسندة إلي من قبل السيد الشهيد. كما يُقال «الوقوع دليل الإمكان»، فلماذا لا نستغل هذه الفرصة لإنقاذه من أيدي المجرمين الطغاة؟

في هذه الأثناء، وضع بعض المؤمنين خططاً أخرى لإنقاذ آية الله الصدر، ومن بينها كان اقتراح حفر نفق إلى منزل المرحوم للخروج من خلاله. كذلك، قام حجة الإسلام السيد محمود دعائي (السفير الإيراني في العراق آنذاك) بتحضير جوازي سفر للشهيد الصدر ولي، على أمل أن يستغل المرحوم فرصة رفع الحصار المؤقت للخروج من العراق، لكن آية الله الصدر لم يُعر هذه الإجراءات اهتماماً كبيراً، وكان يؤمن بأن خيار الشهادة هو الخيار الوحيد لديه.»

كلما ناقشت هذا الموضوع (الخروج من العراق) معه، كان يحاول تحويل الحديث إلى موضوع آخر. وفي هذا السياق، كانت الشهيذة بنت الهدى تشارك أحياناً في جلسات حوارنا. ذات يوم قالت له:

«أخي! إذا كنا نحن الذين نعيقك عن اتخاذ هذا القرار، فوالله لا يهم. لا تشغل بالك بنا؛ نحن مستعدون للموت في سبيلك، وهذا هو الطريق الذي اخترناه.»

وردّ الشهيد الصدر قائلاً:

«هل بعد استشهاد السيد قاسم شُبّر والمؤمنين من أمثاله، هناك معنى للتفكير في حياتنا وأمتنا؟ اليوم هو يوم الفداء بالنفس، لدي رؤية واضحة، واختياري هو الشهادة، فهذا هو آخر ما يمكنني القيام به لخدمة الإسلام.»^(١)

(١) المصدر نفسه، صص ٣٠٤ - ٣٠٣؛ المصدر نفسه، صص ٢٨١ - ٢٨٠.

وفي ظلّ هذه الظروف، نُشرت الرسالة الثالثة للشهيد الصدر الموجهة إلى الشعب، حيث أكّد فيها على مواصلة الطريق وطلب من الناس الانتفاض لإنقاذ العراق وشعبه من براثن النظام البعثي.

مجلس قيادة الثورة في العراق

كان الشهيد الصدر يفكر في إيجاد حل يضمن قيادة وتوجيه الحركة والنهضة الإسلامية - بعد استشهاده -، بحيث يتم الاستفادة القصوى من استشهاده لخدمة الأهداف والحركة الإسلامية. بناءً على هذا، طرحت نظرية (خطة) مجلس قيادة الثورة بعده كخيار اضطراري. كانت خطته تنص على أن يستمر المجلس المذكور في قيادة الثورة من خلال استخدام أكبر دافع هو دم الشهيد لتحريك الجماهير.

المحاور الرئيسية لخطة مجلس القيادة

كانت كما يلي:

١. مبدئيًا اختار الشهيد أربعة من كبار علماء الدين لعضوية مجلس القيادة، وكان ينوي إعلان أسمائهم للشعب.
٢. أعد قائمة بأسماء أفراد آخرين ربما يزيد عددهم عن عشرة أشخاص، حتى يتمكن المجلس المكون من أربعة أعضاء من زيادة عدد أعضائه عند الضرورة أو لدواعي المصلحة، وذلك وفقًا للنظام الأساسي الذي وضعه الشهيد.
٣. كان الشهيد الصدر ينوي كتابة رسالة مفصلة إلى الإمام الخميني، يشرح فيها فكرة مجلس القيادة ويبين جميع تفاصيلها، ويطلب منه أن يمنح المجلس اهتمامًا ويدعمه بكل وسيلة ممكنة.

٤. تسجيل رسالة بصوت الشهيد الصدر موجهة إلى الشعب العراقي، يحثهم فيها على ضرورة الالتفاف حول هذا المجلس ودعمه وطاعته وتنفيذ توجيهاته.

٥. كتابة بيان مفصل حول هذا الموضوع بتوقيع آية الله الصدر.

٦. أن يدخل الشهيد الصدر صحن الإمام علي عليه السلام أثناء ازدحام الجماهير، أي عند إقامة صلاتي المغرب والعشاء، ويقوم بإلقاء خطاب بين الصلاتين للمصلين، يعلن فيه أسماء أعضاء مجلس القيادة للشعب، ويطلب منهم أن يكونوا تحت قيادة هذا المجلس.^(١)

كتب النعماني:

في هذا الشأن قال لي المرحوم:

«سوف أستمّر في إلقاء الخطابات في الصحن المطهر وأعبر عن موقعي ضد النظام وأدين جرائمه وأدعو الناس للثورة ضده حتى تُجبر القوى الأمنية على قتلي في الصحن المطهر وأمام أعين الناس. أمل أن يكون هذا الحادث حافزاً لجميع المؤمنين والزوار الذين يدخلون الصحن المطهر، لأنهم برؤية المكان الذي سأقتل فيه سيقولون: «هنا قتل الصدر». ولن يتمكن النظام الإجرامي الحاكم من محو هذا الأثر من ذاكرة العراقيين.»^(٢)

فيما يخص مجلس القيادة المذكور، كان شرط تنفيذ ونجاح الخطة أن يكون جميع الأعضاء الأربعة للمجلس خارج العراق؛ لأن وجودهم داخل البلاد وإعلان

(١) المصدر نفسه، صص ٣٠٩-٣٠٨؛ المصدر نفسه، ص ٢٨٦؛ مع اختلاف قليل، الحائري، زندگی و افکار شهید صدر، صص ١٦٩-١٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٩؛ المصدر نفسه، صص ٢٨٧-٢٨٦؛ الحائري، المصدر نفسه، ص ١٦٩.

أسمائهم كان سيؤدي على الأقل إلى اعتقالهم من قبل النظام، إن لم يكن إعدامهم.
بناءً على ذلك، طرح آية الله الصدر خطة مجلس القيادة على أحد الأفراد
الذين كانوا مرشحين للمجلس، ولكن بعد النقاش حول الخطة، اعتذر عن
المشاركة فيها.

رغم جهود آية الله الصدر، واجهت خطة مجلس القيادة الفشل، وامتلكه
حزن شديد وتدهورت حالته.

قال النعماني:

«كانت هناك علامات وحالات بادية على وجهه المبارك لا أعرف كيف
أصفها. في مثل هذه الظروف، قلت له يوماً: سيدنا! لماذا وقعت في الحزن والألم
والقلق؟ فقال:

«كل التضحيات والآمال قد ذهبت هباءً. أنت تعلم أنني لن أتنازل أمام
العقلية حتى لو قُتل في زناينة، فهي شهادتي المقدسة في سبيل الله، أريد أن
أُقتل أمام الناس ليكون مشهد مقتلي دافعاً لهم ودمائي باعثاً على تحريكهم. هل
تظن أن لدي شيئاً غير سلاح دمي؟ الآن فقدت حتى هذا السلاح. إذا قتلوني،
فلن ينجحوا أبداً بعدي.»^(١)

الحديث الأخير واستشهاد الصدر

مفاوضة مبعوث صدام

في الأيام الأخيرة قبل استشهاد آية الله الصدر، جرت مفاوضات رسمية
متعددة معه، ولكنها جميعاً انتهت إلى طريق مسدود؛ حيث كان موقفه ثابتاً في

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٣١٠؛ ساهل رنج، ص ٢٨٨.

كل هذه الحوارات، ولم تضعف التهديدات أو المغريات من موقفه. كانت آخر المفاوضات التي تمت قبل بضعة أيام من استشهاده تتعلق بالمبعوث الخاص والمفوض التام من قصر الرئاسة.

كتب النعماني:

«كل جولة من هذه المفاوضات استغرقت أكثر من ثلاث ساعات، وهنا سأشير فقط إلى الأجزاء المهمة منها وأترك تفاصيل الموضوع إلى فرصة أخرى.»

أضاف الكاتب:

«بدأت آخر المفاوضات بأن اتّصلَ فاضل البراك، مدير الأمن العام، بآية الله الصدر وقال له: القيادة سترسل اليوم ممثلاً إليك لمناقشة جميع المسائل، وآمل أن تكون النتائج مرضية وإيجابية. بعد ساعة، وصل المبعوث المعني بين عدد من الحراس إلى المنزل وطلب الإذن بلقاء آية الله الصدر من الشهيذة بنت الهدى. بالمقارنة مع المسؤولين الآخرين الذين جاءوا للقاء، كان يتمتع بسلوك مهذب وتصرف جيد.»

طلب من الحراس البقاء خارج المنزل ودخل المنزل بنفسه. كما منعت القوات الأمنية حول المنزل مرور الناس من الزقاق حتى للسكان. التقى الشخص المذكور بالشهيد الصدر وقدم نفسه بكنية أبو علي وقال إنه مبعوث خاص ومفوض تام من الرئاسة. بدأ حديثه بمجاملات دافئة وقال: «إن تحمل الرئيس والجميع لهذه الوضعية التي لم نرغب فيها ولم نتمناها أن تحدث لك، أمر صعب وشاق، وأنا آمل أن أتمكن من حل هذه المشكلة؛ لأنك مواطن عربي ومنا وأنت مفكر إسلامي كبير.»

واستمر كلام المبعوث على هذا المنوال إلى أن قال الشهيد الصدر:
«إذا كنت تقصد بالحالة وضع الحصار، فأنا لا أجد فيه ألمًا أو صعوبة.»
فقال المبعوث:

«لا أقصد الحصار فقط، بل الوضع غير العادي القائم بيننا. ثم أضاف:
سيدنا الجليل! لدي تفويض كامل من القيادة للتحدث معك حول جميع
المسائل والمشاكل، وإن شاء الله سنصل اليوم إلى حل يرضي الطرفين وستعود
الأمر إلى طبيعتها، حتى إن الصداقة والمودة ستسود بيننا.»

فقال الشهيد:

«تفضل.»

فقال المبعوث:

«سيدنا! الأحداث التي وقعت في شهر رجب كانت مواجهة وتحديًا
للحكومة، مما تسبب في إلحاق الأذى بهيبة الدولة وكرامتها، وأنت مسؤول عن
ذلك. أود أن أبلغكم أن القيادة لم تتعامل مع أي شخص، حتى مع زملاء في
مستويات المسؤولية في حزب البعث،^(١) بقدر التسامح الذي أبدته نحوكم.
أصعب شيء بالنسبة لنا هو كيفية التعامل معكم. هذا الأمر أصبح معقدًا
بالنسبة للقيادة. ما صدر عنكم لا يمكن للقيادة تحمله.»

فقال الشهيد:

«ما الذي صدر عني؟»

فأجاب:

«أمر كثيرة: العلاقة مع إيران، تنظيم الهيئات المعارضة للحكومة،

(١) رفيق، هي كلمة يستخدمها البعثيون كما الماركسيون في محاوراتهم فيما بينهم.

تحریم الانتفاء إلى حزب البعث...

فقال الشهيد:

«علاقتي مع إيران لا تتجاوز حدود الاتصال بالسيد الخميني، وهي علاقة عالم بعالم. أما فيما يخص تأييد الثورة الإسلامية، فيجب أن نقول إن هذا العمل كان بالتنسيق الكامل مع موقف النظام؛ لأنكم أنتم أيضاً أيّدتم الثورة الإسلامية.»

فأجاب المبعوث:

«لكن هذا الإجراء يتم بموافقتنا ومشورتنا، وإلا يعد موقفًا ضدنا. لا يحق لأي مواطن إقامة علاقة مع دولة أخرى، لأننا نعتبره عمالة للأجنبي. على أي حال، لوضع حد لهذه المشاكل، حددت القيادة شروطاً ومطالب إذا قبلتها، سيتم حل الأزمة وستستمر حياتك بكرامة واحترام.»

فسأل الشهيد:

«ما هي هذه الشروط؟»

١. عدم تأييد ودعم الثورة الإسلامية والاعتذار عن الإجراءات التي قمت بها في هذا الصدد ضمن بيان ستصدره.

٢. في هذا البيان يجب إدانة الهيئات التي جاءت لدعمك في شهر رجب بشكل صريح.

٣. إصدار فتوى بخط يدك بتحريم الانتفاء إلى حزب الدعوة.

٤. إلغاء فتوى صادرة عنك بشأن تحريم الانتفاء إلى حزب البعث.

٥. إصدار بيان لتأييد الحكومة أو بعض إنجازاتها مثل تأمين النفط أو منح الحكم الذاتي للأكراد أو مكافحة الأمية.

فقال الشهيد الصدر: «وإذا لم أذعن لهذه المطالب فماذا سيحدث؟»

فأجاب المبعوث: «الإعدام!»

فقال الشهيد: «تفضل! أنا الآن مستعد للذهاب إلى بغداد معك لتنفيذ

حكم الإعدام.»

في الختام كتب النعماني: قال لي الشهيد الصدر: «عندما سمع المبعوث

جوابي، أصيب بالدهشة والحيرة. كان ينظر إلي تارة ويخفض رأسه تارة أخرى.

تبدلت ملامح وجهه وكأنه صُدم من هذا الرد. ثم التفت إلي المبعوث وقال:

هل هذا هو جوابك الأخير؟»

فأجاب الشهيد: «نعم، ليس لدي جواب آخر.»

فسأل المبعوث: «ألا تريد أن تتأمل في الأمر؟»

فقال الشهيد: «لا فائدة من ذلك.»^(١)

في الجولة الثانية من المفاوضات، أعلن مبعوث صدام حسين الخاص:

«سيدنا الجليل! السيد الرئيس وعد بأنه إذا قبلت الشروط المحددة، فسيقوم

بالإجراءات التالية:

١. سيأتي لزيارتك وستقوم وسائل الإعلام بما في ذلك التلفزيون بتغطية

هذا اللقاء.

٢. خلال هذا اللقاء، سيقدم لك السيد صدام حسين، رئيس

الجمهورية، سيارته الشخصية كهدية، وهذا يعتبر أعلى درجة من التكريم

والتقدير، وللتأكد من صدق نوايانا سنطلب منك تأجيل إصدار بيانك حتى

(١) النعماني الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٣١٨ - ٣١٥؛ ساهل رنج، صص

ترى هذا اللقاء على التلفزيون.

٣. أوامرك وطلباتك سيتم تنفيذها في الدوائر الحكومية.

بهذه الطريقة سنبدأ مرحلة جديدة من الصداقة والمودة، لأننا أقرب إليك من الخميني وأنت أقرب إلينا منه.

نحن لا نعرف ما الذي تريده، بالله وبشرفي، لم تتنازل القيادة لأحد بهذا القدر. والله، لقد أعدمنا أشخاصاً لم يعارضوا بهذا القدر. من ضمنهم زملاء لنا في حزب البعث. لماذا كل هذا الإصرار؟ ما الذي تريده منا لنفعله؟»

أنا لم أطلب منكم شيئاً وكما قلت لكم إن حلّ هذه الأزمة هو الإعدام، وأنا مستعد لذلك ولا أملك كلاماً آخر.

بقي المبعوث الخاص صامتاً ولم يقل شيئاً. بعد فترة من الزمن، عاد ليتحدث مرة أخرى عن شروط النظام المحددة مع السيد الشهيد، لكنه خلال حديثه بدأ بالتراجع تدريجياً عن تلك الشروط بينما ظل آية الله الصدر متمسكاً بموقفه الثابت. في نهاية الأمر قال المبعوث الخاص: سيدنا الجليل! هناك أمر واحد لا مفر منه وليس لي الحق في التنازل عنه بأي حال.

سأل السيد الشهيد: وما هو؟

قال: أن توافق على إجراء مقابلة مع صحيفة أجنبية، حتى لو أردت تحديد الأسئلة بنفسك - حتى وإن كانت أسئلة فقهية - شريطة أن تؤكد في هذه المقابلة أنه لا توجد خصومة بينك وبين النظام أو أن تشيد ببعض إنجازات حكومتنا مثل مكافحة الأمية أو تأمين النفط أو منح الحكم الذاتي للأكراد. ونحن بدورنا نتعهد بالوفاء بكل التعهدات السابقة.

فقال الشهيد: «وإذا لم أفعل؟»

قال المبعوث: «الإعدام! بشرفي، لا يوجد حل آخر».

فقال الشهيد: «أنا مستعد، ولا أملك كلامًا آخر».

بقي المبعوث الخاص في حالة من الحيرة. التزم الصمت لفترة طويلة، ثم نهض وودع السيد الشهيد. قائلاً باللهجة المحلية: «حيف مثلك تأكله الكاع، حيف والله حيف».^(١)

الاستعداد للشهادة

كتب محمد رضا النعماني في مذكراته عن الشهيد الصدر:

بعد انتهاء هذا اللقاء، قلت للشهيد الصدر - بحضور أخته بنت الهدى -: الشرط الأخير ليس شيئاً مهماً وقبوله من قبلكم لا يعني التنازل. من سيعذركم في هذه الظروف القاسية التي تخلى عنكم فيها الجميع؟ حياتكم للإسلام والنضال الإسلامي في العراق أكثر أهمية، وإذا كان هذا الحصار قد أوضح لكم حقائق مهمة وغير وجهة نظركم تجاه بعض المسائل، فمن سيستفيد من هذه التجربة بعد استشهادكم؟ أعتقد أنه يجب أن نستفيد من هذه الفرصة ونجهز أنفسنا للهرب من العراق، وإذا لم ترغبوا في الخروج من العراق، فلنذهب إلى منطقة آمنة في شمال العراق ونقود النضال من هناك بشكل أفضل مما هو عليه خلال فترة الحصار. تحدثت مع الشهيد ومع الشهيذة بنت الهدى كثيراً حول هذا الموضوع، لكن لم يكن هناك فائدة، وقال وهو ينظر إلى السماء:

«اللهم أسألك بحرمة محمد وآل محمد ﷺ، أن تمنحني الشهادة وأنت

(١) المصدر نفسه، صص ٣١٩-٣١٦؛ المصدر نفسه، صص ٢٩٣-٢٩٢؛ العامل، المصدر نفسه، ج ٤، صص ٢٦٤-٢٦٢.

راضٍ عني. اللهم أنت تعلم أنني لم أفعل هذا للحصول على متاع الدنيا، بل كان هدفي رضاك وخدمة دينك. اللهم ألحقني بالأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام والصديقين والشهداء وأرحني من عناء الدنيا.

ثم مسح دموعه وغسل وجهه.^(١)

وأضاف النعماني:

في صباح اليوم التالي، أيقظني المرحوم الشهيد لأداء الصلاة. بعد أن أتم صلاة الفجر، التفت إليّ وقال: «أبشر نفسي بالشهادة، إن شاء الله.»

قلت: خيرًا، إن شاء الله.

فقال:

رأيت في المنام خالي المرحوم الشيخ مرتضى آل ياسين وأخي المرحوم السيد إسماعيل الصدر جالسين على كرسي وتركوا لي كرسيًا بينهم ويبتترون قدومي ومعهم ملايين من الناس.^(٢)

ثم وصف لي النعم الكثيرة التي لا تُصدّق والتي كانوا فيها.

قلت: ربما يكون هذا الحلم دلالة على الفتح والنصر، إن شاء الله.

فقال: الشهادة هي أعظم النصر، إن شاء الله.

ثم قام الشهيد الصدر بكتابة وصيته في نفس اليوم، أو بالأحرى قام بمراجعة وصيته وأضاف إليها بعض الأمور الجديدة التي كان قد أخبرني بها شفهيًا من قبل. ولأن هذه الأمور خاصة بي، فلا أرى ضرورة لذكرها.

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٣١٩؛ سألهاى رنج، ص ٢٩٤؛

العاملى، المصدر نفسه، صص ٢٦٥ - ٢٦٤.

(٢) العاملى، المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

آية الله الصدر - رضوان الله عليه - في فترة الحصار، في أول فرصة سنحت له، أرسل جميع الأموال التي كانت تحت تصرفه، بما في ذلك الوجوهات الشرعية والأموال الشخصية، إلى خارج العراق كي لا تقع في يد النظام البعثي في حال استشهادهم على أيديهم. كما أرسل الأمانات التي كانت في عهده، مثل الأموال المتعلقة بالعبادات الإيجارية، عبر المرحوم السيد محمد صادق الصدر (ابن عمه) إلى آية الله العظمى الخوئي، ولم يترك شيئاً في ذمته.^(١)

الاعتقال

قرر البعثيون بعد فشل جميع المفاوضات والجهود مع الشهيد الصدر للحصول على أدنى امتيازات لصالح النظام، وبحسب اعتقادهم، حفاظاً على ماء الوجه، أن يرسلوا هذا الشهيد المظلوم إلى فرقة الإعدام. لتنفيذ هذا القرار الشيطاني، اتخذ النظام البعثي عدة تدابير، أهمها كما ذكر محمد رضا النعماني، ما يلي:

١. أعلن حزب البعث لأعضائه أن الحكومة مصممة على تنفيذ هذه الجريمة، وطلب منهم نشر الخبر بين الناس بشكل محتمل ومبهم، وذلك لكي يتمكنوا من تقييم ردود فعل الشعب تجاه هذه الجريمة في حال تنفيذها.

أتذكر أن الحاج عباس، خادم المنزل، جاء إلى السيد الشهيد في أحد الأيام بعد الظهر وهو في حالة من الذهول والخوف والبكاء، وقال له إن شائعة قوية انتشرت بين الناس مفادها أن النظام سيقوم بتنفيذ حكم الإعدام في آية الله الصدر في المستقبل القريب.

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، صص ٣٢١-٣١٩؛ سألهاى رنج، صص ٢٩٦-٢٩٥؛ العامل، المصدر نفسه، صص ٢٦٦-٢٦٥.

قال المرحوم للحاج عباس: «لقد بشرتني، فليبارك الله فيك».

٢. قام تلفزيون النظام بإجراء مقابلة مع أحد المعارضين - لم أكن أعرفه ولم أعد أتذكر مضمون المقابلة، وكل ما أعرفه هو أنه كان من المجاهدين - وخلال هذه المقابلة تم ذكر اسم الشهيد الصدر عدة مرات أثناء الحديث عن حزب الدعوة الإسلامية، وكان هذا يتم بهدف تمهيد الطريق لإعدام الشهيد الصدر.

٣. حادثة المستنصرية الشهيرة والهجوم على البعثيين المشاركين في تشييع جثامين قتلى هذه الحادثة كانت أيضًا من بين التمهيدات التي قام بها النظام لإعدام هذا المفكر الفذ.

بعد هذه الحادثة، ظهر صدام حسين على شاشة التلفزيون وأعلن أنه سيتنقم للدماء التي سُفكت في حادثة المستنصرية. وقد حلف ثلاث مرات قائلاً: «الدماء التي سُفكت على رصيف جامعة المستنصرية لن تضيع أبداً».

وخلال زيارة صدام للجرحى في المستشفى، قالت له إحدى النساء التي كانت تتلقى العلاج: «سيدي! اطرّد الإيرانيين من بيوتهم»، فأجاب صدام قائلاً: «نعم، سنفعل ذلك». وكان هذا التصريح في وقت كان فيه الادعاء البعثي حول الأصول الإيرانية للمجاهد المذكور لم يتم إثباتها بعد.

بعد ساعات من هذا الموقف، شنّ النظام حملات واسعة لطرّد العراقيين من أصول إيرانية وحتى المواطنين العراقيين الذين كانوا يحملون هويات عراقية من الدرجة الأولى، مما خلق موجة من الرعب والخوف بين الناس. في نفس الوقت، تم اعتقال العديد من الشبان المؤمنين الذين كان يعتقد النظام أنهم سيظهرون ردود فعل قوية في حال تم تنفيذ حكم الإعدام في الشهيد الصدر.

بعد عدة أيام من اكتشاف الشهيد الصدر للتمهيدات التي كان يجهزها

النظام، أمرني بمغادرة المنزل وقال لي: «إذا قتلك هؤلاء، فإن هذا الجزء من حياتي سيكون مجهولاً».

وكان من الطبيعي أنني لم أقبل بذلك، فقلت له: «هل يمكنني تركك في هذه الظروف؟ لا، والله، لن أفعل ذلك أبداً». ثم قال لي: «إذا حدث شيء وجاء هؤلاء الجبناء لاعتقالي، فلا تأت معي، فأنا أحرم ذلك عليك».

كتب آية الله الصدر رسالة كانت تشبه وصية عامة، وأمرني بتسليمها إذا أمكن إلى السيد محمود الهاشمي، وقال لي: «عليك أن توصل هذه الرسالة إليه. أسأل الله أن يقيك شرهم».^(١)

وعن حالة معلمه في تلك الأيام، كتب النعماني:

في هذه الأيام، كان آية الله الصدر قد قطع تماماً علاقته بالعالم واتجه بشكل كامل إلى الله تعالى. كان يقرأ القرآن أو يسيح ويذكر الله باستمرار. وكان أكثر أذكاره يتكون من التسيّحات الأربعة (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر).^(٢)

قضى آخر أيام الحصار وهو صائم، ولم يكن يفكر في شيء سوى عبادة الله. كنت أحياناً أطرح بعض الموضوعات المتعلقة بالأنشطة والنضال الإسلامي، لكنه كان لا يجيب، وكان يكتفي بابتسامة خفيفة، وكأنه لم يكن يريد التحدث عن أي من هذه الموضوعات أو القضايا، لأنه لم ير فيها فائدة أو أملاً.^(٣)

عظمة هذا العالم الجليل كانت كبيرة جداً، لدرجة أن تلميذه البار

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، صص ٣٢٢ - ٣٢١؛ ساهل رنج، صص ٢٩٨ - ٢٩٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٢٣؛ المصدر نفسه، ص ٢٩٩؛ العامل، المصدر نفسه، ص ٢٦٨.

(٣) الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٣٢٤؛ ساهل رنج، ص ٢٩٩.

النعماني، الذي أمضى نحو عشرين سنة من حياته معه، كتب عنه قائلاً:
 «والله، لو لم أكن أخشى أن أتهم بالمبالغة، لأخبرتكم بحقائق وأمر تحطم
 القلوب وتزلزل النفس البشرية».^(١)

وأخيراً، تم اعتقال الشهيد الصدر للمرة الرابعة في يوم السبت الخامس
 من أبريل (١٩٨٠م) الساعة ٢:٣٠ بعد الظهر بواسطة رئيس جهاز الأمن في
 النجف الأشرف ومعاونيه. تم الإعلان عن «رغبة المسؤولين في بغداد في لقاء
 آية الله الصدر». ودّع الشهيد الصدر عائلته واستعد للتحرك نحو بغداد. بعد
 اعتقاله، تم سحب قوات الأمن المتواجدة في الموقع والتي كانت مسؤولة عن
 حصار المنزل، وأظهرت هذه الحادثة حدوث أمر جديد.

في اليوم التالي، حاصرت قوات الأمن مجدداً منزل الشهيد، وهذه المرة
 قامت باعتقال شقيقته بنت الهدى الصدر، التي كانت تعرف بزيئة الزمان، تحت
 عنوان أن السيد الصدر قد طلب منها القدوم إلى بغداد، وتم نقلها إلى بغداد.

الشهادة

استشهد الشهيد الصدر وشقيقته بنت الهدى في السجن على يد جلادي
 النظام، وبذلك قادا حركة إنسانية عظيمة إلى ذروتها، ففاذا بقصب السبق
 للسعادة الحقيقية والمطلقة.

قال النعماني:

«ما تلتقيته من شهود العيان هو أن المجرم الطاغية، صدام حسين، قد قتل
 بيده السيد الشهيد وشقيقته بعد تعرضهما لتعذيب شديد وبأبشع الطرق. تم تقييد
 السيد الشهيد بالقيود الحديدية، وكان صدام المجرم يضربه على رأسه ووجهه قائلاً:

(١) المصدر نفسه، ص ٣٢٤؛ المصدر نفسه، ص ٣٠٠.

«أنت عميل للإيرانيين وتريد أن تقيم لهم ثورة إسلامية في العراق».^(١)

وقال السيد عبد العزيز الحكيم:

«حسب علمنا، قيل أن صدام الكافر قد قتل شخصياً السيد الشهيد وشقيقته باستخدام سلاحه الشخصي».^(٢)

عند رؤية محمد صادق الصدر، قال له: «هذه جثث السيد الصدر وشقيقته، لقد تم إعدامهم. تعال معنا لندفنهم».

قال السيد صادق الصدر: «أنا الذي سأتكفل بغسلهما».

أجاب أبو سعد: «لقد تم غسلهما وتكفينهما».

قال السيد الصادق: «لكن يجب أن نصلي عليهما».

قال أبو سعد: «حسنًا، صلّ عليهما».

بعد أن أقيمت الصلاة عليهما، قال أبو سعد للسيد صادق: «هل ترغب في رؤية الجثث؟»

قال السيد صادق: «نعم».

ثم أمر الجلادين الأمنيين بفتح التوايت. كان جثمان الشهيد الصدر غارقاً في الدماء وكان تظهر آثار التعذيب في مناطق مختلفة من وجهه. كما كان جثمان شقيقته بنفس الوضع.

كتب النعماني:

«ثم قال أبو سعد المجرم لمحمد صادق الصدر: يمكنك إعلان خبر إعدام السيد الصدر، ولكن احذر أن تذكر شيئاً عن إعدام بنت الهدى، لأنه في

(١) النعماني، مع مجله حوزة، العددان ٨٠ - ٧٩، فروردين - تير ١٣٧٦، ص ٣٣٩.

(٢) السيد عبد العزيز الحكيم، مقابلة مع صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٦١، ص ١٣.

تلك الحالة سيتم إعدامك أنت أيضًا. وقد فعل ذلك، وعندما كان على وشك الموت، أعلن خبر استشهاد بنت الهدى.^(١)

تم دفن جثمان الشهيد الصدر وشقيقته بنت الهدى في مقبرة وادي السلام في النجف الأشرف. بعد ذلك، تم نقل عائلة الصدر إلى الكاظمية، وقام نظام البعث بمصادرة ما تبقى من مؤلفات الشهيد الصدر وكتبه وأبحاثه، ثم دمروا منزله.^(٢)

لقد نظم الشعراء قصائد رائعة في رثائه، وإليك مثالاً لإحدى هذه القصائد:

العلامة السيد محمد حسين فضل الله وجه قصيدته إلى روح الشهيد الإسلام الكبير السيد محمد باقر الصدر، قائلاً:

«لأن بعينيك سر اتلاق النجوم

وفي روحك اليقظة الثائرة

وفي قلبك الحب للمتعبين

لكل عيون الأسي الحائرة

لأنك قوة فكر كبير

كبير كما القمة القادرة

لأن الهدى ثورة في يديك

وإيقاظه اللحظة الخائرة»^(٣)

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٣٢٧؛ سألهاى رنج، ص ٣٠٣؛ أنظر: العاملى، المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

(٢) أنظر: العاملى، المصدر نفسه، ج ٤، صص ٢٩١ - ٢٨٦.

(3) www.aladwaa.nl/modules.php?name=News&new_topic=14

وقصيدة للدكتور السيد داوود العطار:

باقر الصدر! منا سلامًا أيّ باغٍ سقاك الحما؟
أنت أيقظتنا، كيف تغفو أنت أقسمت: أن لن تناما

يا أبا جعفر سوف تبقى مشعلًا هاديًا يتسامى

كذب البعث ما زلت فينا كالخميني تهدي الأناما

نحن أقسمنا يمينًا أن نضحى أو نرى الإسلام شرعًا ونظامًا....^(١)

هوذا الذي يوصف بأنه «الإمام الشهيد»، «صدر الثائرين»، «قائد الثائرين»، «سيد شهداء الثورة الإسلامية في العراق»، «أبو الشهداء»، «الشهيد الرابع»، «المرجع الشهيد»، «رفيق الإمام»، «سفر الثائرين»، «أبرز مرجع شيعي»، «أكثر المجتهدين تقدمًا في العراق»، «إمام الخير والتقوى»، و... كما يُذكر من قبل الكاتب أيضًا بـ «المعلم الرابع».

«السلام عليه وعلى أخته الكريمة يوم وُلِدا، ويوم قاما، ويوم استُشهدا،
ويوم يُبعَثان أحياء.»

(1) www.aladwaa.nl/modules.php?name=News&file=article&sid=4115.

الفصل الثالث عشر:

الشهيد الصدر والثورة الإسلامية في إيران

المقدمة

من أسمى أهداف ورسالات الشهيد الصدر، وربما أعظم أهدافه كما طرحها بنفسه، كان تحقيق الثورة الإسلامية وإقامة الحكومة الإسلامية في ظلها. من وجهة نظره، لا تتحقق أسمى آمال الإنسان المسلم إلا من خلال إقامة حكومة تعتمد على الدين الإسلامي. وقد عبّر عن ذلك بوضوح قائلاً:

«وظيفة مرجعيتي وكل النجف اتخاذ موقف مناسب ومرغوب إزاء الثورة الإسلامية الإيرانية... هل كان هدف المراجع طوال التاريخ إلا إقامة حكومة الله عز وجل على الأرض؟! الآن وقد تجسد ذلك في مرجعية الإمام الخميني، فهل من المنطقي أن أكون مجرد متفرج وألا أتخذ موقفاً مناسباً إزاءها، حتى وإن كان ذلك يعني التضحية بحياتي وكل ما أملك؟»^(١)

في نظره، الهدف الأساسي للمرجعية ومؤسسة الحوزة العلمية هو، في المقام الأول، تحقيق الحكومة الإسلامية التي تشكل الأساس لجميع أركان الإسلام، ولا يمكن للإسلام أن يظهر بشكل كامل إلا من خلال هذه الحكومة. وقد صرح الإمام الخميني أيضاً بهذا الموضوع بوضوح في خطابه، حيث قال:

«الإسلام هو ذاته الحكومة مع ما لها من أبعاد وأحكام، وأن أحكام الإسلام وقوانينه هي جزء من تلك الحكومة، بل الأحكام المطلوبة هي في

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٢٤٨؛ ساهاي رنج، ٢٢٤.

الأساس أمور آلية ووسائل تم وضعها من أجل إقامة العدالة في المجتمع»^(١)
 من هنا، نجد أن كلا من الإمام الخميني والشهيد الصدر يعتبران
 الحكومة الإسلامية هي الأساس الذي يضمن بقاء الدين الإسلامي وحماية
 حقوق الناس، وأن القيمة العليا للثورة الإسلامية الإيرانية تكمن في تحقيق هذا
 النوع من الحكومة، أي الحكومة التي تعتمد على الإسلام وسيرة النبي ﷺ.
 في رسالته إلى الشعب الإيراني، أكد الشهيد الصدر على أن الثورة لا
 تهدف فقط إلى تغيير شكل الحكومة أو اسمها، بل هي بحاجة إلى تغيير
 جوهري في محتوى الحكومة، بحيث يتم تطهيرها من كافة الجذور الفاسدة،
 وتُستبدل بالقيم القرآنية والإسلامية في جميع مجالات الحياة. جاء في رسالته:

«بناء إيران إسلامية لا يقتصر على تغيير شكل الحكومة واسمها فقط، بل
 يجب أن يُطهر محتوى الحكومة من جميع الجذور الفاسدة، وتُستبدل بالقيم
 القرآنية والإسلامية في جميع جوانب الحياة؟! لا شك أن بطولات الشعب
 الإيراني في مكافحة الفساد الحاكم وتدميره، هي دليل على أهليته لتولي هذه
 المسؤوليات العميقة روحياً واجتماعياً وتاريخياً...»^(٢)

من هنا، في فكر الشهيد الصدر، تصبح الثورة الإسلامية الإيرانية
 وأركانها الأساسية، أي القيادة الثورية «مرجعية الإمام الخميني» و«شخصيته»،
 «شعب إيران»، والإسلام (المذهب) وإيران (التاريخ)، ذات أهمية أساسية
 وجذرية. تلك الأهمية التي أشار إليها مراراً في مختلف خطابه وأعماله. ومن
 المعروف أن أحد أهم الانتقادات التي وجهها النظام البعثي في العراق إلى

(١) الامام الخميني، كتاب البيع، ج ٢، ص ٦٣٣.

(٢) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٥٤؛ ساهلای رنج، ص ٢٣٠؛
 العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٢.

الشهيد الصدر كان داعمه لإيران والإمام الخميني والثورة الإسلامية. وفي الواقع، كان هذا السبب - وإن في الظاهر - هو الذي أدى إلى استشهاده.

عندما عرض ممثل النظام البعثي على الشهيد الصدر بعض الشروط لحل مشكلة الحصار وعلاقته بالنظام البعثي، كان من بين هذه الشروط ما يلي:

١. عدم تأييد الثورة الإسلامية في إيران والاعتذار عما صدر منكم من مواقف بهذا الخصوص من خلال بيان يصدر منكم...^(١)

ثم عندما طرح ممثل النظام الشرط الخامس، أجاب الشهيد الصدر: «وإذا لم أستجب لهذه المطالب؟»

أجاب الممثل: «الإعدام».

فقال الشهيد الصدر: «قولوها، أنا مستعد الآن أن آتي معكم إلى بغداد لتنفيذ حكم الإعدام».

سأله الممثل: «هل هذا جوابك الأخير؟»

فأجاب الشهيد الصدر: «نعم، ليس لدي جواب آخر سوى هذا».

قال الممثل: «ألا تفكر في هذا الموضوع؟»

فأجاب الشهيد الصدر: «لا فائدة من التفكير».^(٢)

وفيما يلي نعرض باختصار لآراء الشهيد الصدر ومواقفه تجاه إيران والإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران.

الشهيد الصدر والشعب الإيراني

من خلال دراسة الوثائق والمستندات المتبقية من الشهيد الصدر وآراء تلاميذه، يظهر أن الشهيد الصدر كان يولي اهتماماً خاصاً لإيران وشعبها،

(١) العاملي، المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، صص ٢٦٢ - ٢٦١.

وللإمام الخميني، ولثورة إيران الإسلامية، وأنه في جميع الظروف والمواقف كان يدافع عنهم ويؤيدهم. السبب الرئيسي لهذا هو إيمان الشهيد الصدر بالله الواحد، وبمذهب التشيع العالمي، والعالمية التي تنبع من هذا المذهب.

في فكر الشهيد الصدر، الكل في الوجود هو من خلق الله الواحد، وكل الكون هو مخلوق ونعمة من الله. لذا فإن جميع عباد الله بحاجة إلى الدعم والدفاع. هذه النظرة تتناقض تمامًا مع الفكر القومي والعنصري الذي يعزز الاهتمام والاعتناء بمجموعة أو طائفة معينة. الله هو رب العالمين، وكل البشر هم عباده وبالتالي يجب أن يُحترموا ويُقدَّروا ويُدعموا. قال رسول الله ﷺ: «الْحَلِّقُ عِيَالِ اللَّهِ، فَأَحِبَّ الْخَلْقَ إِلَى اللَّهِ مِنْ نَفْعِ عِيَالِ اللَّهِ، وَأَدْخِلْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ سِرِّهِ»^(١).

لذلك، في النظرة العالمية والإلهية للشهيد الصدر، كانت إيران وشعبها يحتلان نفس المكانة التي كان يحتلها العراق وشعبه.

سبب آخر لهذا الاهتمام هو نظرة الشهيد الصدر الإنسانية. كان يولي الاحترام لجميع البشر، وكان يقدرهم جميعًا. لذلك، لم تكن المسألة عنده تتعلق بالعراقيين أو الإيرانيين أو العرب أو غيرهم من الجنسيات، بل كانت المسألة تتعلق بإنسانية البشر. لهذا السبب، عندما أقيمت مراسم تأبين للراحل مرتضى مطهري في النجف الأشرف بعد استشهاده، وتعرضت هذه المراسم لانتقادات من قبل النظام البعثي العراقي، حيث قالوا إن مطهري إيراني ونحن عرب، أجاب:

«لا أهتم بما تؤمنون به، ولا أقبل بالقومية أو الحدود الدولية. هذا موقفني ولن أراجع عنه.»^(٢)

(١) ابو جعفر محمد بن يعقوب كليني، الكافي، ج ٢، ص ١٦٤.

(٢) ع. عصيانى، «آيت الله شهيد صدر، آغاز فريادى در راستاى قامت امت اسلامى عراق» صحيفة كيهان، ١٣٦١، العدد ١١٥٤٧، ص ١٠.

وعندما أدت مواقفه المؤيدة للثورة الإسلامية الإيرانية إلى اعتقاله،
وسأله المسؤولون الآمنون في العراق:

«أنت عربي، لماذا تؤيد الفرس؟»

أجاب: «أنا مسؤول أمام جميع المسلمين في العالم، ويجب أن أؤدي واجبي تجاههم.»^(١)

أيضاً، نظراً لمكانة وموقع الشيعة في التاريخ وشرعية هذا المذهب في إيران، فقد كان الشهيد الصدر يدرك أن العديد من العلماء والمراجع المقيمين في العراق يعتبرون إيران مركزاً رئيسياً للشيعة، ومن ثم كانت تحولات إيران ذات أهمية خاصة بالنسبة له.

الشهيد الصدر والإمام الخميني

من الضروري أن نعلم أن الشهيد السيد محمد باقر الصدر، منذ بداية قيام وحركة الإمام الخميني بعد وفاة آية الله البروجردي، كان يؤيد الإمام الخميني وكذلك حركته وإجراءاته الثورية. على سبيل المثال، يقول السيد محمد باقر الحكيم:

«بعد وفاة المرحوم البروجردي، عندما بدأ الإمام حركته ضد النظام الجائر للشاه، كان آية الله الشهيد الصدر واحداً من القلة الذين كانوا يساندون هذا التحرك السياسي ويؤيدونه. وكان يضغط على مرجعية المرحوم آية الله الحكيم من خلالي ليحذو حذو هذا التحرك ويؤيد الحركة والإمام.» قد تكون العديد من المواقف الإيجابية التي اتخذها المرحوم آية الله الحكيم تجاه حركة

(١) الله كولاي وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢٠؛ «پرورش یافتگان مكتب سرخ حسین (عليه السلام)»، صحيفة اطلاعات، ص ١٧.

الإمام الخميني تأثرت بموقف آية الله الصدر...^(١)

بعد نفي الإمام الخميني إلى تركيا، كتب الشهيد الصدر رسالة في عام (١٩٦٥ م) إلى أحد إخوانه العلماء (محمد جواد مغنية) يشير فيها إلى الثورة الإسلامية في إيران ونفي الإمام، حيث كان الشاه يتهم هذه الحركة بالرجعية. وقد كتب في رسالته:

«في هذه المرة استطاع السيد الخميني أن يسكت لسان الشاه الذي كان دائماً يتهم معارضيه بالرجعية والجمود والتخلف، لأنه... هل يمكن لأي إنسان في العالم أن يصف الحرب والمقاومة ضد منح امتيازات جديدة للأمريكيين بأنها رجعية وتخلف؟»^(٢)

بعد ذلك، قام الشهيد الصدر بتأييد موقف محمد إبراهيم الأنصاري الذي كان في الكويت يشيد بالإمام الخميني وثورته.^(٣)

مع دخول الإمام إلى النجف، أظهر الشهيد الصدر تأييده الكامل له، وأقام علاقة مستمرة معه طوال فترة وجوده في النجف. وكانت لديها آراء مشتركة حول معظم الحركات السياسية في إيران والعراق.

يبن أبو زيد العاملي آراء ومواقف الشهيد الصدر بشأن حضور الإمام الخميني في النجف الأشرف في ستة عشر محوراً على النحو التالي:

١. جهود الشهيد الصدر لاستقبال الإمام الخميني بشكل واسع في بغداد وكربلاء والنجف، وقد شارك بنفسه في الاستقبال،^(٤) كما ذكر ذلك نقلاً

(١) الهه كولايى وآخرون، المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨.

(٣) المصدر نفسه، الحسينى، محمد باقر الصدر، حياة حافلة و فكر خلاق، ص ١٩٤.

(٤) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢.

عن الشيخ علي الكوراني.

٢. عند دخول الإمام الخميني إلى النجف الأشرف، قام الشهيد الصدر بزيارة الإمام واستفسر منه عن أوضاع إيران، وأجاب الإمام قائلاً: «الحكام في إيران شياطين...»^(١)

٣. إرسال الشيخ عبد الهادي الفضلي إلى الإمام الخميني للتعرف على برامجه ونقلها له.^(٢)

٤. عند لقاء الإمام بالشهيد الصدر في منزل آية الله الخوئي، قال الإمام: «آية الله الصدر، لم أره من قبل.» فقال السيد مصطفى الخميني: «كيف لم تره؟ لقد زاركم. يجب أن تتعرف عليه.» فقال الإمام: «لم أتعرف عليه، لكنني سمعت عنه...» وبعد ذلك أكد السيد مصطفى حضور آية الله الصدر، ومن ثم قام الإمام الخميني بالاستجابة لزيارة الشهيد الصدر وزار منزله مع رفاقه.^(٣)

٥. عندما مرض الإمام الخميني عادته الشهيد الصدر.

٦. عندما دخل السيد رضا الصدر إلى النجف وأقام في منزل الشهيد الصدر (ابن عمه وزوج شقيقته)، قام الإمام الخميني بزيارته هناك.^(٤)

٧. لقاء السيد صادق لواساني بالشهيد الصدر عندما ذهب إلى النجف لإعادة الإمام الخميني، حيث قال في حديثه مع علي أكبر برهان: «أنا من المحبين لهذه العائلة.»^(٥)

(١) المصدر نفسه،

(٢) المصدر نفسه،

(٣) المصدر نفسه، صص ٤٣ - ٤٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

٨. أم جعفر، زوجة الشهيد الصدر، كانت الرابط بين عائلة الشهيد وبيت الإمام الخميني. وكان الشهيد الصدر يزور الإمام الخميني كل شهر تقريباً، لكن الإمام الخميني، بسبب ظروفه الخاصة، كان يجيب على زيارته من خلال أبنائه، خاصة السيد أحمد، ولكنه لم يكن يزور الشهيد الصدر شخصياً.^(١) ومع ذلك، كانت زوجة الشهيد الصدر تزور زوجة الإمام الخميني، والعكس كان يحدث أيضاً، حيث كانت زوجة الإمام تزور زوجة الشهيد الصدر.

قيل أنه في أحد هذه اللقاءات، كانت زوجة الإمام الخميني تزور زوجة الشهيد الصدر في منزلها، وكان لديها ضيوف. في ذلك الوقت، تعرفت على السيدة فاطمة طباطبائي، ابنة السيدة صديقه، وبادرت إلى خطبتها للسيد أحمد الخميني.^(٢)

٩. كان الشهيد الصدر يشعر تماماً بمظلومية الإمام الخميني في إيران، وكان على علم بأن بعض طلبة العلم الإيرانيين كانوا يصفون الإمام الخميني بالشيوعي، وكان يعبر عن أسفه لهذا الأمر.^(٣)

١٠. قول الشهيد الصدر عن الإمام الخميني ردّاً على الشيخ حساني الذي قال: «خطه (الإمام الخميني) هو أقرب خطوط العالم إلى خطنا، وشخصه أحب أفراد العالم لنا».^(٤)

١١. متابعة الشهيد الصدر لأخبار المسيرات في إيران ضد محمد رضا بهلوي، وكان يعتبر قتلى هذه المظاهرات شهداء، وأصدر الفتوى التالية: «الذين يثرون في إيران دفاعاً عن الإسلام والمسلمين، ويُقتلون، هم

(١) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٢) المصدر نفسه،

(٣) المصدر نفسه،

(٤) المصدر نفسه،

شهداء، وسيحشرهم الله مع الإمام الحسين عليه السلام في الجنة.^(١)

وقد صدرت هذه الفتوى في وقت كان فيه النظام العراقي يحاول بث الشكوك واليأس في قلوب الشعب العراقي بشأن الثورة الإسلامية في إيران.

١٢. استمرار التواصل مع بعض المعارضين والثوار الإيرانيين مثل المهندس مهدي بازركان وغيرهم.^(٢)

١٣. جهود الشهيد الصدر المستمرة لدعم الثورة الإسلامية الإيرانية وقيادتها، واستخدام كل الوسائل المتاحة لدعم الإمام الخميني.^(٣)

على سبيل المثال:

(أ) أمر بعض تلاميذه مثل السيد محمود الهاشمي والسيد محمد الصدر بحضور دروس الإمام الخميني.^(٤)

(ب) أوصى بتوزيع ونشر كتيبات دروس الإمام الخميني التي تناول فيها موضوع ولاية الفقيه.

(ج) طلب من السيد حسين الصدر حضور دروس ولاية الفقيه للإمام الخميني كدعم له.

(د) تصريح السيد الخوئي بأن السيد الخميني هو أوعى المراجع.^(٥)

١٤. متابعة الأعمال التي تُنشر في إيران، وخاصة كتب السيد محمد

(١) المصدر نفسه، صص ٤٥ - ٤٤.

(٢) غلام رضا نجاتي (باهتمام)، خاطرات بازركان، شصت سال خدمت و مقاومت، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٤) المصدر نفسه،

(٥) المصدر نفسه،

حسين الطباطبائي، والشيخ مرتضى مطهري، وغيرهم، وكذلك مجلة مكتب اسلام.

كما كان الشهيد الصدر يُظهر مشاعره الإيجابية عندما كان رفاق الإمام الخميني يزورونه ويستفسرون عن حال الإمام الخميني.^(١)

استمرت العلاقة بين الإمام الخميني والشهيد الصدر واشتدت في الفترة التي شنّ النظام العراقي حملة لطرده علماء النجف من العراق، حيث كان كلاهما يقاوم هذه الخطوة بشدة. بعد ذلك، وعندما بدأ الإمام الخميني بإلقاء دروس ولاية الفقيه في النجف، أمر العلامة الصدر طلابه، وخاصة الإيرانيين منهم، بحضور تلك الدروس.

أمّا تأكيد مرجعية الإمام الخميني والتمسك بها من قبل الشهيد الصدر، فقد كان ذلك بعد عام ١٣٨٢ هـ، أي بعد سنتين من وفاة آية الله الحكيم، وكانت خطوة أخرى من خطوات الشهيد الصدر لدعم الإمام الخميني. وكان يشجع على الذوبان في مرجعية الإمام ولذلك رفض طرح مرجعيته الخاصة. كما كان الشهيد الصدر يُوصي تلاميذه وأصدقائه بدعم الإمام الخميني. ومن أشهر أقواله التاريخية في هذا السياق:

«ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام».^(٢)

عندما كان الإمام في باريس، كتب له رسالة مفصلة وأعرب عن استعداداته والشباب المسلم لخدمته وخدمة أهدافه السامية، قائلاً إنهم في خدمة

(١) المصدر نفسه، عباسعلي عميد زنجاني، خاطرات حجت الاسلام والمسلمين عميد زنجاني، صص ١٤٤ - ١٤٢.

(٢) القبانجي، اندیشه های سیاسی شهید السید محمد باقر الصدر، (مقدمه الترجمة)؛ «پروورش یافتگان مكتب سرخ حسین»، في صحيفة اطلاعات ٢٠ / ١ / ١٣٦٢، ص ١٧.

قيادته وأنهم سيبدلون كل إمكانياتهم في هذا السياق.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، استمر الشهيد الصدر في تأكيد دعمه وتأييده.

كما قال أحد تلاميذه:

«في الليلة نفسها لانتصار الثورة الإيرانية، تحدث في مسجد الجواهري في النجف الأشرف، وشكر الله سبحانه وتعالى على انتصار الثورة الإسلامية...»^(١)

كما أرسل رسالة تهنئة للإمام الخميني بمناسبة انتصار الثورة، وكذلك رسالة أخرى إلى الشعب الإيراني في هذا الصدد.

من الجدير بالذكر أنه منذ انتصار الثورة وحتى اللحظة التي تمت فيها محاصرة الشهيد الصدر في منزله، كانت العلاقة بين الإمام وآية الله الصدر قائمة. على سبيل المثال، في آخر تلغراف أرسله الإمام إلى الشهيد الصدر، طلب منه أن يبقى في العراق وألا يغادر النجف، قائلاً:

«حسب ما وصلني، لديك نية مغادرة العراق بسبب بعض الأحداث، وأنا قلق من هذا الموضوع، لا أرى أن مغادرتك للنجف الأشرف، مركز العلوم الإسلامية، أمر صائب...»^(٢)

رغم أن الشهيد الصدر كان مدرّكاً تماماً لسوء تعامل النظام معه وكان يعلم جيداً أنه سيتعرض للقتل على أيديهم في نهاية المطاف، فإنه قبل اقتراح الإمام الخميني وظل في العراق. وبعد أسبوع من ذلك، تم اعتقاله، وعندما خرجت المظاهرات

(١) السيد عبدالعزيز الحكيم، مقابلة مع صحيفة اطلاعات، ص ١٣.

(٢) صحيفه امام، ج ٧، ص ٤٢٢.

المليونية للشعب العراقي، أطلقوا سراحه، ولكن بعد ذلك أخضعوه للإقامة الجبرية في منزله وقطعوا علاقته بالعالم الخارجي بشكل كامل. استمرت هذه الوضعية حتى تسعة أشهر من احتجازه، وهي الفترة التي انتهت باعتقاله الأخير.

كتب الباحث هارير دكمجيان عن العلاقة بين الإمام الشهيد الصدر والإمام الخميني:

وفقاً للتقارير، كان باقر الصدر وآية الله الخميني على اتصال دائم مع بعضهما البعض قبل وبعد الثورة الإيرانية. وبعد عودة آية الله الخميني المنتصرة إلى طهران في الأول من فبراير ١٩٧٩، أرسل باقر الصدر إلى الإمام الخميني ست دراسات تحت عنوان «الإسلام هو دليل الحياة» ليعرضها عليه.^(١)

الشهيد الصدر والثورة الإسلامية الإيرانية (قبل الانتصار)

كما ذكرنا، كانت «الثورة الإسلامية» إحدى أعلى الأهداف والرسائل بالنسبة للشهيد الصدر، حيث كان يسعى بكل جهد لتحقيقها على الصعيدين النظري والعملي. فقد كان يسعى في الجانب النظري إلى تقديم خطوط الثورة الكبرى وطرح أفكارها، وفي الجانب العملي، كان يضطلع بأفعال ملموسة مثل تأسيس حزب الدعوة الإسلامية وغيرها. ولذلك، كانت هذه «الأيدولوجيا» طموحه الدائم الذي لم يتوان عن بذل أي جهد لتحقيقه.

لكن النقطة الأكثر أهمية في هذا السياق هي أن الشهيد الصدر كان يسعى لتحقيق الثورة الإسلامية في أي مكان من العالم، وليس فقط في إيران. بناءً على ذلك، إذا كان قد ركز جهوده في العراق، فإن ذلك كان بسبب أن الثورة الإسلامية، في البداية، كانت يجب أن تحدث في مكان محدد، وهو العراق

(١) هارير دكمجيان، المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٨.

الذي كان أقرب إليه جغرافياً، ولذلك كان من المهم بالنسبة له أن تحدث الثورة الإسلامية في العالم المعاصر، بينما كان مكان حدوثها يعتبر أمراً ثانوياً.

ولذلك، يمكن القول إن الثورة الإسلامية الإيرانية كانت بالنسبة له هدفاً مهماً تحقق في أرض إيران. بناءً على ذلك، لم يكن دعم الشهيد الصدر للإمام الخميني كقائد للثورة الإيرانية، إلا جزءاً من رؤيته الكلية للثورة التي كان يدعمها ويساندها.

فيما يلي بعض الأمثلة على نشاطات الشهيد الصدر المتعلقة بالثورة الإسلامية الإيرانية قبل انتصارها: ^(١)

١ - الشهيد الصدر في بداية حكم نظام البعث في العراق: في مقارنة بين هذا النظام ونظام إيران، كان الشهيد الصدر يشير إلى ارتباط نظام إيران بالولايات المتحدة الأمريكية.

إنّ نظام الشاه كان واضحاً في ارتباطه بأمريكا، وهذا الأمر هو الذي أسقطه في قلوب الناس. وأما نظام البعث، فهو يجمع مكر معاوية وبطش يزيد. فهم يظهرون أنفسهم بصورة الحزب الوطني المدافع عن مصالح الشعب والمعارض للأمريكان. ^(٢)

٢ - متابعة أخبار الأحداث المتعلقة بالثورة الإسلامية الإيرانية بشكل مستمر. ^(٣)

كان الشهيد الصدر يتابع أخبار ووقائع ثورة الشعب الإيراني منذ بداية العقد الرابع من القرن العشرين (وخاصة في عام ١٩٦٣ م)، وكان يدعم ويؤيد

(١) سوف نتناول في الفصل التالي تأثير أفكار وآراء الشهيد الصدر على الثورة الإسلامية في إيران.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٥.

(٣) أنظر: المصدر نفسه، صص ٤٥ - ٤٤.

جهود الإمام الخميني والشعب الإيراني في مواجهتهم لنظام الشاه. على سبيل المثال، جاء في إحدى رسائله التي كتبها في عام ١٩٦٥م إلى المفكر الإصلاحي اللبناني محمد جواد مغنية:

«... أما بالنسبة لإيران فلا يزال الوضع كما كان، والسيد الخميني مبعّد في تركيا من قبل عملاء أمريكا في إيران، وقد استطاع السيد الخميني في هذه المرة أن يقطع لسان الشاه الذي يتهم المعارضة باستمرار بالرجعية والتأخر، لأن خوض معركة ضد إعطاء امتيازات جديدة للأمريكان المستعمرين لا يمكن لإنسان في العالم أن يصف ذلك بالتأخر. كتب اقتصادنا صادر الاتفاق على إرسالها عن طريق مكتبة أمير المؤمنين العامة في أول شحن تقوم به، وسوف أكتب لكم عن ذلك لاحقاً إذا تحقق. وفي الختام، تقبلوا إخلاصاً لا تحده إلا أبعاد وجودي، ودمتم ملاذاً وسنداً لمخلصكم. محمد باقر الصدر.»^(١)

هذه الرسالة تتضمن عدة قضايا أساسية بالنسبة لإيران:

١. إمام الشهيد الصدر بالأحداث والأخبار المتعلقة بحركة الشعب الإيراني، حيث تدل عبارة «في هذه المرة» في النص على هذه الحقيقة.
٢. القلق والحزن الذي شعر به الشهيد الصدر من نفي الإمام الخميني إلى تركيا.

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، صص ١٨ - ١٧ يقول المؤلف عن هذه الرسالة: اسم المخاطب غير مذكور في المصادر جميعها، بل الموجود في (الشاهد الشهيد: ٥٣) و صحيفة (جمهوري اسلامي) الفارسية ١١١٧، ٢١ فروردين/ ١٣٦٢: أنه أحد إخوانه العلماء، وفي مجلّة (الحوار السياسي) أنه أحد العلماء في إيران، وفي آخر أنه أحد تلامذته الشهيد الصدر رائد الثورة الإسلامية في العراق: ٨١؛ صحيفة (الجهاد)، العدد (٣١)، إلا أنّ السيّد حامد الحسيني - الذي عمل لسنتين على جمع الأرشيف المتعلّق بالسيّد الصدر - أخبرني بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠٠٤م أنّ المخاطب هو الشيخ محمد جواد مغنية.

٣. رفض هيمنة أمريكا على إيران.
٤. رفض تصرفات الشاه في مواجهة الثوار والمجاهدين الإيرانيين.
٥. التأكيد على انتصار الإمام الخميني في ساحة النضال ضد الشاه، الذي أدى في النهاية إلى نفيه.
٦. تحليل دقيق لكفاح الإمام الخميني والثوار الإيرانيين في مواجهة النظام وعلاقاته مع أمريكا.
٧. رفض وجهة نظر الشاه في وصف الحركة الشعبية الإيرانية بالرجعية والتأخر.
٨. أمل الشهيد الصدر في ثورة الإمام الخميني ومقاومته، التي أدت إلى نفيه وأثارت قلقه بهذا الصدد. كما أن عبارة «فلا يزال الوضع كما كان» قد تكون إشارة إلى استمرار النضال حتى النفي، وربما دلالة على أن المقاومة ستستمر حتى بعد نفي الإمام.
- كتب أبو زيد العاملي عن بعض الأنشطة الأخرى التي قام بها الشهيد الصدر في تلك الفترة:
- وعندما تشكلت لجنة من حوالى ثلاثين عالماً لدعم القضية الإيرانية، شارك السيد الصدر. فى هذه اللجنة مع خال الشيخ مرتضى آل ياسين، وكان من بين اللجنة: الشيخ محمد رضا المظفر، السيد أسد الله المدنى، السيد نصر الله المستنبت والسيد على السيستاني - المرجع المعاصر - وغيرهم، وكانوا يزورون المراجع من أجل دعم الثورة الإسلامية فى إيران.^(١)
- هذا الحدث يُظهر مشاركة الشهيد الصدر في جمعية العلماء لدعم

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨.

ومساندة نهضة الشعب الإيراني. كان الشهيد الصدر حتى يوافق على أفعال أولئك الذين كانوا يدعمون ويؤيدون ثورة الشعب الإيراني في تحركاتهم.

وبالتالي، كان يتابع طوال فترة الثورة والنضال كافة القضايا والأخبار المتعلقة بنضال الشعب الإيراني. من الوثائق الأخرى التي تدل على هذه المتابعة، الرسالة التي كتبها بعد وصول الإمام الخميني إلى باريس. جاء في هذه الرسالة:

«نحن في النجف الأشرف، نفكر في هذه الأمة ونشترك معها في حزنها وأملها، ونعلم يقيناً أن تاريخ هذه الأمة العظيمة قد أثبت أنها، من أجل قضية تؤمن بها، ولتحقيق هدفها وكرامتها، تستطيع أن تكون جريئة وشجاعة، قادرة على التضحية والثبات... من قضية التبغ (التباك)، التي استطاعت من خلالها أن تكسر سلطات حكامها وأتباعهم الذين فرضوا وجودهم على هذه الأمة، إلى قضايا الدستور (المشروطة) التي وقف فيها الأحرار والشجعان بوجه الاستبداد والدكتاتورية بشجاعة، ووضعوا أرواحهم على أكفهم... هكذا نرى أن النضال الشريف الذي تخوضه الأمة المسلمة الإيرانية في طريقها الثوري، أصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى - خصوصاً بعد وصوله إلى مرحلة حساسة وكسبه دعم الأمة بأسرها - يدعوها لكي تنظر بعين واحدة إلى احتياجاتها الحالية، وعين أخرى إلى احتياجاتها المستقبلية، وأن ترسم، بناءً على ذلك، خطاً واضحاً ومحددة بالنسبة لإيديولوجية رسالتها الإسلامية السامية...»^(١)

هذه الرسالة وغيرها من الرسائل المتعددة للشهيد الصدر تشير من جهة إلى ارتباطه العاطفي العميق بالشعب الإيراني، ومن جهة أخرى إلى وعيه العميق بتاريخ إيران واهتمامه المستمر بمسائلها وأخبارها.

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، صص ١٣ - ١٠.

٣ - الدعم المستمر للثورة الإسلامية الإيرانية وتأكيده عليها وتأكيده على قيادتها.^(١)

منذ بداية الثورة ونهضة الشعب الإيراني بقيادة الإمام الخميني، قام الشهيد الصدر مرارًا وتكرارًا بالعديد من الإجراءات لدعم الثورة والدفاع عنها. من هذه الإجراءات هي عندما سمع أن حكومة العراق قد ضيقت الخناق على الإمام الخميني وكانت بصدد طرده من العراق، قرر زيارة الإمام والتضامن معه، قائلاً:

«الذهاب إلى منزل الإمام في هذه الظروف ضرورة دينية، لأن هذا الفعل يعني تأكيداً ومساندة للإمام في هذه الظروف الصعبة.»^(٢)

كما عبر الشهيد الصدر عن دعمه الكامل والنهائي للإمام الخميني على النحو التالي:

«ويجب أن يكون واضحاً أيضاً مرجعية السيد الخميني التي جددت آمال الإسلام في إيران اليوم، لا بد من الاتفاق حولها والإخلاص لها والذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم.»^(٣)

٤ - عندما كان الشهيد الصدر في لبنان احتجاجاً على تصرفات نظام البعث، كان البعض يقترح أنه يمكنه الاستفادة من الخلاف بين نظام الشاه في إيران ونظام البعث في العراق لمواجهة نظام العراق، وأن يرسل شخصاً للعمل ضد النظام العراقي عبر إذاعة الأهواز، فكان يرد قاطعاً وبشكل حاسم: «لا نستعين بالكفر على الكفر.»^(٤)

(١) المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٨٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣٧؛ جريدة العهد، العهد الثقافي، به تاريخ ١٨ رمضان ١٤١٠ هـ.

٥ - كما ذكرنا سابقاً، عندما بدأ الإمام الخميني في ١٤ ذو القعدة ١٣٨٩ هـ درسه حول ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية، رحب الشهيد الصدر بذلك. وعندما أشار الشيخ آل إسحاق إلى أن ما ذكره الإمام الخميني كان فقط حول ولاية الفقيه في كتاب «المكاسب»، أجاب الشهيد الصدر قائلاً: «... أنا أرى أن الإسلام سوف يهيمن قريباً على هذه الأوضاع».

وعندما أصر الشيخ إسحاق على أن ما سمعه من الإمام الخميني كان يتعلق فقط ببحث ولاية الفقيه في كتاب «المكاسب»، رد عليه الشهيد الصدر قائلاً: «لا، ليس الأمر كذلك، بل الإمام الخميني كشف عن شيء آخر». وأضاف قائلاً:

«عندما سمعت هذا الخبر، ذهبت إلى مقام الإمام علي عليه السلام ودمعت عينايا من شدة الفرح، ثم ذهبت إلى منزل السيد الخوئي وأخبرته: إن السيد الخميني هو أوعى المراجع، فلم يتعجب من كلامي».^(١)

٦ - في وقت كان بعض أفراد جهاز المخابرات الإيراني (الساواك) يحاولون اتهام الإمام الخميني في حوزة النجف العلمية، ويستعينون ببعض الطلبة الإيرانيين لتحقيق ذلك بهدف التقليل من أهمية مسألة الحكومة الإسلامية، قام الشهيد الصدر بشكل عملي بالإعلان قائلاً: «هو أول فقيه يتحدث بشكل مفصل حول الحكومة الإسلامية».^(٢)

وطلب من طلابه مثل السيد محمود الهاشمي والسيد محمد الصدر والسيد حسين الصدر أن يشاركوا في دروس الإمام الخميني. ويقال إن السيد محمد الصدر قام بتقرير دروس الإمام الخميني باللغة العربية.

(١) العاملي، المصدر نفسه، صص ٢٦٤ - ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

وفي أحد دروسه، قال الشهيد الصدر في هذا الصدد:

«أنا اليوم سعيد لأنني أواجه مرجعاً رسمياً له مرجعية فعلية وهو من كبار مراجع الإسلام، الذي يطرح فكر الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه بشكل صريح وعميق ومدرّس»^(١).

كما ذكر أنه بناءً على أوامر الشهيد الصدر، كان السيد محمود الهاشمي يطرح مباحث الإمام الخميني في جلسات دروس الشهيد الصدر، وكان الأخير يدرسها ويناقشها. ثم كان الهاشمي يعيد طرح هذه الموضوعات في درس الإمام الخميني، فيفرح بذلك. ولكن للأسف، كان بعض المحيطين بالإمام يعتقدون أن هدف هذه الإجراءات كان تدمير درس الإمام الخميني أو المنافسة بين المرجعين.^(٢)

٧ - قال بعض الناس أنّ تأثير درس ولاية الفقيه والحكومة الإسلامية للإمام الخميني في النجف على الشهيد الصدر كان شديداً لدرجة أنه تراجع عن نظرية الحكومة الشورائية واعتنق نظرية ولاية الفقيه في الحكومة الإسلامية.

ومع ذلك، كما ذكرنا في مكان آخر،^(٣) فإن هذا الرأي لا يبدو صحيحاً، لأنه من خلال دراسة آثار وأفكار الشهيد الصدر يمكننا أن نلاحظ أن خطه الفكري حول شكل الحكومة في زمن الغيبة كان ثابتاً تقريباً طوال حياته. فقد ذكر في كتابه «الأسس الإسلامية» الذي طرح فيه فكرة الحكومة الشورائية، أن ولاية الفقيه في القضاء وولاية الفقيه في التبليغ وحفظ الإسلام هي من

(١) المصدر نفسه، ص ٢٦٥.

(٢) المصدر نفسه،

(٣) أنظر: المصدر نفسه، صص ٢٦٩ - ٢٦٦، لمزيد من الاطلاع عن رأي المؤلف أنظر: محمد حسين جمشیدی، اندیشه سیاسی شهید رابع، امام السيد محمد باقر الصدر، صص ٢٨٧ - ٢٨٦.

صلاحيات المرجع - بشكل عام - . من ناحية أخرى، في نقاشاته الفقهية، كان يتحدث عن صلاحيات المرجع بشكل عام وشامل، وليس عن نوع وشكل الحكومة وحدود صلاحياتها الحكومية.

أيضاً، في كتابه «الإسلام يقود الحياة»، الذي يطرح فيه بوضوح شكل الحكومة التي يقترحها، يعرض فكرة تركيبيّة (حكومة شورائية للأمة ﷺ إشراف ومراقبة قانونية من قبل المرجع العام). بناءً على ذلك، فإن نظريته لم تتغير بشكل كبير كما ظن البعض، وأولئك الذين قالوا بذلك أخطأوا في فهم فكره.

بعد فترة، وصل الشهيد الصدر إلى وثيقة توقيع الإمام المهدي ﷺ (و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله...) واستخدمه كدليل لإثبات ولاية الفقيه...^(١)

لكن هذا الرأي لا يبدو صحيحاً تماماً. لأن الصدر، من جهة، في حكومته المركبة (الجمهورية الإسلامية)، يستند إلى هذا التوقيع الشريف لإثبات الرقابة وولاية المرجع. بالإضافة إلى ذلك، يعتبر مثل هذه الرقابة والولاية من مصادر التشريع، بجانب ثلاثة مبادئ أخرى (الحاكمية المطلقة لله، الخلافة العامة للأمة بناءً على الشورى، ونظرية أهل الحل والعقد). وهو يعتبر ولاية المرجع ونيابة الإمام المهدي ﷺ على أنها تعني الإشراف على تطبيق الأحكام الإسلامية ومراقبة تنفيذ الشريعة.^(٢)

من جهة أخرى، من خلال نظرياته الأساسية حول الخلافة العامة للإنسان وشهادة الشهود، يمكن استنتاج أن الشهيد الصدر كان ينظر إلى

(١) السيد محمد باقر الحكيم، النظرية السياسية عند الشهيد الصدر، ص ٩.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، صص ٣٣ - ٣٢؛ الإسلام يقود الحياة، ص ١٦.

الحكومة الشعبية مع إشراف المرجع المنتخب من قبل الناس في زمن الغيبة. خصوصاً أنه يشير بشكل صريح في عدة أماكن إلى اختيار المرجع من قبل الأمة.

٨ - تحرك الشهيد الصدر لمواجهة قرار إخراج الإيرانيين من العراق، الذي اتخذته حكومة البعث في هذا البلد، قبل عدة سنوات من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٠ م. وأعلن عن أسفه الشديد لذلك في درسه،^(١) وسعى إلى جذب انتباه العلماء والقيادات لاتخاذ موقف حازم بشأن ذلك. وعلى إثر هذا الجهد، أرسلت الحوزة العلمية في النجف برقية إلى أحمد حسن البكر. بالإضافة إلى ذلك، عطلّ الشهيد الصدر دروسه بالتزامن مع الإمام الخميني. وقام بزيارة الإمام الخميني عدة مرات في هذا الصدد، ثم عقد جلسة مع طلابه لمناقشة كيفية متابعة هذه القضية.

٩ - رفض الشهيد الصدر إعلان مرجعيته في إيران.

في عام ١٣٩٥ هـ، بعث الشهيد الصدر رسالة إلى السيد علي رضا الحائري، الذي كان من بين العديدين الذين طالبوا بإعلان مرجعيته في إيران، أكد فيها رفضه لهذا الموضوع.^(٢) قد يكون السبب في هذا هو التركيز على مرجعية الإمام الخميني ودوره في قيادة الثورة، وهو ما كان الشهيد الصدر قد أشار إليه سابقاً. وكان هذا في وقت لاحق، حيث تم ترجمة الجزء الأول من رسالته الفقهية «الفتاوى الواضحة» إلى الفارسية بواسطة الشيخ عباس أخلاقي، وتم نشره قبل أن يُنشر باللغة العربية، مما يشير إلى وجود علاقة واسعة بين الشهيد الصدر والثوار الإيرانيين.

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٢) أنظر: المصدر نفسه، ج ٣، صص ١١٧ - ١١٥.

١٠ - دعم الشهيد الصدر للدكتور علي شريعتي^(١) وحضوره أمام المستشفى في النجف الأشرف لعيادة مصطفى الخميني،^(٢) وبعدها مشاركته في تشييع جنازته، حيث ذكر أنه في البداية، تجمع الحاضرون في مسجد البهبهاني في النجف،^(٣) ثم قام الشهيد الصدر بتعطيل درسه وإقامة مجلس عزاء مستقل للسيد مصطفى الخميني. بالإضافة إلى ذلك، كان له حضور مستمر في مجلس العزاء الذي أقامه الإمام الخميني في هذا الصدد.^(٤)

١١ - عندما ضغط النظام العراقي على الإمام الخميني لكي يتوقف عن نشاطه ضد إيران أو يغادر العراق، أعلن الشهيد الصدر دعمه للإمام وقام بزيارته ليتفقد حالته. حتى قبل أن يقرر الإمام مغادرة النجف إلى البصرة، أسرع إلى لقائه وقال:

«إن الذهاب إلى منزل الإمام في هذه الظروف ضرورة دينية لأنه تأييد ومساعدة للإمام في هذا الظرف الصعب.»^(٥)

على الرغم من أنه لم يتمكن من زيارة الإمام في هذه الحادثة، فإنه ذهب إلى بيته وأعلن عن دعمه الكامل له ولإيران. ثم وصف مغادرة الإمام من النجف وحوزة النجف العلمية بأنها خسارة كبيرة وقال:

«إن رحيل السيد الخميني من النجف خسارة كبيرة...»^(٦)

(١) أنظر: همان صص ٣٧١ - ٣٥٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

(٣) المصدر نفسه،

(٤) الصدر، نخبة من الباحثين، دراسات في حياته وفكره، ص ٢٦٤؛ العاملي، المصدر نفسه، ج

٣، ص ٤٠٦.

(٥) العاملي، المصدر نفسه، ص ٤٨٥.

(٦) المصدر نفسه، النعماني، شهيد الامة وشاهدها، ج ٢، ص ١٢٤.

١٢ - بعد ذلك، كثيراً ما أكد الشهيد الصدر على تأييده لحركة الإمام الخميني والثورة الإسلامية في إيران، وحتى عندما كانت تصل إليه بعض الأخبار الكاذبة حول انتشار الأفكار الماركسية في إيران، كان يعارضها.

على سبيل المثال، قال في إحدى جلساته: «إنهم لم يفهموا الواقع».^(١)

١٣ - في هذه الفترة، تناول الشهيد الصدر موضوع نوع الحكومة التي كان الإمام الخميني وأنصاره يخططون لتأسيسها في إيران، والأدوات والوسائل اللازمة للسيطرة على المدن التي كانت تحت حكم نظام الشاه، وكيفية توافق ذلك مع الإسلام.^(٢)

١٤ - في وقت لاحق، أرسل الشهيد الصدر رسالة إلى الشعب الإيراني في الوقت الذي كان الإمام الخميني في باريس - في منتصف شهر محرم - حيث كتب رسالة مفتوحة إلى الشعب الإيراني دعاه فيها إلى الالتفات حول الإمام الخميني واتباعه وعدم الانفصال عنه.^(٣)

١٥ - بعد ذلك، في تأكيده على دعم الحركة الثورية ضد من كان يعلن آراء أخرى، أعلن الشهيد الصدر أنه كان على اتصال بالثوار الإيرانيين وأن قادة الثورة كانوا يزورونه، وأوضح قائلاً:

«من واجب المرجعية في النجف الأشرف أن تتخذ موقفاً مناسباً ومرغوباً تجاه الثورة الإسلامية الإيرانية... ما هو هدف المراجع على مر التاريخ؟ أليس هو إقامة الخلافة ونيابة الله عز وجل على الأرض؟ إنها مرجعية الإمام الخميني التي حققت هذا الأمر. فهل من المنطقي أن نتخذ موقفاً آخر

(١) العاملی، عمان، ج ٤، ص ٨.

(٢) الحيدري، نقلاً عن الامام محمد باقر الصدر معاشه من قريب، ص ٣٠.

(٣) العاملی، المصدر نفسه، ج ٤، صص ٩ - ٨.

هنا؟ يجب علينا اتخاذ الموقف الصحيح، حتى وإن فقدت حياتي وكل ما لدي من أجل هذا الطريق.^(١)

١٦ - رسالة الشهيد الصدر إلى الإمام الخميني في باريس.^(٢) من المواقف المهمة والمصيرية للشهيد الصدر قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، هي إرسال رسالته التاريخية والمصيرية إلى الإمام في باريس. في هذه الرسالة، أثنى الشهيد الصدر على جهود وتضحيات الشعب الإيراني واتباعهم للقيادة والمرجعية التي يمثلها الإمام الخميني.

١٧ - أكبر عمل قام به الشهيد الصدر لدعم الثورة الإسلامية علمياً وفكرياً قبيل انتصارها كان تأليفه مجموعة الكتب القيمة «الإسلام يقود الحياة» التي رسمت الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية للنظام السياسي في الإسلام. الجزء الأول من هذه المجموعة هو «لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران»، التي قُدِّمت كمسودة للدستور الإيراني. كان رأي الشهيد الصدر في تلك الفترة أنه في ظل ظروف الثورة في إيران، كان قادة الثورة يواجهون العديد من التحديات مثل تحديد وتنظيم القوى الأمنية، وتأمين الطرق والمدن، وتثبيت أركان الثورة... لذا كانت الحاجة ماسة إلى التعاون الفكري والنظري معهم. لذلك كان من الواجب علينا أن نتعاون معهم، ولو كانت هذه المساعدة بسيطة.^(٣)

(١) المصدر نفسه، ص ١٠؛ النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٤٨؛ شهيد الامة وشاهدها، ج ٢، ص ١٢٢.

(٢) أنظر: العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، صص ١٣ - ١٠؛ الحائري، مباحث الاصول، ج ١، صص ١٤٥ - ١٤٢؛ شهيد الامة وشاهدها، ج ٢، صص ١٢٩ - ١٢٥ و....

(٣) العاملي، المصدر نفسه، ص ٢٣؛ شهيد الامة وشاهدها، ج ٢، ص ١٣٧.

الشهيد الصدر والثورة الإسلامية الإيرانية (بعد انتصارها)

يجب أن نعلم أن الشهيد آية الله الصدر لم يكن قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران فقط يولي اهتماماً خاصاً بالثورة والشعب الإيراني، بل بعد انتصارها أيضاً كان يكرر دعمه الكامل والمطلق للثورة الإسلامية ولشعب إيران، وفي الحقيقة كان أحد العوامل التي أدت إلى استشهاده هو هذا الموقف. إن سلوك الشهيد الصدر تجاه الثورة الإسلامية في إيران يذكرنا بسلوك هيجل تجاه الثورة الفرنسية. وقد وصف أحد تلاميذه حالة الشهيد الصدر الروحية بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران قائلاً:

... عند سماعه خبر انتصار الثورة الإسلامية في إيران، شعر الشهيد الصدر بحالة من النشوة وكان روحه يطير نحو إيران. كانت نار الحماس تتألق في عينيه وكأنه قد وصل إلى أعلى آماله.^(١)

ويقول أحد أتباعه ومريديه، الشيخ محمد مهدي الآصفى:

إن حكم الإسلام الذي كان أحد الأهداف الكبرى للمرحوم الصدر وكان يركز عليه كثيراً... قد تحقق لأول مرة في التاريخ بشكل عملي... وقد اندمج المرحوم الصدر بشكل استثنائي مع قيادة الإمام الخميني، ومنذ بداية الحركة الإسلامية الإيرانية التي كان الإمام يوجهها مباشرة، كان يوقف تقريباً جزءاً كبيراً من وقته وعمله وبرامجه ودروسه ويكرسها لخدمة الثورة الإسلامية.^(٢)

ويقول تلميذ آخر من تلاميذه:

في الليلة التي تلت انتصار الثورة الإيرانية، تحدث في مسجد الجواهري

(١) مقابلة المؤلف مع السيد علي الحائري و الشيخ محمد رضا النعماني من تلامذة الشهيد الصدر.

(٢) محمد مهدي الآصفى، مقابلة مع صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٦١، ص ١٢.

في النجف الأشرف وشكر الله تعالى على انتصار الثورة الإسلامية...^(١)

في بداية تشكيل النظام الثوري في إيران، بعث الشهيد الصدر السيد محمد باقر مهري كمبعوث له إلى إيران، وأرسل عبره رسالة تهنئة إلى الإمام الخميني بانتصار الثورة، بالإضافة إلى رسالة أخرى للشعب الإيراني.

وكانت رسالة الشهيد الصدر إلى الإمام الخميني مكتوبة باللغة الفارسية بخط أحد تلاميذه البارزين، السيد محمد الهاشمي الشاهرودي.

فيما يلي نص الرسالة:

بسمه تعالى

حضرة آية الله العظمى الإمام المجاهد الخميني دام ظله

أكتب هذه الرسالة إلى سماحتكم في إحدى أكثر لحظات تاريخ الإسلام حساسية، لأعبر عن ثقتي واعتزازي بالامحدودين بالإنجازات المبهرة التي حققها الشعب المسلم الإيراني.

إن الانتصارات المتتالية والمميزة التي تحققت تحت قيادتكم الحكيمة، قدمت للبشرية البرنامج الإسلامي المنقذ الذي حل محل الأيديولوجيات المتقابلة للشرق والغرب. إنها انتصارات عظيمة تحققت بفضل الجهد العظيم للشعب المسلم الإيراني وبقيادتكم الحكيمة، وقد نجحت في تطهير هذه الأرض الإسلامية من شبح الطاغوت وأعادت الشرف والكرامة للشعب المسلم الإيراني الذي كان قد تعرض للإهانة.

إن هذا الانتصار التاريخي الكبير الذي تحقق بجهود وعزيمة رجال

(١) السيد عبدالعزيز الحكيم، مقابلة مع صحيفة اطلاعات، الخميس ١٩ / ١ / ١٣٦١، في ذكرى الشهيد الصدر، ص ١٣.

الدين المستنيرين والمجاهدين، وتحت قيادتكم الحكيمة، كانت نتيجة للوحدة الفكرية والروحية والعملية لكافة قوى المجتمع الديني، وهو أمر نادر الحدوث في تاريخ الجهاد الروحي لشيعه أهل البيت. وقد كانت هذه الوحدة والتكامل بين جميع القوى الدينية من أبرز عوامل ضمان هذا الانتصار العظيم.

وفي هذه اللحظات، التي ننتظر فيها بشغف وأمل كبير المرحلة التالية من انتصارات هذه النهضة الإسلامية العظيمة، نضع جميع وجودنا ومواردنا في خدمة شخصكم الكريم وفي خدمة هذه النهضة المقدسة.

وندعو الله تعالى أن يزيد من عزيمتكم وكرامتكم، وأن يحقق حلمنا الكبير في ظل مرجعيتكم وقيادتكم المباركة، إن شاء الله تعالى.

النجف الأشرف

محمد باقر الصدر^(١)

الشهيد الصدر والثورة الإسلامية في إيران

كان العلامة الصدر يعتقد أن الثورة الإسلامية في إيران تمثل مشروعاً جديداً في مجال الحكومة والنظام السياسي، بديلاً عن الليبرالية والاشتراكية، وأنها تفتح أمام العالم طريقاً ثالثاً وتُجسد العدالة الإلهية بشكل حي. ولذلك، سعى إلى وضع أسس نظرية وفلسفية لهذا المشروع. ومن بين محاولاته، كانت رسائل وأطروحات عديدة، مثل كتابه «الإسلام يقود الحياة» و«التفسير الموضوعي» الذي يعتبر من الجهود التي قام بها لتأسيس قاعدة فلسفية وفقهية لهذا المشروع الثوري. كما كانت علاقته بالإمام الخميني امتداداً لهذه الفكرة،

(١) العاملي، المصدر نفسه، ج ٢، صص ٢٤ - ٢٣؛ كذلك الملاحق، الملحق رقم ١٤، رسالة تهنئة للشهيد الصدر إلى الإمام الخميني.

حيث كان يدعم ويؤيد الثورة الإسلامية الإيرانية.

وكان الشهيد الصدر يُولي اهتماماً خاصاً للشعب الإيراني، وكان يعبر عن دعمه وتقديره له في مختلف المناسبات. على سبيل المثال، في كتابه «صورة عن اقتصاد المجتمع الإسلامي»، كتب قائلاً:

«أما بعد... فإنني أشعر بالفخر والعزة الشديدة، ويملأني هذا الشعور بكل كياني، عندما أتحدث إلى هذه الأمة العظيمة، الأمة الإسلامية في إيران، الأمة التي كتبت تاريخ الإسلام من جديد بجهادها ودمائها وبطولاتها التي لا مثيل لها، والتي تمثل تجسيدا حياً لمرحلة الإسلام الأولى بكل ما فيها من إشراقات وسمات الشجاعة والإيمان التي كانت تميز تلك الأيام»^(١)

وقد خطب بمناسبة انتصار الثورة الإسلامية في إيران قائلاً:

«اليوم انتصر موسى على فرعون وتحققت كافة أحلام الأنبياء، اليوم أسقط آية الله الخميني حكومة الشاه». وأضاف أيضاً:

«... بلا شك السيد الإمام الخميني الكبير من خلال إقامة أنقى حكومة في التاريخ، حقق آمال الأنبياء وخلفائهم وأئمتهم، وأكمل جهود هؤلاء العظماء، وأنا أطلب منكم أن تؤكدوا مرجعيته وتركزوا على مرجعيته وقيادته. إذن الفعل الحقيقي هو ما قام به الإمام، والهدف من المرجعية هو إقامة الحكومة الإسلامية على الأرض، وهذا الهدف تحقق على يد السيد الإمام الخميني، ولذلك أطلب منكم ألا تطرخوا مرجعيتي في إيران... لأن هذا هو مسلكي ورأيي... فنحن في حركتنا لا نريد سوى تحقيق الإسلام وأحكامه ومصادره،

(١) السيد محمد باقر الصدر، نهادهای اقتصادی اسلام، ترجمة: غلام رضا بیات و فخرالدین شوشتری، صص ٢٦ - ٢٢.

وقد حقق الإمام الخميني هذا الأمر، ومن ثم يجب علينا أن نلتفت إلى مرجعيته وقيادته ودعوته.^(١)

«ومن ثم، حتى نهاية عمره الشريف، أعلن مرارًا دعمه الكامل للثورة الإسلامية والشعب الإيراني والإمام الخميني. نعم، الشهيد الصدر حتى نهاية عمره كان دائمًا يفكر في تأييد الثورة الإسلامية الإيرانية وضرورة استمرارها، كما كان يقود الثورة الإسلامية في العراق، وكان يسعى لتوثيق الروابط الروحية بين الشعبين لتوفير الأرضية لتحقيق حكم الإسلام الحق في جميع أنحاء العالم.

إن تضامن هذا العالم الجليل مع الثورة الإسلامية الإيرانية كان في الواقع بمثابة إبطال للسحر الذي تمثله «الليبرالية»، و«الاشتراكية»، والأهم من ذلك «القومية العربية»، التي كان الحزب البعث المدافع الرئيسي عنها في العالم المعاصر. وقد كان يعلم، بناءً على أسس متينة وصلبة، كيف يرفض الأفكار البعثية الثلاثة التي تمزج بين «الليبرالية»، و«القومية العربية»، و«الاشتراكية الروسية»، من خلال إطفاء نار هذه الأفكار بالأفكار الإسلامية الجديدة والمبدعة.

دعم الشهيد الصدر للثورة الإسلامية الإيرانية، وبالتالي لقيادتها، الإمام الخميني، كان قائمًا على مبدئين رئيسيين في الفكر الذي تبناه الشهيد الصدر.

١. إسلامية الفكر وضرورة إحياء الإسلام كمنهج وحيد قادر على إنقاذ العالم في مواجهة الاشتراكية، الليبرالية، والإيديولوجيات التابعة لليبرالية الغربية، وكذلك القومية ...

٢. رؤية العالم وأن المشكلة الأساسية بالنسبة للشهيد الصدر لم تكن مشكلة العراق أو حتى الإسلام، بل كانت مشكلة العالم أجمع.

إن دور الشهيد الصدر البارز كقائد فكري وروحي وملهم للشريعة في

(١) المصدر نفسه، الحيدري، الامام محمد باقر الصدر، معايشة من قريب، ص ١٣٧.

العراق، وكذلك للشيعة في إيران إلى حد ما - وخاصة بتأثير أعماله على الشعب الإيراني قبل الثورة وفي أثناءها - لا شك فيه. كانت كتاباته الخالدة، نقاء نفسه، تهذيبه، وشجاعته قد حولته إلى مصدر إلهام ونموذج نقي للمشاركة الفعالة للشيعة في العالم. ولهذا السبب، يُشار أحياناً إليه كـ «أحد الآباء الفكرين للدستور الإيراني الإسلامي».

وكما أن الشهيد الصدر لم يعتمد القومية العربية والفارسية كمبدأ رئيسي في تفكيره، فإن الإيرانيين أيضاً لم يعتبرونه منفصلاً عنهم وعن تفكيرهم. كانت أعماله، سواء قبل الثورة أو بعدها، قد قرأها بدقة وأخذها العديد من القوى الثورية، وكان تأثير رسائله كبيراً في تقدم الثورة. فتواه في فترة الثورة كانت تُستخدم كأداة حاسمة في النضال ضد نظام الشاه، وكذلك ضد هيمنة الولايات المتحدة. كما عبّر أحد الباحثين عن ذلك قائلاً:

«لقد رَوَّج باقر الصدر بوضوح لنظرية شاملة للثورة الاجتماعية والسياسية الخاصة بإقامة مجتمع إسلامي، والتي تجسدت في حكومة آية الله الخميني. ومن حيث القوة والسلطة، كان آية الله الصدر بالنسبة للشيعة يوازي في تأثيره قوة الشيخ مرتضى (١٥٤٣م)، الشيخ أبو جعفر الطوسي (١٠٦٨م)، والعلامة الحلي (١٣٢٥م). وليس من قبيل الصدفة أن وسائل الإعلام العربية في إيران كانت تُشير إلى الصدر بـ «خميني العراق»، وأن إعدامه قد وُشِّح إيران بالسواد وجعلها في «مأتم وطني».^(١)

جاء في رسالة الإمام الخميني بمناسبة استشهاد الإمام الشهيد الصدر:

«وأتمنى أن يتحد الشعب العراقي ليتخلص من هذه طغمة العار^(٢) التي

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ٢٠١.

(٢) حزب البعث والنظام البعثي العراقي.

تشوه بلدهم. وأرجو من الله تعالى أن يطوي صفحة ظلم هؤلاء المجرمين. أعلن الحداد العام لمدة ثلاثة أيام ابتداءً من يوم الأربعاء الثالث من شهر أيار، تكريمًا لهذه الشخصية العلمية والجهادية التي كانت من مفاخر الحوزات العلمية ومن المراجع الدينية والمفكرين الإسلاميين. وأسأل الله تعالى أن يعوض هذا المصاب الكبير ويجعل عظمة الإسلام والمسلمين.»^(١)

الشهيد الصدر والشعب الإيراني

كانت للشعب الإيراني مكانة عظيمة ورفيعة في أعمال الصدر وفكره وسيرته. فقد ذكر مرارًا شجاعة هذا الشعب، وجهوده، وإجراءاته الثورية، وأثنى عليه وكرّمه. وفي هذا السياق، نذكر بعضًا من آرائه وأفكاره وتصريحاته بشأن الشعب الإيراني:

فتاواه التاريخية بشأن شهداء الثورة الإسلامية الإيرانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الذين انبروا في إيران للدفاع عن الإسلام والمسلمين واستشهدوا، هم شهداء، وسوف يحشرهم الله مع الإمام حسين عليه السلام في الجنة، إن شاء الله تعالى.

السيد محمد باقر الصدر^(٢)

إحياء ذكرى استشهاد مرتضى مطهري ودعمه له، ورفض القومية العربية لزعماء النظام وحزب البعث العراقي، تهنئة الشعب الإيراني بنجاح الثورة الإسلامية:

(١) صحيفه امام، ج ١٢، ص ٢٥٤.

(٢) الهه كولايى وآخرون، المصدر نفسه، ص ١٧.

أعلن أن قلبه وعقله مع الشعب الإيراني:

في رسالته إلى الإيرانيين، قال:

«نحن في النجف، لكن قلوبنا مع الشعب الإيراني، ونحن نعتبر أنفسنا مشاركين في آلامهم وطموحاتهم»^(١)

كان يعتبر الإيرانيين أمة حرة وشجاعة، مؤمناً بأن تاريخ هذه الأمة العظيمة قد أثبت أنها في الماضي والحاضر أمة حرة وشجاعة، وأنها قادرة على التضحية والمثابرة من أجل أهدافها السامية التي تؤمن بها، ولتحقيق هدفها وكرامتها.^(٢)

الشعب الإيراني والانتفاضات الكبرى

إذا نظرنا إلى مسار النضال لهذه الأمة عبر العصور، سنجد أنها خاضت العديد من التحديات الشجاعة لتحقيق كرامتها وتحقيق أهدافها السامية. بدءاً من قضية التبغ (التبناك) التي تمكنت فيها هذه الأمة العظيمة من كسر حلقة الحكم الاستعماريين الذين كانوا يحاولون إخضاع وجودها، وصولاً إلى أحداث الثورة الدستورية (المشروطة)، حيث ناضل أبناء هذه الأمة الأحرار والشرفاء ضد جميع أشكال الظلم والاستبداد. كما لا يزال الشعب الإيراني يواصل نضاله البطولي في العصر الحالي، مُظهرًا العديد من التضحيات التي قدمها، وما زال يظهرها. إن هذا الشعب، الذي يتزايد إيمانه وثباته يوماً بعد يوم، تزداد عزيمته وروحه الثورية المستمرة في صراعه.^(٣)

(١) العامل، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٠؛ النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٥١؛ ساهاي رنج، ص ٢٢٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١؛ المصدر نفسه، المصدر نفسه،

(٣) المصدر نفسه، ص ١١؛ المصدر نفسه، المصدر نفسه،

هوية الإيرانيين الإسلامية

لقد عرضت الأمة المسلمة في إيران هويتها الإسلامية بوضوح أكبر من أي أمة أخرى، من خلال جميع التحديات الشريفة التي واجهتها. فقد أظهرت إيران من خلال نضالها المستمر والعظيم، هويتها الإسلامية في أبهى صورها، وعبرت عن استقلالها وحرّيتها في مقاومة الظلم والقمع.^(١)

النهضة الحالية للشعب الإيراني من أعظم ذخائر الإسلام

إن النهضة الحالية للشعب الإيراني تُعتبر من أعظم ذخائر الإسلام في التاريخ المعاصر. ومن دون شك، إذا كانت الأمة الإيرانية قد عرضت هويتها النضالية الأصيلة عبر تاريخها، يمكن القول بأن هذه النهضة الحية اليوم هي أروع تجسيد لتلك الهوية النضالية التي أظهرتها الأمة الإيرانية في الماضي والحاضر. وتُعد من أكبر الثروات والقدرات التي قدمها الإسلام في العصر الحديث.^(٢)

التأكيد على بطولات الشعب الإيراني الفريدة

لا شك في أن البطولات الفريدة التي قدمها الشعب الإيراني في نضاله ضد الفساد الحاكم، والتي سعت إلى القضاء على هذا الفساد، تُظهر أهليته لفهم هذه المسؤوليات العميقة والروحية والاجتماعية والتاريخية. وهذه البطولات هي شهادة على عظمة وتضحية هذا الشعب في سعيه لتحقيق مبادئه الإسلامية والإنسانية.^(٣)

(١) المصدر نفسه، ص ١١.

(٢) المصدر نفسه، النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة و أيام الحصار، ص ٢٥١؛ ساهاي رنج، ص ٢٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢؛ المصدر نفسه، ص ٢٥٤؛ المصدر نفسه، ص ٢٣٠.

الشهيد الصدر ورؤيته في مسألة التمييز ضد العرب في خوزستان

وفي خطاب الشهيد الصدر إلى ممثل صدام حسين، بخصوص رأي نظام البعث في وجود التمييز ضد العرب في خوزستان، قال:

«إن العرب في خوزستان يعيشون تحت ظل حكومة إسلامية، وهم يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها الآخرون، وكل منفعة أو ضرر يناله الآخرون هو نفس ما يناله هؤلاء العرب. لا أريد أن يتكرر هذا الحديث مرة أخرى.»^(١)

إعلان الفخر في التحديث إلى الشعب الإيراني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه محمد ﷺ وآله الطاهرين. أشعر بفخر عميق للغاية وأنا أتحدث إلى أمة عظيمة مثل الأمة الإيرانية المسلمة، أمة أعادت للإسلام بإيمانها وجهادها وتضحياتها العظيمة، مجده ورفعته من جديد بدماء شهدائها.^(٢)

الإيرانيون وخلق الملاحم

إن خلق الشعب الإيراني للملاحم في تفاعله الحماسي مع الأحداث، يعكس بشكل جلي العودة إلى الروح الإسلامية الأولى التي نبعت من عيون الصحابة الكرام في بدايات الإسلام. اليوم، هذه الحركة تعبر عن نفس الإسلام الذي نزل في عصر النبي محمد ﷺ ولكنها موجهة لتلبية احتياجات العصر الحديث. وتزداد قيمة هذا الحماس عندما نرى أن الأمة الإيرانية تسير على درب

(١) النعماني، الشهيد الصدر سنوات المحنة وإيام الحصار، ص ٢٩٢؛ سألهاى رنج، ص ٢٦٩.
(٢) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ٢٣؛ صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، ص ٥؛ نهادهای اقتصادى اسلام، ص ١٦.

المجد في لحظة تاريخية حاسمة، وهي ليست مجرد نقطة تحول في تاريخ إيران فحسب، بل هي نقطة انطلاق في تاريخ الأمة الإسلامية ككل.^(١)

عبودية الله والشعب الإيراني

اليوم، الأمة الإيرانية المجاهدة، بعد أن قالت كلمة «نعم» للجمهورية الإسلامية - التي أسسها الزعيم الكبير آية الله العظمى الخميني - تعبر عن إيمانها العميق وولائها العظيم للإسلام. هذه اللحظة هي بداية مرحلة جديدة في حياة المسلمين، إذ ستفتح أمامهم طريقاً نحو وحدة شاملة وقوة تترسخ على أساس التوحيد والإيمان بالله. هذه الجهود العظيمة تساهم في قطع قيود العبودية التي كانت تكبل الإنسان، لتوجهه نحو العبادة الحقيقية لله، التي هي مصدر الحرية والعدالة والمساواة.^(٢)

الجمهورية الإسلامية الإيرانية: استمرار طريق النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

الجمهورية الإسلامية التي أسسها آية الله الخميني، هي امتداد لجهود الأنبياء والأئمة الطاهرين، وخصوصاً نبي الله محمد ﷺ وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. هذه الجمهورية هي تجسيد حقيقي لآمال المؤمنين الذين أدركوا أن جميع المآسي، من الفقر والضعف والعبودية، هي نتيجة لتجاهل رسالة الإسلام وعدم تطبيق أوامره وتعاليمه.

يجب أن نعلم أن النظام الإسلامي ليس مجرد نظام بشري عادي يمكن

(١) السيد محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ٢٣؛ نهادهای اقتصادی اسلام، صص ١٧ - ١٦.

(٢) المصدر نفسه، صص ٢٤ - ٢٣؛ المصدر نفسه، ص ١٧.

مقارنته بالنظم الأخرى التي تضع فيها جميع الأمور تحت التصورات البشرية فقط. بل هو نظام مميز، إذ أن إرادة الله سبحانه وتعالى قد وضعت الإسلام كمنهج حياة للبشرية، ولا يجوز لأحد أن يختار غيره. كما يقول القرآن الكريم في قوله: «ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»^(١).^(٢)

الإسلام كمشروع حياة

يريد قائد الثورة أن يتصرف الشعب المسلم في إيران بوعي عند قبول هذه الأمانة الإلهية العظيمة. لا شك أنكم، أيها الشعب الإيراني القوي، قد أنجزتم واحدة من أعظم مهامكم باختياركم للجمهورية الإسلامية واعتبار الإسلام كبرنامج حياة. إنكم تسيرون في طريق هدف نبيل، وهو الهدف الذي خاض من أجله الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام معركة ضد القاسطين والمارقين والناكثين. وكذلك كان قائد الأحرار، الإمام حسين عليه السلام، قد صب آخر قطرة من دمه الطاهر في سبيل هذا الهدف.^(٣)

تنفيذ أهداف الشهداء

أنتم اليوم، بصوتكم، قد بدأتُم بتنفيذ بعض أهداف شهداء كربلاء الذين سقطوا في سبيل الحق. أيها الشعب الإيراني، كونوا على وعي واعتزوا بإنجازاتكم. إن اختياركم للإسلام كقاعدة عقيدية وأساس لحياتكم قد وجه

(١) احزاب (٣٣): ٣٦.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، الإسلام يقود الحياة، ص ٢٤؛ صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، صص ٧-٦؛ نهادهای اقتصادی اسلام، صص ١٩-١٨.

(٣) المصدر نفسه، صص ٢٥-٢٤؛ المصدر نفسه، ص ٧؛ المصدر نفسه، صص ٢٠-١٩.

ضربة قاصمة لأجساد الغرب الفارغة، كما أن سقوط أركان نظام الشاه الظالم قد أسفر عن دمار النفوذ الاستعماري العربي وبنيتهم السياسية.^(١)

التمتع بالحرية الحقيقية

أما أنتم، أيها الشعب الإيراني، فقد ألقيتم بشعارات الظلم والفتنة إلى سلة المهملات، وأخرجتم من بين نار الشهوات الشيطانية جوهر الحرية الحقيقية، معتمدين على إيمانكم الصادق في إنشاء نظام بديل، أطاح بنظام الشاه الظالم وارتبط بنظام فاسد مثل نظام فرعون ونمرود. وعلى الرغم من كل الأطر المرسومة من قبل أولئك الذين يطاردون الإنسان ويستعبدونه، فقد استطعتم أن تخرجوا من بين لهيب الشر، جوهر الحرية الحقيقية.^(٢)

الإيرانيون وطرد الطاغوت إلى الأبد

تمكن الشعب المسلم البطل في إيران من أن يضع الأسس لطرد الطاغوت بشكل دائم، وأن يسير على الطريق الذي رسمه الأنبياء والأئمة الطاهرون. لأنه، كما هو معلوم، كان هذا الشعب على صلة وثيقة بالمرجعية الشيعية، وكان يعكف على تعلم معارفه الدينية من هذا ينبوع الطاهر، مما مكنه من فهم الإسلام في جوهره العميق.

نهضة الشعب الإيراني المقدسة

نهضة الشعب المسلم الإيراني هي نهضة مقدسة، وفي ضوء التوجيهات

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ٢٥؛ نهادهای اقتصادی اسلام، صص ٢٠ - ١٩.

(٢) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، ص ٢٥؛ نهادهای اقتصادی اسلام، ص ٢١.

السديدة لمرجعية الإمام الخميني - رحمه الله - الذي يقف على قمة الوعي برسالة الإسلام والسياسة، صمد هذا الشعب العظيم في معركته القاسية والمليئة بالألم ضد طغاة الكفر. لقد تصدى بقوة وجرأة للطاغوت والفرعون الجديد، وحقق أكبر هزيمة له ولأتباعه من حراس الكفر والاستعمار في الأراضي الإسلامية.

الشعب الإيراني والشهيد محمد باقر الصدر

لم يكن الشعب الإيراني يفصل نفسه عن شهيدنا الكبير محمد باقر الصدر وفكره، بل كان يرى في فكر الشهيد الصدر تجسيداً لفكره وحركته. اليوم أيضاً، يرى الشعب الإيراني صورته في هذا المفكر الثوري الكبير. لقد كانت آثار الشهيد الصدر، سواء قبل أو بعد الثورة، تُقرأ بعناية من قبل القوى الثورية الإيرانية، وكان يُستفاد منها في إحياء وتوجيه الثورة. كما أن رسائل الشهيد الصدر كان لها تأثير عظيم في تعزيز مسيرة الثورة الإسلامية الإيرانية وفي تحقيق نصرها. وقد كانت آراؤه الفقهية وفتاواه بمثابة سلاح قاطع في مواجهة نظام الشاه وفي مقاومة الهيمنة الأمريكية على إيران.

يعتبر الشهيد الصدر من أبرز الشخصيات في الفكر الشيعي المعاصر. فقد قارن البعض بينه وبين شخصيات عظيمة في التاريخ الشيعي مثل شيخ مرتضى الأنصاري (١٠٤٣ هـ) و شيخ الطوسي (١٠٦٨ هـ) والعلامة الحلي (١٣٢٥ هـ). كانت هذه المقارنات في غاية الأهمية، لأن هؤلاء العلماء يشكلون حجر الزاوية في التاريخ الفقهي الشيعي. وكان الإعلام العربي في إيران يلقب الشهيد الصدر بـ«خميني العراق»، وذلك بسبب تأثيره الكبير على الوضع السياسي والديني في العراق والمنطقة. وفي هذا السياق، يمكن القول أن استشهاد الصدر

كان له وقع كبير على الشعب الإيراني. فقد شعر الإيرانيون أنه في حداد وطني، حيث كان الشهيد الصدر يمثل جزءاً أساسياً من الحركة الإسلامية التي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنضالهم ضد الطغاة، سواء في العراق أو في إيران.^(١)

الإمام الخميني، القائد والمنظر الرئيسي للثورة الإسلامية في إيران، كان لديه اهتمام خاص بالشهيد الصدر وآرائه وأفكاره وأبحاثه لدرجة أنه بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان حريصاً جداً على أن يتناول الشهيد الصدر الموضوعات المتعلقة بالدولة الإسلامية في إيران. كان الإمام الخميني يطمح إلى أن يعكف الشهيد الصدر على دراسة هذه الموضوعات وأن يقدم نتاجه لهذه الدراسات إلى قادة الثورة.

وقد تم إرسال هذه الدراسات عبر زوجة الشهيد الصدر، السيدة أم جعفر، التي كانت تزور إيران بعد انتصار الثورة. وفقاً لما ذكرته السيدة أم جعفر والدكتور صادق طباطبائي في زيارة ثانية لها لإيران، فقد سلمت حوالي عشرة إلى خمسة عشر كتيباً أعدها الشهيد الصدر للإمام الخميني.^(٢)

جاء في رسالة للإمام الخميني بمناسبة شهادة الإمام الشهيد الصدر:

«إني لأعلن عن حداد عام لمدة ثلاثة أيام ابتداءً من يوم الأربعاء الثالث من شهر أيار، وذلك تكريماً لهذه الشخصية العلمية والمجاهد التي كانت من مفاخر الحوزات العلمية، ومن المراجع الدينية والمفكرين الإسلاميين. كما أعلن يوم الخميس الرابع من أيار يوم عطلة عامة، وأسأل الله تعالى أن يعوض هذه الخسارة الكبيرة، وأن يعظم الإسلام والمسلمين. والسلام على عباد الله الصالحين.»^(٣)

(١) هراير دكميجان، المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٤، صص ٤٩ - ٤٨.

(٣) صحيفه امام، ج ١٢، ص ٢٥٤.

كما ذكر المسؤولون والزعماء في نظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية في بياناتهم بشخصية الشهيد الكبير وخدماته. وفي جميع أنحاء البلاد تم تنظيم مراسم تكريم لهذا الشهيد الكبير وأخته بنت الهدى الصدر. كما خصصت الصحف والمجلات، سواء بشكل محدود أو موسع، في كل عام في ذكرى استشهاد هذا المجاهد الكبير، مقالات أو أعداد خاصة له. في طهران، تم تسمية أحد الطرق الرئيسية في المدينة باسم هذا الشهيد. كما تم تسمية العديد من المدارس والمؤسسات باسمه. وفيما يلي بعض تصريحات المسؤولين في إيران عن الشهيد الصدر:

الإمام الخميني يقول: «هذه الشخصية العلمية والمجاهدة، التي كانت من مفاخر الحوزات العلمية ومن المراجع الدينية والمفكرين الإسلاميين...»^(١)

«وقد استشهد المرحوم آية الله الصدر لأنه كان يفضح ظلمهم وكان يريد إقامة حكومة إسلامية...»^(٢)

أو يقول: «كان السيد محمد باقر الصدر العقل المفكر للإسلام، وكان الأمل معقوداً عليه أن يستفيد الإسلام أكثر من أفكاره، وأتمنى أن تُدرس كتب هذا الرجل العظيم من قبل المسلمين...»^(٣)

آية الله خامنئي: من بين الشخصيات البارزة في الحوزات العلمية في العقود الأخيرة، كان المرحوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الصدر أبرزهم وأكثرهم تميزاً ودهشة.^(٤)

(١) المصدر نفسه،

(٢) المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٨٠.

(٤) اندیشه ماندگار، العدد ٥، ٣٠ دي ١٣٧٩، ص ١٦ (رسالة سباحة قائد الثورة إلى مؤتمر تكريم الشهيد الصدر).

هو (الشهيد الصدر)، كان الشخص الذي حافظ على الفكر الإسلامي بوجه الأيديولوجيات المستوردة من الغرب والشرق، وقد فتح عقله وقلبه للشباب الباحثين والمريدين.^(١)

لكل مجتمع علمي الحق في أن يفخر بإنجاب إنسان عظيم مثل هذا العالم الجليل. بلا شك، كان عبقرياً ونجماً ساطعاً. من الناحية العلمية، كان يمتلك الشمولية في البحث، والابتكار، والشجاعة العلمية معاً...^(٢)

الدكتور علي شريعتي: ... وقد أظهر (الشهيد الصدر) أنه بالإضافة إلى امتلاكه للثقافة الإسلامية، فإنه أيضاً يمتلك فهماً لزماننا، ويشعر بالآلام عصرنا، ويتحدث بلغة هذا العصر، كما أنه على دراية بأسلوب العمل العلمي في هذا العصر أيضاً...^(٣)

آية الله تسخيري: ... عندما رأى السيد الصدر أن أمنيته الطويلة، التي هي إقامة نظام إسلامي، قد تحققت بيد الإمام الخميني رحمه الله، كان ينظر إليه بحب وتقدير، ولذلك كتب لطلابه بحب: «ذوبوا في الإمام الخميني كما ذاب هو في الإسلام».^(٤)

«المرحوم آية الله السيد محمد باقر الصدر كان من جهة يعطي الطلاب المادة العلمية، والمنطق، ومنهج النقاش، ومن جهة أخرى، كان يربهم تربوياً وأخلاقياً».^(٥)

(١) المصدر نفسه،

(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.

(٣) السيد محمد باقر الصدر، تشيع مولود طبيعي اسلام، ص ١٣٧.

(٤) اندیشه ماندگار، العدد ٤، ٢٩ دى ١٣٧٩، مقابلة مع آية الله تسخيري الأمين العام للمؤتمر

الدولي لتكريم الشهيد الصدر، ص ٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨.

الشيخ محمد مهدي الآصفي: «كان الشهيد الصدر من الأشخاص السابقين لزمانهم».

تحدّث الدكتور صادق طباطبائي في مذكراته عن محبة الإمام موسى الصدر الشديدة للشهيد السيد محمد باقر الصدر وقال:

«خالي العزيز (الإمام موسى الصدر) كان يحب الشهيد السيد محمد باقر الصدر حبًّا شديدًا. كان يعتبره من العلماء النادرين الذين فهموا وعاشوا حقيقة الفقه! وأدركوا بشكل عميق أن الفقه ليس أحكامًا فحسب بل هو فهم دقيق للزمان والمكان وأثرهما على الفقه!... كانت قناعة الإمام موسى الصدر بقدرات وآراء آية الله السيد محمد باقر الصدر عظيمة لدرجة أنه في حديث مع المرحوم الدكتور بهشتي عن مستقبل الحركة الإسلامية في إيران ومن سيخلف الإمام الخميني، كان يرى أن الشهيد الصدر هو الشخص الأنسب لهذا الدور».^(١)

وقال الشهيد السيد محمد باقر الحكيم عن ارتباط الشهيد الصدر بالثورة الإسلامية في إيران:

«كان الشهيد الصدر واحدًا من أبرز العلماء والمراجع الذين كان لهم ارتباط وثيق بالثورة الإسلامية في إيران، وكان هذا الارتباط غير قابل للانفصال. كان الشهيد الصدر قد آمن بهذه الثورة منذ بداياتها الأولى وكان من مؤيديها الدائمين».^(٢)

(١) السيد صادق طباطبائي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥١.

(٢) اندیشه ماندگار، العدد ٢، آذر ١٣٧٩، ص ١٩.

الفصل الرابع عشر :
التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر
وسيرته السياسية وبين الثورة الإسلامية في إيران

مقدمة

لا تحدث أي حركة أو ثورة في الفراغ، كما أن أي ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو ثقافية تتأثر بعوامل وأسباب مختلفة، فالثورات والحركات لا تخرج عن هذا السياق. لذا، يمكن اعتبار كل ثورة وحركة من جهة نتيجة ونهاية وحصيلة. كما قال جوزيبي مازيني^(١)، الزعيم الوطني الإيطالي (عن الثورة الفرنسية):

«لا يمكن اعتبار الثورة الفرنسية برنامجاً بل يجب أن نعتبرها نتيجة... الثورة لم تكن بداية عصر جديد بل كانت آخر حدث في فصل عابر»^(٢).

ولكن من جهة أخرى، الثورة هي بداية ونقطة انطلاق، بداية تنطلق منها منظومة جديدة أو نظام جديد يبدأ بتأسيسه، ومن خلالها تبني حضارة جديدة. كما قال توماس باين (عن ثورات الولايات المتحدة وفرنسا):

«... ما نراه اليوم من الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية في العالم هو شكل جديد من النظام الطبيعي للأشياء...»^(٣).

ومن وجهة نظر المؤلف، يمكن اعتبار كل ثورة أو حتى حركة ككائن حي وعضوي يتمتع بحياة ومصير واسع للغاية، حياة أوسع بكثير مما يعتقد عادة. هذه الحياة أو «البيئة الحاضنة للثورة» تبدأ من اللحظة التي تُزرع فيها

(1) Giuseppe Mazzini.

(2) Giuseppe Mazzini, The Duties of Man and Other Eassys, p.251.

(٣) بيتر كال ورت، انقلاب، ترجمه ابو الفضل صادقپور، ص ٨٠.

بذور الثورة الأولى في أرض الواقع الاجتماعي، وتستمر حتى تنمو هذه البذور وتردهر وتثمر وتصل إلى نضوجها (نضوج الثورة).

النضوج الثوري، الذي يُعدّ أهم مرحلة في كل ثورة، هو نفسه تحقق الثورة أو انتصارها. ولكن البيئة الحاضنة للثورة لا تنتهي عند هذه النقطة، بل تستمر حتى نهاية عمر الحضارة التي تبنيها والأفكار التي تدخلها في الثقافة العالمية؛ بمعنى آخر، الثورة هي ظاهرة في تطور مستمر، وحركة دائمة، حيوية وديناميكية، لها بداية، ولها حياة، ونمو، وبلوغ (كمال)، وفي النهاية تبني مجتمعاً ذا قوانين عضوية خاصة به.

«إن فهم طبيعة أي ثورة أو حركة أو حتى أي فكرة لا يمكن أن يتم دون التعرف على هذا السياق الحيوي المستمر والعضوي. الآن، بما أننا نرسم صورة ممتدة ومستدامة عن الثورة، يجب أن نعلم أن هذه الصورة لا يمكن أن توجد بذاتها بشكل مستقل أو بمعزل عن العالم الخارجي؛ بمعنى آخر، «الثورة»، «الحركة»، «الفكرة»، أو أي ظاهرة سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أخرى تتشكل وتنمو وتكتمل تحت تأثير عوامل متعددة داخلية وخارجية. ثم تتفتح وتواصل تقدمها في داخل ظواهر أخرى وفي مجتمعات أخرى. وبالتالي، فإن الثورة والحركة الاجتماعية أو أي حركة أخرى، سواء من حيث كونها ظاهرة أم من حيث استمراريتها وامتدادها، تخضع لتأثير الظواهر الأخرى.

دراسة جميع الثورات البشرية تشير إلى هذا التأثير والتأثر. فثورة فرنسا لها جذور في تاريخ العصور الوسطى، وتحولات الغرب، وعصر النهضة، وأفكار المفكرين والفلاسفة مثل لوك، وروسو... من المهم أن نذكر أنه كلما كانت هناك نقاط توافق وعوامل متقاربة بين الثورة وظواهر أخرى، فإن هذا التأثير والتأثر سيكون أقوى وأوسع. على سبيل المثال، يمكن القول إن تأثير

أفكار روسو على الثورة الفرنسية كان أقوى وأوسع من تأثير أفكار مكيا فيلي. لذلك من الناحية النظرية، فإن «الثورة الإسلامية الإيرانية» و«حركة الشيعة المناضلين في العراق» تحت أفكار ودراسات ومناضلات الشهيد الصدر تخضعان لهذا المبدأ ذاته.»

مجالات التأثير والتأثر

نظرًا لأن الثورة في أصلها عملية فكرية، وهي مسار من الأفكار والمعتقدات التي تتحقق في شكل حركة وعمل في المجتمعات، وتتمتع بالحياة والحركة، فإنه استنادًا إلى بعض المبادئ، هذه الحياة والحركة، وهذا المسار الفكري يتأثر بالمسارات الفكرية الأخرى، أو يمكنه أن يؤثر في مسارات وأفكار أخرى. في هذا السياق، يتم الإشارة إلى بعض هذه المبادئ:

١. العلاقات الثقافية: عندما يكون هناك ارتباط ثقافي بين مجتمعين، أو ب، من حيث المعنى العام، فإن التحولات الفكرية والثقافية بين هذين المجتمعين ستؤثر في بعضهما البعض. كما يقر أحد الباحثين، فقد تشكلت تطورات الفكر الشيعي المتشدد نتيجة للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في العراق، بالإضافة إلى التأثيرات التي نشأت من إيران وسوريا.^(١)

٢. العوامل والظروف السياسية، الاجتماعية والاقتصادية: عمومًا، المجتمعات التي تعاني من الظلم والاستبداد تتجه نحو العالم الخارجي. خاصة إذا كانت هذه المجتمعات ترى تحولات مثالية في العالم الخارجي يمكن تطويعها بما يتناسب مع ظروفها. هذه الظواهر هي عوامل تؤدي إلى التأثير والتأثر.

٣. التوافق والتجانس في الحركة: عندما توجد في المجتمعين أ و ب

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ١٩١.

حركات متوافقة، منسقة ومتجانسة، فإن التأثير والتأثر بين هذه الحركات سيكون أمراً حتمياً. على سبيل المثال، بعد الحركة الكبرى للشعب الإيراني في ١١ شباط/فبراير ١٩٧٩م، نظّم سكان بعض مدن العراق مثل النجف وكربلاء في اليوم التالي، ١٢ شباط/فبراير من نفس العام، مظاهرات ضخمة تأييداً لهذه الحركة، ولإثبات ولائهم ومسايرتهم لها.

٤. مبدأ الدعوة وقبول الدعوة: في الثورات والحركات، تتم عادة الدعوة لإقامة العدالة ونظام حياتي مناسب، والعمل على تحسين وضع المجتمع. لذلك، كل حركة ثورية تحمل في جوهرها «دعوة»، والمستهدف من هذه الدعوة هم البشر. أما في مقابل مبدأ الدعوة، فإن هناك ما يسمى بـ «قبول الدعوة»، وهو من الخصائص الطبيعية للبشر، مما يدفعهم للانضمام إلى هذه الدعوات.

«حس الفضول والسعي وراء الحقيقة: التطورات الاجتماعية وأفكار الأشخاص الفضوليين والساعين وراء الحقيقة تجذب بعضها البعض، وهذا هو السبب وراء شهرتهم والإقبال عليهم.

كل فكرة وحركة تسعى لنشر رسائلها ومثالياتها: وهذه مسألة تتيح انعكاس هذه الرسائل في مجتمعات أخرى. خاصة إذا كانت الحركات والثورات تحمل «رسالة» إنسانية، فمن الطبيعي أن هذه الرسالة لا تبقى محصورة ضمن الحدود العرقية والجغرافية والوطنية.

عوامل التلاقي: وجود عوامل تؤدي إلى الاتصال، الربط، والتقارب بين مجتمعين، مما يؤدي إلى أن تنتقل الأفكار والتحويلات بين هذين المجتمعين، وبالتالي فإن التغيير في أي منهما سيكون له انعكاس متزامن ومتجانس في الآخر. فيما يتعلق بالعلاقة بين الثورة الإسلامية الإيرانية وحركة الشيعة في العراق، ينبغي الانتباه إلى عدة عوامل ساعدت في التقارب بين المجتمعين.

عوامل التلاقى

من أهم العوامل والظروف التي ساعدت في التقارب بين الإمام الخميني والشعب المسلم في إيران من جهة، والشهيد الصدر والشيعة المناضلين في العراق من جهة أخرى، والتي تحمل أبعادًا تاريخية هامة، هي كما يلي:

١. وجود مذهب الشيعة الإثنا عشري والعلاقة الروحية الخاصة التي تربط شيعة العراق بالشعب الإيراني:

هذا الرباط الروحي كان ناتجًا عن الاعتقادات السياسية المشتركة بين البلدين. كما كتب إيرد كمجيان في هذا الصدد:

«وجود المجتمعات الشيعية الكبيرة في إيران والعراق قد أنشأ علاقة تعايش بين المؤسسات الدينية في البلدين.»^(١)

٢. النسيج الثقافي والتاريخي المتشابه:

لقرون مديدة كانت أرض العراق الحالية جزءًا من الأراضي الإيرانية. لا تزال آثار الحضارة الإيرانية موجودة في أطلال المدائن وفي العديد من المدن العراقية. إضافة إلى ذلك، كان الشيعة في العراق دائمًا يرون أنفسهم تحت حماية الدولة الإيرانية، وبالتالي كان لديهم نوع من التشابه الثقافي؛ رغم أنه لا يجب تجاهل تأثير الثقافة السامية في هذه المنطقة.

٣. التجاور والحدود السياسية المشتركة الممتدة:

بالنظر إلى أن العديد من سكان المناطق الحدودية في كلا البلدين يتمتعون بأسلوب حياة بدوي، فإنهم في الماضي، عندما لم تكن هناك رقابة أو إدارة شديدة على الحدود الدولية، كانوا يتنقلون بين البلدين بحرية ويقومون في

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٤.

المناطق الجبلية والمراعي على الجانبين من الحدود.

٤. لم يكن لشيعة العراق دور سياسي مؤثر، بالإضافة إلى أنهم كانوا دائماً تحت سيطرة الأقلية السنية (الحكومة الملكية) أو تحت سيطرة القوى الأجنبية (مثل العثمانيين...)، ولذا كان توجههم في القضايا السياسية يميل لإيران. لذلك، كانوا يعتبرون الحكومة الإيرانية داعمة لهم أمام هذه الأنظمة، وكانت الحكومات الإيرانية تتخذ خطوات في هذا الاتجاه. كانت هذه المسألة ذات أهمية خاصة حتى نهاية الحكم القاجاري.

٥. وجود الحوزات العلمية والعلاقة العلمية والفقهية بين المجتمعين، بالإضافة إلى وجود مدرسين وعلماء وطلاب إيرانيين في الحوزات الشيعية في العراق - وخاصة في النجف وكربلاء - وكذلك وجود علماء وطلاب عراقيين في الحوزات الإيرانية، فضلاً عن كثرة الإيرانيين المقيمين في العراق وترددهم على إيران.

٦. وجود مركزين سياسيين ثقافيين مهمين للشيعة في العراق وإيران، وهما مدينة النجف في العراق ومدينة قم في إيران، اللذان يعدان من أهم المراكز السياسية والثقافية للشيعة في العالم. إضافة إلى كونهما مركزين لمراجع الشيعة العظام، فقد حافظت المدينتان دائماً على استقلالهما السياسي والثقافي. كانت هذه المسألة ذات أهمية خاصة بالنسبة للنجف قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران. على سبيل المثال، عندما منحت الحكومة الإيرانية امتياز التبغ (التبناك) لشركة ريجية البريطانية، أصدر المرجع الشيعي المقيم في النجف، الميرزا حسن الشيرازي، فتوى بتحريم استخدام التبغ، مما دفع الشيعة إلى تطبيق هذه الفتوى، وبالنسبة أجبر الحكومة الإيرانية على إلغاء الامتياز.

كتب أحد الباحثين عن العلاقات المستمرة الثقافية والعقائدية بين

الشيعية في العراق وإيران:

«العلاقات المستمرة بين مراكز الفكر والعلم الشيعي في إيران والعراق جعلت التأثير المتبادل لإيران والعراق أكثر استقرارًا. هذا الامتزاج الفكري بين الشيعة في البلدين أدى إلى ظهور ظاهرة جديدة في طريقة التفكير الديني في العراق، الذي يشكل الشيعة غالبية سكانه، حيث انتقلت الزعامة الدينية إلى الإيرانيين أو من كانوا من أصل إيراني...»^(١).

وذكر هذا الباحث أن عدد الطلاب في المدارس العلمية في النجف الأشرف في عام واحد بلغ ١٩٥٤ طالبًا، منهم ٨٩٦ إيرانيًا، و٣٢٦ عراقيًا، و٣٢٤ باكستانيًا، و٢٧٠ من التبت، والبقية من الهند وكشمير وسوريا ولبنان والبحرين وحسام والقطيف»^(٢).

بحث تاريخي حول تأثير حركة وأفكار الشهيد الصدر قبل حزيران (١٩٦٣م)

على الرغم من أن الشهيد الصدر لم يلتقِ الإمام الخميني عن قرب في فترة مرجعية المرحوم البروجردي، ولم تكن هناك علاقة مباشرة بينهما، إلا أنه كان يعرف الإمام الخميني من خلال كتبه ونشاطاته في مقاومة نظام الشاه، وكذلك من خلال العناصر المرتبطة التي كانت تتنقل بين قم والنجف. بناءً على ذلك، كان الشهيد الصدر يكتنّ كل التقدير والاحترام للإمام الخميني. ذكر السيد محمد باقر الحكيم:

«في فترة مرجعية المرحوم آية الله البروجردي، وعندما كان الإمام

(١) عبدالله فهد نفيسي، نهضت شيعيان در انقلاب اسلامی عراق، صص ٢٤ - ٢٣.

(٢) أنظر: المصدر نفسه، صص ٣٥ - ٣٤.

الخميني في قُـم، كان آية الله الشهيد في بعض الأحيان يذكر علماء وشخصيات قُـم، ومن بين الشخصيات التي كانت تحظى باهتمامه وإعجابه وتقديره، الإمام الخميني.^(١)

بعد وفاة آية الله البروجردي (١٣٨٠ هـ)، بدأ الإمام الخميني تدريجياً في اتخاذ خطوات عملية في الثورة ضد نظام الشاه في إيران. كانت أولى تحركات الإمام في ذلك الوقت هي مواجهة مسألة «المجالس المحلية» والإصلاحات الأمريكية المعروفة بالثورة البيضاء. في تلك الفترة، كان الشهيد الصدر يقود حركة الشيعة المناهضة في العراق وكان يتابع أخبار إيران عن كثب، بما في ذلك الأحداث المرتبطة بالثورة الإيرانية. لذلك، كان يؤيد حركة الإمام خميني في إيران. في هذا الصدد، روى السيد محمد باقر الحكيم أنه:

«بعد وفاة المرحوم البروجردي، بدأ الإمام نهضته ضد النظام الملكي الفاسد، وكان آية الله الشهيد الصدر من بين الأشخاص القلائل الذين أيدوا هذه التحركات السياسية، وكان من خلالي يضغط على مرجعية المرحوم آية الله الحكيم لكي يتبع نفس المسار... ربما كانت العديد من المواقف الإيجابية لآية الله الحكيم تجاه حركة الإمام خميني، قد تأثرت بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال آية الله الصدر، سواء كان ذلك من خلالي أو بعض الأخوة الآخرين، فقد كان هو من يوجّه هذه التأييدات.»^(٢)

لقد كان تأثير حركة الشهيد الصدر على آية الله الحكيم في اتجاهين رئيسيين لتحقيق هدفين ساميين:

١ - حركة آية الله الحكيم وأتباعه في مسار الثورة

(١) الهه كولايي وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٢) المصدر نفسه،

٢- تأكيد ودعم انتفاضة الإمام في إيران

«في أعقاب هذه الأحداث قبل انتفاضة حزيران ١٩٦٣م، وصل عدد كبير من الرسائل والبرقيات من العراق إلى إيران، مما أدى إلى نشوء نوع من التنسيق بين حركة الشعب الإيراني والشيعة في العراق. وكان الوزير المشاور الإيراني، جهانگیر تفضيلي، في تاريخ ٤ / ٤ / ١٩٦٣م، قد أدلى بتصريح في مقابلة مع أحد الصحفيين حول سؤال عما إذا كان على علم بالإجراءات التي يُقال أنّ علماء العراق قد قاموا بها، حيث قال:

«ليس لديّ خبر رسمي دقيق في هذا الصدد، ولكن كما سمعت، فإن الغالبية العظمى من طلاب العلم الإيرانيين، مثل العلماء الشرفاء الحقيقيين الإيرانيين الذين في العراق، يدعمون ثورة الشعب الإيراني. لكنني سمعت أن بعض الأشخاص الذين يرتدون زي رجال الدين قد استفادوا مادياً من جانب العقيد عبد الناصر، وتم تحفيزهم على أشياء مثل أولاً، أن يُسمّوا الخليج الفارسي بالخليج العربي، وثانياً، أن يقاوموا الثورة المقدسة للشعب بكل قسوة.»^(١)

كان هذا الهجوم من الجهاز الإعلامي الدعائي لنظام الشاه الإيراني ضد علماء العراق ردّاً على مواقفهم الداعمة للثورة الإيرانية وقيادتها. وفي هذا الوقت، أرسل آية الله السيد محسن الحكيم برقية إلى الإمام الخميني وعلماء إيران، يدعوهم فيها إلى الهجرة الجماعية إلى العراق (النجف). وأثار هذا الأمر غضب النظام الإيراني بشكل كبير، وقبل وصول البرقية إلى قم، تم إرسال مجموعة من العسكريين لإيصال رسالة تحذيرية صارمة إلى الإمام الخميني وبقية العلماء، في محاولة من النظام لمنع هذه الحركة وإثارة الخوف والرعب. رفض الإمام الخميني استقبال المبعوثين الرسميين (رئيس الشرطة وحاكم قم)، ولذلك توجّهوا إلى

(١) صحيفة اطلاعات، پنجشنبه، ١٥ فروردین ١٣٤٢.

منزل آية الله شريعتمداري وأبلغوه الرسالة التحذيرية، مطالبين إياه بنقلها إلى الإمام الخميني.

«تقول البرقية التي ستصل إليكم من آية الله الحكيم: إنه يدعوكم للخروج من إيران والذهاب إلى النجف. إذا أردتم، يمكن للحكومة توفير وسائل السفر لكم، ولكن إذا أردتم أن تثيروا ضجة حول هذه البرقية، فإننا سنرسل الكوماندوز والنساء إلى بيوتكم. سنقتلكم، ونهتك أعراضكم، ونهيب بيوتكم.»^(١)

«في اليوم التالي، وصلت برقية من آية الله الحكيم إلى قم، جاء فيها:

«... الحوادث المؤلمة المتتالية والمآسي المحزنة التي تعرض لها علماء الدين والمراجع في قم، قد جرحت قلوب المؤمنين والمتدينين وأثرت في نفسي بشكل شديد... لذا فإنني أدعو حضرات العلماء إلى الهجرة الجماعية إلى العتبات المقدسة لكي أتمكن من إصدار رأيي بشأن الحكومة في ٨ ذي القعدة / ١٣٨٢ هـ.

السيد محسن الطباطبائي الحكيم^(٢)

في هذه الأثناء عقد الإمام الخميني اجتماعاً مع علماء قم لبحث هذا الموضوع، وبعد المشاورة وتبادل الآراء، تم التوصل إلى قرار بالاستمرار في البقاء في إيران ومواصلة النضال بنفس الطريقة. لذلك، قاموا بإرسال برقية إلى آية الله الحكيم جاء فيها:

«... نحن نعلم أنه مع هجرة المراجع والعلماء، أعلى الله كلمتهم، من حاضرة التشيع قم سوف تتعرض كلمة التشيع للخطر وقد تُسحب إلى أحضان الكفر والزندقة... نحن في الوقت الحالي نعيش في هذا الجحيم المشتعل، وسنستمر في الدفاع عن حقوق الإسلام والمسلمين، وعن حرمة

(١) السيد حميد روحاني، بررسی و تحلیلی از نهضت امام خمینی، ج ٢، ص ٣٩٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠.

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٥٩

القرآن واستقلال بلاد المسلمين... إلا إذا أرادت الأجهزة القمعية أن تسلك طريقاً يجبرنا على اتخاذ مواقف أخرى، ونحن نلجأ إلى الله سبحانه وتعالى ليحفظنا من ذلك...»^(١)

من حزيران ١٩٦٢م إلى ذروة أحداث الثورة في عام ١٩٧٨م

في أعقاب انتفاضة حزيران ١٩٦٣م، نهضت الحوزات العلمية في النجف الأشرف، كربلاء، والكاظمية بكل قوتها، وأعلنت دعمها الكامل للإمام الخميني والشعب الإيراني، بالإضافة إلى إدانتها قمع النظام الإيراني للعلماء. كما اتخذت مجموعة من الإجراءات الفعالة في هذا السياق. ومن خلال العديد من الرسائل والبرقيات، دعت هذه الحوزات زعماء الدول الإسلامية والمنظمات الدولية إلى إطلاق سراح الإمام الخميني وأعربت عن استنكارها الشديد للمجزرة الجماعية التي ارتكبها النظام. جاء في بعض هذه الرسائل والبيانات جاء ما يلي:

«حضرة آية الله الخميني ليس وحده، وإن احتجاجاته الشرعية والقانونية ضدّ الحكومة تحظى بتأييد جميع علماء الشيعة وشعب إيران والمسلمين في العالم.»^(٢)

بالإضافة إلى ذلك، في نفس الفترة، تم توزيع بيان شهير تحت عنوان «حكومة كافرة... وملك طاغية» من قبل جماهير كربلاء.^(٣)

على إثر نففي الإمام إلى تركيا (نوفمبر ١٩٦٤)، صدرت العديد من البيانات

(١) المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

(٢) المصدر نفسه، صص ٥٤٣ - ٥٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥٢.

والبرقيات التي طالبت الرئيس التركي بالإفراج عن الإمام والتعامل معه بطريقة مناسبة.^(١) وكما ذكرنا، جاء في رسالة الشهيد الصدر إلى محمد جواد مغنية:

«هذه المرة، استطاع السيد الخميني أن يغلق فم الشاه، الذي كان دائماً يتهم حركته المعارضة في إيران بالتخلف والرجعية. هل يمكن لأي إنسان أن يسمّي الحرب والنضال ضد منح امتيازات جديدة للأمريكيين بالرجعية والتخلف؟»^(٢)

وفي هذه الفترة، ومع تزايد الضغوط الداخلية والخارجية، خاصة جهود علماء النجف وإيران، وصل الإمام الخميني إلى النجف. وعند وصوله، كان آية الله الصدر من القلة الذين أعلنوا دعمهم الكامل وغير المشروط للإمام وثورته الإسلامية في إيران. طوال فترة وجود الإمام في النجف، كان آية الله الصدر يزور الإمام بشكل دوري، وكان بينهما تعاون وتبادل لوجهات النظر حول العديد من القضايا السياسية المتعلقة بكل من إيران والعراق. كتب دكمجيان في هذا الصدد:

«وفقاً للتقارير، كان باقر الصدر وآية الله الخميني على اتصال مستمر قبل الثورة الإيرانية وبعدها...»^(٣).

وذكر السيد محمد باقر الحكيم عن هذه التطورات:

«... نتذكر أنه في الأيام الأولى من الثورة الإسلامية، عندما كان الإمام الخميني في إيران، وقبل اعتقاله من قبل الشاه أو نفيه لاحقاً، كان الشهيد الصدر متحمساً جداً لهذه الثورة... كانت تصورات الشهيد الصدر عن الوضع في إيران متوافقة إلى حد كبير مع تصورات الإمام الخميني.»^(٤)

(١) المصدر نفسه، ص ٧٦١.

(٢) العاملي، المصدر نفسه، ج ٥، ص ١٢٦؛ الهه كولايي وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢٨ و....

(٣) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، ص ١٩٨.

(٤) انديشه ماندگار، ش ٢، آذر ١٣٧٩، ص ١٩.

... كان الشهيد الصدر من بين أولئك الذين كانوا يتفقون مع حركة الإمام في اتجاه الثورة الإسلامية الإيرانية، وكان دائماً مؤيداً له ومتضامناً معه. من الناحية الفقهية، لم يكن واجباً عليه طاعته ومتابعة حركته، ولكن رؤيته الإسلامية الثورية والعملية جعلت هذا التأييد والدعم واجباً عليه... كان دائماً يوصي تلاميذه الذين كانوا يعرفون اللغة الفارسية أن يحضروا دروس ولاية الفقيه للإمام ويزيدوا تواصلهم معه.^(١)

وأكد السيد حسين الصدر أيضاً هذا الأمر بقوله:

«لقد تم تكليفي شخصياً من قبل السيد الصدر بأن أحضر دروس ولاية الفقيه للإمام في النجف، وهذا يدل على اهتمام السيد الصدر بحضور دروس الإمام الخميني.»^(٢)

لقد ازدادت العلاقة بين الإمام خميني والشهيد الصدر خلال محاولة النظام العراقي طرد علماء النجف من العراق، حيث وقفاً معاً بشكل حازم ضد هذه المحاولة. ويمكن الإشارة هنا أيضاً إلى تأثير الأحزاب مثل حزب الدعوة الإسلامية وجماعة علماء النجف الأشرف وبعض الأنشطة الأخرى التي قام بها الشهيد الصدر.

من ذروة الثورة حتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران (١٩٧٨ - ١٩٧٩ م)

بعد تصاعد أحداث الثورة في إيران، توطدت العلاقات بين هذين القائدين (الإمام الخميني والشهيد الصدر)، وأعلن الشهيد الصدر دعمه المطلق وتأييده الكامل للإمام وثورة إيران لجميع تلاميذه وأتباعه. كان ذلك في

(١) إله كولايبى وآخرون، المصدر نفسه، ص ٤٦.

(٢) صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١١ / ١٣٦١، ص ١٠.

وقت كانت فيه علاقة النظام العراقي مع إيران قد تحسنت (بعد اتفاقية ١٩٧٥ م). وبعد طرد الإمام من العراق، كان الشهيد الصدر أول من عبّر عن رفضه واستنكاره لقرار طرد الإمام عبر رسالة هاتفية وبرقية، وفي هذه الفترة أيضًا، كما ذكرنا، أصدر فتواه التاريخية بشأن شهداء الثورة الإسلامية في إيران، في وقت كان فيه النظام العراقي يحاول زرع الشك والقلق في نفوس الشعب العراقي بشأن تطورات الثورة الإسلامية في إيران.

كما كان الشهيد الصدر يوصي تلاميذه وأتباعه بشكل حثيث قائلاً: «الذوبان في وجودها العظيم بقدر ذوبانها في هدفها العظيم».^(١)

كما ورد سابقاً، عندما انتقل الإمام إلى باريس، كتب الشهيد الصدر رسالة مفصلة إلى الشعب الإيراني، أعرب فيها عن استعداد شباب العراق وجميع أتباعه للجهاد من أجل انتصار الثورة الإسلامية، وأكد: «نحن في خدمة قيادتكم وأهدافكم السامية، وسنستخدم جميع إمكانياتنا لتحقيق هذه الأهداف».

منذ تلك الفترة وحتى انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان آية الله الشهيد الصدر يخصص جزءاً كبيراً من وقته لإلقاء المحاضرات، وإرسال الرسائل، والبيانات، وعقد الجلسات المتعلقة بالثورة الإسلامية في إيران. بشكل عام، على الرغم من أن الإمام الخميني كان قد غادر النجف، إلا أن الروابط والعلاقات الثورية بينه وبين القادة البارزين من الشيعة في العراق، وخاصة آية الله الصدر، كانت قوية وواضحة ولا شك فيها.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران

تجسدت حركة وقيادة الثورة الشيعية في العراق بواسطة آية الله الصدر،

(١) العامل، المصدر نفسه، ج ٤، صص ٢٧ و ٣٨.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، في بعدين بارزين:

١ - تأييد ودعم الثورة الإسلامية الإيرانية والسعي لتطويرها فكرياً.

٢ - الجهود لتحقيق الثورة الإسلامية في العراق على غرار الثورة الإسلامية الإيرانية.

في هذا السياق، قام الشهيد الصدر بتعطيل بعض دروسه، وخصص معظم وقته لتحقيق هذين الهدفين المهمين.

أ) تأييد ودعم والتعاون مع الثورة الإسلامية الإيرانية

قال السيد محمد باقر الحكيم في هذا الشأن:

«... أعلن بوضوح تبعيته وطاعته للإمام، في وقت كان فيه الشهيد الصدر المرجع الثاني في العراق من حيث عدد المقلدين. وكان موقفه هذا على الرغم من جميع الملاحظات التي كان يبديها بعض المراجع. ومع ذلك، نرى أنه كان يشعر بنفسه جزءاً من الثورة الإسلامية الإيرانية المنتصرة.»^(١)

بشكل عام، كما أظهرت أفعاله في الفصول السابقة، كان الشهيد الصدر يعتقد أن الثورة الإسلامية الإيرانية بقيادة الإمام الخميني تمثل مشروعاً جديداً سيؤدي إلى تحقيق العدل الإلهي بشكل عملي. ومنذ انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وحتى اللحظة التي تم فيها فرض الإقامة الجبرية على الشهيد الصدر ووضعه تحت المراقبة، ظل الاتصال مستمراً بينه وبين الإمام الخميني. كان الرابط بين هذين القائدين وهاتين الحركتين هو محمود الهاشمي.

غداة انتصار الثورة الإسلامية في إيران، أصدر الشهيد الصدر أمراً

(١) القبانجي، الجهاد السياسي السيد الشهيد الصدر، ص ١٥٧.

بإقامة مظاهرات تأييد للثورة، ونتيجة لذلك، انطلقت تظاهرات ضخمة في النجف ومدن عراقية أخرى لدعم الثورة الإسلامية الإيرانية. وتم اعتقال العديد من الأشخاص في هذه المظاهرات.

لقد أدى الضغط الشديد من قبل النظام العراقي على آية الله الصدر إلى دفعه للتفكير في الهجرة إلى إيران. ومع ذلك، في آخر برقية أرسلها الإمام الخميني له، طلب منه البقاء في العراق وعدم مغادرة مدينة النجف.

على الرغم من أن الشهيد الصدر كان على دراية تامة بتصرفات النظام تجاهه وكان يعلم أنه في نهاية المطاف سوف يستشهد على يده، إلا أنه قبل رأي الإمام الخميني وبقي في العراق. وبعد مرور أسبوع، أُعتقل، ولكن أُفُرج عنه لاحقاً على إثر الاحتجاجات والمظاهرات المليونية للشعب العراقي لكنه ظل تحت المراقبة في منزله.

نتيجة لذلك، انقطعت علاقته بالعالم الخارجي، واستمرت هذه الحالة حتى اعتقاله واستشهاده.

ب) تطوير نظرية الثورة الإسلامية الإيرانية واستمرارها في العراق

بفضل عبقريته الفائقة، كان آية الله الصدر يمتلك فهماً عميقاً للظروف المحيطة بالثورة بعد انتصارها، وسعى لتطوير نظرية متكاملة حول الثورة الإسلامية الإيرانية. وفي هذا الإطار، بالإضافة إلى كتابه القيم «الإسلام يقود الحياة» قام بتأليف العديد من الكتيبات حول مواضيع سياسية وحكومية، كما كتب مسودة دستور وأرسلها إلى الإمام الخميني، قائد الثورة الإسلامية الإيرانية. هذا الأمر تم تأكيده من قبل العديد من الأشخاص المرتبطين به، وقد ذكرنا بعض التفاصيل في الفصل السابق. كتب دكـمـجـيان في هذا الصدد:

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٦٥

«... بعد فترة قصيرة من عودة الإمام الخميني المنتصرة إلى طهران في ١ فبراير ١٩٧٩، أرسل باقر الصدر ست دراسات بعنوان «الإسلام يقود الحياة» إلى رفيقه الإمام الخميني...»^(١)

بالإضافة إلى ذلك، قام آية الله الصدر بتعطيل بعض دروسه، وخصص كل وقته لتدريس القرآن بهدف زيادة وعي الناس، كما أرسل الرسائل، الكتب والمقالات إلى إيران ومدن عراقية أخرى، وأرسل بعض من تلاميذه إلى إيران للمشاركة في الثورة.

وفيما يتعلق بهذا الموضوع، ذكر الشيخ محمد مهدي الآصفي:

«كان المرحوم الصدر في هذه القضية متلاحماً بشكل استثنائي مع قيادة الإمام الخميني، ومنذ بداية الحركة الإسلامية الإيرانية التي كان الإمام يقودها مباشرة، أوقف تقريباً معظم وقته وأعماله وبرامجه ودروسه ليخصصها لخدمة الثورة الإسلامية الإيرانية...»^(٢)

«حتى الآن، علمنا أن قيادة حركة الشيعة الجديدة في العراق (من ١٩٥٧ إلى ١٩٨٠م) كانت تتم بشكل عملي وفكري على يد الشهيد الصدر. كان حزب الدعوة الإسلامية والعديد من المنظمات الأخرى تتبع وتسير تحت قيادته. وقد أصبح هذا الموضوع أكثر وضوحاً بعد وفاة آية الله الحكيم.

مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وضع الشهيد الصدر كل جهده وطموحه لتحقيق النصر للثورة في العراق، وفي هذا الإطار، بالإضافة إلى خطابه، رسائله، دروس تفسير القرآن، طرحه للأفكار الثورية ورؤيته لمستقبل العراق بعد إيران بناءً على برنامج محدد، قام بتدريب العديد من

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٨.

(٢) صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٦١، ص ١٢ (مقابلة مع محمد مهدي الآصفي و...)

تلاميذه وأتباعه وأرسلهم إلى مختلف أنحاء العراق، وأصدر تعليمات لتهيئة الشعب العراقي للثورة.

من جهة أخرى، بدأ الشهيد الصدر في تنفيذ أنشطة خاصة تتعلق بالتواصل مع القوى الإسلامية الحليفة، وخاصة مع قيادة الإمام الخميني، ووفقاً لبرنامج خاص، عمل على توفير الأرضية المناسبة لثورة في العراق. ولكن البعثيين، مع دراستهم لتجربة الثورة الإسلامية في إيران، ردوا بمحاربة هذه الجهود، واعتقلوا الشهيد الصدر في منزله، وقاموا بقطع اتصالاته مع الناس وحتى مع المقربين منه. مرّ عدة أشهر على هذه الحالة حتى تم اعتقاله في منزله، وفي وقت كانت الشوارع والأزقة فارغة من الناس، تم اعتقاله في ٢٢ جمادي الأول ١٤٠٠ هـ (١٩ أبريل ١٩٧٩ م)، وأُعدم مع شقيقته بنت الهدى.

تأثير أفكار وأثار الشهيد الصدر على الثورة الإسلامية الإيرانية

على الرغم من أن الشهيد الصدر كان له دور بارز وملحوظ في تشكيل وتطوير الثورة الإسلامية الإيرانية بشكل عملي، حيث أطلق عليه عدة ألقاب مثل «رفيق الإمام الخميني»، «الأب الروحي للثورة الإسلامية الإيرانية»، و«خميني العراق»، ويُعتقد أن الثورة الإسلامية الإيرانية مديّنة بتعاون وفكر هذين القائدين البارزين، فإن هذا التأثير لم يكن ناتجاً فقط عن مواقف الشهيد الصدر وأتباعه المتعلقة بالثورة الإسلامية الإيرانية، بل كانت أفكاره وآثاره الفكرية أيضاً عاملاً مؤثراً في هذا السياق. نستعرض في هذه الفقرة تأثير أفكار وأثار الشهيد الصدر في هذا المجال:

باكورة الأعمال السياسية والاجتماعية

تتضمن الأعمال الأولى للشهيد الصدر ما يلي:

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٦٧

١. مقالاته التي كانت تُنشر في مجلة «الاضواء»، وهي صحيفة تابعة لجامعة العلماء، ثم نُشرت لاحقًا ككتاب مستقل تحت عنوان «رسالتنا»، بالإضافة إلى منشورات جماعة العلماء.

٢. الكتيبات المتعلقة بحزب الدعوة الإسلامية مثل «من فكر الدعوة»، وكذلك الكتب التي تناولت موضوعات مثل «الأصول الإسلامية»، و«رسالة في الحكومة الإسلامية»، و«مشروع الدستور الإسلامي»، وغيرها من الأعمال التي كانت جميعها تركز على القضايا السياسية والاجتماعية.

كان لهذه الأعمال دور كبير في رفع مستوى وعي العلماء وطلاب العلم في مدينة النجف الأشرف وبقية المناطق الإسلامية. أما فيما يتعلق بتأثير هذه الأعمال على الفكر الثوري في إيران، على الرغم من أنه تم نقلها عبر تلاميذ الشهيد الصدر وأتباعه، وكذلك عبر حزب الدعوة وجامعة العلماء، بالإضافة إلى أتباع الإمام موسى الصدر في لبنان، فإنه لم يتم ذكر تفاصيل دقيقة عن تأثيرها على الثوار الإيرانيين.

عن أحد هذه الأعمال قال السيد محمد باقر الحكيم:

أذكر أنه كان لدى آية الله الصدر، رسالة كتبها بخط يده في استدلاله وإثباته لمشروعية «الحكومة الإسلامية». لقد حصلت على هذه الرسالة وعرضتها على بعض المجتهدين المعروفين في ذلك الوقت لكي يتخذوا خطوة في سبيل تعميق هذا الفكر ونشره.^(١)

الأعمال المشهورة:

من بين الأعمال المشهورة «فلسفتنا»، «اقتصادنا»، و«المدرسة

(١) السيد صدر الدين القبانجي، اندیشه های سیاسی آیت الله صدر، ص ١٦.

الإسلامية»، التي تم ترجمتها إلى اللغة الفارسية منذ بداية تأليفها وتدوينها، والتي كانت في متناول المفكرين وطلبة العلوم الدينية والطلاب في الجامعات، وكان لها تأثير عظيم في إيقاظ الأمة والتعريف بالقوانين الإسلامية.

كتب شاؤول بخاش عن تأثير كتاب «اقتصادنا»:

من بين الكتب التي كان لها تأثير خاص، كتاب «اقتصادنا» الذي كتبه السيد محمد باقر الصدر، وهو رجل دين شيعي كان يعيش في العراق وأعدم في أبريل ١٩٨٠م بناءً على أوامر من صدام حسين، رئيس العراق في ذلك الوقت. كان تأثير الصدر في إيران كبيراً جداً. بالنسبة لرجال الدين الإيرانيين الذين كانوا يبحثون عن مبرر لتحريف الملكية الخاصة والتدخل الحكومي في الاقتصاد، كان كتابه يُعتبر مرجعاً يُستفاد منه.^(١)

وتابع يقول:

لقد أظهرت نظريات الصدر في مجال التشريع بعد الثورة أهميتها عبر ثلاثة طرق. أولاً، قدم تعريفاً محدوداً ومشروطاً للملكية، ومنح مجالاً للأحكام الثانوية والقوانين الاختيارية، حيث تحصل فيها الحكومة الإسلامية على صلاحيات واسعة لتنظيم الأمور الاقتصادية.^(٢)

الإسلام يقود الحياة

كان العلامة الصدر يعتقد أن الثورة الإسلامية في إيران تمثل مشروعاً جديداً ضد الليبرالية والاشتراكية الغربية، وكذلك طريقاً ثالثاً أمام العالمين،

(١) أنظر: شاؤول بخاش، «إسلامي و عدالت اجتماعي در ايران» تشيع، مقاومت و انقلاب (مجموعة مقالات المؤتمر الدولي)، باهتمام مارتين غرامر، صص ١٣٧ - ١٣٦.

(٢) أنظر: المصدر نفسه،

وطريقاً لتجسيد العدالة الإلهية بشكل عملي. ومن ثم، سعى لتقديم نظرية شاملة لثورة إيران الإسلامية. كتاب «الإسلام يقود الحياة» وشرح الموضوعات المتعلقة به، بالإضافة إلى رسائله ومراسلاته، يشكل محاولة لوضع الأسس الفلسفية والفقهية للثورة الإسلامية في إيران. يتكون هذا الكتاب من ستة أقسام على النحو التالي:

أ) لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع دستور الجمهورية الإسلامية في إيران

يعد هذا الكتاب بمثابة مسودة للدستور الإيراني، وقد كتبه العلامة الصدر ليتم الاستفادة منه في صياغة دستور الجمهورية الإسلامية في إيران. تم إرسال الكتاب بواسطة السيد محمود الهاشمي، أحد تلاميذه، إلى الإمام الخميني لاستخدامه في إعداد الدستور. وفي وقت لاحق، أرسل نسخة مشابهة للعلماء الشيعة في لبنان استجابةً لاستفسارهم حول الحكومة الإسلامية في إيران. وفي هذا السياق، كتب دكمجيان:

«أول دراسة - الكتاب الأول - كان في الظاهر تفسيراً حول الأسس القضائية وتركيب الدستور، الذي تم تحديده في عام ١٩٧٩ م. وجواباً على استفسار مجموعة من العلماء الشيعة في لبنان بشأن تشكيل المجتمع الإسلامي الناشئ في إيران، تم إرسال وثيقة مشابهة إليهم»^(١)

في مقدمة هذا الكتاب، كتب الشهيد الصدر عن الأمة والثورة الإيرانية قائلاً:

«تمكن الشعب المسلم والبطل في إيران من تأسيس أساس طرد الطاغوت بشكل دائم... لأن هذا الشعب كان على صلة وثيقة بالمرجعية

(١) هراير دكمجيان، المصدر نفسه، صص ١٩٩ - ١٩٨.

الشيعة... ومن هنا كان مشروع «الجمهورية الإسلامية» من قبل هذا المرجع الرشيد تعبيراً حياً عن الهدف والشعار الإسلامي الذي ينبع من داخل المجتمع الإيراني... إن الأمة العظيمة في إيران، بإرسائها أسس الجمهورية الإسلامية وطرح هذه الفكرة، لم تقتصر على تجديد حياتها فحسب، بل وفي هذا العصر المظلم، حيث تنتظر جميع الأمم الإسلامية منقذاً يخلصها من قبضة الغرب وحضارته الزائفة واستعمارها... فإنها قد ألفت شعاعاً من النور على العالم الإسلامي وعلى سائر أنحاء الأرض.^(١)

ب) صور عن اقتصاد المجتمع الإسلامي

يتناول هذا الجزء مسائل اقتصادية عامة في المجتمع الإسلامي. في هذا الكتاب، يتحدث عن الأمة الإيرانية والثورة الإسلامية قائلاً:

«أما بعد... فأنا أشعر بعزة وفخر كبيرين، ويغمرني هذا الشعور بالكامل، عندما أتحدث إلى هذه الأمة العظيمة، الأمة المسلمة في إيران، التي أعادت كتابة تاريخ الإسلام من خلال جهادها ودمائها وبطولاتها الفائقة، وأصبحت تجسيداً حياً ومشرقاً لمرحلة الإسلام الأولى بكل ما فيها من مجد وعلامات شجاعة وإيمان تلك الأيام.»^(٢)

ج) خطوط تفصيلية عن اقتصاد المجتمع الإسلامي

د) خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء

هـ) مصادر القدرة في الدولة الإسلامية

و) الأسس العامة للبنك في المجتمع الإسلامي

(١) السيد محمد باقر الصدر، الاسلام يقود الحياة، صص ٨-٦؛ لمحة فقهية تمهيدية...،

صص ١٩-١٤؛ جهورى اسلامى، صص ١٢-١٠.

(٢) الاسلام يقود الحياة، صص ٢٤-٢٣ و...

رؤية الشهيد الصدر

بالإضافة إلى ارتباط الشهيد الصدر بالثورة الإسلامية الإيرانية وأعماله، كانت رؤيته وفلسفته الخاصة حول الثورة الإسلامية الإيرانية وقيادة الإمام الخميني قد أثرت بشكل كبير على الأمة الإسلامية والثورة الإيرانية لأسباب عدة. الجانب الأكثر أهمية في هذا الموضوع هو رؤيته العالمية ونظرته الإنسانية. كما أن الشهيد الصدر أصبح أحد الأعلام في المعركة الفكرية ضد الأفكار والثقافات والحضارات الغربية على الصعيد العالمي، حيث ناضل في ساحة المعركة الفكرية متجاوزاً حدود القوميات.

لذلك، عندما كتب الشهيد الصدر كتاب «الإسلام يقود الحياة» ومشروع مسودة الدستور للجمهورية الإسلامية وأرسلها إلى إيران، قامت الحكومة العراقية باعتقاله. وبعد اعتقاله، قال له المسؤولون الأمنيون في العراق: «أنت عربي، فكيف تدعم الفرس؟» فأجابهم: «أنا مسؤول أمام جميع المسلمين في العالم، ويجب أن أتحمل مسؤوليتي تجاههم جميعاً»^(١)

وعندما نظم آية الله الصدر مجلس تأبيني إثر استشهاد الشيخ مرتضى مطهري، جاء إليه بعض الأشخاص من النظام العراقي وقالوا له: «مطهري كان إيرانياً ونحن عرب». فأجابهم: «أنا لا ألتفت إلى ما تؤمنون به، ولا أقبل القومية أو الحدود الدولية. هذا هو موقفني ولن أراجع عنه»^(٢)

أحد الخصائص الأخرى لفكر الشهيد الصدر هي شمولية مشروعه وأفكاره. كما قال أحد أساتذته:

(١) الهه كولايي وآخرون، المصدر نفسه، ص ٢٠ و...

(٢) ع. عصيان، «آيت الله صدر، آغازگر فريادی در راستای قامت امت اسلامی عراق»، صحيفة كيهان، ١٩/١/١٣٦١، العدد ١١٥٤٧، ص ١٠.

«هذا الرجل الرشيد، بتفكيره الإسلامي الأصيل، وبعمق تفكيره وروحه الثورية التي أظهرها، ذهب إلى المعركة في كل الساحات وخرج منتصراً في كل مرة...»^(١)

ومن بين السمات المميزة لفكره الأصالة والجدّة في أفكاره ومشاريعه، والمنهج العلمي والعقلي الذي يتوافق مع مقتضيات العصر، وفهمه للقضايا والمدارس الفكرية المعاصرة، بالإضافة إلى التوفيق بين الفعل السياسي والفكر والثقافة. كل هذه العناصر كان لها تأثير كبير في نقل فكر الشهيد الصدر، خاصةً على المسلمين في إيران والعراق.

كما قال الدكتور علي شريعتي:

«بالإضافة إلى الثقافة الإسلامية، هو يفهم زماننا ويشعر بأوجاعه، ويتحدث بلغة الناس في هذا العصر، كما أنه ملم بأسلوب العمل العلمي في هذا الزمن. وهذه هي الخصائص التي يحتاج إليها «العالم الإسلامي» في عصرنا، وهذا هو «العالم الإسلامي» الذي يحتاجه عصرنا.»^(٢)

الأب الروحي للدستور

كما ذكرنا تشير الدلائل والشواهد المتعددة إلى أن السيد محمد باقر الصدر قد أعد مسودة دستور الجمهورية الإسلامية في إيران قبل صياغته الرسمية، وتم إرسالها إلى الإمام الخميني بواسطة السيد محمود الهاشمي. وقد اعتبر البعض أن هذا النص هو ذاته الجزء الأول من كتاب «الإسلام يقود الحياة»، بينما يرى آخرون أنه نص منفصل عنه. رغم هذا الاختلاف، فإن آثار فكر

(١) السيد محمد باقر الصدر، ستهای تاریخ در قرآن، ص ٧٩.

(٢) المؤلف نفسه، تشیع مولود طبیعی اسلام، ص ١٣٧.

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٧٣

الشهيد الصدر واضحة في الدستور الإيراني. في هذا السياق، نعرض بعض أوجه التشابه بين الدستور الإيراني^(١) وأفكار الصدر السياسية، مع التركيز على كتابين هما «لمحة فقهية تمهيدية...» و «خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء»:

الدستور الإيراني (المادة)

القيادة:

- القيادة هي بيد الفقيه العادل الجامع للشرائط الذي يتم اختياره من قبل الشعب كقائد (المقدمة)
- الفقيه... الذي يختاره غالبية الناس (المادة ٥).

المسؤولية:

- لضمان عدم انحراف المؤسسات المختلفة عن وظائفها الإسلامية الأصلية (المقدمة).

شروط القائد:

- العدل والتقوى، الوعي بالزمن، الشجاعة (المادة ٥).
 - ١. الكفاءة العلمية والتقوى.
 - ٢. الوعي السياسي والاجتماعي والشجاعة (المادة ١٠٩).
- الدستور الإيراني (المادة)

وظائف القائد:

- القيادة العامة للقوات المسلحة (المادة ١١٠).

(١) قانون سنة ١٣٥٨.

- التوقيع على مرسوم الرئاسة بعد انتخاب الشعب... (المادة ١١٠).
- تعيين مجلس صيانة الدستور، وتعيين أعلى هيئة قضائية (المادة ١١٠).
- مجمع تشخيص مصلحة النظام (الدستور المعدل عام ١٩٨٩).

السلطة التشريعية:

- مجلس الشورى الوطنى من ممثلى الأمة (المادة ٦٢).
- يحق لمجلس الشورى الإسلامى سن القوانين... (المادة ٧٢).

السلطة التنفيذية:

- رئيس الجمهورية... (المادة ١١٤).
- التصويت على الثقة... (المواد ١٢٣-١٣٥).
- توقيع مرسوم الرئاسة (المادة ١١٠).

السيادة:

- السيادة المطلقة... (المادة ٥٦)، وهو الذى يملك سيطرة الإنسان على... (المادة ٥٦).

خلافة الإنسان (الصفحة):

- المرجعية يجب أن تقود المجتمع كدليل... يجب أن تحدد الأمة مرجعية الشهادة... (الصفحات ٥٥-٥٦).
- لا يمكن للأمة أن تخرج عن الطريق دون وجود شاهد يضمن تجنب انحرافات... (الصفحات ٥٥-٥٦).

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٧٥

- العدالة ... العلم والشمول ... الوعي بالزمن ... الكفاءة والقدرة الذاتية التي تشمل الحكمة ... والشجاعة (الصفحات ٢٥-٢٧).

لمحة فقهية تمهيدية (الصفحة):

- القائد الأعلى للجيش (الصفحة ٢٥).
 - يُرشح أو يُمضي ترشيح الفرد ... بمنصب الرئاسة ... (الصفحة ٢٦).
 - تحديد الموقف الدستوري ... (الصفحة ٢٦).
 - عليها البتّ في دستورية القوانين ... (الصفحة ٢٦).
 - إنشاء ديوان المظالم ... (الصفحة ٧-٢٦).
 - مجلس مركب ... لممارسة المرجعية ... (الصفحة ٢٧).
 - إن السلطة التشريعية قد أسندت ممارستها ... (الصفحة ٢٣).
 - يكون للأمة التشريعية التي تمثل الأمة أن تسن من القوانين ... (الصفحة ٢٣).
 - يعود إلى الأمة انتخاب الرئيس ... (الصفحة ٢٤).
 - إقرار أعضاء الحكومة ... (الصفحة ٢٥).
 - ترشيحه من المرجعية ... (الصفحة ٢٤).
 - إن الله سبحانه وتعالى هو مصدر السلطات ... (الصفحة ٢٠).
 - وهذا الحق حق استخلاف ... (الصفحة ٢٣).
- العوامل المؤثرة في انعكاس الثورة الإسلامية الإيرانية على الشهيد الصدر وحركة الشعب العراقي

نستعرض هذه العوامل من خلال بعدين:

العوامل التي لعبت دورًا إيجابيًا في تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية، والعوامل التي كانت في الواقع عقبات أو سدودًا أمام تأثير هذه الثورة وقد قللت من تأثيرها.

(أ) العوامل الإيجابية

١. وجود الإمام الخميني في العراق لمدة ١٤ سنة (١٩٦٣-١٩٧٨ م): كان لإقامة الإمام الخميني في العراق بين عامي ١٩٦٣ و ١٩٧٨ تأثير كبير على الشيعة في العراق. بالرغم من وجود بعض القيود التي فرضها النظام العراقي، كانت هناك مساحة معقولة من الحرية له في مواجهة النظام الإيراني حتى عام ١٩٧٥. في تلك الفترة، كان الإمام الخميني يتفاعل بشكل مباشر مع حوزات علمية كثيرة في العراق، خصوصًا في النجف، حيث قدم أهم أفكاره السياسية المتعلقة بـ (ولاية الفقيه)، والتي أصبح لها دور محوري في تشكيل وعي العراقيين، لا سيما الشيعة. كان العديد من طلاب الشهيد الصدر وبعض المراجع الآخرين يشاركون في هذه المناقشات حول (ولاية الفقيه)، مما أثر في شعب العراق بشكل عام.

٢. العلاقة بين الشهيد الصدر والإمام الخميني: كان الشهيد الصدر يتابع أفكار الإمام الخميني بعناية واهتمام، ويأخذها بعين الاعتبار، وكان يشجع تلاميذه ومواليه على اتباع الإمام الخميني والالتزام بمواقفه. الدعم الذي قدمه الشهيد الصدر للثورة الإسلامية الإيرانية من خلال تأييد أفكار الإمام الخميني واعترافه بها ساهم في زيادة اهتمام الشعب العراقي بالثورة الإسلامية في إيران.

٣. عائلة الحكيم، تلاميذ وأتباع آية الله الصدر وقربهم من إيران: كان لعائلة الحكيم دور كبير في التأثير على الأوساط الدينية والعلمية في العراق. كما

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٧٧

أن العلاقة القوية بين تلاميذ وأتباع آية الله الصدر مع إيران كانت أحد العوامل المهمة في تعزيز التواصل الثقافي والجغرافي بين العراق وإيران.

٤. برامج ومراسم العزاء في أيام محرم، صفر، ورمضان المبارك وعلاقتها بين إيران والعراق:

٥. وجود العتبات المقدسة والزيارات المتبادلة:

٦. العلاقات الثقافية والعلمية بين الحوزات العلمية والعلماء والطلاب والشيعة بشكل عام.

٧. وجود مراجع الدين في كل من إيران والعراق:

٨. هجرة ونفي رجال الدين والعلماء والمجاهدين العراقيين إلى إيران: بعد قمع النظام العراقي للمعارضة، أصبح من الصعب على رجال الدين والعلماء والمجاهدين العراقيين العمل بحرية داخل العراق. ولذلك، كانت إيران تمثل ملاذًا آمنًا لهؤلاء المجاهدين والمفكرين الشيعة الهاربين من قمع النظام العراقي، مما عزز العلاقة بين الشعب العراقي وإيران، وساعد في نشر الفكر الثوري في العراق.

٩. نقل مراكز وأحزاب ومنظمات المجاهدين الشيعة العراقية إلى إيران.

١٠. عوامل التوافق والوحدة بين الشعب الإيراني والشيعة العراقيين.

ب) العوامل السلبية

بعض هذه العوامل يشمل:

١. تعدد المراجع واختلاف آرائهم مع آراء الإمام الخميني والشهيد الصدر، خاصة بعض المراجع الذين كانوا يملكون العديد من المقلدين.

٢. عدد الأحزاب والمنظمات والجماعات الشيعية، ووجود آراء سياسية

متنوعة سائدة بين تلك الجماعات، خاصة أحادية تصرفات هذه الأحزاب والجماعات.

٣. غياب وجود هيئة أو تنظيم موحد، متناسك ويملك خط فكري وقيادة واحدة بين الشيعة في العراق.

٤. غياب آية الله الصدر، وعدم وجود قائد قادر على أن يحل مكانه بعد استشهاده.

٥. الانسجام والتركيز والتناسك في نظام البعث العراقي.

٦. القمع الشديد من قبل نظام العراق، وطبيعته البوليسية وامتلاكه لمراكز معلومات قوية، وقيامه بالتعامل الشديد مع أي معارضة.

٧. الدعاية المكثفة من قبل نظام البعث العراقي ضد إيران والثورة الإسلامية الإيرانية، حيث كان نظام البعث يصوّر الثورة الإسلامية الإيرانية على أنها ثورة أعجمية ضد العرب، بل وضد الإسلام، ويمكن ملاحظة العديد من الأمثلة على ذلك في تصريحات صدام حسين، و لطيف جاسم... على سبيل المثال، في مقال لطيف جاسم، جاء فيه: «يعتبر العراق أن تفكير الخميني هو امتداد لتفكير ينطلق من حقد فارسي قديم»^(١).

٨. حرب العراق ضد إيران، التي اعتبرها قادة نظام البعث العراقي دفاعاً عن العراق ضد موجات الثورة الإسلامية الإيرانية.

٩. وجود الإيرانيين الفارين في العراق، ودعايتهم ضد الثورة الإيرانية.

١٠. الأبواق الدعائية العالمية، وخاصة العربية، التي كانت تعارض الثورة الإسلامية.

(1) Newsweek; September, 8, 1981.

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٧٩

مراحل تاريخية لرد فعل الشيعة في العراق على الثورة الإسلامية الإيرانية

تم تقسيم ردود الفعل والتأثيرات على الثورة الإسلامية بناءً على قوة وضعف هذه الردود، وكذلك حركة الناس في العراق بين النشاط والهدوء. هذه المراحل يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١. المرحلة التاريخية من ١٩٦٣ إلى ١٩٧٨ م (من بداية الثورة إلى انتصارها) أو مرحلة التحضير.

٢. المرحلة التاريخية من ١٩٧٨ إلى ١٩٨٠ م (من انتصار الثورة إلى بداية الحرب) أو مرحلة الحركة واليقظة.

٣. المرحلة التاريخية من ١٩٨٠ إلى ١٩٨٨ م (من الحرب المفروضة إلى قبول القرار ٥٩٨) أو مرحلة الجمود والهدوء.

٤. المرحلة التاريخية من ١٩٨٨ إلى ١٩٩١ م (من قبول القرار حتى نهاية حرب الخليج) أو مرحلة التحضير والحركة الهادئة.

٥. المرحلة التاريخية من ١٩٩١ م فصاعداً (حركة الانتفاضة) أو مرحلة الانتفاضة والثورة.

هنا، مع الأخذ في الاعتبار فترة حياة الشهيد الصدر، سنقوم باختصار بمراجعة المرحلتين الأوليين من المراحل المذكورة أعلاه.

أ) مرحلة التحضير (١٩٦٣ - ١٩٧٨)

تبدأ هذه المرحلة تقريباً مع بداية حركة الإمام الخميني في إيران، أي في سنوات ١٩٦٢ - ١٩٦٣، وتستمر حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية. من

المنظور المنطقي، نعتبر الثورة عملية فكرية وعقائدية وسياسية تطورت عبر الزمن حتى وصلت إلى ذروتها في نقطة معينة من التاريخ. وبالتالي، لا يمكن تحديد نقطة بداية للثورة بشكل محدد، ولكن نقطة الذروة والتحول الثوري التي قادها الإمام الخميني هي نقطة مفصلية ومصيرية في مسار الثورة.

لقد كانت هذه العملية الفكرية - العقائدية والسياسية موجودة منذ قرون في صفوف الشيعة في كل من إيران والعراق، وجوهرها واحد في كلا البلدين. لذلك، عندما نتحدث عن رد الفعل أو التأثير، فإننا لا نعني فقط التحول الظاهري أو الثورة الظاهرة التي تحققت في العراق، بل في الأساس نرمي إلى تأثير الثورة في العقول والقلوب، وتحويل وعي الناس في ذلك البلد. بمعنى آخر، الثورة كانت بحاجة أولاً إلى أن تنبع من الداخل، لتظهر وتنتشر بعد ذلك في المجتمع.^(١)

في هذه المرحلة، ومع الأخذ في الاعتبار الخصائص المهمة التي تميزها، مثل وجود الإمام الخميني في العراق، وارتباط النشاط الثوريين الإيرانيين والعراقيين، وحضور الشهيد الصدر، وحزب الدعوة الإسلامية، بالإضافة إلى الأجواء التي كانت توفرها العراق للإمام واتباعه، وكذلك الخلافات بين النظامين الإيراني والعراقي، فإن هذه المرحلة كانت تشهد تحضيراً وتوعيةً للشعب العراقي. وكان من الضروري أن تكون هذه المرحلة بمثابة تمهيد للمراحل التالية.

ومن الجدير بالذكر أن استفادة الشيعة العراقيين من آراء الإمام الخميني، وخطبه ودروسه، واللقاءات معه كانت من أبرز ملامح هذه الفترة. كما أن طرد ١٢٠ ألف شيعي إيراني من العراق في عام ١٩٧٠م، والنفي النهائي للإمام من

(١) أنظر: مرتضى مطهرى، پیرامون انقلاب اسلامی.

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٨١

العراق كان من أبرز الأحداث التي تركت تأثيراً كبيراً. وفي هذه المرحلة أيضاً، شهدنا العديد من الانتفاضات الصغيرة، مثل انتفاضة ٢٠ صفر في عام ١٩٧٦، وغيرها من الحركات الثورية الصغيرة التي وقعت خلال هذه الفترة.

(ب) مرحلة الصحوة والحركة (١٩٧٨ - ١٩٨٠)

مع انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية في شباط ١٩٧٩ م، انتشرت مشاعر الفرح والبهجة في جميع أنحاء العراق، وخاصة في المناطق الشيعية، حتى أن الناس كانوا يعتبرون انتصار الثورة الإيرانية انتصاراً لهم. كان أحد قادة المجلس الأعلى يقول:

«في ذلك الوقت كنا نقول إن الإسلام قد انتصر في إيران، وقريباً سوف ينتصر في العراق أيضاً. لذلك يجب أن نتعلم من ذلك ونجعلها نموذجاً لنا.»^(١)

احتفل العراقيون بزوال الشاه وبعودة الإمام وانتصار الثورة في ١١ شباط ١٩٧٩ م. أرسل علماء العراق، وخاصة آية الله الصدر، رسائل تهنئة إلى الإمام الخميني. الميزة الأهم في هذه المرحلة هي الانتفاضة التي بدأت في العراق بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والتي استمرت تقريباً حتى بداية الحرب المفروضة.

كان من أبرز النقاط في هذه الفترة الجهود المبذولة من قبل آية الله الصدر وحزب الدعوة في العراق لإسقاط النظام وإقامة حكومة إسلامية على غرار الحكومة الإيرانية، أي الجمهورية الإسلامية، وبالاعتماد على ولاية الفقيه التي كان آية الله الصدر ينوي تطبيقها.

لقد كانت شهادة آية الله الصدر وأخته بنت الهدى، واغتيال السيد حسن

(١) مقابلة مع الأخوة العراقيين المسؤولين في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق.

الشيرازي في لبنان، وشنّ الحرب النفسية في إيران، والتخريب في المدن الحدودية الإيرانية، دلائل واضحة على خوف النظام البعثي من حدوث ثورة في العراق وإقامة جمهورية إسلامية في هذا البلد. وكان صدام حسين يرى في ذلك ما سماه «نتيجة لتصدير الثورة الإيرانية»، وكان يصفه بالتدخل الإيراني في العراق. ولهذا السبب، بدأ النظام البعثي الحرب ضد إيران في محاولة لإيقاف هذه «المؤامرة» وحماية النظام من انتشار الثورة الإسلامية.

بالتالي، كانت الحرب المفروضة هي أكبر دليل على تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية على العراق. إن الحملات الدعائية المكثفة من قبل النظام البعثي ضد الثورة الإيرانية، وتصويرها على أنها ضد العرب والإسلام، بالإضافة إلى تعبيرهم عن رفضهم للثورة باعتبارها محاولة لنقل أفكار «الفارسية» و«النار المجوسية»، كانت تروج لخطاب معادٍ لثورة إيران.

في هذه الفترة، كانت الحملة العسكرية ضد الشيعة في العراق في أوجها، إذ تم تشريد حوالي ١٢٠ ألف شيعي آخرين من العراق خلال هذين العامين، بالإضافة إلى اعتقال وإعدام الآلاف من المقاومين والمجاهدين من الشيعة. هذه الأحداث توضح مدى الخطر الذي كانت تشكله الثورة الإسلامية الإيرانية على النظام البعثي.

وبناءً على ذلك، تعتبر هذه المرحلة نقطة الذروة في تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية على العراق. من بين التأثيرات السلبية للثورة في هذه المرحلة كان ازدياد الضغط على الشيعة في العراق، بما في ذلك التضييق على أنشطتهم السياسية والاجتماعية، وتصاعد القمع العسكري ضدهم.^(١)

(١) أنظر: عبد الأمير فولادزاده، جنيات رزيم بعث عراق.

المراحل الأخرى

على الرغم من أن المراحل التالية تتعلق بالفترة بعد حياة الشهيد الصدر، فإنه سيتم الإشارة إليها باختصار لإستكمال النقاش.

كانت الحرب المفروضة إحدى التكتيكات التي استخدمها نظام العراق بشكل جزئي للحد من تصدير الثورة. من خلال هذه الحرب، تمكن النظام من تعبئة الشعب في ساحات المعركة، بمساعدة الدعاية الكاذبة، ليقف الحركة الثورية في العراق. وعلى الرغم من الحرب، والأجهزة الأمنية الضخمة، والدعاية الواسعة، إلا أنه كان هناك بعض التأثيرات للثورة، يمكن ملاحظتها على النحو التالي:

١. سخط الشعب من المشاركة في الحرب: شعر الشعب العراقي بعدم الرغبة في المشاركة في الحرب، حيث اعترف العديد من الأسرى العراقيين بأنهم استسلموا طواعية للقوات الإيرانية.

٢. فرار الجنود من جبهات القتال: بعض الجنود العراقيين فضلوا الهروب من الجبهة، حتى على حساب حياتهم، وهربوا إلى إيران أو إلى دول أخرى.

ووفقاً للاعترافات الصادرة عن مسؤولي المجلس الأعلى، فإن الشيعة في العراق حافظوا إلى حد ما على ميولهم الثورية خلال هذه الفترة. ومع ذلك، كانت السياسة القمعية لدرجة أن الناس لم يكن بإمكانهم الوثوق حتى بأقربائهم؛ كان أي حديث أو تصرف ثوري يعرض الشخص للموت أو الإعدام، ويتم تشريد أسرته.

وفي هذه الفترة، كانت معظم الأحزاب الثورية وزعمائها قد غادروا العراق. كان قائد الثورة قد استشهد، ولم يبقَ تنظيم يُنظم ويسير الحركة الثورية

في العراق. لم تبدأ التحركات الثورية مجددًا إلا بعد تشكيل فيلق بدر التاسع من قبل المجلس الأعلى، حيث بدأت العمليات الفدائية والشعبية داخل العراق بمساعدة حرس الثورة الإسلامي.^(١)

بعد قبول قرار القرار ٥٩٨ من قبل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة،^(٢) شهدت الحرب منعطفًا كبيرًا. فمن جهة، كان الجيش العراقي قد أصبح منهكًا بعد ثماني سنوات من القتال ولم يعد يتمتع بنفس الروح المعنوية. ومن جهة أخرى، كان الوضع على الحدود ضعيفًا وكان هناك نوع من التبادل والتواصل، خاصة مع الهجوم الذي شنته العراق على الكويت، تبعه الهجوم الأمريكي وحلفاؤه على العراق.

وكانت المساعدات الغذائية والطبية تصل إلى العراق عبر الحدود الإيرانية، مما أعاد التواصل بين البلدين. قبل الهجوم الأمريكي واندلاع حرب الخليج الأولى، بدأ العراقيون بعض التحركات الثورية.

من أبرز هذه التحركات: مدينة حلبجة التي تحولت إلى مدينة خميني.^(٣) الانتفاضة الشعبية في جنوب العراق، التي بدأت بالتشكل. في بعض المناطق الصغيرة، خرجت السيطرة العسكرية العراقية على بعض المدن. كانت عودة الأسرى العراقيين من الحرب إلى بلادهم محورية، حيث كانت تعكس بداية الصحوة الثورية.

ومع ذلك، بعد التدخل الأمريكي في العراق، عاد الهدوء مرة أخرى، وسيطر على الشيعة في العراق فترة من الخمود والجمود.

(١) مقابلة المؤلف مع أعضاء في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق فرع إيران.

(٢) قبول القرار من قبل الحكومة العراقية وإلا فإن الحكومة الإيرانية سوف تقبل به بصورة أسرع.

(٣) صحيفة جمهوري اسلامي، مورخ ١٣٦٦/٢/٦؛ لواء الصدر، ١٩ و ٢٠/١/١٣٦٦.

... الفصل الرابع عشر: التأثير المتبادل بين آراء الشهيد الصدر وسيارته السياسية ٥٨٥

مع نهاية الحرب الخليجية الأولى وخروج النظام العراقي من الكويت، بدأت الانتفاضة الشعبية العامة في العراق، وخاصة بين الشيعة، تحت تأثير العوامل التالية:

١. ضعف الجيش العراقي وهزيمته أمام الولايات المتحدة؛
٢. الضغوط والمعاناة والفقر والجوع بسبب العقوبات الاقتصادية والعدوان الأمريكي؛
٣. إقامة روابط بين الشيعة في العراق والشعب الإيراني؛
٤. استئناف الأنشطة الحزبية الثورية؛
٥. استياء الشعب العراقي من سلوك حكامه.

استناداً إلى هذه العوامل، انطلقت الانتفاضة في ١٥ شعبان ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م بقيادة علماء الشيعة من مدينة البصرة، وانتشرت إلى جميع المدن الشيعية تقريباً لمدة أسبوع، حتى خرج حوالي ٧٠٪ من جنوب ووسط العراق من تحت سيطرة الجيش البعثي. في هذه الحركة، كان العراقيون يحملون صور الإمام الخميني، وآية الله الخامنئي، وآية الله الصدر، وكانوا يهتفون بشعارات مثل «النجدة يا إيران...» وكان هدفهم الأساسي إقامة حكومة إسلامية على غرار الحكومة الإيرانية. كما بدأ راديو صوت ثورة العراق في البث بواسطة الشيعة، وبدأت الأحزاب الثورية مثل حزب الدعوة والمجلس الأعلى وغيره من الأحزاب المعارضة بتكثيف أنشطتها.

وبالتالي، يمكن ملاحظة بوضوح تأثير الثورة الإسلامية الإيرانية في هذه الانتفاضة.

للأسف، بسبب بعض الأسباب، انتهت هذه الانتفاضة بالفشل، على

الرغم من أنها استمرت في بعض الأماكن بشكل متقطع وعفوي. وهذه الأسباب تتلخص في:

١. عدم وحدة الانتفاضة: بمعنى أن الانتفاضة كانت تحدث بشكل منفصل في المدن والمحافظات، وعندما كانت إحدى المناطق تقع بالكامل تحت سيطرة الشعب، كانت منطقة أخرى تفلت منهم.
٢. استخدام النظام لوسائل الحرب الحديثة والمتطورة ضد الأسلحة الخفيفة التي كان يمتلكها الشعب.
٣. رغبة الجيش العراقي في استعادة هيئته التي فقدها في الحرب أمام الولايات المتحدة.
٤. استمرار سيطرة النظام على المراكز الاقتصادية والصناعية الرئيسية.
٥. بقاء العاصمة بغداد، المركز السياسي للعراق، تحت سيطرة النظام.
٦. الحصار الاقتصادي الشديد الذي فرضه النظام على الشعب الجائع.
٧. تدمير المنشآت الصحية والاقتصادية من قبل القوات الأمريكية والغربية، إلى درجة أن المجاهدين كانوا يفتقدون لأساسيات الحياة.
٨. الضغط والقمع الشديد وغير المسبوق من قبل النظام.
٩. تشريد الناس وتهجيرهم، والإعدامات، والمجازر الجماعية في العلن.
١٠. غياب التنظيم، والهياكل القيادية، والقيادة الموحدة.
١١. الدعاية المكثفة من قبل نظام البعث، والتعاون مع القوى الغربية لمنع انتفاضة الشعب.

المصادر المعتمدة:

الكتب

مؤلفات الشهيد الصدر

- الصدر، السيد محمد باقر، آزادی از دیدگاه قرآن، ترجمة: هادی انصاری، طهران: منشورات روزبه، بلا تاریخ.
- ، آنچه برای تو خواستم یا بهترین مقالات، ترجمة: السيد نورالدين شریعتمداري، قم: دار الكتاب، بلا تاریخ.
- ، اثبات خدا با روش علمی و فلسفی، ترجمة: محمود عابدی، طهران: منشورات روزبه بالتعاون مع المكتبة الإسلامية الكبرى، ۱۳۶۲.
- ، از سقیفه تا کوفه (نگاهی تازه به حیات سیاسی امیر المؤمنان علی علیه السلام)، ترجمة: مکتب بدر للمطالعات والمطبوعات، طهران: منشورات بدر و نشر کوکب، ط. ۲، ۱۳۷۲.
- ، از مبانی فکری حزب الدعوة الإسلامية، ترجمة: حزب الدعوة الإسلامية، طهران: حزب الدعوة الإسلامية، بلا تاریخ.
- ، الاسس الاسلامیه؛ در محمد الحسینی؛ الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، بیروت: دارالفرات، ط. الاولى (۱۹۸۹ م - ۱۴۱۰ هـ).

..... ٥٨٨ سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

ـ، اسلام و مكتبهاى اقتصادى، ترجمة: محمد نبى زاده، طهران:
منشورات مرتضوى، ط. ٢، ١٣٥٨.

ـ، اقتصاد ما، ترجمة: محمد مهدى فولادوند، طهران: بنياد علوم
اسلامى، ١٣٦٠.

ـ، اقتصاد ما، ج ١، ترجمة: محمد كاظم موسى، جهاد سازندگى
مشهد، ١٣٦٠.

ـ، اقتصاد ما، ج ٢، ترجمة: ع - اسپهبدى، جهاد سازندگى مشهد،
١٣٦٠.

ـ، اقتصادنا، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ط. ٦، ١٣٩٩ هـ /
١٩٧٩ م.

ـ، اقتصاد برتر، ترجمة: على اكبر سيوييه، طهران: مكتب نشر ميثم، بلا
تاريخ.

ـ، الاسس العامه للبنك فى المجتمع الاسلامى، دارالتعارف
للمطبوعات، ط. ٢، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

ـ، الاسس المنطقية للاستقراء، (طهران): المجمع العلمى للشهيد
الصدر، ط. ١، ١٤١٠ هـ.

ـ، الاسلام يقود الحياة، طهران: وزارة الارشاد الاسلامى، بلا تاريخ.

ـ، الامام على سيره و جهاد، بيروت: دارالمرتضى، بلا تاريخ.

ـ، الحسين يكتب قصته الاخير، تحقيق و تعليق صادق جعفر الروازق،
قم: مكتبه الغدير للنشر و التوزيع، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.

ـ، الفتاوى الواضحة، ج ١، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ط. ٧، ١٤٠١ هـ، ١٩٨١ م.

ـ، المحنة، قم: منشورات ذوالفقار، بلا تاريخ.

ـ، المدرسة الاسلامية، طهران: دارالكتاب الايراني، بلا تاريخ.

ـ، المدرسة القرآنية، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، بلا تاريخ.

ـ، المرسل الرسول، الرساله، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ط. ٣، بلا تاريخ.

ـ، امام مهدي حماسه اي از نور، ترجمة: المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران: مؤسسه الامام الهدي، ١٣٩٨ هـ.

ـ، امام مهدي ﷺ حماسه اي از نور، ترجمة: المكتبة الإسلامية الكبرى، طهران: مؤسسه الامام المهدي ﷺ و بنياد بعثت، بلا تاريخ.

ـ، انسان مسئول و تاريخ ساز از ديدگاه قرآن، ترجمة: محمد مهدي فولادوند، طهران: بنياد قرآن، بلا تاريخ.

ـ، انقلاب مهدي و پندارها، ترجمة: السيد احمد علم الهدي، طهران: مسجد جامع، ١٣٩٨ هـ.

ـ، اهل بيت، تنوع ادوار وحدة هدف، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، بلا تاريخ.

ـ، بانك اسلامي، ترجمة: حبيب الله خنجي، مقدمه: علي حجتى كرمانى، طهران: منشورات الفتح، بلا تاريخ.

ـ، بحث حول المهدي ﷺ، تحقيق و تعليق الدكتور عبد الجبار شرارة، قم: مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ط. ١، ١٤١٧ هـ.

ـ، بحث حول الولاية، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ط. ٢،
١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.

ـ، بحوث الاسلامية و مواضع اخرى، بيروت: دار الزهراء، ط. ٣،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

ـ، بر آمدن شيعه و تشيع، ترجمة: مهدي زنديه، قم: منشورات دائرة
المعارف فقه اسلامي، ١٣٨١.

ـ، بينش اجتماعي اسلام، ترجمة: كريم جعفري، طهران: منشورات
حكمت، بلا تاريخ.

ـ، تئوري شناخت و جهان بيني در فلسفه ما، ترجمة: سيدحسن
حسيني، طهران: نشر كوكب و منشورات بدر، بلا تاريخ.

ـ، المجموعة الكاملة لتراث الشهيد الصدر، قم: مركز الابحاث و
الدراسات التخصصية للشهيد الصدر، ١٤٢١ هـ / ١٣٧٩ هـ ش، ١٩ ج.

ـ، تشيع مولود طبيعي اسلام، ترجمة: علي حجتى كرماني، با نقدي از
دكتور علي شريعتي، (بلا مكان للنشر): كانون نشر و پژوهشهاي اسلامي،
مطبعة آفتاب، (بلا تاريخ).

ـ، تفسير موضوعي سنهاي تاريخ در قرآن، ترجمة: السيد جمال
موسوي، قم: منشورات اسلامي رابطة المدرسين التابعة للحوزة العلمية بقم،
بلا تاريخ.

ـ، جمهوري اسلامي، ترجمة: السيد جعفر حجت، طهران: منشورات
روزبه، بلا تاريخ.

ـ، حول الاسم و الشكل التنظيمي لحزب الدعوة الاسلامية، بلا مكان

- للنشر: منشورات حزب الدعوة الإسلامية، بلا تاريخ.
- ـ، خطوط تفصيليه عن اقتصاد المجتمع الاسلامي، طهران: جهاد البناء، ١٣٩٩ هـ.
- ـ، خلافت انسان و گواهی پیامبران، ترجمة: السيد جمال موسوی، طهران: منشورات روزبه، ١٣٥٩ ش.
- ـ، خلافة الانسان وشهادة الانبياء، طهران: جهاد البناء، ١٣٩٩ هـ.
- ـ، دروس في علم الاصول، قم: مجمع الفكر الاسلامي، ط. ١، ١٩٩١ م، ١٤١٢ هـ.
- ـ، دروس في علم الاصول الحلقتان الاولى و الثانية، قم: مجمع الشهيد آية الله الصدر العلمي، ط. ٢، ١٤٠٨ هـ.
- ـ، دور الائمة في الحياة الاسلاميه، قم: الحوزة العلميه العراقيه، بلا تاريخ.
- ـ، رسالت جهاني اسلام، ترجمة: السيد مهدي آيت اللهی، قم: جهان آرا، بلا تاريخ.
- ـ، رسالت ما، ترجمة: محمد تقی رهبر، طهران: منشورات روزبه، ط. ٢، بلا تاريخ.
- ـ، رسالتنا، طهران: نشر توحيد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.
- ـ، رسالتنا، مقدمة: السيد محمد حسين فضل الله، طهران: مكتبة النجاح، ط. ٣، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
- ـ، روش نوین در فلسفه اصول الدين، ترجمة: عباس مخبر دزفولی، طهران: مكتبة الصدر، بلا تاريخ.

۵۹۲.....سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

ـ، سرچشمه های قدرت در حکومت اسلامی، ترجمة: اكبر ثبوت،
طهران: منشورات روزبه، بلا تاريخ.

ـ، سنتهای اجتماعی و فلسفه تاريخ در مكتب قرآن، ترجمة: حسين
منوچهری، مقدمه و تنظيم وهوامش: جلال الدين الصغير، طهران: نشر
فرهنگی رجاء، ۱۳۶۹.

ـ، سنتهای تاريخ در قرآن، ترجمة: السيد جمال موسوی، طهران:
منشورات روزبه، بلا تاريخ.

ـ، صورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامی، طهران: جهاد سازندگی،
۱۳۹۹هـ.

ـ، طرح گسترده اقتصاد اسلامی، ترجمة: فخرالدين شوشتری، طهران:
منشورات بدر، ۱۳۵۹.

ـ، عبادت در اسلام، ترجمة: علی کاظمی خلخانی، طهران: مؤسسه
مطبوعاتی عطائی، ط. ۱، ۱۳۶۱.

ـ، علم اصول، ترجمة: نصرالله حکمت، طهران: منشورات امير کبير،
ط. ۲، ۱۳۶۴.

ـ، عمل صالح از دیدگاه قرآن، ترجمة: جمال موسوی، طهران:
منشورات روزبه، بلا تاريخ.

ـ، غاية الفكر في اصول الفقه، بيروت: دارالتعارف للمطبوعات،
۱۴۰۸هـ / ۱۹۸۸م.

ـ، فراهایی از سیستم اقتصادی اسلام، ترجمة: هادی انصاری،
طهران: هدایت، بلا تاريخ.

ـ، فدک فی التاریخ، تحقیق عبدالجبار شراره، بیروت، مرکز الغدیر للدراسات الاسلامیه، بلا تاریخ.

ـ، فدک فی التاریخ، طهران: مؤسسه البعث، طبعة الاولى، ۱۴۰۴ ق.

ـ، فدک در تاریخ، ترجمة: محمود عابدی، طهران: منشورات روزبه،

۱۳۶۰.

ـ، فلسفتنا، قم: المجمع العلمی للشهید الصدر (قدس سره)، ط. ۲،

۱۴۰۸ هـ.

ـ، فلسفة ما، ترجمة: السيد حسين الحسینی، طهران: مكتب بدر

للمطالعات والمطبوعات، ۱۳۶۲.

ـ، فلسفه ما یا بررسیهای بنیادی درباره مکتبهای فلسفی، فلسفی

اسلامی، ماتریالیسم و دیالکتیک مارکسیسم، ترجمة: و شرح، السيد محمد

حسن مرعشی شوشتری، طهران: بلا مکان للنشر، بلا تاریخ.

ـ، کلیاتی پیرامون عبادات اسلامی، ترجمة: جمال موسوی، طهران:

منشورات روزبه بالتعاون مع المكتبة الإسلامية الكبرى، ۱۳۵۹.

ـ، گامی در مسیر، ترجمة: بیات و شوشتری، طهران: منشورات روزبه

بالتعاون مع المكتبة الإسلامية الكبرى، ۱۳۵۴.

ـ، لمحة فقهية تمهيدية عن مشروع الدستور الجمهورية الاسلامية في

ایران، طهران: جهاد البناء.

ـ، مباحث الاصول، تقریرات درس خارج اصول الشهید الصدر،

تدوین: السيد كاظم حائری، قم: منشورات معزز، ط. ۱، ۱۴۰۴ هـ.

ـ، مبانی اقتصادی در جامعه اسلامی، ترجمة: هادی انصاری، طهران:

منشورات روزبه بالتعاون مع المكتبة الإسلامية الكبرى، ١٣٥٩.

ـ، مبانی منطقی استقراء، ترجمة: السيد احمد فهري: قم: منشورات پیام آزادی، بلا تاریخ.

ـ، مجموعه ای از آثار شهید السید محمد باقر صدر، طهران: منشورات روزبه بالتعاون مع المكتبة الإسلامية الكبرى، بلا تاریخ.

ـ، مدرسة اسلامي، ترجمة: علی کاظمی خلخالی، طهران: مؤسسه مطبوعاتی عطائی، ط. ١، ١٣٦٢.

ـ، مقدماتی در تفسیر موضوعی قرآن، ترجمة: شاکر شاهی، ج ١، طهران: منشورات فارابی، ١٣٦٠.

ـ، مقدمه ای بر اقتصاد اسلامي، ترجمة و مقدمه: علی علمی اردبیلی، مشهد: منشورات امامت، ط. ١، ١٣٥٩.

ـ، مقدمه ای بر بینش اجتماعی اسلام، ترجمة: کریم جعفری، طهران: منشورات حکمت، ١٣٥٦.

ـ، مقدمه ای بر صحیفه سجادیه، ترجمة: جمال موسوی، طهران: منشورات روزبه، بلا تاریخ. (ملحق العمل الصالح من منظار القرآن).

ـ، منابع القدرة فی الدولة الاسلامیة، طهران: جهاد البناء، ١٣٩٩ هـ.

ـ، منشورات جماعة العلماء فی النجف الاشرف، ط. ٣، شعبان ١٣٧٨ هـ.

ـ، من فکر الدعوة، مرکز اطلاعات حزب الدعوة، بلا مؤلف، بلا تاریخ.

ـ، منهاج الصالحين (تعليقات الشهيد الصدر)؛ بيروت: دارالتعارف للمطبوعات، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.

ـ، نشأة التشيع و الشيعة، تحقيق و تعليق الدكتور عبد الجبار شرارة، قم: مركز الغدير للدراسات الاسلامية، ط. ٢، ١٤١٧ ق / ١٩٩٧ م.

ـ، نقش پیشوایان شیعه در بازسازی جامعه اسلامی و آزادی در قرآن، ترجمة: علی اسلامی و هادی انصاری، طهران: منشورات روزبه، بلا تاریخ.

ـ، نهادهای اقتصادی اسلامی، ترجمة: غلام رضایات و فخرالدین شوشتری، طهران: منشورات بدر، ١٣٥٧.

ـ، همراه با تحول اجتهاد، ترجمة: اکبر ثبوت، طهران: منشورات روزبه، ١٣٥٩.

ـ، هفت سؤال پیرامون حضرت مهدی علیه السلام، ترجمة: عباس مخیر دزفولی، قم: مکتب النشر الإسلامي رابطة المدرسين التابعة للحوزة العلمية بقم، بلا تاریخ.

ـ، ولایت از دیدگاه عقل و فطرت، ترجمة و هوامش: السيد مهدی آیت اللهی و مقدمه جعفر سبحانی، قم: جهان آرا، ١٣٥٣.

سائر المؤلفات

ـ ابن خلدون، المقدمة، ترجمة: محمد پروین گنابادی، طهران: شركة النشر العلمي والثقافي، طبعات مختلفة.

ـ الاديب، صالح، تغيير اجتماعي.

ـ اديب، عادل، حزب الدعوة اسلامي عراق، ترجمة: السيد حسين

موسوی، طهران: مركز الأبحاث العلمية والدراسات الاستراتيجية الشرق الأوسطية، ۱۳۸۳.

- اسپریگنز، توماس، فهم نظریه های سیاسی، ترجمة: فرهنگ رجایی، طهران: منشورات آگاه، ط. ۱، ۱۳۶۵.

- آقابزرگ طهرانی، محمد محسن، نقباء البشر فی القرن الرابع عشر، مشهد: دار مرتضی، ط. ۲، ۱۴۰۴هـ.

- آل محبوبه، جعفر بن شیخ باقر، ماضی النجف و حاضرها، بیروت: دارالاضواء، ط. ۲، ۱۴۰۶هـ / ۱۹۸۶م.

- آل یاسین، شیخ راضی، صلح امام حسن، ترجمة: السيد علی الخامنئي، طهران: منشورات آسیا، ط. ۱، ۱۳۴۸ ش.

- امام علی علیه السلام، نهج البلاغه، جمعه: السيد رضی، تحقیق السيد جعفر حسینی، قم: دارالثقلین، ۱۴۱۹هـ.

- اوستا، مهرداد، امام حماسه ای دیگر، طهران: الشعبة الفنية في منظمة الإعلام الإسلامي، ط. ۲، ۱۳۶۸.

- باقری، خسرو، نگاهی دوباره به تربیت اسلامی، طهران: وزارة التربية والتعليم، ط. ۱، ۱۳۶۸.

- بی آزار شیرازی، عبدالکریم، توحید کلمه، طهران: مکتب نشر الثقافة الإسلامية، ۱۴۰۴هـ.

- بیرو، آلن، فرهنگ علوم اجتماعی، ترجمة: باقر ساروخانی، طهران: منشورات کیهان، ط. ۱، ۱۳۶۶.

- بیگدلی، علی، تاریخ سیاسی اقتصادی عراق، نشر میراث مکتوب، ط. ۱، ۱۳۶۸.

- بيلر، روبرت، کاربرد روان شناسی در آموزش، ترجمة: پروين كديور، طهران: مركز النشر الجامعي، ج ١، ط. ٢، ١٣٦٨.

- بي. ناس، جان، تاريخ جامع اديان، ترجمة: على اصغر حكمت، طهران: شركة النشر العلمي والثقافي، ط. ٩، ١٣٧٧.

- التميمي الآمدى، عبدالواحد بن محمد، تصنيف غرر الحكم و درر الكلم، تحقيق: مصطفى درايتى، قم: منشورات مكتب الإعلام الإسلامى، ط. ١، بلا تاريخ.

- ثقافة الدعوة الاسلاميه، حزب الدعوة الاسلامى العراق، القسم السياسى (٢).

- جعفرى، محمد تقى، عدالت و ستم، گردآوری، تنظيم و تلخيص: محمدرضا جوادى، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ١٣٧٨.

- جمشىدى، محمد حسين، اندیشه سياسى امام شهيد السيد محمد باقر صدر، (أطروحة ماجستير)، طهران: جامعة إعداد المدرسين، مرداد ١٣٧٢.

-، اندیشه سياسى شهيد رابع امام السيد محمد باقر صدر، طهران: مكتب المطالعات السياسية والدولية، ط. ١، ١٣٧٨.

- حاتمى، محمد رضا، نظريه انقلاب در اسلام، طهران: منظمة الإعلام الإسلامى، ط. ١، ١٣٧٧.

- الحائرى، السيد كاظم، مباحث الاصول و (تقاريرات دروس الشهيد الصدر)، بيروت: منشورات هرز، ج ٣، ١٤٠٧ هـ.

- مباحث الاصول و (تقاريرات دروس الشهيد الصدر)، قم: ج ٢، ١٤٠٨ هـ.

- (الحسيني) الحائري، السيد كاظم، زندگی و افكار شهيد صدر، ترجمة: و پاورقي حسن طارمي، طهران: سازمان مطبعة و منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط. ١، ١٣٧٥.

- حجتی کرمانی، علی، عصر امتياز ماشين، طهران: منشورات غدیر، ١٣٥٤.

- حرز الدين، محمد، معارف الرجال فی تراجم العلماء و الادباء، قم: منشورات مكتبة المرعشي النجفي، ١٤٠٥ هـ.

- حزب الدعوة الاسلامی عراق، استشهاد الامام محمد باقر الصدر من منظر حضاری، حزب الدعوة، المكتب الإعلامي في لبنان، نيسان/أبريل ١٩٨١.

- حزب الدعوة الاسلامی، ثقافة الدعوة الاسلاميه، حزب الدعوة الاسلاميه، القسم السياسی (١)، ١٩٨٤ م.

- حسن، غالب، الشهيد الصدر رائد الثورة الاسلامية فی العراق، اصدار وزارة الارشاد الاسلامی فی الجمهورية الاسلامية فی ايران.

- الحسيني، محمد، الامام الشهيد السيد محمد باقر صدر، بيروت: دارالفراة، ط. ١، ١٩٨٩ م / ١٤١٠ هـ.

- محمد باقر الصدر حياة حافله، فكر خلاق، بيروت: دارالمحجة البيضاء، ط. ١، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

- الحكيم، السيد محمد باقر، القيادة السياسية النائية، طهران: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، بلا تاريخ.

- النظرية السياسية عن الشهيد الصدر، طهران: مكتب آية الله السيد محمد باقر الحكيم، ١٣٦٨.

- الحكيم، السيد محمد مهدي، التحرك الاسلامي في العراق، مركز شهداء آل الحكيم، بلا تاريخ.

- الحلبي، نجم الدين جعفر بن حسن (تحقيق)، شرايع الاسلام في مسائل الحلال والحرام، بيروت: داراضواء، ط. ١٩٨٣ م / ١٤٠٣ هـ.

-، شرايع الاسلام، ترجمة: ابوالقاسم يزدي، طهران: منشورات جامعة طهران، ١٣٥٨.

- حيدري، اكرم، روان شناسي رشد و اختلالات رواني رايج در كودكان، طهران: (مؤلف)، ط. ١٣٦٩.

- الحيدري، السيد محمد، الامام محمد باقر الصدر، معاشه من قريب، بيروت: دارالهادي، ٢٠٠٣ م.

- خاتمي، السيد محمد، بيم موج، طهران: مؤسسه سيماي جوان، ط. ٢، ١٣٧٦.

- خاقاني، علي شعراء الغري، قم: ١٤٠٨ هـ.

- الخرسان، صلاح، حزب الدعوة الاسلامية (حقائق و وثائق فصول من تجربة الحركة الإسلامية في العراق خلال ٤٠ عاماً) دمشق: المؤسسة العربية للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط. ١، ١٩٩٩ م.

- الخميني (روح الله) امام، البيع، طهران: مؤسسة إعداد ونشر تراث الإمام الخميني، ط. ١، ١٣٧٩.

- داوري اردكاني، رضا، فارابي، مؤسس فلسفه اسلامي، طهران: مؤسسه الدراسات والأبحاث الثقافية، ط. ٢، ١٣٦٢.

- مكتب التخطيط وتأليف المناهج الدراسية، آشنایی با مكاتب و

اصطلاحات عقیدتی و سیاسی، طهران: شركة مطبعة و نشر ایران، الرقم السري ۱۳۷۰، ۲۰۱۴.

- مكتب التخطيط و تأليف المناهج الدراسية، تاريخ عمومي، طهران: وزارة التربية و التعليم الرقم السري ۱۳۶۶، ۳۰۷.

- د كمجيان هراير، اسلام در انقلاب جنبشهای اسلامي در جهان عرب: (بررسی پديده بنياد گرایی اسلامي)، ترجمة: حميد احمدي، طهران: منشورات كيهان، ۱۳۶۶.

- دو توکفيل، الکسی، انقلاب فرانسه و رژیم پیش از آن، ترجمة: محمد حسين ثلاثي، طهران: نشر نقره، ط. ۲، ۱۳۶۹.

- الديلمي، حسن بن ابی الحسن، ارشاد القلوب، قم: منشورات شريف رضى، ۱۴۱۲هـ.

- الراغب الاصفهانی، ابوالقاسم حسين بن محمد (۱۴۰۴ هـ)، المفردات فی غريب القرآن؛ طهران: مطبعة خدمات چاپی.

- راهنمای انسانيت، احاديث و ترجمة: از كتاب نهج الفصاحة، إعداد: مرتضى فريد تنكابنی، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط. ۳، ۱۳۷۷.

- روحانی، السيد حميد، بررسی و تحليلی از نهضت امام خمینی، قم: مكتب النشر الإسلامي رابطة المدرسين في الحوزة العلمية بقم، ط. ۲، ۱۳۶۱.

- روحانی، السيد حميد، نهضت امام خمینی، طهران: مركز وثائق الثورة الإسلامية، ج ۱.

- رونوون، پی یر، بحرانهای قرن بیستم، ج. ۲، ۱۹۴۵ - ۱۹۲۹، ترجمة: احمد ميرفندرسکی، طهران: منشورات جامعة طهران، الرقم السري ۱۳۶، ۱۳۵۷ هـ ش.

- جيلسون، ايتيان، نقد تفكر فلسفى غرب (از قرون وسطى تا اوایل قرن حاضر)، ترجمة: احمد احمدي، طهران: منشورات حكمت، ط. ١، ١٣٥٧.

- سادات، محمد على، سرمايه تاراج رفته، طهران: منشورات هدى، ط. ١، بلا تاريخ.

- سعدى، شيرازى، مصلح الدين، كليات سعدى، إعداد: محمد على فروغى، طهران: مؤسسه منشورات امير كبير، ١٣٧٦.

- سيري در سپهر جان، مقالات و مقولاتى در معنويت، ترجمة: مصطفى ملكيان، طهران: نشر نگاه معاصر، ط. ١، ١٣٨١.

- شريعتى، على، نقدى بر كتاب تشيع مولود طبعى اسلام، طهران: بلا مؤلف، بلا تاريخ.

- شعيرى، تاج الدين، جامع الاخبار، قم: منشورات رضى، ١٣٦٣ ش.

- شهيد ثانى، حسن بن زين الدين، معالم الاصول، طهران: ١٣٧٨.

- الصدر، بنت الهدى، اى كاش مى دانستيم، ترجمة: لطيف راشدى، طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط. ٢، ١٣٦٩.

- ستيز، ترجمة: لطيف راشدى، طهران، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط. ٥، بلا تاريخ.

- شخصيت زن مسلمان ترجمة: احمد صادقى اردستاني، طهران: منشورات حافظ، ط. ٢، ١٣٦٨.

- الصدر، السيد حسن، تكمله امل الآمل، تحقيق: السيد احمد حسيني، قم: مطبعة خيام، ١٤٠٦ هـ.

- طباطبائي، السيد صادق؛ خاطرات سياسى - اجتماعى دكتور صادق طباطبايى، طهران: مؤسسه مطبعة و نشر عروج، ط. ١، ١٣٨٧ ش، ٣ ج.

- طباطبائي، السيد على، رياض المسائل، قم: مؤسسه النشر الاسلامى، ط. ١، ١٤١٢ هـ، ج ٢.

- العاملى الشامى، زين الدين بن على بن احمد (الشهيد الثانى)، منية المريد فى آداب المفيد و المستفيد، اعداد احمد الحسينى، بيروت: دارالمرتضى، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

- العاملى، ابوزيد، محمد باقر الصدر السيرة و المسيرة فى حقائق و وثائق، بيروت: مؤسسه العارف للمطبوعات، ج اول، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
- عبدالكريمى، ييجن، تفكر و سياست، طهران: منشورات علمى وفرهنگى، ط. ١، ١٣٧٦.

- علاوى، حسين، حزب الدعوه الاسلاميه، اشكاليه الصراع، بلا مكان للنشر، بلا تاريخ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.

- على بابايى، عبد الرضا، فرهنگ علوم سياسى، طهران: شركة ويس للنشر والتوزيع، ط. ٢، ١٣٦٩.

- عميد زنجانى، عباس على، روايتى از انقلاب اسلامى ايران (خاطرات حجت الاسلام و المسلمين عميد زنجانى)، طهران: مركز وثائق الثورة الإسلامية، ١٣٧٩.

- غروى، السيد محمد، تلامذة الامام الشهيد الصدر، بيروت: دارالهادى، ط. ١، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.

- فؤاد، ابراهيم، الفقيه والدولة، الفكر السياسى الشيعى، بيروت: دارالكنوز الادبية، ط. ١، ١٩٩٧ م.

المصادر المعتمدة.....٦٠٣

- فرانكل، جوزيف، روابط بين الملل در جهان متغير، ترجمة: عبدالرحمان عالم، طهران: مكتب المطالعات السياسية والدولية، وزارة الخارجية، ط. ٢، ١٣٧٠.

- فهد نفيسي، عبدالله، نهضت شيعةان در انقلاب اسلامي عراق، ترجمة: كاظم چايچيان، طهران: امير كبير، ط. ١، ١٣٦٤ ش.

- فولادزاده، عبدالامير، جنايات رژيم بعث عراق، طهران: مكتب إعلام حركة المهجرين العراقيين، ١٣٦٩ ش.

- القبانجي، السيد صدر الدين، الجهاد السياسي للسيد الشهيد الصدر، بلا مكان للنشر: المجلس الاعلى الثورة الاسلاميه فى العراق، ط. ٢، ١٤٠٤ هـ.

-، الفكر السياسي للسيد الشهيد الصدر، بلا مكان للنشر، المجلس الاعلى للثورة الاسلاميه فى العراق، ط. ٢، ١٤٠٤ هـ.

-، اندیشه های سياسی آيت الله شهيد السيد محمد باقر صدر، ترجمة: ب، شريعتمدار، طهران: رسا، ١٣٦٢.

-، دور الشهيد الصدر فى الحوزة العلميه، منشورات وحده الاعلام، ١٤٠٤ هـ.

- قلى زاده، مصطفى، شهيد الصدر بر بلندای اندیشه و جهاد، طهران: مركز مطبعة ونشر منظمة الإعلام الإسلامى، ١٣٧٢.

- الكاتب، احمد، تجربة الثورة الاسلاميه فى العراق منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠، طهران: دارالقدس الاسلامى، ١٩٨١ م.

- كاظم، فؤاد، ارقام وآراء حول نظام البعث فى العراق، طهران: ١٩٨٢ م.

- كال ورت، پيتر، انقلاب، ترجمة: ابو الفضل صادق پور، طهران: ط.
١٣٥٨، ٢.

- الكليني، ابو جعفر، محمد بن يعقوب، الكافي، طهران: دارالكتب
الاسلاميه، ١٣٦٥، ٨ ج.

- كمال، السيد، الحسين يولد من جديد، قم: منشورات انصاريان.

- كوثر، مجموعه سخنرانيهاى حضرت امام خمينى، همراه با تشريع وقايع
انقلاب اسلامى، (١٣٤٠ - آبان ١٣٥٧)، طهران: مؤسسة إعداد ونشر تراث
الإمام الخميني، ط. ٣، ١٣٧٤.

- كولاىي، الهه و ديگران، يادواره شهيد آيت الله السيد محمد باقر صدر،
طهران: منشورات ناصر، ١٣٦٠.

- گنون، رينيه، بحران دنياى متجدد، ترجمة: ضياء الدين دهشيرى،
طهران: منشورات جامعة طهران، العدد ٧١، ط. ١، ١٣٤٩.

- مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحوث، فلسفه اخلاق، قم:
مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحوث، ط. ٢، ١٣٧٧.

- مؤسسه دارالاسلام، محمد باقر الصدر، نخبة من الباحثين، بيروت:
مؤسسة العارف للمطبوعات، ط. ١، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.

- المؤمن، على، سنوات الجمر، المركز الاسلامى المعاصر، ط. ٣، ٢٠٠٤ م.

- المجلسى، محمد باقر، بحار الانوار، بيروت: داراحياء التراث العربى،
بلا تاريخ، ١١٠ ج.

- محتشمى پور، على اكبر، خاطرات السيد على اكبر محتشمى، طهران:
الشعبة الفنية في منظمة الإعلام الإسلامى، ١٣٧٦.

- مطهرى، مرتضى، انسان و ايمان، قم: منشورات صدرا، ط. ٢، ١٣٥٧.

- جاذبه و دافعه على الصلاة، قم: منشورات صدرا، بلا تاريخ.

- فلسفه تاريخ، قم: منشورات صدرا، ط. ١، ١٣٦٩.

- پيرامون انقلاب اسلامى، قم: منشورات صدرا، ط. ١٢، ١٣٧٥.

- معلوف، لويس، المنجد فى اللغة و الاعلام، بيروت: دارالشرق، ط.

١٣، بلا تاريخ.

- معمورى، على، نظريه سياسى شهيد صدر، قم: اشراق، ١٣٨٠.

- المكتب الاعلامى لجماعة العلماء المجاهدين فى العراق، ط. ١، العدد

٢؛ (بلا مكان للنشر): بلا تاريخ.

- الملائط، شبلى، تجريد الفقه الاسلامى، محمد باقر الصدر بين النجف و

الشيعة العالم، ترجمة: عنان، بيروت: دارالنهار للنشر، ط. ١، ١٩٩٨ م.

- مؤسسة إعداد ونشر تراث الإمام الخميني، صحيفه امام، الأعمال

الكاملة (سلسلة من ٢٢ ج)، طهران، ط. ٤، ١٣٨٥.

- ميشيل، روبرت، احزاب سياسى، مقدمة: سيمور مارتين لپست،

ترجمة: حسن پويان، طهران: منشورات چاپ، ط. ١، ١٣٦٨.

- النابلسى عفيف، خفايا و اسرار من سيرة الشهيد محمد باقر الصدر.

- نجاتى، غلام رضا (باهتمام)، خاطرات بازرگان، شصت سال خدمت

و مقاومت، طهران: مؤسسه رسا للخدمات الثقافية، ١٣٧٥.

- نجف، ع، الشاهد الشهيد، (از مجموعه اضواء على حياة الامام

٦٠٦.....سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

الشهيد)، العدد ٢، (بلا مكان للنشر): المكتب الاعلامي لجامعة العلماء
المجاهدين في العراق، ط. ١، بلا تاريخ.

- نخبة من الباحثين، محمد باقر الصدر، دراسات في حياته و فكره،
مؤسسه دارالاسلام، ط. ١، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م.

- النعماني، محمد رضا، الشهيد الصدر، سنوات المحنة و ايام الحصار،
قم: مؤلف، ط. ١٩٩٦ م / ١٤١٧ هـ.

-، سألهاى رنج، ترجمة: مهرداد آزاد، طهران: مكتب نشر الثقافة
الإسلامية، ط. ١، ١٣٨٢.

-، شهيد الامة و شاهدها، قم: معهد دراسات الشهيد الصدر
التخصصي، ١٣٨٣.

- نهج الفصاحة، جمعه و ترجمه: ابوالقاسم پاينده، طهران: منظمة
منشورات جاويدان، ط. ٣، ١٣٧٧.

- النورى، السيد فاضل، سجات روحية فى سيرة الامام الشهيد الصدر،
طهران: رابطة الثقافة و العلاقات الاسلامية، ط. ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ م.

- هدى، حسين و على رضا بهشتى، جنبشهای آزادیبخش، طهران:
حزب جمهوری اسلامی، ١٣٦١.

- ويلي جويس ان..، نهضت اسلامى شيعةان عراق، ترجمة: مهوش
غلامى، طهران: منشورات اطلاعات، ١٣٧٣.

المصادر اللاتينية

_ Al-sadr, Muhammad Bagir, Islamic PoLitical

Systems Tr. MA Ansari, Karachi Islamic Seminry 1982.

_ Dilip Hiro, Iran under the Ayatollahs, London: Routledge nd Kegan. 1985, Prepace.

_ Giuseppe Mazzini, The Duties of Man and other Essye by Joseph azzini, New York: Dent, 1912.

_ Niclson, Harord, peacemaking. 1919 up now, London: 1969.

_ Tansey, Stephen, Politics, London: routledge, 1999.

_ Thomas Palne, Rights of Man ..., New York: Dent, 1930.

_ Wiley, Joyce W. The Islamic Movement of Iraqi shi'as, London: 1992.

مقالات

_ «آیت الله محمد باقر صدر، دریچه ای به معنویت و خداجویی»،
صحيفة اطلاعات، ۱۳۶۱ / ۱ / ۱۹.

_ «امیر محمد مسیحا»، «مجتهد نوگرا» في:

www2.hamshari.net/hmnews/1384/840118/world/idea.htm

_ «پرورش یافتگان مکتب سرخ حسین»، صحيفة اطلاعات،
۱۳۶۲ / ۱ / ۲۰.

- «زندگینامه شهید صدر»، المؤتمر الدولي لتكريم الشهيد الصدر، في:

www.Alsadr.com

- «شهيد رابع، اسوه جهاد شهادت»، مجله حوزة، العدد الأول، السنة الخامسة، فروردين و اردیبهشت، ۱۳۶۷.

- «شهيد رابع، اسوه جهاد و شهادت آيت الله صدر»، مجله حوزة، (افتتاحية)، العدد الأول، السنة الخامسة، فروردين و اردیبهشت ۱۳۶۷.

- «شهيد الصدر و اخلاق اسلامي»، انديشه ماندگار، (خاص بالمؤتمر الدولي لتكريم آية الله العظمى الشهيد الصدر)، العدد الخامس، ۳۰ دى ۱۳۷۹ (افتتاحية).

- اردبیلی، السيد عبدالغنى، «اسره آل صدر»، مجله الفكر الاسلامي، العددان ۱۹ - ۱۸.

- اميرى، مجتبى «درسهايى از قرن بيستم» مرورى بر كتاب جديد الانتشار برژينسكى، اطلاعات سياسى - اقتصادى، طهران: مؤسسه اطلاعات، فروردين و اردیبهشت ۱۳۷۲.

- الامين، السيد محسن وآخرون، «الصدر فى روى العلماء و المفكرين»، الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، سمو الذات و خلود العطاء.

- ايزدپناه، عبدالرضا، «دستور العمل اخلاقى از عالم نامور آيت الله العظمى شهيد السيد محمد باقر صدر»، مجله حوزة، العددان ۸۰ - ۷۹، فروردين، اردیبهشت، خرداد و تير ۱۳۷۶.

- «دستور العمل اخلاقى از عالم نامور آيت الله العظمى شهيد السيد محمد باقر صدر»، صحيفة اطلاعات، ۲۰ / ۱ / ۱۳۶۲.

- بخاش، شائول، «اسلام و عدالت اجتماعی در ایران»، تشیع مقاومت و انقلاب (مجموعه مقالات المؤتمر الدولي جامعة تل أبيب ١٩٨٤)، مطبعة وتجلید ناروس ایران، ١٣٦٨ ش.

- جمشیدی، محمد حسین، «ارتباط متقابل انقلاب اسلامی ایران و جنبش شیعیان عراق»، انقلاب اسلامی و ریشه های آن، مجموعه مقالات مؤتمر الثورة الإسلامية وجذورها، قم: قسم شؤون الأساتذة ودروس المعارف الإسلامية في ممثلة ولي الفقيه، ١٣٧٤، ج ٢، صص ٣٩٨ - ٣٥٩.

- حسن، عماد، «حديث عن الشخصية الإسلامية في فكر الشهيد الصدر»، الشهادة، العدد ٧٨٧، الثلاثاء ١٩ ذي الحجة ١٤١٩ هـ / ٦ / ٤ / ١٩٩٩ م.

- د کیر، حمد، «الابداع الفکری و العطاء العلمی للشهید محمد باقر صدر» الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء.

- روزی طلب، محمد حسین، «بازتاب آراء شهید الصدر در قانون اساسی» فی:

www.Sharifnews.com/4483

- زنگنه، صباح، «دریچه ای به معنویت و خداجویی»، صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٧٢، العدد ١٩٨٧٩، فی ذکرى الشهيد الصدر.

- سپاه پاسداران انقلاب اسلامی ایران، «سیری در تاریخچه عراق»، مجله پیام انقلاب، السنة الرابعة، العدد ٩٣.

- عصیانی، ع، «آیت الله صدر، آغازگر فریادی در راستای قامت امت اسلامی عراق»، صحيفة کیهان، الخميس، ١٩ / ١ / ١٣٦١، العدد ١١٥٤٧.

٦١٠ سيرة الشهيد محمد باقر الصدر

- الفضلي، عبدالهادي، «الاسس الاسلاميه، عرض و بيان وضعه
الشهيد الصدر من اصول للدستور الاسلامي»، الامام الشهيد محمد باقر
الصدر سمو الذات و خلود العطاء.

- الكوراني، علي «شهيد محمد باقر صدر، مؤيد و پيرو و مطيع امام»،
صحيفة اطلاعات، في ذكرى الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر، ١٩
فروردين ١٣٦١.

- موسوى، مدين، «تقابل نوعى در حركت و مواضع شهيد صدر»،
انديشه ماندگار، العدد ٦، اول بهمن ١٣٧٩.

- الهاشمى، السيد محمود، «المعالم الفكرية لمدرسة السيد الشهيد محمد
باقر الصدر»، الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء،
بيروت: الغدير للدراسات و النشر، ط. ١، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م.

المطبوعات

- الجهاد، (صحيفة) العدد ١٣١، تاريخ ٧ رجب ١٤٠٤ هـ.

- الجهاد، ٢٤ نوفمبر ١٩٨٦.

- الجهاد، العدد ١٢، تاريخ ١ ربيع الاول ١٤٠٤ هـ.

- الجهاد، العدد ١٨٣، ١ شعبان ١٤٠٥ هـ / ٢٢ نيسان ١٩٨٥ م.

- الجهاد، العدد ٢٣٢، ٢٧ رجب ١٤٠٦ هـ.

- الجهاد، العدد ٢٨٣، ٧ شعبان، ١٤٠٧ هـ.

- الجهاد، العدد ٦٨، تاريخ ٣ / ١ / ١٩٨٣ م.

- صحيفة اطلاعات، ٢٠ / ١ / ١٣٦٢، مقابلة مع السيد عبدالعزيز

الحكيم، ص ١٣.

- صحيفة اطلاعات، الخميس، ١٥ فروردین ١٣٤٢.
- صحيفة اطلاعات، تاریخ ١٩ / ١ / ١٣٦١، «في ذكرى الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر».
- صحيفة جمهوری اسلامی، ١٩ / ١ / ١٣٦١.
- صحيفة کیهان، العدد ١٢١٢٨، ٢٠ / ١ / ١٣٦٢.
- صحيفة کیهان، العدد ١٤١٣٤، ١٢ / ١٢ / ١٣٦٩.
- الشهادة، العدد ٤٩٧، ٢١ شوال ١٤١٣ هـ.
- صوت الدعوه، نشره سرية داخلية، العدد ٤٤، محرم ١٤١٤ هـ.
- صوت العراق التحرير، تموز/يوليو ١٩٨٨.
- لواء الصدر، العدد ١٤٤، ٩ نيسان ١٩٨٤ م.
- مجله الشراع، ١٧ مارس ١٩٨٦.
- مجله الشراع، العدد ٨١٠.
- مجله النجف، السنة الأولى، العدد ٣، ١٥ جمادى الثاني ١٣٧٦ هـ/١٩٥٦ م.
- مجله سروش، (عربی)، العدد ٣.
- صحيفة کیهان هوايي، الأربعاء ٢٦ فروردین ١٣٦٦، ص ٢٣.
- صحيفة الشهادة، ٢١ شوال إلى ١٤١، عدد ٤٩٧.
- صحيفة الشهادة، العدد ١٣٧، ٢٢ مهر ١٣٧١.
- صحيفة اندیشه ماندگار، خاص بالمؤتمر الدولي لتكريم آية الله العظمى

الشهيد الصدر، الأعداد ١ - ٧.

- صحيفة جهان نور، العددان ٥ و ٤.
- صحيفة صوت الدعوة، العدد ٣٣.
- صحيفة طريق الحق، نيسان/أبريل ١٩٨٢.
- خاص بـ تاريخ و فرهنگ معاصر، شتاء ١٣٧٢.

الوثائق

- وثائق المركز الوثائقي لحقوق الانسان في العراق نظير «التعذيب في العراق» و...

المقابلات

- مقابلة مع حجة الإسلام السيد محمد باقر مهري، ١٣٦١.
- مصاحبه آية الله السيد محمد ابطحي، خاص تاريخ و فرهنگ معاصر، شتاء ١٣٧٢.
- مقابلة مع السيد عبدالعزيز الحكيم، صحيفة اطلاعات، ٢٠ / ١ / ١٣٦٢، ص ١٣.
- مقابلة مع السيد عبدالعزيز الحكيم، صوت العراق التحرير، تموز ١٩٨٨.
- مقابلة محمد مهدي الآصفى، صحيفة اطلاعات، ١٩ / ١ / ١٣٦١.
- مقابلة المؤلف مع بعض المسؤولين في «مركز حقوق الإنسان في العراق» فرع ايران.

- مقابلة المؤلف مع بعض المسؤولين في المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، مانند ياسين رمضان، ابو حيدر و...
- مقابلة المؤلف مع السيد علي الحائري.
- مقابلة المؤلف مع السيد كاظم الحائري.
- مقابلة المؤلف مع الشهيد السيد محمد باقر الحكيم.
- مقابلة المؤلف مع الشيخ محمد رضا النعماني.
- مقابلة المؤلف مع الشيخ محمد مهدي الآصفي.

المواقع

- www.Imamugad.Net/5/bagher-sadr-htm
 - www.imamsadr.ir/aboutimam/mosahebeh/010htm
 - www.Sharifinews.com./4483
 - www.ImamSajad.Net/.../baghe-sadr/:htm
 - www.imamsadr.ir/about imam/mosahebeh.
 - www.aladwaa.nl/modules.php?name=News&new_topic=14
 - www.aladwaa.n/modules.php?name=News&file=article&sid=4
- 115.